

الموقف من الشبهات

على

علي بن أبي طالب عليه السلام

تأليف:

د. حامد محمد الخليفة

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

این کتاب از سایت کتابخانه عقیده دانلود شده است.

تم تنزيل هذا الكتاب من موقع العقيدة الإلكترونية

www.aqeedeh.com

book@aqeedeh.com

آدرس ایمیل:

سایت های مفید (المواقع العقيدة)

www.aqeedeh.com

www.nourtv.net

www.islamtxt.com

www.sadaislam.com

www.ahlesonnat.com

www.islamhouse.com

www.isl.org.uk

www.bidary.net

www.islamtape.com

www.tabesh.net

www.blestfamily.com

www.farsi.sunnionline.us

www.islamworldnews.com

www.sunni-news.net

www.islamage.com

www.mohtadeen.com

www.islamwebpedia.com

www.ijtehadat.com

www.islampp.com

www.islam۴۱۱.com

www.videofarda.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
تحتها الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾
(التوبة: ١٠٠)

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

"ليحبنى قوم حتى يدخلوا النار في!"

وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي!"^(١)

صحيح

(١) ظلال الجنة في تخريج السنة، (٩٨٣) قال الألباني: صحيح.

الفهرس

الفهرس	١
مقدمة	٧

الفصل الأول: الولاية وآل البيت وأهله وأحاديث الكساء والعترة والثقلين وبدعة

غدير خم	١٩
المبحث الأول: حول حديث: "من كنت مولاه فعلي مولاه"	٢١
آية الولاية ^(١) وبراءة أمير المؤمنين علي <small>عليه السلام</small> من أعداء الصحابة	٢١
براءة أمير المؤمنين علي <small>عليه السلام</small> من أعداء الصحابة	٢٧
قال <small>عليه السلام</small> : "من كنت مولاه فعلي مولاه" ^(٢)	٣٢
قوله <small>عليه السلام</small> : "أنت مني وأنا منك"	٥٣
المبحث الثاني: آل النبي <small>عليه السلام</small> وأزواجه وذريته وأولياؤه وأحاديث (العترة والكساء والثقلين)	٦٩
أولاً: آل النبي <small>عليه السلام</small> وأزواجه وذريته وأولياؤه وأهل الكساء	٦٩
حديث الكساء	٨٩
ثانياً: أ- حديث العترة	١٠٠
ب- حديث الثقلين	١٠٨

الفصل الثاني: حول قول النبي ﷺ لعلي: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله

- ١٢١ بيان أبعادها وبعض من صرح النبي ﷺ بمحبتهم
- المبحث الأول: قول النبي ﷺ لعلي ﷺ: " لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ﷺ ويحبه الله ورسوله ﷺ" وقوله ﷺ: " أحب أهلي إليّ" والإشارة إلى حبه ﷺ لأصحابه عامة ١٢٣
- ١٢٣ يجب الله ورسوله ﷺ
- ١٢٩ قال ﷺ: أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ
- ١٣١ أحب الناس إلى النبي ﷺ
- ١٣٣ حبّ النبي ﷺ للأنصار ﷺ
- ١٣٨ وقالها النبي ﷺ لبعض عوام أصحابه وغربائهم في المدينة
- ١٣٨ وقالها ﷺ لمن يُعرف بالحلم والأناة
- ١٤٠ وقالها ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ
- ١٤٠ ووصف النبي ﷺ أخلاقاً تقود إلى محبة الله ورسوله ﷺ
- ١٤٣ الحث على الحب في الله
- ١٤٥ محبة رسول الله ﷺ ترفع درجات المحبين
- المبحث الثاني: استشهادهم بالأحاديث الموضوعة ١٥١
- ١٥١ احتجاج أعداء الصحابة بالأحاديث الموضوعة
- ١٥٢ ومن شبهاتهم ردّ الشمس لعلي ﷺ
- ١٥٦ سلوني قبل أن تفقدوني. سلوني عن طرق السماء فإني أعلم بها من طرق الأرض! ..
- ١٧٥ حديث الطائر
- ١٨٢ قولهم: اللهم أعط علياً فضيلة لم تعطها أحداً قبله ولا تعطها أحداً بعده

١٨٣	قولهم: لولا علي لهلك عمر رضي الله عنهما
١٨٥	ومن أباطيلهم مشاورة حاكم الجن لأمر المؤمنين ﷺ على المنبر
١٨٧	اتهم أعداء الصحابة لأمر المؤمنين علي ﷺ بأنه ساحر
١٩٥	الفصل الثالث: من وسائل أعداء الصحابة اختراق الكتب وتسخير بعض العلماء
١٩٧	المبحث الأول: التسلل من خلال الكتب والعلماء
١٩٧	أولاً: التسلل من خلال بعض العلماء
٢١٠	ثانياً: التسلل من خلال الكتب
٢١٥	المبحث الثاني: التسلل من خلال تحريف الأحداث
	جعلهم تذكير النبي ﷺ برعاية آل بيته ﷺ في غدير خم عيداً لهم ووصية مزعومة
٢١٥	بالخلافة
٢٢١	أول من أحدث بدعة غدير خم
	المبحث الثالث: موقف أعداء الصحابة من حكام المسلمين وعدم وفائهم لما يعطون من عهود
٢٢٧	ومواثيق والتزامات
٢٢٧	أولاً: موقف أعداء الصحابة من الحكام المسلمين
٢٣٥	من أحقاد أعداء الصحابة على عمر الفاروق ﷺ
٢٣٩	تعظيمهم لقاتل عمر الفاروق ﷺ
٢٤٩	إعلانهم الحرب على رسول الله ﷺ
٢٥٦	ثانياً: محاولة نادر شاه وقفهم عن التعبد بشتم الصحابة ﷺ
٢٦٤	من نتيجة المناظرة

- شروط أهل السنة ٢٦٥
- نهاية وعبرة ٢٦٧
- من قال: في مذهب جعفر الصادق تقيّة فهو مفتر عليه! ٢٧٠
- الفصل الرابع: الموقف من الخلافة بعد النبي ﷺ وشبهة الوصية لعلي ﷺ . ٢٧٣**
- المبحث الأول: شبهاتهم حول استخلاف علي ﷺ على المدينة في غزوة تبوك وقول النبي ﷺ لعلي ﷺ: " ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ﷺ " وبيعة علي ﷺ لأبي بكر الصديق ﷺ ٢٧٥
- شبهاتهم حول استخلاف علي ﷺ على المدينة في غزوة تبوك ٢٧٥
- " وأقضاهم علي ﷺ ٢٨٤
- حول تشبيه النبي ﷺ بمنزلة علي ﷺ " بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام " ٢٨٨
- النبي ﷺ يشبه الصديق ﷺ بنبي الله إبراهيم ونبي الله عيسى عليهما السلام ويشبه عمر ﷺ بنبي الله موسى ﷺ ونبي الله نوح ﷺ ٢٩١
- فهم علي ﷺ لقول النبي ﷺ " أنت مني بمنزلة هارون من موسى " ٢٩٦
- ثانياً: بيعة علي لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما ٣٠٣
- وبيعة علي ﷺ لأبي بكر الصديق ﷺ تبطل شبهات أعداء الصحابة ٣١٩
- المبحث الثاني: شبهة أشجع الناس... والموقف من شبهة الوصية ٣٢١
- أولاً: شبهة أشجع الناس ٣٢١
- وأشجع الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ﷺ ٣٢٦
- ثانياً: الموقف من شبهة الوصية ٣٤٩

٣٥٦ أثر ابن سبأ في ترويح شبهة الوصية المكذوبة
٣٦١ اعتماد أعداء الصحابة على روايات موضوعة في الترويح لشبهة الوصية
٣٦٦ ثم متى أوصى ﷺ إلى علي؟!
٣٦٩ الوصية بكتاب الله تعالى
٣٧٩ الخاتمة ونتائج البحث
٣٨٩ أهم المراجع والمصادر
٤٠٣ المؤلف

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَالِ الْأَرْحَامِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾. "اللَّهُمَّ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (١) أما بعد:

فإنَّ فهم مواقف علي بن أبي طالب ﷺ الإيمانية والأخوية والسياسية والشرعية والعسكرية وغيرها، تعين على فهم الكثير من واقع عصر الرسالة والعصر الراشدي، وتقطع الطريق أمام الكثير من المخالفين والمنتفعين، الذين لا زالوا يتاجرون بدماء المسلمين وأعراض الصالحين، جنياً للمنافع الهابطة، وحرماً على رسالة التوحيد الخالدة، التي جاهد من أجلها علي ﷺ مع أصحاب رسول الله ﷺ حتى أنجزوا جميع ما أوكل إليهم، بقلوب صافية، ونوايا صادقة، وأداء صحيح؛ مقيد بمنهجية وتعاليم الكتاب والسنة، وهذا ما تلقته عنهم أمة محمد ﷺ بالقبول والرضا والاتباع، حتى ظهر في الأمة رايات بدعية، وتجمعات شعوبية، ومنظمات باطنية، نعق أذعياؤها في أودية الغوغاء، وأباطح البوغاء، فأثاروا الزوابع التي غشت على أبصار كثير ممن

(١) صحيح مسلم: ح (١٢٨٩).

استنبت في أحضان هذه الأمة؛ لكنه تنفس بغير هوائها، ومال مع غير رياحها، فأخذ يردد ما يذيعه الموتورون، من السبئية والشعوبيين، واليهود والصلبيين، والمستشرقين والمستغربين، والعلمانيين والليبراليين، ومن يأخذ عنهم من التائهيين، وغيرهم ممن أعلنوا الحرب على عقيدة وميراث أمة سيد المرسلين ﷺ حسداً أن تجتمع على نبيها ﷺ فتحمي هويته، وتحمل رسالته، وتنطلق في آفاق معاني قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الانبياء: ١٠٧).

فأعداء الصحابة خاصة، ردوا الرحمة المهداة، واختاروا طريق الفتنة، ومنهج البغاة، فتستروا بحب أمير المؤمنين علي ﷺ للطعن في إخوانه الصحابة المكرمين، وأمهاته أمهات المؤمنين، فموهوا بذلك على أهل الأهواء، ومن معهم من عبيد البيضاء والصفراء، وفاقدي الانتماء والولاء، فأنشأوا عقيدة وثقافة تتسمى بأسماء المسلمين، وتعمل بكل مكر على هدم عقيدة النبي الأمين ﷺ حتى بلغ من شدة مخادعة أتباعها، أن اغتالوا أمير المؤمنين علي ﷺ في مسجده، وها هم يزعمون حبه والتظاهر بالبكاء عليه، للتمكن من الهيمنة على أمته، وحملها على التعلق بكل ما يناقض عقيدته، وبها يقطع الصلات مع منابع هويته، المنبثقة من الكتاب والسنة، لاستبدالها بأحقاد الشعوبية، وهتان المنظمات السبئية! وأساطير وأباطيل المجوسية!.

فهذا وغيره الكثير يلزم المحبين لأمة الكتاب والسنة، المؤمنين بحقوقها، أن يبنوا موقفاً صلباً، يفرز هذا الخلط الرهيب، وينقض هذا المشترك المريب، الذي يتلبس بحب علي ﷺ ليهدم دينه، ويبطل جهاده، ويقتل إخوته، ويستبيح أمته، لقد آن الأوان ليقال لكل تائه قف قبل أن تسقط في الهاوية، أغلق جميع النوافذ والأبواب المشرعة أمام قتلة الراشدين، ومبغضي الصحابة المكرمين، الطاعنين بعرض سيد المرسلين ﷺ المكذبين لسنته على مرّ السنين، واعرف أمير المؤمنين علي محب الكتاب والسنة، نصير الموحددين، ورابع الخلفاء الرشديين، وتدبر في مواصفات علي الآخر، الذي يزعم أتباعه أنه إله من دون الله تعالى، فابراً منه واحذر مكائده من صنعه، وتمسك بأثار الراشدين،

تحت ظلال قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

فعليّ ﷺ محب الكتاب والسنة والصحابة ﷺ وحببهم، عاش في بيت النبي ﷺ منذ نعومة أظفاره، وهو أول صبي أسلم لله رب العالمين، فقد نطق ﷺ بالشهادة وصدّق بالحق (وهو غلام ابن ثمان سنين)^(١) وشهد وعاش مواقف قريش وما كانت تفعله برسول الله ﷺ وأصحابه السابقين، ورأى بأمّ عينه مواقف صاحب رسول الله ﷺ الصديق ﷺ وكيف كان يصدّد عن رسول الله ﷺ صولات المشركين، ويواسيه بنفسه وماله وبنيه، وكيف كان يرفع الضيم عن كثير من المستضعفين، فيشتري الرقيق ويعتقهم، ويواسي المحتاجين ويكرمهم، ويطعم القادمين إلى النبي ﷺ حين كان في مكة مُضَيّقاً عليه من المشركين، وكل تلك المشاهد وغيرها الكثير كانت منقوشة في ضمير أمير المؤمنين عليّ ﷺ الذي أسهم في نجاح الهجرة حين نام على فراش النبي ﷺ يوهم المشركين، وبعد الهجرة شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ وجاهد بين يديه ﷺ حاملاً لواء المسلمين أو رايتهم، ومبارزاً صنّاديد المشركين دافعاً شرهم عن رسول الله ﷺ وأصحابه المكرمين ﷺ.

وكان يشاهد تمسك رسول الله ﷺ بصاحبه الصديق ﷺ في كل مواقفه ﷺ وكيف كان يشاوره ويقربه ويقدمه على من سواه، ويتدارس معه شؤون ومستقبل دولة المسلمين، والأسس التي يجب أن تبنى عليها علاقاتهم مع من حولهم من اليهود والمشركين، وكان يرى كيف كان النبي ﷺ يغضب لصاحبه ويتصر له ممن يعارضه من أصحابه ﷺ وكل ذلك وغيره الكثير ملاً ضمير أمير المؤمنين حباً وتبجيلاً لخليفة رسول الله، واستعداداً لطاعته ونصرته وتنفيذ أمره، حتى إذا توفي النبي ﷺ كان عليّ ﷺ يناهز الثانية والثلاثين من عمره، وأبو بكر الصديق ﷺ كان يناهز الستين، مما جعل تقديم الصحابة له أمراً بديهياً، والتفافهم حوله وانقيادهم له، دون كلفة أو توجيه من

(١) سنن الترمذي: ح (٣٧٣٤) قال الألباني: صحيح. الطبراني: المعجم الكبير، (١٦٢). ابن كثير: البداية والنهاية،

المسلمات، وامتداداً لما كان عليه الحال في حياة رسول الله ﷺ من تقديم أبي بكر ﷺ وتبجيله والسماح له، ذلك أنّ الصديق ﷺ كان ﴿ثَانِي أُنْتَيْنِ﴾ في حياة رسول الله ﷺ فمن المتفق عليه بين المؤمنين أن يصبح الأول في حال غياب النبي ﷺ وكل هذه المسائل وغيرها كانت معلومة عند الصحابة ﷺ وهو ما عملوا به منذ اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ وهذا ما كان يغيظ أعداء الصحابة، ويملاً قلوبهم حقداً وحسداً، لما يشاهدونه من إنجازات المسلمين، وانتصارات الموحدين، التي تحققت على يدي خليفة رسول الله بعد وفاة النبي ﷺ فذلك الحسد وتلك الأحقاد، التي كان يخوض أحوالها أعداء الصحابة، قادتهم إلى ابتكار وسائل مأكرة؛ ليكيدوا بها وحدة المسلمين، ويمزقوا صفوف الموحدين؛ مما أوجد فرقا طائفية وتيارات فكرية وسياسية، ومعتقدات دينية، يستظل أهلها تحت مسميات إسلامية وهمية، أوجدت لدى تلك التيارات الهدامة حاجة قصوى لبناء قيادات سياسية لاهوتية، ليواجهوا بها خلافة النبوة وعقيدتها الربانية، والتواصل مع أعدائها، واستدراج غوغائها لتسخيرهم ضد أمتهم، ولم يعد يشغل تلك الفرق سوى محاربة أمة الكتاب والسنة، التي يستظنون في ظلال أخلاقياتها وقيمها النبيلة، ولما كان آل البيت النبوي الشريف ﷺ من أول أنصار الصديق ﷺ وأعوانه، في مواجهة الشرك والردة، ومعهم أمة الصحابة وتابعيهم بإحسان ﷺ ابتكر أعداء الصحابة بمكرهم وغدرهم شعار نصره آل البيت ومظلومية آل البيت، والتعلق بذلك باسم محبة علي ﷺ والعمل بتوصياته، وذلك بما يتكرونها من فكر محارب لعقيدة علي ﷺ، وبما يُلبسون به على الجهلة والغوغاء وأصحاب الأهواء، من اتهامات مكذوبة على كبار الصحابة ﷺ لتقبيح محاسنهم، وتنفير الناس عن إنجازاتهم ومفاخرهم.

ولإيجاد هوة بين علي ﷺ وإخوانه الصحابة ﷺ في فكر الأمة وثقافتها، افتروا عليه ادعاءات لم يقلها؛ وأحاديث موضوعة؛ كان يقاتل من يزعمها؛ ويرأى إلى الله تعالى ممن ينشرها، لكن أعداء الصحابة ألصقوا ذلك بأمير المؤمنين ﷺ زوراً، وجعلوا لها مناسبات وأعياداً وطقوساً؛ توصل لهوية مخالفة لهويته العربية، وعقيدته القائمة على هدي الكتاب والسنة النبوية؛ وموقفه القائم على

اتباع الخلفاء الراشدين ﷺ والسير على منهجهم ولا سيما في الحياة السياسية والسيرة الشخصية، فتمكنوا بذلك من الطعن بعلي ﷺ وتصويره على أنه محارب لإخوانه من المهاجرين والأنصار ﷺ! نصره لمبغضي الكتاب والسنة!!

فأوجدوا بذلك ثقافة وعقيدة وأقواماً لا همّ لهم سوى محاربة الصحابة وعقيدتهم وأمتهم! يزيدهم في ذلك تمداً ومنعة؛ لا مبالاة الكثير من أبناء أمة الكتاب والسنة بهم، واستهانتهم بمكرهم، ووقوع الكثير من المنسويين إلى العلم فيها في شراكتهم، وإسهام البعض منهم في تجميل صورتهم، وتهوين مخاطرتهم! وتهيئة الأمة لقبول باطلهم، ولزيادة التشويه والتشويش؛ رفع أعداء الصحابة شعار موالاته آل البيت، لتضليل الفارّين من مواقع الدفاع عن السنة النبوية، ووضعوا لإمامهم هذا الذي يزعمون أنه علي أو من يرثه من آل البيت، صفات مخالفة لعقيدة أمة الكتاب والسنة، وليواجهوا هذه العقيدة وهذه الأمة، قالوا بأن من صفات إمامهم هذا الذي سمّوه علي صفات لاهوتية، فزعموا أنه قال: "أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله"^(١) ونسبوا إليه أنه قال: (أنا صاحب الخلق الأول قبل نوح الأول، ولو علمتم ما كان بين آدم ونوح من عجائب اصطنتعتها، وأمم أهلكتها، فحق عليهم القول فبئس ما كانوا يفعلون، أنا صاحب الطوفان الأول، أنا صاحب الطوفان الثاني، أنا صاحب سيل العرم، أنا صاحب الأسرار المكنونات، أنا صاحب عاد والجنات، أنا صاحب ثمود والآيات، أنا مدمرها، أنا مززلها، أنا مرجعها، أنا مهلكها، أنا مدبرها، أنا بانيها، أنا مميتها أنا محييها، أنا الأول أنا الآخر أنا الظاهر أنا الباطن)^(٢) وروى الكليني بأن علي بن أبي طالب ﷺ (يُنزل أهل الجنة منازلهم ويزوجهم، ويدخل أهل النار النار، وأبواب الجنة والنار إليه!)^(٣).

(١) الصفار: بصائر الدرجات، ٨١. البيومي: حقيقة الشيعة، ١٠٤.

(٢) الصفار: بصائر الدرجات، ٨٤. وينظر البيومي: حقيقة الشيعة، ١٠٤.

(٣) الكليني: أصول الكافي، ١٥٩/٢. البيومي: حقيقة الشيعة، ١٠٧.

فهذا وغيره من معتقداتهم يجعل موقف أمة الكتاب والسنة قائماً على الفصل بين علي الذي له الصفات الإلهية هذه، وبين أمير المؤمنين علي ؑ المتمسك بمنهج الكتاب والسنة، العامل بما فيهما، الصحابي الهاشمي الذي جاهد مع رسول الله ﷺ ثم قتله أهل الكوفة غدراً في مسجده عام أربعين للهجرة، وأنه غير علي الذي يؤمن به الرافضون لخلافة أبي بكر الصديق ؓ فعلي الذي بايع الصديق ؓ عربي هاشمي قريشي، وهو صحابي من آل بيت رسول الله ﷺ وهو رابع الخفاء الراشدين ؓ، وهذا الآخر عليّ مؤله شعوبي، مبغض لقومه العرب! وللغة الكتاب والنبى ﷺ! ومحارب لأصحاب رسول الله ﷺ سادة المسلمين وقادتهم، ويده الحياة والموت، والجنة والنار، فلا صلة بين علي العبد الصالح الصحابي الهاشمي المبشر بالجنة، وعلي المتصرف في الكون كما يزعم أعداء الصحابة له ذلك!! ومن هنا تفرض على كل مسلم المفاصلة التامة مع من يؤله علي ؓ ويكفر الصحابة ؓ.

وما يكتب في هذا البحث هو عن علي بن أبي طالب ؓ الصحابي

العربي اللسان والنسب، نصير الكتاب والسنة وأهلها، الذي كان يُصلي خلف أبي بكر الصديق ؓ في أيام مرض رسول الله ﷺ وبعد وفاته ﷺ وفي أيام خلافة أبي بكر ؓ وبقي على وفائه وإخلاصه له، واعتزازه بخلافته وإمامته حتى وفاته ﷺ، يجلد من يُفضله على أبي بكر الصديق ؓ، ويرأى ممن ينال منه أو يطعن في خلافته، لا يجابي في ذلك أحداً ولا يرتجي على ذلك مكافأة دنيوية، وكان ؓ محباً للصحابة ؓ موالياً لجميع الخلفاء الراشدين، ومتعاوناً معهم ومطيعاً لهم ؓ، ولم يقل يوماً أنه معصوم، أو أن العصمة تنال أحداً من ذريته ﷺ أو أن هناك عصمة لغير رسول الله ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (النجم: ٣) وكان يُحرّم المتعة كما حرّمها رسول الله ﷺ ويرى رجم من يستبيحها إذا كان محصناً، وجلده إذا كان عزباً.

قال رسول الله ﷺ: " هدم، أو قال: (حرّم المتعة: النكاح، والطلاق، والعدة، والميراث)"^(١) وقال ﷺ يوم الفتح: (إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة)^(٢) وكان ﷺ يغسل قدميه في

(١) صحيح ابن حبان، ذكر الأسباب التي حرمت المتعة، ح (٤١٤٩) قال الحافظ في التلخيص: حسن.

الوضوء، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة: من الآية ٦) عاطفاً غسل الأرجل على غسل الأيدي كما هو في كتاب الله، ومحافظاً على الصلوات الخمس والجمع والجماعة في أوقاتها، عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء: من الآية ١٠٣).

وكان ﷺ يأخذ نصيبه من الخمس من غنائم المشركين؛ ويقيم فريضة الزكاة على المؤمنين، لا كما يفعله أعداؤه ممن أبطل فريضة الزكاة وفرض الخمس على الأتباع والأقربين. قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَفَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: ٤١).

فهذه بعض صفات وأخلاقيات علي أمير المؤمنين ﷺ، وصفي المتقين، الذي جاهد في سبيل الله تعالى المشركين، وتمسك بهدي النبي الأمين ﷺ وبحب أصحابه المكرمين، ونصرة الكتاب والسنة وهدي الراشدين، واستمر على ذلك ﷺ صابراً محتسباً حبيباً محبوباً بين المؤمنين، متبرئاً من الخوارج المارقين، ومن المتشيعين لغير كتاب الله وسنة سيد المرسلين ﷺ وعلماً شامخاً يسترشد بإخلاصه ووفائه الطامعون بجنات رب العالمين.

وجاء هذا الكتاب في مقدمة وأربعة فصول وعدد من المباحث، الفصل الأول منها تحدث عن آية الولاية، وبراءة أمير المؤمنين علي ﷺ من أعداء الصحابة، وتوضيح معاني وأبعاد قوله ﷺ لعلي ﷺ: "من كنت مولاه فعلي مولاه" وشرح معنى المولى، وبيان أسباب ورود الحديث ومناسبته، وقوله ﷺ لعلي أيضاً: "أنت مني وأنا منك" وذكر بعض من وافق من النبي ﷺ من

(١) صحيح ابن حبان، ذكر الأسباب التي حرمت المتعة، ح (٤١٥٠) صحيح الإسناد.

أصحابه مثل هذا الوصف، وأسباب وصف النبي ﷺ لهم بقوله: هذا مني وأنا منه، أو هم مني وأنا منهم، وأحاديث: الكساء والعترة والثقلين، ومعاني كل منها، وبيان أسباب ورود النص عند الحاجة، لتوضيح مقاصده وأسبابه، مع استقراء العبر ورد الشبهات، وبيان اشتقاقات معاني "آل البيت" و"أهل البيت" وبيان مكانة أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ بين أهل بيته ﷺ وأنهن المقصودات أولاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: من الآية ٣٣) وذلك ظاهر في سياق الآيات التي قبل وبعد هذا النص، ولا يتطلب الأمر أكثر من قراءة الآيات (٢٨-٣٤) من سورة الأحزاب، والإشارة إلى أن النصوص، تؤكد أن المتقين هم أولياء رسول الله ﷺ وبيان خلاصة الموقف من آية التطهير وحديث الكساء.

أما الفصل الثاني: فجاء الحديث فيه عن بعض وسائل التشويه التي مارسها أعداء الصحابة في توجيه الأحاديث الصحيحة، وحرفها عن معانيها ومقاصدها الصحيحة، ومحاولة قصرها على أمير المؤمنين علي ﷺ للطعن بالصحابة الآخرين وتجريدهم من مناقبهم وفضائلهم، في مثل قوله ﷺ لعلي: "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ﷺ ويحبه الله ورسوله ﷺ" وتوضيح مناسبة هذه الفضيلة والتمتة الكبرى، وذكر بعض من صرح النبي ﷺ بمحبتهم، مثل أسامة بن زيد ﷺ والأنصار ﷺ وغيرهم من الصحابة ﷺ والتنويه إلى أن الإسلام يؤكد على الحب في الله، وأن طاعة الله ورسوله ﷺ، ترفع أهلها إلى آفاق قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩).

ثم الإشارة إلى بعض وسائل أعداء الصحابة الأخرى في صناعة الأحاديث المكذوبة والاستشهاد بها! بزعم بيان مناقب علي ﷺ وكأنه بحاجة لمثل هذه الأباطيل ولا يكفيه ما في الصحيحين والسنن من شرف المناقب والفضائل التي نال بها رضا النبي ﷺ وثنائه عليه ومحبة

المسلمين وتبجيلهم له ﷺ ولكن أولئك المغرضين يفعلون ذلك لا حباً بعلي ﷺ وإنما لكي يطعنوا بإخوانه الراشدين والصحابة المكرمين ﷺ ولنشر بعض الشبهات في مثل حديث ردّ الشمس لعلي ﷺ، وقولهم الذي ينسبونه لعلي ﷺ: "سلوني قبل أن تفقدوني، وحديث الطائر، وقولهم: لولا علي لهلك عمر رضي الله عنهما.

ثم طعنهم بدين أمير المؤمنين علي ﷺ في مثل اتهامهم له بأنه يتعامل مع الجنّ وكأنّه ساحر ﷺ وحاشاه، وزعمهم أن حاكم الجنّ شاوره ﷺ وهو على المنبر.

وتناول الفصل الثالث كشف وسائل أعداء الصحابة في اختراق الكتب وتسخير بعض العلماء لحمل ظلماتهم، وتحريف بعض الأحداث لتمرير أهوائهم، ومن تلك الوسائل التسلل إلى عقيدة الأمة من خلال الكتب والعلماء، ومن ثم رواية الأحاديث المكذوبة، وتوجيهها بما يخدم مآربهم ويطعن بأعدائهم أصحاب رسول الله ﷺ! وهذا لا يتنبه له كثير من الناس، وسيتم ذكر مجموعة من الأمثلة التي تبين ذلك.

أما تحريف الأحداث وتسخيرها لخدمة مشاريعهم العدوانية، التي تتجدد في مناسبة وغير مناسبة، مثل استغلالهم تذكير النبي ﷺ لأمته بآل بيته يوم غدیر خُم، حيث أنّ الخلافة ليست فيهم بعد وفاته ﷺ فذكر ﷺ أمته بأهله وآله ﷺ أداء لحق الرحم والقربى، لكن أعداء الصحابة اهتبلوا هذه المسألة سياسياً وعقائدياً، للطعن بأمة محمد ﷺ وتكفير أصحابه ﷺ والتحريض على الفتنة، وتجديد ذلك في كل عام، في احتفالات يفوق اهتمامهم بها أعياد الفطر والأضحى! ثم بيان أول من أحدث بدعة غدیر خُم، وتوضيح الموقف من الشبهة المتجددة في أخطارها السياسية والإعلامية والعقدية والأمنية!.

وأوضح الفصل الرابع مسألة استخلاف علي ﷺ على المدينة، ومعنى قول النبي ﷺ له: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ﷺ" وذكر أسباب ورود هذا النص، وبيان أهم مقاصده، ثم توضيح معنى الشجاعة ومن هو أشجع الناس! والوقوف عند قول النبي ﷺ: "أفضاهم علي" والتنبيه إلى محاولات أعداء الصحابة، تلبس هذه النصوص للطعن بخلافة النبي

ﷺ بعد وفاته! ثم تفصيل القول في بيعة علي ﷺ لأبي بكر ﷺ والتأكيد على أن تلك البيعة تبطل كل ما يزعمه المغرضون، وتسقط مسوغات الفتن التي يؤزونها بين المسلمين.

ثم توضيح الموقف من شبهة الوصية لعلي ﷺ والإشارة إلى معنى الوصية اللغوي، وإلى أثر ابن سبأ اليهودي، في ترويح هذه الشبهة المكذوبة، والتنبيه إلى أن أعداء الصحابة اعتمدوا الروايات الموضوعية لإثبات شبهة الوصية، وكذبوا الروايات الصحيحة التي تؤكد بما لا لبس فيه أنه لا وصية، وإنما أراد النبي ﷺ أن يكتب لأبي بكر كتاباً يعهد فيه الأمر إليه، قال ﷺ: (لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ وَأَعْهَدُ؛ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنِّونَ ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَيُّهَا اللَّهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْتِي الْمُؤْمِنُونَ) (١) وقوله ﷺ: (حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنِّينٌ وَيَقُولُ قَائِلٌ أَنَا أَوْلَى، وَيَأْتِي اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ) (٢) وفي هذا الرد الوافي على جميع التخرصات التي يثيرها أعداء الصحابة بجميع أصنافهم، ومعهم المرجفون والمقربون، الذين يشككون في الصحيحين وغيرهما من ثوابت الأمة، كعربون تواصل مع قتلة الراشدين ومكذبي سنة سيد المرسلين ﷺ.

ثم الخاتمة ونتائج البحث، وقائمة المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات. وفي نهاية هذه المقدمة أسأل الله تعالى القدير: أن يجمع المسلمين، على الكتاب والسنة ومنهج الصحابة المكرمين ﷺ وأن ينفع بهذا الجهد القراء المخلصين، ويثقل لهم به الموازين، ويوحد المتخاصمين، ويبصر التائهين، وينبه الغافلين، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، لا شبهة فيه ولا رياء، ولا سمعة ولا عصبية، وإنما محبة ووفاء لأصحاب خير البرية ﷺ وأن يدخره لي عنده ﷺ نوراً لظلمة القبر، ومناراً يوم الحشر ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء).

حامد

(١) صحيح البخاري: باب قول المريض إني وجع وأرأساه، ح (٥٢٣٤) باب الاستخلاف، ح (٦٦٧٧).

(٢) صحيح مسلم: من فضائل أبي بكر، ح (٤٣٩٩).

الدوحة: ١٤٣٠/١٠/٢١ هـ - ٢٠٠٩/١٠/١٠ م

الفصل الأول

الولاية وآل البيت وأهله وأحاديث
الكساء والعترة والثقلين
وبدعة غدير خم

المبحث الأول

حول حديث: "من كنت مولاة فعلي مولاة"

آية الولاية^(١) وبراءة أمير المؤمنين عليؑ من أعداء الصحابة

لم يدع أعداء الصحابة باباً من الأبواب إلا وحاولوا الدخول فيه؛ بقصد تشويه وتزييف الأحداث، وهذا ظاهر معلوم لكل متابع لمواقفهم العلمية في كتبهم الدينية والسياسية والفكرية والفلسفية وغيرها، ومن ذلك أنهم يتابعون ما في كتب الصحاح والسنن وكتب التفسير وغيرها،

(١) قال في كتاب أصول الكافي للكليني الذي هو أهم كتب القوم في طعنهم بالقرآن: إن القرآن الذي جاء به جبريل سبعة عشر ألف آية. وقال القزويني شارح كتاب أصول الكافي الذي نسب هذا الكلام إلى جعفر الصادق: إن الغرض بيان أنه حذف من أصل القرآن شيء كثير! الذي لا يوجد في نسخ القرآن المشهورة! فعلى القارئ أن يقارن بين هذه العقيدة المكذبة للوحي؛ وبين قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فُصِّلَتْ: ٤٢). وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) وفي كتاب الخطوط العريضة: أن الأستاذ محمد عليّ سعودي الذي كان كبير خبراء وزارة العدل بمصر، ومن خواص الشيخ محمد عبده، اطلع على مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق (برامين) فنقل منه سورة بعنوان: سورة الولاية، مذكور فيها ولاية عليّ، ونص صفحتها الأولى: «يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبّي وبالوحيّ اللذين بعثناهما يهديانكم إلى صراط مستقيم * نبى وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير * إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم * والذين إذا تلى عليهم آياتنا كانوا باياتنا مكذبين . فإن لهم في جهنم مقامًا عظيمًا إذا نودي لهم يوم القيامة: أين الظالمون المكذبون للمرسلين * ما خالفتهم المرسلين إلا بالحق وما كان الله ليظهرهم إلا لأجل قريب، وسبح بحمد ربك، وعليّ من الشاهدين» وهذه السورة أثبتتها مرجعهم الأكبر نوري الطبرسي في كتابه الخبيث (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وثابتة أيضا في كتابهم (دبستان مذاهب) باللغة الفارسية، لمؤلفه محسن فاني الكشميري، وهذه السورة التي صنعها أعداء الصحابة كذباً على الله ورسوله ﷺ نقلها المستشرق (نولدكه) في كتابه (تاريخ المصاحف ١٠٢ / ٢) ونشرتها الجريدة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٤٢م، ص ٤٣١ - ٤٣٩، عطية صقر: بتصرف يسير من فتاوى الأزهر: ٦٤١ / ٣، تاريخ الفتوى: مايو ١٩٩٧. ينظر محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة، الطبعة العاشرة، ص ٩.

فيتزعون منها ما يخص أعلام هذه الأمة وأئمتها ثم يعملون على تكذيبه ونسفه ونسبته لغير صاحبه! وإيجاد الروايات والأسانيد الموضوعية كذباً على السنة أناس موهومين أو كذابين، ثم التستر بفرية مظلومية آل البيت! ولصق ذلك بأحد أولئك الكرام من آل البيت ﷺ! لا حياً لهم ولكن تزييفاً لحقيقة الأحداث ونشراً لفكر التحزب والتعصب، وتوفيراً لوسائل الفتن في بلاد المسلمين، وهذا معلوم لكل طالب علم مؤمن نبه نجيب.

ولعل موقفهم من تفسير آية الولاية، يبين لونا من ألوان مكرهم وتحريفهم لصور الأحداث وأسبابها، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ٥٥ ﴾ ﴿ وَمَنْ تَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ٥٦ ﴾ (المائدة) وهذه آية عامة في المؤمنين، ولما كان أصحاب رسول الله ﷺ وقت نزول هذه الآية، من مقيمي الصلاة ومؤتي الزكاة، وفي كلتا الحالتين هاتين كانوا متصفين بالخضوع لله تعالى وبالتذلل له، نزلت الآية بهذه الأوصاف الجليلة، والركوع هنا ظاهره الخضوع، لا الهيئة التي في الصلاة^(١) والله أعلم.

وأوصاف هذه الآية تنطبق في كل المقاييس على أبي بكر ﷺ الذي كانت سيرته هي الأولى بأوصافها؛ لأنه أول من تولى النبي ﷺ ونصره، وأول من أقام الصلاة وأعلن بها من المؤمنين؛ بين ظهراي المشركين في مكة، وهو الذي أمّ المسلمين بها في حياة رسول الله ﷺ في المدينة وبأمره، وبصلاته إلى جنبه ﷺ إماماً بالمسلمين وبصلاته ﷺ خلف أبي بكر مأموماً به وبحضور الصحابة المكرمين ﷺ^(٢) وهو الذي كان يجاهد بهاله ويده ولسانه بين يدي النبي ﷺ في مكة.

وتأكيد النبي ﷺ قبيل وفاته؛ على إمامته ﷺ رغم محاولات من أراد الاعتذار له عن الإمامة ولوم النبي ﷺ من فعل ذلك اللوم الشديد، ولم يُجز الإمامة لغير أبي بكر ﷺ قبيل وفاته ﷺ

(١) ينظر إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبي بكر الصديق حامي الإسلام من الرفض والردة، ١ / ٥٧٥ فما بعدها.

(٢) محمد بن يوسف بن علي بن حيان النحوي الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ): البحر المحيط، آية الولاية، ٤ / ٣٧١.

فخليفة رسول الله هو الإمام الذي أقره النبي ﷺ في حياته، وكل من يُطلق عليه اسم إمام من الخلفاء بعد وفاة النبي ﷺ فهو بغير أمر رسول الله ﷺ ولا بتسميته ﷺ وكل من يسميه أعداء الصحابة باسم إمام إنما هو من مسمياتهم هم، ولا يستطيعون أن يأتوا بنص واحد صحيح يثبت صحة ما يزعمون، بينما النصوص الصحاح التي لا ترد تنطق بإمامة أبي بكر ﷺ على لسان رسول الله ﷺ فشتان بين من يسميه رسول الله ﷺ إماماً وبين من يسميه من رفض سنة رسول الله ﷺ وكتابه، وطعن بأقرب أهله إلى نفسه ﷺ وإلى أمته، وكفر أصحابه ﷺ كما هو ثابت في عقيدة المخالفين وثقافتهم.

وأبو بكر الصديق ﷺ هو المعني في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (الشمس: ١٨) وهو الذي أتى الزكاة على المستويين الفردي والجماعي على أكمل وجه وأتمه؛ وكان خصومه من المشركين والمرتدين واليهود والصليبيين والرافضيين لسنة النبي ﷺ مكبوتين مغلوبين مقهورين مردود بغيهم وظلمهم إلى نحورهم، مكشوفة سواتهم الفكرية وبادية عوراتهم الاعتقادية، وتحقق لخليفة رسول الله الغلبة والتمكين في الأرض على كل من عبث بفريضة الزكاة، فإن الله تعالى مكن لأبي بكر ﷺ في الأرض وبايعته الأمة جميعاً، ونصره الله تعالى على المرتدين نصرأ تاماً، وعلى أذناهم الرافضيين للزكاة، وما مات ﷺ إلا وجيوشه المجاهدة تطارد جيوش أكبر دولتين في العالم آنذاك! وتحرز النصر والغلب المتلاحق عليهما، بينما أمير المؤمنين علي ﷺ لم يكن سلطانه مبسوطاً في عصر خلافته، ولم يتغلب إلا على الخوارج الذين كانوا يتشيعون له ثم رفضوا طاعته، وكان نصرأ جزئياً إذ ظلت فلول تلك الشيع هنا وهناك تعيث فساداً، حتى تمكنوا بغدرهم وباطنيتهم وعداوتهم للصحابة في نهاية المطاف من اغتياله وقتله ﷺ! وللتلبيس على الناس وزيادة في مشاققة الله ورسوله ﷺ تراهم يقسمون باسمه بدلاً من القسم باسم الله تعالى؛ مبالغة في البراءة من عقيدة التوحيد التي يعتقدونها علي ﷺ فضلاً عن عقائدهم التي تضلل أتباعها بالزعم

أنه ﷺ هو قسيم الجنة والنار، وهو الذي يُدخل من شاء فيها ويمنع من يشاء^(١) وأن من لم يبايعه فهو كافر، أما فتنة صفين التي صنعها وقادها السبئية، قتلة الخليفة المظلوم الشهيد عثمان ﷺ وأوقعوا أمير المؤمنين علياً ﷺ فيها بغشهم وخداعهم وبهتهم؛ فإن كفة أهل الشام كانت فيها قوية عسكرياً وسياسياً وأمنياً، وانضباطاً ومسلماً، ولم يبدؤوا بقتال، ولم يكن مقصدهم سوى الدفاع عن أنفسهم، ورد صيال قتلة الشهيد عثمان ﷺ وأعوانهم، الذين لا يردعهم شرع ولا يمنعهم نظام، بل ولا يقفون عند حدود تعليمات أمير المؤمنين علي ﷺ ولا يلتزمون بأمره ونهيه ﷺ.

أما عن سبب نزول هذه الآية فالراجح أنها في عبادة بن الصامت ﷺ^(٢) حيث تبرأ من حلف اليهود وولايتهم إلى ولاية الله ورسوله والمؤمنين، في مقابل تمسك المنافق عبد الله بن أبي بن سلول بحلفه معهم فنزل فيه قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١)^(٣) وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا﴾ (المائدة: ٥٢) وفي عبادة ﷺ نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ

(١) الصدوق: علل الشرائع، ١٩٦.

(٢) روى ابن إسحاق وابن جرير والبيهقي عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة ﷺ إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وكان أحد بني عوف من الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي فخالفهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ من حلف الكفار وولايتهم وقال: يا رسول الله أبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين. قال عبادة: ففي وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات. وفي الاستيعاب عن سبب نزولها في عبادة ﷺ قال: إنه ضعيف، وفيه أكثر من أحد عشر سنداً بين ضعيف جداً، أو لا أصل له! أو موضوع! كلها تزعم أن آية الولاية نزلت في علي ﷺ! ينظر الاستيعاب في بيان الأسباب: ٦٥/٢.

(٣) عبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله ممن يعادون أصحاب رسول الله ويكرهون العرب ويردون السنة ويكفرون بها.

الصلوة ويؤتون الزكوة وهم ركعون ﴿ (المائدة: من الآية ٥٥) ثم عادت الآيات تنهى عن موالاته اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة: ٥٧) وما بعدها. ومع رجحان أن عبادة بن الصامت ؓ هو المعني في هذه الآية كما جاء في أسباب النزول^(١) إلا أن الآية ليست خاصة به، بل إنها عامة في كل من تبرأ من أعداء الله والى الله ورسوله ﷺ والذين آمنوا، وأبو بكر ؓ أفضل من تبرأ من أولئك وجاهدتهم كما جاهد المرتدين وكل من رفض الكتاب والسنة؛ وهو خير من تولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وعمل في كل حياته من أجل نصرتهم وإقامة دولتهم حتى استقام أمر الدين؛ كما كان في حياة رسول الله ﷺ فلم يعد مؤمن بالله ورسوله ﷺ على وجه الأرض وإلى قيام الساعة إلا ويجب أبا بكر ؓ ويوالي إمامته ولا منافق مرتد أو رافضي مبغض لله ولرسوله ﷺ إلا ويعادي خليفة رسول الله ويكفر بإمامته التي أمر بها النبي ﷺ وهياً أسبابها وأقرها له في حياته، تتويجاً لجهاده الدائم منذ اليوم الأول الذي نطق به بشهادة الحق، وإلى اليوم الذي فارق به الدنيا، فهو أول من واجه طغيان قريش بيده وبقرآنه، عندما تصدى لعقبة بن أبي معيط، وخلص رسول الله ﷺ منه، ثم شهر عليهم قوله تعالى: ﴿ أَنْقَضْتُمُونَنَا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ (غافر: من الآية ٢٨)^(٢) وهذه الرواية تبين شجاعة الصديق ؓ اللامتناهية، وأنه كان يتصدى لمجرمي قريش وعتاتها، ممن يؤذون رسول الله ﷺ في مكة قبل أن يكثر المسلمون أو تكون لهم شوكة، وهذا أحدهم عقبة بن أبي معيط الذي خنق رسول الله ﷺ بردائه، فما رده إلا الصديق ؓ

(١) على أنه ورد في بعض الروايات أن الآية نزلت في أبي بكر كما في أسباب النزول للثعلبي عن ابن عباس / الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات ١/ ١٣٠، لأبي مريم الأعظمي، وفي الحلية ٣ / ١٨٥ عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: سألت أبا جعفر الباقر عن الآية فقال: أصحاب محمد ﷺ قلت: يقولون: هو علي؟ فقال: علي منهم. وروى ابن جرير وغيره عن ابن عباس قال: من أسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا. الحجج الدامغات، ١/ ١٣١ - ١٣٢.
(٢) البخاري: صحيح البخاري. كتاب التفسير، باب. تفسير المؤمن (غافر) ح (٤٨١٥).

مناجحاً وحيداً عن النبي ﷺ وكذلك ظهر تمثل الصديق ﷺ بالقرآن واستشهاده بآياته في دفاعه عن رسول الله ﷺ وهذا سلاح أخلاقي جديد أدخله أبو بكر الصديق ﷺ على مجتمع المشركين في مكة: ﴿ أَنْقَتُوا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ والمعنى يا أيها المشركون هل تقتلون الرسول ﷺ الذي ليس له ذنب معكم إلا أن يعلن أن الله ربّه ﷻ أرسله إليكم، وقد جاءكم بالبيان والدليل على ذلك من ربكم الذي خلقكم.

ومن هذه المواقف الرائدة والتضحيات الفائقة يأتي بغض أعداء الصحابة لأبي بكر ﷺ وما ذلك إلا لمنافحته عن رسول الله ﷺ بهاله وبدنه ولسانه، ولرعايته له يوم الهجرة وحرصه ﷺ على افتدائه بنفسه، وخدمته ﷺ بيده وعمله على توفير ما يحتاجه في سفره وفي إقامته، حرصاً على سلامته وإسهاماً في تفرغته ﷺ لدعوته، دون أن يشغله عنها شاغل أو يرده عن تحقيق أهدافه عائق، فهو يقوم بكل ذلك وهو مشفق على رسول الله ﷺ حزين أن لا يطيعه قومه الذين أخرجوه؛ فعرضوه لأخطار قطاع الطرق الباحثين عن المغنم والمكاسب التي يجنونها على حساب الدعاة والمجاهدين، كما حصل يوم الهجرة حتى قال له النبي ﷺ حينما رأى شدة إشفاقه: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾^(١).

فيتضح أن اختيار النبي ﷺ لأبي بكر ﷺ دون سائر الصحابة ليصحبه في رحلة الهجرة، حينما عزم المشركون على قتله ﷺ بعد مشاورة وتأمير طويلين، وما أعلنوه من مكافآت على من يأتي به ﷺ أو بصاحبه ﷺ وما يحمل ذلك من دلالات على أنه كان أعظم الصحابة إيماناً وخبرة وتحملاً، وكتماً لسر رسول الله ﷺ وحباً عليه وسعياً لحمايته وسلامته بكل سبيل، وأوسعهم دراية بما يحيط بالنبي ﷺ وبدينه من أعداء متربصين أو أنصار مؤمنين، كل ذلك جلب على الصديق ﷺ بهتان أعداء الصحابة، وتأميرهم على خلافته الراشدة، وذلك لفوزه بشرف الاختصاص بصحبة النبي ﷺ ونصرتة التي انفرد بها ﷺ ولإسهامه في إنجاح الهجرة على أتم وجه وأكملها، ونجاة

(١) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم. ح (٣٦٥٢).

رسول الله ﷺ، وهم لا يريدون سلامة رسول الله ﷺ لأنهم يرون أنه كان سبباً في عدم وصول الرسالة إلى من يزعمون ببهتانهم أنه أولى بها منه! وأن جبريل عليه السلام أخطأ في تسليم الرسالة إلى محمد ﷺ لمشابهة علي عليه السلام له^(١).

براءة أمير المؤمنين علي عليه السلام من أعداء الصحابة

ولما كان علي عليه السلام حريصاً على وحدة المسلمين، كان أول من أجاب إلى الصلح والاحتكام إلى المصحف في فتنة صفين، والبراءة من الذين يعملون بكل مكرهم وكيدهم على هدم السنة النبوية؛ ومن ثم تفرغ ﷺ لشبيعة الفتنة الخوارج الذين قاتلوه بعد إبرام الصلح الذي أطفأ الفتنة ونشر الأمن بين المسلمين؛ فقتلهم في حروراء والنهروان وغيرهما وقال علي عليه السلام واصفاً من يزعمون أنهم شيعته! بعد أن علّم ونصح وشرح وخطب وضرب لهم الأمثال، قائلاً: (قد دارستكم الكتاب، وفاضتكم الحجاج، وعرفتكم ما أنكرتم، وسوغتكم ما مجتتم، لو كان الأعمى يلحظ، أو النائم يستيقظ)^(٢) ولكنهم لم يكونوا عمياً ولا نوماً، وإنما أعداء الصحابة باطنية يزعمون حبه ونصرتهم ﷺ ويعملون بعكس ما يأمرهم به وينهاهم عنه، حتى شهد عليهم بهذه الشهادة أن الأعمى يبصر والنائم يستيقظ وأعداء الصحابة لن يغيروا ما هم عليه من الحقد والكراهية لأئمة أمة الكتاب والسنة من الصحابة وآل البيت ﷺ!.

وبعد أن انكشف له زيفهم وغدرهم وبان خذلانهم وكذبهم، خطبهم متبرئاً منهم فقال ﷺ: (أصبحت والله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدو بكم. ما بالكم؟ ما طبكم؟ أقولاً بغير علم، وغفلة من غير ورع، وطمعاً في غير حق)^(٣) فهذه صفاتهم التي وصفهم بها أمير المؤمنين ﷺ وهو أعلم الناس بمن يسمون أنفسهم الشيعة وهم من يدين برفض كل ما

(١) السفاريني: شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨ هـ) لوامع الأنوار البهية

وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٠ / ٨٢.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٠ / ٦٧.

(٣) نهج البلاغة المقتدى أكثره على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: الخطبة، ٣٠، ص ٦٥.

يدعو إليه علي ؑ أو يأمر به حتى أبغضهم وملّهم وكرههم وتمنى فراقهم. فقال ؑ: (أحمد الله على ما قضى من أمر وقدّر من فعل وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تُطع، وإذا دعوت لم تُجِب؛ إن أمهلتكم خضتم، وإن حوربتكم خرتن، وإن اجتمع الناس على إمام طعتم، وإن أجبتم إلى مشاققة نكصتم لا أبا لكم ... فأنا لصحبتيكم كاره وبكم غير كثير، لله أنتم أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تشحذكم ...!! إنه لا يخرج إليكم من أمري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه، وإن أحب ما أنا لاق إليّ الموت) (١) فأهل الكوفة ومن هو على منهجهم عند أمير المؤمنين علي ؑ وهُمّ وسراب ومحنة، وبلاء ابتلي بهم ؑ وهم كما قال ؑ: (أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونساکاً بلا صلاح، وتجاراً بلا أرباح، وأيقاظاً نوماً وشهوداً غيباً، وناظرة عمياء وسامعة صماء وناطقة بكفاء) (٢).

أولئك هم من يزعمون أنهم الشيعة على لسان أمير المؤمنين علي ؑ بعد أن عجم عودهم، وعرف معبودهم ؑ فهم فرقة العصيان والمعاصي، وانعدام الطاعة، وموت الإجابة، والغدر والغش والخداع، وهم أشباح بلا صلاح ولا أرباح يرون ويتعامون ويسمعون فيعصون ويتكلمون بالباطل ويسكتون عن الحق ويوالون العدو ويخونون القريب، ولو تركهم علي ؑ وسكت عنهم لا يصمتون عنه؛ بل يخوضون في عرضه وعرض آل بيته وإخوانه الصحابة وأمهاتهم الطاهرات، حتى أنهم اتهموا علياً ؑ بالكذب، فقال لهم لما سمع غيبتهم وهبتانهم: (أما والله ما أتيتكم اختياراً ولكن جئت إليكم سوقاً ولقد بلغني أنكم تقولون علي يكذب. قاتلكم الله، فعلى من أكذب؟) (٣).

ومن صفاتهم التي شخّصها أمير المؤمنين علي ؑ للأمة كي تحذرهم؛ أنه لا يُعتمد عليهم في قتال عدو لخورهم وجبنهم وهلعهم، فإذا واجهوا الخصوم فرّوا وإذا سنحت لهم فرصة أو غفلة

(١) نهج البلاغة المفترى أكثره على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ: الخطبة، ٣٠، ص ٦٥.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة المفترى أكثره، ١٨٧/٧.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٦٧/١٠، تاريخ الطبري، ٤/١٩٨.

غدروا، لا يملكون شيم الرجال والفرسان الكرام، الذين إذا انتصروا عفوا وساحوا وإذا امتحنوا ثبتوا وصابروا، لهذا أعلن ﷺ كراهيته لهم وبراءته منهم وبغضه لصحبتهم لأنهم عبء عليه مهما كثروا لا قيمة لكثرتهم، لا يجمعهم دين وإنما هم أهواء وشهوات وتجمعات فاقدة للنخوة والحمية، ومع كل ما هم عليه من الدناءة وانعدام القيم فإنهم لا يرضون أمر أمير المؤمنين علي ﷺ ولا يغضبون لغضبه، حتى كان يدعو عليهم ﷺ بقوله: (أصابكم حاصب ولا بقي منكم أبر) ^(١) أبر الذي يؤبر النخل ويصلحه أي لا بقي منكم مخبر. بل هم شر يتربص به ﷺ وخطر محقق بأمته، لا مهرب منهم يهرب إليه لتداخل الأمور وتشابك الفتن التي يديرونها فلا رجاء في صلاحهم، ولم يعد أمامه إلا انتظار الموت لعله يفرق بينه وبينهم، كل ذلك كراهية لشيعته الرافض الذين مزقوا صف الأمة وغدوا الفتن فيها بهتانهم وخياناتهم وتعاونهم مع اليهود والصليبيين والتتار والمعتدين. فهم أهل الغدر والفتن، خاطب علي ﷺ مركز رفضهم كوفة الفتن. فقال ﷺ: (إن لم يكن إلا أنت - الكوفة - فقبحك الله) ^(٢) أي إذا لم يكن مقام ولا ناصر إلا من عاش فيك؛ فسحقاً لذلك المقام وتلك النصره، وما ذاك إلا لأن مقامه بين رافضتها كان محنة له، لما أفسد عليه أهلها من طاعة أصحابه وأخلاق إخوانه المتقين ﷺ.

لهذا ولغيره لم يقاتل أمير المؤمنين علي ﷺ أهل الشام بعد صفين لما رأى من ورعهم وسمتهم واتباعهم وطاعتهم وأمانتهم، بعد أن زال عنه ما أوهمه به أعداء الصحابة، وما أوغروا به صدره عليهم زوراً وبهتاناً؛ فدعا إلى محبة أهل الشام وإلى مسالمتهم وأثنى عليهم؛ بل إنه مدح معاوية ﷺ وأثنى عليه، قال أمير المؤمنين علي ﷺ لمن يزعمون أنهم شيعته: (لا تكرهوا إمرة معاوية، ولا تتمنوا موت معاوية؛ فإنكم لو فقدتموه، رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها) ^(٣) وقال أيضاً لأهل

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٥٨. ص ٨٧.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١/٣٣٢.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٥٩/١٥١. البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/٥٨. الخليفة: الإنصاف، ٥١٩.

الفتنة والخذلان، من مبغضي معاوية رضي الله عنه: (لأخرجنّ ما في عنقي لمعاوية، قد استكتبه نبي الله صلى الله عليه وآله وأنا جالس! فعلمت أنّ ذلك لم يكن من رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن من الله)^(١).

فإذا اتضح هذا وتبينت خطورة أعداء الصحابة على الفكر والتاريخ الإسلامي وهوية الأمة ووحدتها وحاضرها ومستقبلها؛ فإن الموقف من خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه أوضح في كل شأن كما سبق وهو المنفق المعتق المجاهد في سبيل الله الراكع الساجد لله، أما قصة إنفاق علي رضي الله عنه خاتماً وهو راعع التي يجترها المخالفون فهي قصة موضوعة من صناعة أهل الفتنة أعداء الصحابة، لم ترد بسند صحيح قط، ومما يدل على وضعها واختلاقها ما ثبت من فقر علي رضي الله عنه لا سيما عند نزول الآية فإنه كان فقيراً لا يملك نصاب الزكاة، والآية في الذين يؤتون الزكاة، والزكاة مصطلح قرآني لا يطلق إلا على الفريضة المعروفة وعلي رضي الله عنه عند نزول الآية لم يكن ممن يؤتون الزكاة فكيف تصرف الآية إليه فضلاً عن تخصيصه بها دون سواه؟! ولكن كل ذلك من باب الحرب التي يشنها المخالفون على أركان الإسلام، ولا سيما الزكاة التي أبطلوها ووضعوا بدلاً عنها الخمس! مفترين بذلك على الله تعالى، كما هو في معتقدهم الفاسد الذي يتهمون فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بالكفر.

قال ابن الجوزي: (وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا كافرين! وقال بعضهم: ارتدا بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله ومنهم من يقول: بالتبرؤ من غير علي رضي الله عنه وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن علي بالتبرؤ ممن خالف علياً رضي الله عنه في إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة ومنهم طائفة يقال لها الجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين يقولون: إن روح الإله دارت في أصلاب الأنبياء والأولياء، إلى أن انتهت إلى عبد الله وأنه لم يموت وهو المنتظر! ومنهم طائفة يقال لها الغرابية، يثبتون شركة علي في النبوة، وطائفة يقال لها المفوضة، يقولون إن الله عز وجل خلق محمداً صلى الله عليه وآله ثم فوض خلق العالم

(١) سير أعلام النبلاء، ١٢ / ١٢٩. الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ٥١٩.

إليه، وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون كان مأموراً بالنزول على علي عليه السلام فنزل على محمد عليه السلام!! ومنهم من يقول: إن أبا بكر ظلم فاطمة رضي الله عنها ميراثها!!

وقد روينا عن السفاح العباسي أنه خطب يوماً فقام رجل من آل علي عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين: أعدني على من ظلمني! قال ومن ظلمك؟! قال: أنا من أولاد علي عليه السلام والذي ظلمني أبو بكر عليه السلام حين أخذ فدك من فاطمة! قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم! قال: ومن قام بعده؟ قال عمر عليه السلام: قال: ودام على ظلمكم! قال: نعم! قال: ومن قام بعده؟ قال عثمان عليه السلام: قال ودام على ظلمكم؟! قال: نعم! قال: ومن قام بعده؟! فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب إليه - ذلك أن علياً هو الذي قام بعده ولم يغير شيئاً مما كان عليه حال أرض فدك بل أبقاها كما كانت في عصر الصديق عليه السلام! - قال ابن عقيل: الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة!! وذلك أن الذي جاء به رسول الله عليه السلام أمر غائب عنا وإنما نثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم، فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله، فإذا قال قائل: إنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها، وما هذا إلا لسوء اعتقادهم في المتوفى عليه السلام فإن الاعتقادات الصحيحة ولا سيما في الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم، لا سيما في أهل بيته وذريتهم، فإذا قالت الرافضة: إن القوم استحلوا هذا بعده، خابت آمالنا في الشرع، لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم والثقة بهم، فإذا كان هذا محمول ما حصل لهم بعد موته عليه السلام خبنا في المنقول، وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوي العقول! ولم نأمن أن يكون القوم لم يرووا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة! وانقلبوا عن شريعته عليه السلام بعد الوفاة! ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله، فطاحت الاعتقادات وضعفت النفوس، عن قبول الروايات في الأصل وهو المعجزات، فهذا من أعظم المحن على الشريعة^(١)

وهذا وأمثاله الكثير من التبديل والتغيير والرفض والتلبس والإيهام، هو مقصد معتقد أعداء الصحابة! مما يدل على مروقهم من الدين، واعتقادهم بغير عقائد المؤمنين! وطعنهم في سيد

(١) ابن الجوزي: تلبس إبليس، ١/ ٨٨.

المرسلين ﷺ واتهامهم له أنه لم يكن يعلم حقيقة أقرب أصحابه وأصدقائه وأنصاره، وأنهم كانوا يضمرون له الشر وهو ﷺ لا يدري، وبذلك يتهمون رسول الله ﷺ بقلبة المعرفة حاشاه ﷺ وأصحابه بقلبة الأمانة وضياع الدين! ويكذبون القرآن الكريم الذي شهد لأبي بكر ﷺ بالنصرة والصحبة والمعية مع الله ورسوله ﷺ قال تعالى: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمْنَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) فغضب الله على أعداء الصحابة برفضهم وتدليسهم وبهتانهم وطعنهم في أشرف خلق الله من عباده، وأخلص أصحاب رسول الله ﷺ وأكرمهم وأعظمهم مكانة في نفسه ومنزلة عنده ﷺ وسحقاً لمن يعتقد أن أعداء خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ إخوانه ومواليه! وبعداً لتلك الأخوة القائمة على إقرار بهتان أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وحراب العقيدة، وتكذيب السنّة، وتزييف السيرة، واتهام الصحابة ﷺ.

قال ﷺ: " من كنت مولاه فعلي مولاه" (١)

معنى المولى:

نظراً لأهمية هذا النص وامتداته الأخرى، وسعة معاني الولاية والموالاتة التي انتهز أعداء الصحابة الحديث عنها؛ بأوسع ما يستطيعون، وبأبعد ما يكونون فيه عن الحقيقة، أصبح لزاماً الوقوف عنده، وتناوله من الجوانب المحيطة به كافة، لدحض بهتانهم على أئمة هذه الأمة، ولإسقاط تلبيساتهم وأباطيلهم التي عملوا بكل طاقاتهم، فكرياً ومادياً وإعلامياً ودعويّاً لإثباتها ونشرها! ولتظهر ما في نفوسهم من الأحقاد الكامنة، وهم وإن عادوا خائبيين يخوضون في أحوال البهتان وظلمة الزيف، والبعد عن مناهج الصادقين المنصفين، فإنهم لا يؤمنون، ولا يركن

(١) الألباني: الجامع الصغير وزياداته، ح (١١٤٦٩) صحيح الترمذي: ح (٢٩٣٠) حديث صحيح.

إليهم، لذلك من الأهمية بمكان بيان تمويهااتهم في مثل كلمة المولى وإظهار معانيها ومقاصدها، على وجه واضح جلي.

فالمولى: هو المالك، والعبد، والمُعْتَقُ، والمُعْتَقُ، والصاحب، والابن، والعم، والنزيل، والشريك، وابن الأخت، والوَلِيُّ، والرب، والناصر، والمُنْعَمُ، والمُنْعَمُ عليه، والمحب والتابع، والصهر، ومن هنا نعلم أن المولى جاءت بمعنى النصره وغيرها من التعريفات السابقة فجعلها في معنى السلطان يحتاج إلى دليل واضح لإثبات ذلك، هذا بالإضافة لتعذر حمل المولى على الوالي، يقول شيخ الإسلام وليس في الكلام ما يدل دلالة بيّنة على أن المراد به الخلافة، وذلك أن المولى كالولي، والله تعالى قال ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وقال: ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (التحریم: من الآية ٤) فيبين سبحانه أن الرسول ﷺ وليّ المؤمنين، وأنهم موالیه أيضاً، كما بيّن أنّ الله وليّ المؤمنين، وأنهم أولياؤه، وأنّ المؤمنين بعضهم أولياء بعض، فالموالاته ضد المعاداة، وهي تثبت من الطرفين، وإن كان أحد المتوالين أعظم قدراً، وولايته إحسان وتفضل، وولاية الآخر طاعة وعبادة، كما أنّ الله يحب المؤمنين، والمؤمنون يحبونه، فإنّ الموالاته ضد المعاداة والمحاربة والمخادعة، والكفار لا يحبون الله ولا رسوله ﷺ، ويحادون الله ورسوله ﷺ ويعادونه. قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (المتحنة: من الآية ١) وهو يجازيهم على ذلك، كما قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٧٩) وهو وليّ المؤمنين وهو مولاهم يخرجهم من الظلمات إلى النور، وإذا كان كذلك فمعنى كون الله وليّ المؤمنين ومولاهم، وكون الرسول ﷺ وليهم ومولاهم، وكون عليّ ﷺ مولاهم، هي الموالاته التي هي ضد المعاداة، والمؤمنون يتولون الله ورسوله ﷺ الموالاته المضادة للمعاداة، وهذا حكم ثابت لكل مؤمن، فعليّ ﷺ من المؤمنين الذين يتولون المؤمنين ويتولونه، وفي هذا الحديث إثبات موالاته عليّ في الباطن، والشهادة له بأنه يستحق الموالاته باطناً وظاهراً، وذلك يرد ما يقوله فيه أعداؤه من

الخوارج والنواصب، لكن ليس فيه أنه ليس للمؤمنين مولى غيره، فكيف ورسول الله ﷺ له موالى، وهم صالحو المؤمنين، فعلياً أيضاً له مولى بطريق الأولى والأحرى، وهم المؤمنون الذين يتولّونه، وقد قال النبي ﷺ: إنَّ أسلم وغفار ومُزينة وجهينة وقريشاً والأنصار ليس لهم مولى دون الله ورسوله، وجعلهم موالى رسول الله ﷺ، كما جعل صالح المؤمنين مواليه والله ورسوله ﷺ مولاهم.

وفي الجملة فرّق بين الوليّ والمولى ونحو ذلك وبين الوالي. فباب الولاية التي هي ضدّ العداوة شيء، وباب الولاية التي هي الإمارة شيء، والحديث إنما هو في الأولى دون الثانية، والنبي ﷺ لم يقل: من كنت واليه فعلياً واليه. وإنما اللفظ من كنت مولاة فعلياً مولاة، وأما كون المولى بمعنى الوالي، فهذا باطل، فإن الولاية تثبت من الطرفين، فإن المؤمنين أولياء الله تعالى والله هو مولاهم. وأما كونه أولى بهم من أنفسهم، فلا يثبت إلا من طرفه ﷺ وكونه أولى بكل مؤمن من نفسه من خصائص نبوّته ﷺ ولو قدّر أنه نصّ على خليفة من بعده، لم يكن ذلك موجباً أن يكون أولى بكل مؤمن من نفسه، كما أنه لا يكون أزواجه أمهاتهم، لو أريد هذا المعنى لقال: من كنت أولى به من نفسه فعلياً أولى به من نفسه، وهذا لم يقله أحد، ولم ينقله أحد ومعناه باطل قطعاً لأن النبي ﷺ أولى بكل مؤمن من نفسه أمر ثابت في حياته ومماته، وخلافة عليّ لو قدر وجودها لم تكن إلا بعد موته، لم تكن في حياته، فلا يجوز أن يكون عليّ خليفة في زمنه، فلا يكون حينئذ أولى بكل مؤمن من نفسه، بل ولا يكون مولى أحد من المؤمنين إذا أريد به الخلافة، وهذا مما يدل على أنه لم يُرد الخلافة، فإن كونه وليّ كل مؤمن وصف ثابت له ﷺ في حياة النبي ﷺ لم يتأخّر حكمه إلى الموت، وأما الخلافة فلا يصير خليفة إلا بعد الموت، فعلم أن هذا ليس هذا، وإذا كان النبي ﷺ هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم في حياته وبعد مماته إلى يوم القيامة، وإذا استخلف أحداً على بعض الأمور في حياته ﷺ أو قدّر أنه استخلف أحداً على بعض الأمور في حياته، أو قدّر أنه استخلف أحداً بعد موته، وصار له خليفة بنص أو إجماع، فهو أولى بتلك الخلافة وبكل المؤمنين من أنفسهم، فلا يكون قط غيره أولى بكل مؤمن من نفسه، لا سيما في حياته. وأما كون عليّ ﷺ مولى كل مؤمن

فهو وصف ثابت لعلّي في حياة النبي ﷺ وبعد مماته، وبعد ممات عليّ، فعليّ اليوم مولى كل مؤمن، وليس اليوم متولياً على الناس، وكذلك سائر المؤمنين بعضهم أولياء بعض أحياناً وأمواتاً^(١).

وقال الباقلاني: وأما المولى بمعنى المعتق والمعّوق فأظهر من أن يكشف، يقال: فلان مولى فلان يعني معتقه ومالك ولائه، وفلان مولى لفلان يراد به معتق له، وأما المولى بمعنى الموالي المحب، فظاهر في اللغة، يقال: فلان مولى فلان، أي محب له وولي له، وقد روي في قول النبي ﷺ: "مزية وجهينة وأسلم وغفار، موالي الله ورسوله" أي محبون موالون لهما، وأما المولى بمعنى الجار فمعروف في اللغة قال مربع بن دعدعة وكان جاور كليب بن يربوع فأحسنوا جواره:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه كليب بن يربوع وزادهم حمدا
هم خلطونا بالنفوس وأجموا إلى نصر مولاهم مسومة جردا
أي إلى نصر جارهم، وأما المولى بمعنى الصهر فمعروف أيضاً قال أبو المختار يزيد بن قيس الكلابي في ظلامته إلى عمر في أمرائه:

فلا تنسين النافعين كليهما وهذا الذي في السوق مولى بني بدر
وكان الرجل صهراً لبني بدر، وأما المولى بمعنى الخليف فمذكور أيضاً قال الشاعر:
موالي حلف لا موالي قرابة ولكن قطيناً يعصرون الصنوبراً^(٢).

فأما ما قصد به النبي ﷺ في قوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه" فإنه يحتتمل أمرين أحدهما من كنت ناصره على دينه وحامياً عنه بظاهري وباطني وسري وعلايتي، فعلي ناصره على هذا السبيل، فتكون فائدة ذلك الإخبار عن أن باطن علي وظاهرة في نصره الدين والمؤمنين سواء، والقطع على سريره وعلو رتبته، وليس يعتقد ذلك في كل ناصر للمؤمنين بظاهرة لأنه قد ينصر-

(١) مجموع مؤلفات محمد مال الله، ١٠/ ٢٤. الشهود: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، ١٢/ ١١٨.

(٢) الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ٤٥٥.

الناصر بظاهره طلب النفاق والسمعة، وابتغاء الرغد ومتاع الدنيا، فإذا أخبر النبي ﷺ نصرته بعض المؤمنين في الدين والمسلمين كنصرته هو على طهارة سيرته وسلامة باطنه وهذه فضيلة عظيمة.

ويحتمل أيضاً أن يكون المراد بقوله: "فمن كنت مولاه فعلي مولاه" أي من كنت محبوباً عنده وولياً له على ظاهري وباطني، فعلي مولاه أي إن ولاءه ومحبه من ظاهره وباطنه، واجب كما أن ولاءي ومحبي على هذا السبيل واجب، فيكون قد أوجب موالاته على ظاهره وباطنه، ولسنا نوالي كل من ظهر منه الإيهان على هذه السبيل بل إنما نواليهم في الظاهر دون الباطن.

فإن قيل: فما وجه تخصيصه بهذا القول وقد كان عندكم في الصحابة ﷺ خلق عظيم ظاهراً كباطنهم؟ قيل له يحتمل أن يكون بلغه قادح فيه، أو ثلب ثالث، أو أخبر أن قوماً من أهل النفاق والشرارة - الخوارج - سيطعون عليه، ويزعمون أنه فارق الدين وحكم في أمر الله تعالى الآدميين، ويسقطون بذلك ولايته ويزيلون ولاءه ﷺ فقال ﷺ ذلك فيه، لينفي ذلك عنه، في وقته وبعده، لأن الله تعالى لو علم أن علياً ﷺ سيفارق الدين بالتحكيم أو غيره على ما قرف به، لم يأمر نبيه ﷺ أن يأمر الناس باعتقاد ولايته ومحبه على ظاهره وباطنه، والقطع على طهارته وهو يعلم أنه يحتتم عمله بمفارقة الدين، لأن من هذه سبيله في معلوم الله تعالى فإنه لم يكن قط ولياً لله ولا ممن يستحق الولاية والمحبة^(١).

ثم يقال لهم: فلو كان رسول الله ﷺ إنما أراد بهذا القول النص عليه ﷺ، فلم لم يقل ﷺ هذا إمامكم بعدي؟! الواجبة طاعته، فاسمعوا له وأطيعوا؟ فيزيل الوهم والإشكال، فكل شيء أجابوا به فهو جواب لهم فيما سألوا عنه^(٢).

(١) الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، مؤسسة الكتب

الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ٤٥٦.

(٢) الباقلاني: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ٤٥٧.

فحديث " من كنت مولاه " لا صلة له بمسألة الخلافة، وإنما بالموالاة التي هي ضد المعادة، وهي غير الولاية، وهذه الموالاة ليست مقصورة على علي عليه السلام بل هي لكل مسلم، قال ابن الأثير: (الولاية بالفتح في النسب والنصرة والمعتق، والولاية بالكسرة في الإمارة، والولاء، المعتق، والموالاة من وإلى القوم. ومنه الحديث " مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ " قال شيخ الإسلام: " أي من أحبني وتولاني فليتولّه " وقال ابن الأعرابي: الولي: " التابع المحب " وقال الشافعي يرحمه الله: " يَعْنِي بِذَلِكَ وِلَاءَ الْإِسْلَامِ " كقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ (محمد: ١١) وقول عمر لعلي رضي الله عنهما: " أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ " أي ولي كل مؤمن^(١) والملاحظ عند هذا النص أن المخالفين يوردونه على أن الصحابة أقرؤا بأن علياً مولى كل مؤمن، لكن معتقدتهم وثقافتهم قائمة على عكس ذلك! ولا سيما في بدعة غدیر خم، حيث يقولون إن الصحابة لم يعترفوا بولاية علي عليه السلام! وهذا التناقض قائم عندهم ظاهر في مسألة الإمامة، ذلك أنهم يصطنعون النصوص والأقاويل من أنفسهم، وبما يتوافق مع إغراء أتباعهم ببعث السنة وكرهية الصحابة، وإلا فحقيقية هذا النص قائمة على التحذير من البراءة من علي عليه السلام كما فعل ذلك الخوارج الذين كانوا من شيعته وأنصاره من أهل الكوفة ثم خرجوا عليه عليه السلام وتبرأوا منه وكفروه ثم اغتالوه! وهؤلاء يبرأ منهم الصحابة عليهم السلام وتبرأ منهم أمة السنة والجماعة، لأنهم يتولون علياً عليه السلام ويواليهم عملاً بوصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم القائمة على الأخوة والموالاة، التي قالها في غدیر خم، لا كما يزعم ذلك المخالفون، الذين حرّفوا السنة وافتروا على الصحابة عليهم السلام ثم يزعمون حبّ علي عليه السلام ويتحالفون مع من يكفره!.

ولم يرد في القرآن والسنة ما يؤكد بشكل جلي أنّ الإمامة بالنص، ولا استعمل لفظ المولى في موضوع الإمامة والخلافة، وكل ما يدور من شبهات في هذا الباب إنما وراءها من يريد التشويش على الصورة المشرقة التي أدار بها المهاجرون والأنصار تداول الخلافة الراشدة، فأسسوا بذلك

(١) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٩٩٠).

لأكمل وأنقى نظام عمل به الناس في قيادة الأمة وإدارة شؤون المجتمع، أثمر الثقة والاستقرار والأمن والعدل والقوة، واستثمار الدولة الراشدة لمزايا رسالة الإسلام العالمية لتبليغها إلى الناس كافة، فكان في خدمة ذلك موجات الفتوح التي زلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة المبنية على الظلم والشرك والوثنية، فأسس المسلمون لنظام حضاري عالمي قائم على المساواة بين الناس وضمنان حرية المعتقد والقول والحركة.

فانتهاز أعداء الصحابة ضمان الحريات في الدولة الإسلامية لممارسة أسوأ نشاط عدواني باطني زائف، أسس لقيام منظمات سرّية مهمتها التشويه والبهتان على الأعلام الذين صنعوا الحريات وضمنوها للناس، ونصروا المستضعفين في الأرض على من تجبر عليهم، فأسهّم ذلك النشاط الباطني في تحجيم الحريات الواسعة، وزعزعة الثقة التي سادت بين الناس في دولة الراشدين، ولا سيما ما قام به أعداء الصحابة ممثلين بأبي لؤلؤة المجوسي فيروز الديلمي ومن تعاون معه منهم، في اغتيال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والحركة السبئية التي قادها عبد الله بن سبأ اليهودي بخبث ومكر وانتهازية أودت بحياة الخليفة عثمان رضي الله عنه وتسعير الفتنة التي أودت بحياة طلحة والزبير وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وبعد كل ذلك الدمار الأخلاقي والقيمي الذي نفثه أعداء الصحابة في المجتمع الإسلامي السامي آنذاك، تعاون الحسن رضي الله عنه مع معاوية رضي الله عنه على إطفاء الفتنة، والتصدي لموجات التخريب الثقافي، وتوحيد الأمة من جديد، وتحصينها بالتوحيد والوحدة التي قادها معاوية رضي الله عنه بحلمه وبراعته وإخلاصه لدينه وأمته.

ومن ثم قيام أنظمة سياسية بعد الراشدين احتاطت لأمن البلاد وسلامة الرعية، ولما لم يكن ذلك ممكناً إلا بالبحث عن المروجين للشائعات، العاملين على نسف الأمن وتسعير الفتن، استحدثت أنظمة لم تكن في العصر الراشدي، أنتجت الأمن في الدولة الأموية، ولكنها لم تصل إلى ذلك إلا بعد التضييق على بعض الحريات التي كانت مطلقة في التعليم والتبليغ والرقابة ومحاسبة الولاة وغيرهم، مما يعني أن أعداء الراشدين هم أعداء الحرية والعدل والتوحيد والأمن، وأنهم أينما وجدوا وجدت الفتن وقيدت الحريات وانتشر الشك والريبة بين الناس،

وأن من لا يرضى بالنظام الراشدي لن يرضه نظام آخر، لأنه لن يوجد مثل نظامهم ومثل عصرهم ﷺ فكل من يسوغ لأعداء الراشدين بعض أفعالهم؛ إنها هو تائه ومفرط، أو شريك لهم في الحرب التي يبارسونها على أمن الناس وحررياتهم وسلامة عقيدتهم وممتلكاتهم، فلم يعد هناك مجال للخلط في الولاء والبراء، فمن أحب أصحاب رسول الله ﷺ ووالاهم لا بد له أن يبرأ من أعدائهم.

قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانِيكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٠) وقال ﷺ: ﴿وَإِنْ تَطَهَّرْنَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحریم: من الآية ٤) ﴿يَوْمَ لَا يَغْنَى مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (الدخان: ٤١) وقال ﷺ: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانِيكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الأنفال: من الآية ٤٠) وهذا كله جاء في النصرة وما في معناه لا في الإمامة.

فالموالاة ضد المعاداة، وهو حكم ثابت لكل مؤمن، وعلي ﷺ من كبارهم يتولاهم ويتولونه، ففيه رد على الخوارج والنواصب، لكن ليس في الحديث أنه ليس للمؤمنين مولى سواه!، فعلي موال للمؤمنين أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان، وهم موالون له وقد خص النبي ﷺ أقواماً من أصحابه بما يؤكد ذلك وأنه وليهم وهم أولياؤه ﷺ فهذه مسألة عامة يريد أعداء الصحابة تخصيصها لزعزعة وحدة الصف الإسلامي، ونزع الثقة من بين أبنائه، لتشتيت ولائهم وانتمائهم وأخوتهم، من خلال العبث بإنجازات سلفهم المشرقة التي تمثل ثمرة تعاونهم وتناصرهم وموالاتهم لله ولرسوله ﷺ.

فموالي رسول الله ﷺ ليس هم غلمانهم ﷺ وحدهم، ولا الذين تفرغوا لخدمته ﷺ فقط، بل كل من يحب الله ورسوله ﷺ وأصحابه ﷺ والمؤمنين برسالته المتمسكين بسنته، ويبرأ من أعدائهم، هو من مواليه ﷺ وهذا بين واضح، في سيرة أصحابه ﷺ ومواقفهم، وفي أحاديثه الصحيحة ﷺ التي

جاءت في هذا الباب، قال ﷺ: (الأنصار ومزينة وجهينة وغفار وأشجع ومن كان من بني عبد الله موالياً دون الناس والله ورسوله مولاهم)^(١).

وقوله ﷺ " قريش والأنصار ومزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع موالى ليس لهم مولى دون الله ورسوله ﷺ " ^(٢) فعلي ﷺ مولى المؤمنين وهم موالين له، مثلما أنّ هذه القبائل المذكورة في النص موالى لرسول الله ﷺ وهو مولاهم، فالحديث ليس فيه دليل البتة على خلافة علي ﷺ وإن كانت خلافة علي ﷺ لا تعنيهم، وإنما الذي يعينهم هو شق صفوف المسلمين، وإشغالهم فيما بينهم بفتن يوقدون أوارها! وإلا فكيف يدعو النبي ﷺ الأمة بعده إلى التمسك بسنة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وبما هما عليه من القول والفعل، في قوله ﷺ: (إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)^(٣) ثم يؤمّر غيرهما كما يزعم أعداء الصحابة، الذين يقذفون الشبهات لنزع الثقة وتضليل الأمة عن سنة النبي ﷺ ومنهجه الذي يدل عليه منهج الشيخين رضي الله عنهما، والسياق في نص الحديث، ومناسبة الحديث تذكير لمن أظهروا شيئاً من بغض علي ﷺ أن يقلعوا عن ذلك، فعلي ﷺ أهل للمحبة والموالة، كما هو حال أصحاب رسول الله ﷺ الذين أحببتهم الأمة واقتدت بولائهم لرسول الله ﷺ وبمحبتهم وتناصرهم وإيثارهم ولعميق أخوتهم التي تغيظ الشعوبيين والملحدين.

ومما يطل أماني أعداء الصحابة ومن يأخذ عنهم الفتن والشغب، أنّ الأحاديث الصحيحة التي جاءت في هذا السياق جميعها تؤكد على تقديم أبي بكر ﷺ وأهمية موالاته وموافقته والبعد عن مخالفته، وأنّ علياً ﷺ كان ممن يلزم تقديم أبي بكر ﷺ وممن يعرف له فضله وجهاده وإنفاقه

(١) صحيح مسلم: ح (٢٥١٩) وفي شرح الحديث: (من بني عبد الله) هم بنو عبد العزى من غطفان، سباهم ﷺ بني عبد الله، فسمتهم العرب بني محولة لتحويل اسم أبيهم (موالى دون الناس) أي ناصره والمختصون به (والله ورسوله مولاهم) أي وليهم والمتكفل بهم.

(٢) صحيح مسلم: ح (٢٥٢٠) الألباني: السلسلة الصحيحة، ح (١٤٥٥).

(٣) الألباني: السلسلة الصحيحة (١٢٣٣) الألباني: صحيح الترمذي، (٢٨٩٦) صحيح ابن ماجه: (٩٤).

وسابقتها، ومكانته عند رسول الله ﷺ التي تظهر في مثل قوله ﷺ: "أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر" (١) وقوله في الصحيح: "يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر" (٢).
وقال للمرأة التي جاءت تسأله قبل يومين من موته ﷺ: "إن لم تجديني فأت أبا بكر" (٣).
وقال ﷺ: "مروا أبا بكر فليصل بالناس" (٤).

وهذا ما فهمه السلف من الصحابة وآل البيت ﷺ وعملوا به على مرّ السنين ولم يشذ عن فهمهم إلا هالك، قال الحسن بن الحسن بن علي ﷺ: حينما قيل له: ألم يقل رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: "من كنت مولاه فعلي مولاه" فقال: "أما والله إن رسول الله ﷺ إن كان يعني الإمرة والسلطان والقيام على الناس بعده، لأفصح لهم بذلك، كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة؛ وصيام رمضان وحج البيت، ولقال لهم: إن هذا ولي أمركم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا، فما كان من وراء هذا شيء، فإن أنصح الناس للمسلمين رسول الله ﷺ" (٥) وكذلك قاله أخوه عبد الله بن الحسن فإننا رويناه عنه أنه قال: من هذا الذي يزعم أن عليا كان مقهورا وأن رسول الله ﷺ أمره بأمر لم ينفذها فكفى ازدراء على علي ومنقصة بأن يزعم قوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بأمر فلم ينفذه أخبرنا أحمد بن الحسن، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا يحيى بن أبي طالب، أنا شبابة، أنا حفص بن قيس، عن عبد الله بن الحسن، فذكره) (٦).

(١) الألباني: السلسلة الصحيحة، (٦٩٠). المسند: ح (٢٤٢٤٥).

(٢) ينظر ابن بطال: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) صحيح البخاري: باب الاستخلاف، (٣٣٨٦) (٦٦٨٠) الأحكام التي تعرف بالدلائل: (٦٨١٣).

(٤) صحيح البخاري: باب حد المرض أن يشهد الجماعة، ح (٦٢٤) وباب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة: ح (٦٣٧). صحيح مسلم: استخلاف الإمام إذا حصل له عذر، ح (٦٣٣).

(٥) البيهقي: الاعتقاد: ١٨٣، وينظر تهذيب تاريخ دمشق: ٤/١٦٩.

(٦) البيهقي: الاعتقاد، ح (٣٣٤) / ١ / ٣٧٢.

والمعنى الذي في الحديث يعمّ كلّ مؤمن، ولكن خصّ بذلك علياً عليه السلام لأنّه قد نغم منه بعض أصحابه، وأكثروا الشكاية ضده حينما أرسله النبي صلى الله عليه وآله إلى اليمن قبل خروجه من المدينة صلى الله عليه وآله لحجّة الوداع^(١) قال البيهقي: فأراد النبي صلى الله عليه وآله أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه صلى الله عليه وآله ويحثهم بذلك على محبته وموالاته، وترك معاداته، فقال صلى الله عليه وآله: من كنت وليه فعلي وليه، وفي بعض الروايات: من كنت مولاه فعلي مولاه، والمراد به ولاء الإسلام ومودته، وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً ولا يعادي بعضهم بعضاً^(٢) وينصر بعضهم بعضاً على الحق، يؤكد هذا قوله صلى الله عليه وآله: (من كنت وليه فإنّ علياً وليه)^(٣) فالكلام في الولاية هنا كله متعلق بالمحبة والمودة؛ ولا أدل على ذلك من أنّ علياً صلى الله عليه وآله بايع أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم دون تردد، ولو كان هذا القول يعني الخلافة لما بايع أحداً صلى الله عليه وآله، ذلك أنّ النص بهذا المعنى يلزمه بطلب الخلافة لنفسه، وأن لا يبايع أحداً، ولما لم يفعل هذا تأكد أنّ قوله صلى الله عليه وآله لا يعني الخلافة، وأنّ ما يردده أعداء الصحابة إنّما ينطلق من أهوائهم وأمانيتهم في تمزيق الصفوف ونزع أمن الأمة.

وبعض أهل العلم اختلفوا في ثبوت قوله صلى الله عليه وآله: " من كنت مولاه فعلي مولاه " فإن لم يكن النبي صلى الله عليه وآله قاله؛ فلا كلام حول ذلك، وإن قاله صلى الله عليه وآله فليس في اللفظ ما يدل على الخلافة والإمامة، وهذا الأمر العظيم يجب أن يبلغ بلاغاً مبيّناً، والموالاتة ضد المعاداة، وهذا حكم ثابت لكل مؤمن، وإنما خصّ علياً صلى الله عليه وآله به؛ لما حصل من خلاف بينه وبين بعض أصحابه، وليس في الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ليس من المؤمنين مولى غير علي صلى الله عليه وآله فكيف والنبي صلى الله عليه وآله له موال وهم صالحو المؤمنين^(٤) وأمثال القبائل التي سبق ذكرها بمجموعها.

(١) سيرة ابن هشام: ٢/٦٠٣، البداية والنهاية: ١٠٤/٥.

(٢) البيهقي: الاعتقاد: ١٨١.

(٣) الحاكم: المستدرک، ح (٢٥٨٩) تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٤) منهاج السنة: ٨٦/٤.

مناسبة الحديث

لكل مقام مقال ولكل حديث مناسبة، فإذا عرف المقام والمناسبة تبين الكثير من جوانب الحدث والخبر، وهذه قواعد عامة لا زالت تثبت مصداقيتها، وهي تنطبق تماماً على المناسبة التي قال فيها رسول الله ﷺ هذا الحديث لعلي ﷺ ذلك أن القارئ في الأسباب والأحوال التي قال فيها النبي ﷺ حديثه هذا تتضح له الصورة كاملة ويتفهم المقاصد التي بُني عليها هذا الحديث الذي استغله أعداء الصحابة وكما هي عادتهم للطعن بالصحابة والغمز بأمانتهم ونصحهم تحت ستار الدفاع عن حق علي ﷺ وكأنه بحاجة لدفاعهم ﷺ وكأنهم هم ممن يسير على هديه في التمسك في الكتاب والسنة وجماعة المسلمين، أو كأنهم لم يغدروا بأمتهم وعقيدته ويتعاونوا مع أعدائها من المجوس والصليبيين فيغتالوا إخوته الراشدين عمر وعثمان رضي الله عنهما، وكأنهم أبرياء من دمائه الزكية ﷺ وكأن الأمة المسلمة لم تذق مرارة غدريهم وكيدهم وحقدهم؟! إن هذه المسائل وإن كانت غامضة في كثير من جوانبها فإنها معلومة لدى عقلاء الأمة، وكل هؤلاء يتفهمون مناسبة الحديث وموقف أمير المؤمنين علي ﷺ منه إذ لم يثر عنده شئ مما يدل على المخالفون من أباطيل توافق أهواءهم القائمة على تمزيق الأمة!.

فمن أسباب ورود هذا الحديث ما روي أن علياً ﷺ اختلف مع أسامة بن زيد رضي الله عنهما حين قال أسامة ﷺ لعلي ﷺ: لست مولاي! فارتفع الأمر إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ هذا الحديث يُعلم فيه أسامة ﷺ بذلك، وأن مولى الرجل هو مولى لأبناء أسرته الآخرين، كما هو الحال في بقية الموالى آنذاك، فيقول الناس: فلان مولى بني هاشم، ومولى بني أمية، وإنما الحقيقة أنه مولى واحد

منهم^(١) وقال النبي ﷺ لمولاه أسامة ﷺ حين قال لعلي ﷺ: لَسْتَ مَوْلَايَ، إِنَّمَا مَوْلَايَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقال النبي ﷺ: " مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ " ^(٢).

ومن أسباب وروده أيضاً، أَنَّ عَلِيًّا شَكَاهُ جُنْدُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِانْتِزَاعِهِ عَنْهُمْ حُلَلًا مِنْ بَرِّ الْيَمَنِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ بَعَثَ عَلِيًّا إِلَى نَجْرَانَ فَلَمَّا أَتَاهُ أَسْرَعَ الْعُودَةَ فَدَخَلَ مَعَهُ الْيَمَنَ لِيَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ نَعَجَلًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى جُنْدِهِ الَّذِينَ مَعَهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَعَمَدَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَكَسَا كُلَّ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ حُلَّةً مِنَ الْبُرِّ الَّتِي كَانَ مَعَ عَلِيٍّ ﷺ فَلَمَّا دَنَا جَيْشُهُ خَرَجَ لِيَلْقَاهُمْ، فَإِذَا عَلَيْهِمُ الْحُلَلُ قَالَ وَيْلَكَ مَا هَذَا؟ قَالَ كَسَوْتُ الْقَوْمَ لِيَتَجَمَّلُوا بِهِ إِذَا قَدِمُوا فِي النَّاسِ، قَالَ: وَيْلَكَ انْزِعْ قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَانْتَزَعَ الْحُلَلُ مِنَ النَّاسِ فَرَدَّهَا فِي الْبُرِّ، قَالَ: وَأَظْهَرَ الْجَيْشُ شَكْوَاهُ لِمَا صَنَعَ بِهِمْ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقٍ ... عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: (اشْتَكَى النَّاسُ عَلِيًّا ﷺ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِينَا خَطِيبًا، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَشْكُوا عَلِيًّا، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَخْسَنُ فِي ذَاتِ اللَّهِ أَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَنْ يُشْكَى) ^(٣).

والظاهر أنه يوجد أكثر من سبب ومسوغ لورود هذا النص، وأن هناك عدة روايات حول هذه المسألة؛ كل منها يوضح جانباً من جوانبها، لكن تلك الروايات جميعاً تدور حول ما وقع بين علي ﷺ وجند تلك السرية من خلاف، لإحساسهم بخشونة علي ﷺ وعدم رفقته بهم، وربما كانوا ظانين أن ذلك لاستعلاء أو كبر أو شبه ذلك، قبل أن يبين لهم النبي ﷺ أن هذه هي خشونة علي ﷺ وزهده وتقشفه، فلا بأس بإيراد أشهر هذه الروايات لتوضيح صورة الحدث وأسبابه، التي انتهزها أعداء الصحابة ليصنعوا منها فتنة مستديمة يجددون سعارها في كل عام متعمدين الشر،

(١) أبو نعيم الأصبهاني (٣٣٦-٤٣٠ هـ) الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤ م المدينة المنورة. ١/ ٢٢٠.

(٢) ابن الأثير: النهاية، (٩٩٠) الدهلوي: شرح سنن ابن ماجه، (١٢١) قديمي كتب خاتمة، كراتشي. فيض القدير، ح (٩٠٠٠) دار الكتب العلمية (ط، ١)، بيروت، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤ م.

(٣) الروض الأنف: ٤/ ٢٨٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٦٠٣. ابن كثير السيرة النبوية: ٤/ ٤١٥.

ومترصدين عقيدة المسلمين ووحدهم، قال بُريدة بن الحُصيب الأسلمي رضي الله عنه: (خرجت مع علي رضي الله عنه إلى اليمن فرأيت منه جفوة، فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت علياً فتنقصته، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير وجهه قال: يا بُريدة، ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: " من كنت مولاه فعلي مولاه " ^(١).

وقال بُريدة رضي الله عنه أيضاً: (أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً قط! قال: واحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً! قال: فبعث حيال الرجل على خيل فصحبته، ما أصحابه إلا على بغضه علياً رضي الله عنه فأصبنا سبياً قال: فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث إلينا من يخمسه، قال: فبعث إلينا علياً رضي الله عنه وفي السبي وصيفة هي من أفضل السبي، فخمس وقسم، فخرج ورأسه يقطر فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ قال: ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي؟ فإني قسمت وخمست فصارت في الخمس، ثم صارت في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت في آل علي، فوقعت بها، قال: وكتب الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ابعثنني مصداقاً، قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق، قال: فأمسك يدي والكتاب، قال: أتبغض علياً؟! قال: قلت: نعم، قال صلى الله عليه وسلم: فلا تبغضه، وإن كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة، قال: فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي من علي رضي الله عنه ^(٢) وهذه القصة ستظهر بعد قليل في نص آخر فيه تفصيلات أخرى حول أسبابها وتوصيات النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم.

فيتضح من هذه النصوص، أن مناسبة الحديث جاءت توضيحاً ورداً على إشكال حاصل؛ في عدم معرفة من اختلف مع علي رضي الله عنه بحدود صلاحياته رضي الله عنه فيما قام به من تخميس الغنيمة، ومن حقه في جواز وطء الجارية الوصيفة التي أصبحت من نصيبه في الخمس، بعد تقسيمه، وكذلك انتزاعه الحلل ممن كان لبسها على سبيل الإعارة.

(١) سنن النسائي الكبرى: ح (٨١٤٥). الحاكم: المستدرک، (٦٢٧٢) حديث صحيح الإسناد، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.

(٢) ابن حنبل في فضائل الصحابة ج ٢/ ص ٦٩١، ح ١١٨٠، النسائي: السنن الكبرى، (٨٤٨٢) (٨٣٨٤).

وكذلك في مسألة ولاية أسامة رضي الله عنه حيث كان يعتقد أن ولاءه خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لأل بيت النبي صلى الله عليه وسلم كما هو حاصل في أحكام الولاء فالمولى يحسب في ولاءه على جميع أبناء أسرة مولاه وإن كان مختصاً بواحد من تلك الأسرة، وهذا ما اتضح في قول النبي صلى الله عليه وسلم لمولاه أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وفي كل ذلك لا صلة للخلافة ولا لغيرها، في مقاصد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوضح حق علي رضي الله عنه فيما قام به من تصرف بالخمس، وحقه في ما قاله لأسامة رضي الله عنه في أنه مثلما هو مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك فهو مولى لعلي رضي الله عنه.

وبعد أن سمع النبي صلى الله عليه وسلم ما حصل من أسباب تلك الشكاية، وتبين له رضي الله عنه أن علياً رضي الله عنه لم يتجاوز ما يحق له فيها فعل، دعا رضي الله عنه من شكاه أو كرهه أن لا يستمر على ذلك، لانعدام المسوغات الحقيقية لتلك الشكوى، ولأن بغض علي رضي الله عنه يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه رضي الله عنه يرضيه رضي الله عنه ويسره، كيف لا وعلي رضي الله عنه أحد السابقين وهو ربيب بيت النبوة، وزوج فاطمة رضي الله عنها، وأبو السبطين الشريفين رضي الله عنهما ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل مسلم حريص على ما يسر النبي صلى الله عليه وسلم ويرضيه، بل ويتقرب إلى الله تعالى بذلك، ولا يجروء مسلم أن يتعرض لما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلاً عن أن ما حصل مخالف لتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم في البعد عن الخلاف، وعدم إشغال النبي صلى الله عليه وسلم عما يحصل فيما بين أصحابه من بعض الاجتهادات المختلفة، في مهامهم وإنجازاتهم التي يقومون بها رضي الله عنهم، وهذا سيظهر جلياً؛ في قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه في الحديث الصحيح: " أنت مني وأنا منك ".

وعن حكم الحديث ومناسبته أيضاً، قال شيخ الإسلام: "وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: " من كنت مولاه فعلي مولاه " ^(١) فليس هو في الصّحاح، لكن هو مما رواه أهل العلم وتنازع الناس في صحّته ^(٢) ومن أسباب طلب علي رضي الله عنه ممن سمع هذا الحديث أن يشهد به أمام الناس، وذلك في

(١) الألباني: الجامع الصغير وزياداته: ح (١١٤٦٩) حديث صحيح.

(٢) منهاج السنة: ٤/ ٨٦.

الكوفة حين كان أمير المؤمنين علي عليه السلام في حربه مع شيعته الذين خرجوا عليه في العراق فأنكروا فضائله عليه السلام وحرصوا على حربه، واتهموه في دينه عليه السلام وأن حروبه عليه السلام كانت انتصاراً لنفسه ولم تكن لله تعالى، وطلبوا منه أن يشهد على نفسه بالكفر، ثم يتوب من الكفر ليروا بعد ذلك رأيهم فيه، فكان إثارة مثل هذا الحديث من باب الدفاع عن النفس أمام هجمات الخوارج السبئية المبغضين لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين تعاملوا مع علي عليه السلام كما تعاملوا مع أخيه الشهيد المظلوم عثمان عليه السلام من قبل، وذلك بإذاعة الأخبار الباطلة، وتلفيق الاتهامات الهابطة، التي تثير عليه الغوغاء، لتفريق الناس عنه، فلم يثبت معه عليه السلام إلا من كان على منهج الكتاب والسنة وحب الصحابة جميعاً عليهم السلام وعلى مراتبهم التي كانوا عليها، من غير عبث ولا تبديل ولا تخليط، كما يفعل أعداء الصحابة ومبغضو السنة النبوية في هذا العصر.

وبلغ من بغي ونكث وظلم بعض من كان متشيعاً لأمير المؤمنين علي عليه السلام من الذين خرجوا عليه بعد التحكيم؛ أنهم: (كتبوا إليه، إنك لم تغضب لربك، وإنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء والسلام)^(١) فرد عليهم عليه السلام قائلاً: (أبعد إيماني بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهجرتي وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشهد على نفسي بالكفر، قد ضللت إذن وما أنا من المهتدين)^(٢) وعندما قيل لهم عودوا إلى طاعة أمير المؤمنين عليه السلام ولا تشقوا عصا الطاعة قالوا: (إذا جئتمونا بمثل عمر عليه السلام فعلنا)^(٣) ولما لم يأتهم أحد بمثل عمر عليه السلام كان من المفترض لو كانوا صادقين أن يبائعوا علياً عليه السلام لأنه هو السائر على منهج عمر عليه السلام فلما لم يكن اجتهادهم صحيحاً؛ اختاروا لإمرتهم ما يفضح نواياهم ويظهر عصبيتهم،

(١) ابن الجوزي: تلبس إبليس، ١ / ٨٤. أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١ / ٤، طبعة إحياء التراث، بيروت.

(٢) تاريخ الطبري: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٥ / ٨٣.

(٣) ينظر الطبري: تاريخ، ٥ / ٨٤.

حين بايعوا عبد الله بن وهب الراسبي، وهو أعرابي (لا سابقة له ولا صحبة، ولا فقه ولا شهد الله له بخير)^(١).

وهذه المنهجية الظالمة المبنية على البهتان التي ابتلي بمواجهتها أمير المؤمنين علي ؑ تُذكر بما كان يواجهه أمير المؤمنين الشهيد المظلوم عثمان ؑ على أيدي الرافضين لخلافته، مما يؤكد لأبناء أمة الكتاب والسنة النجباء، أن أعداء أئمتهم أبناء منظمة واحدة، جمعوا بين غدر أبي لؤلؤة فيروز الديلمى المجوسى، وبين مخادعة عبد الله بن سبأ اليهودي، وهذا يوضح للنجباء من أبناء هذه الأمة، أن العدو واحد وأن من يبغض الصديق والفاروق وعثمان ؑ هو أشد بغضاً لأخيهم علي ؑ وهذه معادلة لا يمكن نقضها في حال من الأحوال؛ ذلك أن منهج الراشدين واحد وعقيدتهم واحدة، ومقاصد أعدائهم واحدة وإن تعددت مناهجهم ووسائل تنفيذهم لها، وهذه المعادلة يجب أن لا تغيب عن ضمير موحد يجب الله ورسوله ﷺ وعباده الصالحين.

والأمر الآخر في هذه المعادلة؛ أن أعداء الصحابة حرب على الإسلام والمسلمين، وإن تستروا بمسميات إسلامية أو إصلاحية أو غيرها، يتأكد ذلك من رفضهم للصلح مع أمير المؤمنين علي ؑ الذي كان خير من بقي من الصحابة ؑ ومشاققتهم له من غير سبب صحيح، سوى أنه ؑ عمل بقوله تعالى: ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ (النساء: من الآية ١٢٨) وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقَىَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات: من الآية ٩) وحرص على وحدة الأمة ولم شملها، فلما لم يجدوا حجة يواجهونه بها في رفضهم الصلح بين المسلمين، واعتراضهم على مسألة الاحتكام إلى كتاب الله تعالى، طلبوا ما لا عذر فيه على أن ذلك من المستحيل؛ ألا وهو إما أن يشهد على نفسه بالكفر حاشاه ؑ وإما أن يأتهم بمثل عمر بن الخطاب ؑ!! ومما يفضحهم ويبين ضلال مقاصدهم، أن علياً ؑ هو أشبه

(١) ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١٥٧/٤.

الناس بعمر وأكثرهم تعلقاً منهجه في تسيير أمور الخلافة، لكنهم لم يقبلوا به ﷺ في حين قبلوا من لا يصلح أن يكون غلاماً من غلمانه، ذلك أن غلمان الصحابة ﷺ كانوا على علم وأدب وخوف من الله تعالى يمنعهم من الخروج على جماعة المسلمين أو استباحة دماء الموحدين التي يخوض فيها أعداء الصحابة دون تردد أو وجل.

أما موقف علي ﷺ الذي تصدى به لهذه الهجمة الراضية لخلافته، وذلك قبيل استشهاده ﷺ فتمثل بالعمل على بيان الشواهد النبوية، التي تبين صدق منهجه، ليرد عليهم بهتانهم الذي تناولوه به، وشتان بين من يعمل بمقتضى النصوص النبوية، وبين من يسير على هواه!.

قال أبو الطفيل: قال علي ﷺ: أنشد الله كل امرئ سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم^(١) لما قام، فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوه ﷺ يقول: (أستم تعلمون أي أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟" قالوا: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: " من كنت مولاه فإنّ هذا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه " فخرجت وفي نفسي من ذلك شيء، فلقيت زيد بن أرقم ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: قد سمعناه من رسول الله ﷺ يقول ذلك له، قال أبو نعیم: فقلت لفطر راوي الحديث: كم بين هذا القول وبين موته؟ قال: مائة يوم " قال أبو حاتم: يريد به موت علي بن أبي طالب ﷺ^(٢).

(١) غدیر خم: خمّ: واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدیر، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوحامة، معجم البلدان: ٣٨٩/٢.

(٢) ينظر ابن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب، علي بن بلبان بن عبد الله، مؤسسة الرسالة (موقع مكتبة المدينة الرقمية) <http://www.raqamiya.org> ح (٦٩٣١) تحقيق: شعيب الأرنؤوط كاملاً، وسنده: أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا أبو نعیم، ويحيى بن آدم، قالوا: حدثنا فطر بن خليفة، عن أبي الطفيل، قال: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير فطر بن خليفة وهو صدوق، روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بغيره، واحتج به أصحاب السنن، أبو نعیم: هو الفضل بن دكين، وأبو الطفيل: هو عامر بن واثلة، صحابي صغير. وأخرجه أحمد في "المسند" ٤/ ٣٧٠، وفي "الفضائل" ١١٦٧ " عن حسين بن محمد وأبي نعیم، بهذا الإسناد،

قال شيخ الإسلام: وأما قوله في الحديث "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله" فهو كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث^(١) ثم بين شيخ الإسلام أنّ الكذب يُعرف من مجرد النظر في متن الرواية، لأن قوله: "اللهم انصر من نصره..." خلاف الواقع التاريخي الثابت، فإنه ﷺ قاتل معه أقوام يوم "صفين" فما انتصروا، وأقوام لم يقاتلوا فما خذلوا كسعد بن أبي وقاص ﷺ الذي فتح العراق؛ لم يقاتل معه - وقاد القادسية فحقق أكبر نصر على الفرس - وكذلك أصحاب معاوية ﷺ وبنو أمية الذين قاتلوه ﷺ فتحوا كثيراً من بلاد الكفار ونصرهم الله تعالى^(٢) فلا تصح عن رسول الله ﷺ. وأما قوله: "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" فهو مخالف لأصل الإسلام، فإنّ القرآن قد بيّن أنّ المؤمنين إخوة مع قتالهم وبغي

ولم يذكر في "الفضائل" حديث زيد بن أرقم. وأخرجه النسائي في "الخصائص" ٩٣، وابن أبي عاصم في "السنة" ١٣٧٦ من طرق عن فطر بن خليفة، به، ورواية ابن أبي عاصم مختصرة. وأخرجه بنحوه من حديث زيد بن أرقم النسائي في "الخصائص" ٧٩، وفي "الفضائل" ٤٥، وفي مسند البزار "٢٥٣٨"، ومعجم الطبراني "٤٩٦٩"، الحاكم ١٠٩/٣ من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وأخرجه مختصراً الترمذي "٣٧١٣" في المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب، من طريق شعبة، عن سلمة بن كهيل، قال: سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم - شك شعبة - عن النبي ﷺ قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه". وقال: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن البراء بن عازب عند أحمد في "المسند" ٢٨١/١، و"الفضائل" ١٠٤٢، وابن أبي عاصم في "السنة" ١٣٦٣، وعن علي عند أحمد ١/٨٤ و١١٨ و١١٩ و١٥٢ و٣٦٦/٥ و٤١٩، وابن أبي عاصم "١٣٦١" و"١٣٦٧" و"١٣٧٠"، والطبراني "٤٠٥٢" و"٤٠٥٣" وعن أبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وابن عمر، وطلحة، وحبشي بن جنادة، وسعد بن أبي وقاص عند ابن أبي عاصم "١٣٥٥" و"١٣٥٦" و"١٣٥٧" و"١٣٥٨" و"١٣٦٠" و"١٣٧٦". وعن اثني عشر رجلاً من الصحابة عند أحمد ١/١١٩، وابن أبي عاصم "١٣٧٣". وقال الألباني: في السلسلة الصحيحة المختصرة: صحيح (١٧٥٠).

(١) منهاج السنة: ١٦/٤.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/٤١٨.

بعضهم على بعض^(١). قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠).

وهذا واضح فالمؤمنون الذين اختلفت اجتهاداتهم حول الموقف من قتلة الشهيد عثمان رضي الله عنه ومن ناصرهم على الرغم مما حصل بينهم من قتال لم يخططوا له كما في فتنة الجمل، بين من كان مع الشهيد طلحة والزبير رضي الله عنهما، وبين من كان مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وذلك حين أنشبت المنظمة السبئية الرافضة لخلافة الراشدين رضي الله عنهم القتال بين المسلمين ليلاً؛ دون علم قادتهم؛ الذين تم اتفاقهم التام على إنجاز الصلح، فاستبشر الناس وأمسوا بخير ليلة منذ استشهاد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه (فباتوا على الصلح وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية؛ من الذي أشرفوا عليه، والنزوع عما اشتهى الذين اشتها وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان رضي الله عنه بشر ليلة باتوها قط، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، حتى اجتمعوا على إنشباب الحرب في السر، واستسروا بذلك خشية أن يفطن بها حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم؛ انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالاً، وعليهم ظلمة، فخرج مضريهم إلى مضريهم، وربيعهم إلى ربيعهم، ويமானهم إلى يمانهم، فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم... - فقال طلحة والزبير رضي الله عنهما ما هذا؟! - قالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلاً... فسمع علي رضي الله عنه وأهل الكوفة الصوت وقد وضعوا - السبئية - رجلاً قريباً من علي رضي الله عنه ليخبره بما يريدون فلما قال رضي الله عنه ما هذا؟! قال ذلك الرجل: ما فاجأنا إلا وقوم منهم بيتونا؛ فرددناهم من حيث جاؤوا، فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس... والسبئية لا تفتري إنشباباً، ونادى علي رضي الله عنه في الناس أيها الناس كفوا فلا شيء، فكان من رأيهم جميعاً، في تلك الفتنة، ألا يقاتلوا حتى يُبدؤوا، يطلبون بذلك الحجة، ويستحقون على الآخرين، ولا يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح^(٢).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/٤١٨.

(٢) ينظر تاريخ الطبري: ٣/٣٩. مع الحذر ممن يطعن بالصحابة لاستخلاص حقيقة أحداث فتنة الجمل.

وهذا النص غني بالشواهد التي ترد على الكثير مما يتعلق به أعداء الصحابة وغيرهم من الفكريين والإعلاميين الذين يترصدون الأباطيل المصنوعة، ويقتنصون الأقاويل الموضوعية، ويخوضون فيها صنعه لهم أعداء الصحابة، من شرك التضييل الهادفة إلى إيقاع الشك والريبة في نفوس الناس؛ على أصحاب رسول الله ﷺ، ومما في هذا النص أنه لم يكن هناك ما هو مخطط له في فتنة يوم الجمل، وأن كل رواية تتحدث عن شيء من هذا فإنها هي من صناعة قتلة الصحابة، والأمر الآخر حرص المسلمين على السلم والصلح والأخوة، واستعدادهم للتمسك بها على جميع الأحوال.

وتأكد في هذا النص أن السبئية التي ترفض خلافة الراشدين، منظمة معروفة بين الناس بهذا الاسم منذ ذلك الزمان، وأن هذه المنظمة التي تمددت في هذا العصر؛ لينضوي تحت مكائدها كل من يُبغض أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، وبشكل تلقائي لا حاجة فيه إلى تخطيط ولا تدبير، إذا لا يوجد لأبنائها أهداف تتجاوز حرب الصحابة وعقيدتهم؛ ومن يتبعهم بإحسان من أبناء أمتهم! ولا زالت السبئية على ذات المنهج، تعمل بال المكر والكيد، وتقول ما لا تفعل، وتفعل بعكس ما تقول!! وتظاهر بموالاتة الصالحين! وتزعم البراءة من المعتدين، وتعمل وفق ما يدبرون! لا تبالي في سبيل الوصول إلى أهدافها؛ بقرابة ولا رحم ولا أخوة، ولا علم ولا سبق ولا شرف، كما تسقط جميع القيم والأخلاق والمواثيق من قواميسها، وأنهم لا يدعون فرصة تتاح لهم للطعن بالأمة إلا اهتبلوها، فلا عدو للسبئية وما تفرع عنها؛ سوى من يعمل على التمسك بالكتاب والسنة وهدى الراشدين ﷺ!.

واتضح في هذا النص أيضاً كذب الروايات التي تتهم الصحابة ﷺ بالتخطيط لموقعة الجمل وتبين دورهم الرائد دائماً، في الحرص على الصلح، والتمسك بالسلام، والعمل على الوحدة، ووصل حبال التعاون، كما تبين التزامهم بقواعد عقيدتهم، وخشيتهم من أن يُسجل عليهم البدء بعدوان في يوم من الأيام، وتمسكهم بأخلاقيات المسلمين الصالحين الرحمين، في ما يخص الأسرى والجرحى والمنسحبين من القتال الذي يحصل بين المسلمين، وبالمقابل تبين أن السبئية لا

تخلص لقائد ولا لحاكم مهما كانت مكانته وعدله وشهامته! كما فعلوا ذلك مع أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي كلما نادى فيهم، أن كفوا فلا شيء ازدادوا مخالفة وعناداً، وتوغلاً في إيقاد نار الفتن بين المسلمين!...

وهذه المواقف والمخططات العدوانية؛ التي تقتحم الأمن والوحدة، والدين والدماء، والثروات والمستقبل وغير ذلك، توجب على كل مسلم أمين نبيه؛ تحديد موقفه من هذا الشر الذي لا يهدن الأمة في حال ضعفه؛ ويستبيحها في حال قوته، وابتكر لكل مرحلة حضارية وحقبة زمنية، ما يناسبها من الكيد والتحريض والكراهية، تحت مظلة التقيّة التي تتسع لكل تأمر وفتنة عدوانية، وتستبيح كل مقدس لأمة الكتاب والسنة النبوية!.

وهذا يؤكد عظيم مسؤولية علماء وحكام ووجهاء وأغنياء أبناء أمة الكتاب والسنة، ويفرض عليهم التعاون العلمي والإعلامي والسياسي والاقتصادي والعسكري وغيره، صوناً للهوية، وحماية لعقيدة السنة النبوية، وأداء لما في أعناقهم من حقوق المسؤولية، وحفاظاً على أصالة الحضارة الإسلامية، من عبث وتخريب الهيئات والمجالس السبئية، وهذا لا رخصة فيه ولا سيما في هذا العصر حيث لا يوجد هناك راية رسمية لحماية السنة تسقط الفريضة العينية عن من يرى أن هذه من المسائل الكفائية. قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة: ١٢٩)

قوله عليه السلام: "أنت مني وأنا منك"

هذا النص الشريف الصحيح له أكثر من مناسبة كلها تؤكد أن النبي صلى الله عليه وآله كان يتابع شؤون أصحابه عليهم السلام ويعمل على رصد إمكاناتهم ومزاياهم ليظهر ذلك لأمتهم ليعرفوا منازلهم ومكانتهم عنده عليه السلام وعند بعضهم البعض، وليزداد كل منهم معرفة بمزاياه فيزداد إقداماً وعطاءً إذ أن ذلك محسوب في موازين الأعمال عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله ومن المناسبات التي ورد فيها هذا النص، ما جاء في صحيح البخاري مفصلاً عن أسباب قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: "أنت مني وأنا منك" وأنه

لم يكن وحده ﷺ في تلك المناسبة السامية، وأن هذا الحديث الشريف، سمعه علي وجعفر وزيد ﷺ من غير أن يورث في وقته أي أبعاد خارج ذلك المجلس المبارك الذي قيل فيه.

قال البراء بن عازب ﷺ: (اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب، كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ. فقالوا: لا نقرّ بها فلو نعلم أنك رسول الله ما منعناك، لكن أنت محمد بن عبد الله قال ﷺ: أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلي امح رسول الله، قال: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم بها، فلما دخلها ومضى الأجل، أتوا علياً، فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ فتبعتهم ابنة حمزة: يا عم؛ يا عم، فتناولها علي بن أبي طالب ﷺ فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها: دونك ابنة عمك فحملتها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر ﷺ فقال علي: أنا أحق بها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال ﷺ: الخالة بمنزلة الأم: وقال لعلي: " أنت مني وأنا منك " وقال لجعفر: " أشبهت خلقي وخلقي " وقال لزيد: " أنت أخونا ومولانا " (١).

وكما هو واضح في هذه النص لا يوجد صلة من قريب أو بعيد بمسألة الخلافة ولا الإمامة ولا الولاية، وإنما في مناسبه بياناً للناس عن تسامح النبي ﷺ وتجاوزه عن غلظة المشركين وجفائهم، وفيه حرصه ﷺ على إسلامهم والتعاون معهم في أي باب من الممكن أن ينزع ما في صدورهم من حسد له ﷺ أو كراهية لعله ﷺ ينقذهم من الشرك الذي قال عنه الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان: من الآية ١٣) وفيه أيضاً حرص الصحابة على إتمام مهمة وإنجاز أمنيته في الطواف في البيت العتيق، واستعدادهم لمواجهة المشركين، وهذا ليس موضع التفصيل في هذا النص وأبعاده.

(١) صحيح البخاري: ح (٢٥٠١).

إنما المقصود ما يرتبط بهذا النص وهو ظاهر بيّن؛ في أنّ مناسبتة هو حل الإشكال أو الاختلاف الأخوي، الذي نشب بين هؤلاء الأخيار الأبرار، على رعاية ابنة سيد الشهداء حمزة عليه السلام ونيل شرف الوفاء للمجاهدين، الذين أعطوا حياتهم في سبيل الله تعالى لنصرة نبيهم وعقيدتهم وحماية أمتهم، فكان في موقفهم الكثير من العبر، وفيه الكثير من الأحكام المتعلقة برعاية أبناء الشهداء وأسرههم، وبيان الأولى بحضارة الأطفال وما إلى ذلك، من أحكام من الجدير أن نأخذ منها عبراً ودروساً، ومنها بيان وسائل التعامل فيما بينهم للوصول إلى أسلم النتائج وأيسرها، وأنهم إذا حصل بينهم خلاف في أي مسألة احتكموا فيه إلى نبيهم صلى الله عليه وآله وشريعتهم وإذا ظهر لهم الحكم فليس عندهم صلى الله عليه وآله إلا التسليم والطاعة والأخوة والمودة. وفيه بيان لهذا الأسلوب الرائع، والدمائة والهدوء المهيّب، والقدرة الفائقة من رسول الله صلى الله عليه وآله على نزع أسباب الخلاف، وبيان الحق بأيسر الوسائل وأقرب الطرق، فقد أرضى صلى الله عليه وآله جميع أصحابه وأحبابه؛ الذين هم من أقرب الناس إليه؛ ومن أوفاهم له صلى الله عليه وآله فلم يخرجوا من ذلك المجلس إلا وهم في حالة من الرضا والاتفاق والمحبة الأخوية المتجددة، وقد حصل كل منهم على وسام شرف عال من رسول الله صلى الله عليه وآله بقي فخاراً له ولذريته ولكل محبيه على مرّ السنين، وهذا ما علينا نحن أن نتعلم منه، ونشيعه في مجتمعاتنا وأسرنا، ألا وهو الاحتكام إلى شرع الله في كل خلاف، والتسليم للحكم فيما يرضي الله تعالى، وتجديد التواصل والمودة والأخوة على هذه المعاني السامية المتجددة.

لكنّ أهل الأهواء لا يقرّ لهم بال في حال اصطلاح المسلمين وتعاونهم ورضاهم، لذلك بنوا على هذا الحديث وأمثاله كثيراً من الشبهات، التي يهدفون من ورائها إلى تمزيق الصف المسلم إلى فرق وأحزاب، مستندين إلى ما لا يثبت أمام التحليل الصحيح والفهم السليم، فيصرون بعض الصحابة بهالة العصمة وعلم الغيب وفعل الخوارق، وآخرين على أنهم معتدون ظالمون استحوذوا على ما لا يحق لهم، وتناولوا على مقامات غيرهم من إخوانهم الصحابة صلى الله عليه وآله وهذا ما يروج له دعاة الفتنة، ومن يأخذ عنهم من التائهيّن ممن لا انتفاء له ولا ولاء.

ومن ذلك هذه المنقبة التي قالها النبي ﷺ لعلي ﷺ فصوروها للناس بأنها ليست إلا لعلي ﷺ وأنها إحدى الشواهد على أحقيته بالخلافة دون غيره، في حين أن هذه المنقبة ليست خاصة بعلي ﷺ وإنما هي أوسمة يعطيها رسول الله ﷺ لأصحابه إما مكافأة على إنجازاتهم، أو دفعاً للشبهات التي يتعرضون لها، أو بياناً لبعض مزاياهم، أو تربية لأصحابه ﷺ لكي لا يتقلوا ما يجري بينهم من إشكالات إلى غيرهم، ولتأكيد أهمية تعاونهم ووحدهم وصفاء قلوبهم على بعضهم البعض، أو قالها ﷺ لتكون زاجراً لمن وقع في بعض مواطن المشاحنة والشقاق، أو تأديباً لمن نقل إلى النبي ﷺ ما يكدر صدره على أصحابه؛ ولا سيما أنه ﷺ كان قد حذر من ذلك وأكد عليه، فقال ﷺ: (لا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئاً؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ) (١).

وروي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (ألا لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً؛ فإنني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر، قال ﷺ: فأتاه مال فقسمه قال: فسمعت رجلين يقولان: إن هذه القسمة التي قسمها لا يريد الله بها! ولا الدار الآخرة! قال ﷺ: فهتمت قولهما ثم أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إنك كنت قلت: لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً؛ فإنني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر، وإني سمعت فلاناً وفلاناً يقولان كذا وكذا!! قال ﷺ: فاحمر وجهه ﷺ وقال: دعنا منك! فقد أودى موسى بأكثر من هذا فصبر) (٢).

فيتبين من هذا النص؛ أن لهذا الحديث مناسبة، ترتب عليها مقاصد تربوية وتعليمية، كان النبي ﷺ يريد أن لا يقع فيها أحد من أصحابه ﷺ، حرصاً على وحدتهم وقوة تماسكهم، وجميل تسامحهم وتجاوزهم عن بعضهم البعض، وما إلى ذلك من قيم التسامح والأخوة، فقال ﷺ مثل هذا الحديث وغيره وأكد على التمسك به وبمعانيه، والله تعالى أعلم، ولم يكن مثل هذا الحديث

(١) سنن أبي داود، ح (٤٢١٨).

(٢) سنن البيهقي الكبرى: ح (١٦٤٥٢).

وقفاً على علي ؑ من دون أصحاب رسول الله فقد ثبت أنّ النبي ﷺ قال مثل هذا لبعض أصحابه ؑ من غير علي ؑ.

ومما يوضح مناسبة هذا الحديث، ما روي عن عمران بن حصين ؑ قال: (بعث رسول الله ﷺ سرية، واستعمل عليهم علياً ؑ قال: فمضى علي في السرية، فأصاب جارية، فأنكر ذلك عليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع علي، قال عمران: وكان المسلمون إذا قدموا من سفر بدؤوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه ونظروا إليه، ثم ينصرفون إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله ﷺ فقام أحد الأربعة، فقال: يا رسول الله ألم تر أنّ علياً صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه ؑ ثم قام آخر فقال: يا رسول الله ألم تر أنّ علياً صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه، ثم قام آخر، فقال: يا رسول الله، ألم تر أنّ علياً صنع كذا وكذا؟ فأقبل إليه رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه فقال: (ما تريدون من علي ثلاثاً إنّ علياً منّي وأنا منه)^(١). فهذا النص يؤكد مناسبة الحديث ويبين ما سبق الإشارة إليه، من غضبه ممن ينقل إليه شيئاً عن أصحابه كما اتضح ذلك من رده ؑ على صاحبه عبد الله بن مسعود ؑ فكيف إذا اجتمع إلى ذلك التعاون والإصرار على إبلاغ النبي ﷺ ما يكدر صدره على علي ؑ فلما كان موقف أولئك الأصحاب شديداً تجاه أخيهم وبعيداً عن التسامح كان ردّ النبي ﷺ حازماً على ذلك الموقف

(١) صحيح ابن حبان: ح (٦٩٢٩) قال المحقق: إسناده قوي، الحسن بن عمر بن شقيق صدوق روى له البخاري، ومن فوقه من رجال الشيخين غير جعفر بن سليمان، فمن رجال مسلم، وهو صدوق. يزيد الرشك: هو يزيد بن أبي يزيد. وأخرجه الطيالسي - "٨٢٩"، وأحمد في "المسند" ٤/٤٣٧ - ٤٣٨ وفي "الفضائل" "١٠٣٥"، والقطيبي في زوائده عليه "١٠٦٠"، والترمذي والنسائي في "فضائل الصحابة" "٤٣"، وفي "الخصائص" "٨٩"، وابن عدي في "الكامل في الضعفاء" ٢/٥٦٨ - ٥٦٩، والحاكم ٣/١١٠ - ١١١ من طرق عن جعفر بن سليمان الضبعي، بهذا الإسناد. ورواية النسائي في "الفضائل" مختصرة بالرفوع فقط، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان، وصححه الحاكم على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي. وينظر سنن ابن ماجه: ح (١١٨).

المخالف لتعليماته ولأخلاقه ﷺ ولما يجب أن يكون عليه أصحابه من الأخوة والمودة والألفة، فقول النبي ﷺ: " إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي... " فيه فضيلة من فضائل علي ﷺ ومنقبة من مناقبه، وأنها وسام يبين مكانته عند رسول الله ﷺ ويؤكد على محبته والترغيب في موالاته ﷺ وربما فيه إشارات تربوية تتضمن بعض دلائل النبوة والإخبار بما سيحصل لعلي وبأهمية موالاته أمام ما سيحدثه ﷺ من عنت على أيدي الخوارج وإخوانهم الرافضين للخلافة الراشدة الذين يمثلون الامتداد الطبيعي للمنافقين الذين أظهروا بغض علي ﷺ في عصر الرسالة، ولاسيما أيام غزوة تبوك، حين خلّفه النبي ﷺ على النساء والصبيان والأهل في المدينة.

فالمتابع لموقف الصحابة من الخوارج في عصر خلافة أمير المؤمنين علي ﷺ يجد أن الصحابة ﷺ لم يتوقفوا عن قتال الخوارج معه ﷺ كما توقفوا عن القتال في فتنة الجمل وفتنة صفين التي كان القتال فيها بين المسلمين لأهداف واحدة واجتهادات متينة، وكان النبي ﷺ يرغب فيه بالصلح ويحث عليه، كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه الحسن عن أبي بكره ﷺ قال: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبَلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)^(١).

في حين أن قتال الخوارج كان مبنياً على علم من رسول الله ﷺ ودعوة منه ﷺ لقتلهم والتصدي لشروهم، وفي ذلك البشارة لمن قاتلهم فقتلهم أو قتل على أيديهم، قال علي ﷺ: (لولا أني أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم ﷺ لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم عارفاً بالهدى الذي نحن عليه)^(٢) وقال ﷺ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا

(١) صحيح البخاري: (٢٥٠٥).

(٢) سنن النسائي الكبرى: ح (٨٥٧٤)

يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيَّاهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْنَمَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنْ قَتَلْتُمْ أَجْرًا لَنْ قَتَلْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١).

ومما يؤكد ذلك ويبينه أن أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد أن ظهر الخوارج في الكوفة، وعرف علاماتهم التي سمعها الصحابة من النبي صلى الله عليه وآله نهي عليه السلام عن قتال معاوية رضي الله عنه ومن معه من أهل الشام، ولم يقبل تحريض أهل الكوفة الذين كانوا يريدون المسير إلى الشام ومسالمة الخوارج! وذلك دليل علمه عليه السلام وإنصافه، ودقة تشخيصه للأخطار المحدقة، وسلامة اجتهاداته؛ وأنها كانت مبنية على حماية الدين، وخدمة الأمة، ومواجهة من يجترئ على دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.

قال سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب الجهنبي (أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ عليه السلام الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَتْ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ شَيْئًا وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ شَيْئًا! وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ شَيْئًا! يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ هُمْ، وَهُوَ عَلَيْهِمْ! لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ! يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ! لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ صلى الله عليه وآله لَنَكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ!! وَآيَةٌ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ وَلَيْسَتْ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى عَضُدِهِ مِثْلُ حَلْمَةِ الثَّوْدِيِّ عَلَيْهِ شَعْرَاتٌ بَيْضٌ، أَفْتَدَهُبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ؟! وَتَتْرَكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؟! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ، قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ فَتَزَلَّنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنزِلًا مَنزِلًا حَتَّى مَرَّ بِنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ قَالَ فَلَمَّا التَّقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ فَقَالَ لَهُمْ: أَلْقُوا الرَّمْحَ وَسَلُّوا السُّيُوفَ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حُرُورَاءَ قَالَ: فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ وَاسْتَلُّوا السُّيُوفَ وَشَجَّرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ قَالَ

(١) سنن أبي داود: ح (٤١٣٨).

وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِهِمْ قَالَ وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: اَلْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخَدَجَ فَلَمْ يَجِدُوا قَالَ فَقَامَ عَلِيٌّ عليه السلام بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: أَخْرِجُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ وَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَبَلَغَ رَسُولُهُ فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِي وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا... فَاسْتَخَرَجُوهُ مِنْ تَحْتِ الْقَتْلِ فِي طِينٍ قَالَ أَبُو الْوَضِيِّ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَبَشِيٌّ عَلَيْهِ فُرَيْطِقٌ لَهُ إِحْدَى يَدَيْنِ مِثْلُ نُدْيِ الْمُرَاةِ، عَلَيْهَا شُعَيْرَاتٌ مِثْلُ شُعَيْرَاتِ النَّبِيِّ تَكُونُ عَلَى ذَنْبِ الْيَرْبُوعِ ^(١).

وهذا يتبين أن قتال الخوارج كان من مناقب أمير المؤمنين علي عليه السلام ومن كان معه من الصحابة عليهم السلام ومن تبعهم بإحسان، وأن الصلح الذي تم بين الحسن بن علي ومعاوية عليه السلام كان مرحباً به، ومندوباً للعمل به، وبالوقوف عند حدوده، لما فيه من إقرار من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوة له، لذلك كانت الحرب التي قادها أمير المؤمنين على الخوارج حرباً مشروعة، عادت بالخير على الأمة بهويتها وعقيدها، كما أن الاحتكام إلى المصحف الذي اقترحه عمرو بن العاص عليه السلام وأقره أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوة وإخلاص ^(٢) أوقف الحرب بين الأخوة يوم صفين، والتحكيم الذي كان بعد صفين؛ والصلح الذي تم بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما بعد استشهاد علي عليه السلام عاد على الأمة بالخير والأمن وإطفاء الفتن وتوحيد الصفوف، فلا يكره التحكيم وما تبعه من الصلح بين أهل الشام والعراق؛ إلا داعية فتنة مبغض لسلامة الأمة؛ حرب على أمنها، فهو لا يؤتمن على سياسة ولا على عقيدة ولا على وطن، ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة لا شبهة فيها ولا ريبه ولا

(١) سنن أبي داود: ح (٤١٣٩).

(٢) المسند: ح (١٥٤٠٨) فلما رفعت المصاحف: (قال علي عليه السلام: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله) ح (١٦٠١٨).

تحتمل التأويلات التي يؤولها المبطلون، لما فيها من الوضوح والبيّنة، التي تظهر في مثل قوله ﷺ:
(لقد عهد إلي النبي ﷺ أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)^(١).

إلا أنّ كل هذه الأوسمة النبوية المباركة، ليست خاصة بعلي ﷺ فهناك من أصحاب رسول الله ﷺ من يشاركه مثلها، منهم الأنصار ﷺ قال النبي ﷺ: (الأنصارُ لا يُحبُّهم إلاّ مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلاّ منافقٌ، فمن أحبهم أحبّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله)^(٢) وقال رسول الله ﷺ: (آيةُ الإيِّانِ حُبُّ الأنصارِ وآيةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنصارِ)^(٣) وفي هذه الأحاديث المباركة علامات للمؤمنين لمعرفة خصوم السنة النبوية، ولتحذيرهم من الأبواب التي تقود إلى الانحراف عن المنهج الصحيح، ومشاركة أعداء الصحابة في بعض مواقفهم؛ التي جعلتهم في صف المنافقين المبغضين للصحابة ﷺ مما يؤكد على المسلم أن يكون موقفه من حب الصحابة، واضحاً ظاهراً لا تردد فيه ولا غموض، وأن يكون متوازياً مع البراءة من أعدائهم والحذر الدائم مما يخططون له من شرور تستهدف العقيدة ورموز الأمة وأئمتها وثوابتها.

فقوله ﷺ: " علي مني وأنا منه " ^(٤) استعمله أعداء الصحابة لغير ما قيل له، وللتلبيس به على بسطاء الناس ليسقطوا من قلوبهم توقيير الصالحين، وينزعوا من ضمائرهم إجلال الخلفاء الراشدين، لقطع صلات الأخوة القائمة بين الصحابة المكرمين، ومن ثم الانقضاض على عقيدة المسلمين تشكيكاً، دون أن يتنبه عامة المسلمين إلى أنّ هذه فضيلة من فضائل علي ﷺ يزعم أعداء

(١) أبو محمد: عبد الحق الإشبيلي، ٥١٠ هـ - ٥٨١ هـ، الأحكام الشرعية الكبرى، تحقيق: حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. سنن النسائي الكبرى: ح (٨٤٨٧). قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، باب نقص الإيِّان بنقص الطاعات، ٢٣/١. سنن الترمذي: ح (٣٦٦٩).

(٣) صحيح البخاري: باب علامة الإيِّان حب الأنصار، ح (١٦).

(٤) صحيح ابن حبان: ح (٦٩٢٩)

الصحابة أنهم يتعلقون بها لإجلال علي ﷺ لكنهم يجعلونها سلماً يتسلقون من خلاله إلى مقاصدهم الحقيقية المتمثلة في الطعن بالخلفاء الراشدين، لتسعير الفتن بين المسلمين. ومثلما تبين أن قول النبي ﷺ في المولى لا صلة له في مسألة الإمامة والخلافة، ولم يكن يختص به علي ﷺ كذلك الأمر واضح في قوله ﷺ: (علي مني وأنا منه) بأنها منقبة لم يكن يختص بها ﷺ وحده، بل يشاركه فيها كثير من أصحاب رسول الله ﷺ فلا سبيل لأهل الشبهات أن يندسوا بين المؤمنين لإثارتهم على أئمة الأمة بعد رسول الله ﷺ فقد كان لرسول الله ﷺ أصحاب يمتازون بميزات قل ما توجد في غيرهم فكان ﷺ يُحب أن يُظهر تلك المزايا المباركة في أصحابه، فيشير إلى بعضها، ويثني على أخرى، ويدعو إلى التمسك بالمكارم وأعالى الأخلاق والشيم، فيحفظ عنه أصحابه ﷺ ما يصدر عنه من نصوص تمثل قواعد وثوابت يعرفون من خلالها منازل الصحابة ومواطن تميزهم، فكان البعض منهم يشترك في أكثر من فضيلة ومنقبة، وآخرون يمتاز بعضهم عن البعض الآخر، بمناقب وفضائل متباينة، ومنها هذه المنقبة التي قالها النبي ﷺ لعلي ﷺ وقالها للحسين ﷺ قال ﷺ: (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، الحسين سبط من الأسباط)^(١) وقال النبي ﷺ: (الحسن مني والحسين من علي)^(٢).

وقال مثل ذلك لعمة العباس ﷺ قال ابن عباس ﷺ: (أن رجلاً وقع في أب كان له في الجاهلية، فلطمه العباس ﷺ، فجاؤوا قومه فقالوا: ليلطمه كما لطمه، فلبسوا السلاح، فبلغ ذلك النبي ﷺ فصعد المنبر، فقال ﷺ: أيها الناس، أي أهل الأرض تعلمون أكرم على الله عز وجل؟ قالوا: أنت قال ﷺ: (فإن العباس مني وأنا منه، لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا، فجاء القوم فقالوا: يا رسول الله؛ نعوذ بالله من غضبك، استغفر لنا)^(٣) فهذه المناقب لم تكن خاصة ببعض

(١) البخاري: الأدب المفرد، ح (٣٦٤) قال الألباني: حسن. المستدرک: ح (٤٨٢٠) قال الذهبي: صحيح.

(٢) السيوطي: جمع الجوامع أو الجامع الكبير، ح (١٢١٩٧). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ح (٣٤٢٦١).

الألباني: السلسلة الصحيحة، (٨١١). قال حديث حسن. الصواعق المحرقة: ٥٦٢ / ٢.

(٣) سنن النسائي الكبرى: ح (٦٩٧٧) المسند (٢٥٩٨) الأصبهاني: الإمامة والرد على الراضية، ٢٢٣ / ١.

نجباء آل البيت ﷺ وإنما نال شرفها من لم يكن معروفاً بين الناس بحسبه ولا بهاله، فأعطيت لمستحقيها من غير آل البيت ﷺ.

وقالها النبي ﷺ لبعض الفقراء الغرباء

لم تقتصر هذه المنقبة على أعلام الصحابة أو أبنائهم ﷺ ولكنها شملت بعض فقرائهم وغربائهم، ممن لا معارف لهم في المدينة ولا أقارب، من الذين إذا غابوا لا يُذكرون، وإذا حضروا لا يعرفون، ولكن مكانتهم عند الله وعند رسوله ﷺ عالية قريبة، فقالها النبي ﷺ مكررة مرتين، ومن هؤلاء جليبيب ﷺ قال أبو بَرزَةَ ﷺ: (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي مَغْرَى لَهُ، فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ ﷺ هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا: نَعَمْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ ﷺ هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا: لَكِنِّي أَفْقِدُ جَلِيبِيًّا، فَاطْلُبُوهُ، فَطَلَبَ فِي الْقَتْلِ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: قَتَلَ سَبْعَةَ ثُمَّ قَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، قَالَ: فَوَضَعَهُ ﷺ عَلَى سَاعِدَيْهِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَحَفِرَ لَهُ، وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَسَلًا^(١).

وقالها ﷺ للأشعرين

فإذا كانت هذه المنقبة قد عُرف بها بعض آل بيت النبي ﷺ وغيرهم أفراداً من غير أسرهم، فإن هناك أسراً أخرى، أو قبائل تخلقت بأخلاق كريمة، يحبها النبي ﷺ ويدعو إلى التحلي بها، ويشجع على ذلك فمنح من تخلق بها مثل ما منحه لعلي ﷺ من المنقبة، قال أبو موسى الأشعري ﷺ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْعَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنْاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)^(٢) أي منهجهم هذا على منهجي وطريقتهم على طريقتي.

(١) صحيح مسلم: ح (٤٥١٩).

(٢) صحيح البخاري: ح (٢٣٠٦) الإشبيلي: الأحكام الشرعية الكبرى، ٤/٤٧٩.

وقالها النبي ﷺ لعامة أمته

وقد حث النبي الكريم ﷺ أبناء أمته على مكارم الأخلاق وجميل الشرائع وأكد على سمو مقام من يتمسك بها ويدعو إليها ويبرأ ممن لا يعبأ بها ولا يقيم لها وزناً، قال كعب بن عجرة ؓ: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن جلوس على وسادة من آدم فقال: " سيكون بعدي أمراء؛ فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، وليس يرد عليّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه، وهو وارد عليّ الحوض" (١).

فالموقف من هذه النصوص يتوافق تماماً مع قوله ﷺ: (إن أوليائي يوم القيامة المتقون، وإن كان نسب أقرب من نسب، فلا يأتيني الناس بالأعمال، وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم، فتقولون: يا محمد! فأقول: هكذا وهكذا " لا " وأعرض في كلا عطفيه) (٢) وقال رسول الله ﷺ: (إن أهل بيتي هؤلاء، يرون أنهم أولى الناس بي! وليس كذلك، إن أوليائي منكم المتقون، من كانوا، وحيث كانوا، اللهم إني لا أحل لهم فساد ما أصلحت، وإيم الله لتكفأن أمتي عن دينها، كما تكفأن الإناء في البطحاء) (٣).

ومنسجم مع قول ابن عباس رضي الله عنهما: " لا أرى أحداً يعمل بهذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣) فيقول الرجل للرجل: " أنا أكرم منك! فليس أحدٌ أكرم من أحدٍ إلا بتقوى الله " (٤) وقوله ﷺ: " ما تعدون الكرم؟ وقد بين الله الكرم، فأكرمكم عند الله

(١) صحيح ابن حبان: ح (٢٨٢) و(٢٨٣) إسناده صحيح. وأخرجه البيهقي في "السنن" ٨/ ١٦٥ من طريق أبي حاتم الرازي وعمرو بن تميم، عن الملائي، بهذا الإسناد. وهو مكرر ما قبله.

(٢) الألباني: صحيح الأدب المفرد، ٦٩٢/ ٨٩٧، قال: حديث حسن، عن أبي هريرة ؓ.

(٣) ظلال الجنة في أحاديث السنة لابن أبي عاصم، ح (٢١٢) (١٠١١) صحيح. وكلاهما عن معاذ بن جبل.

(٤) صحيح الأدب المفرد، (٦٩٣/ ٨٩٨) قال الألباني: (صحيح الإسناد) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أتقاكم، ما تعدون الحسب؟ أفضلكم حسباً أحسنكم خلقاً" (١) فالمجتمع الصالح هو الذي تسوده مكارم الأخلاق.

ومتوافق مع وصية النبي ﷺ لقريش حين قال ﷺ لعمر ﷺ: (" اجمع لي قومك " فجمعهم، فلما حضروا باب النبي ﷺ دخل عليه عمر فقال: قد جمعت لك قومي، فسمع ذلك الأنصار، فقالوا: قد نزل في قريش الوحي، فجاء المستمع والناظر ما يقال لهم، فخرج النبي ﷺ، فقام بين أظهرهم، فقال: "هل فيكم من غيركم؟" قالوا نعم فينا حليفنا وابن اختنا وموالينا. قال النبي ﷺ: "حليفنا منا، وابن اختنا منا، وموالينا منا، وأنتم تسمعون: " إن أوليائي منكم المتقون؛ فإن كنتم أولئك فذاك، وإلا فانظروا لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة، وتأتون بالأثقال، فيعرض عنكم " ثم نادى ﷺ فقال: "يا أيها الناس! ورفع ﷺ يديه يضعهما على رؤوس قريش أيها الناس! إن قريشاً أهل أمانة، من بغى بهم، قال: زهير أظنه قال: العواثر، كبه الله لمنخره " يقول رسول الله ﷺ ذلك ثلاث مرات (٢).

ولا شك أن هذا النص فيه من القيم والمعاني التي تورث من يفقهها الاستقامة والتوازن في القول والفعل والإقدام والإحجام مثلما تورثه معرفة قدر نفسه، وتعيينه على تحديد مكانه الصحيح في الأمة، وفيه من تعاليم وضوابط التواصل والترابط الأسري والاجتماعي ما يمكن أن يكون أساساً لكل بناء إسلامي جديد سواء على المستوى الفكري أو الدعوي أو التعليمي أو في الجوانب الإدارية والاقتصادية.

وفيه البيان الشافي لوسائل الحكم على الآخرين، وقياس مدى صحة مواقفهم من عدمها، والتأكيد على أن المقياس هو العمل ودقة الأداء وصحة الاتباع، والبعد عن الانتهازية والمحسوبية ومشتقاتها، التي يركب أمواجها النفعيون والمتحزبون، ومن لا يشغله سوى الوصول إلى ما يعينه

(١) صحيح الأدب المفرد، (٦٩٤/٨٩٩) قال الألباني: (صحيح الإسناد).

(٢) صحيح الأدب المفرد، مولى القوم من أنفسهم، ح (٧٥/٥٥). قال الألباني: حسن، عن رفاعة بن رافع.

على جمع الأثقال؛ التي تجعل أصحابها في آخر الركب أو تهوي بهم في مكان سحيق، لهذا حذر النبي ﷺ قومه قائلاً: " إن أوليائي منكم المتقون؛ فإن كنتم أولئك فذاك، وإلا فانظروا لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة، وتأتون بالأثقال، فيعرض عنكم " وهذا يؤكد أن الذي يقوم بأهله ويرفع منازلهم؛ هو العمل الصالح الصحيح، وإلا فإن الإعراض والتأخير هو الموقف الذي سيجده المفرطون بالثواب المضيعون للأمانة، ومع كل هذا الموقف الواضح، فإن رسول الله ﷺ أشاد بما يعلمه عن قومه قريش وأنهم ممن يؤدي الأمانة، وأن من يتعامل معهم بالعدو والمكر والانتقاص فإن الله ﷻ سيكبه ويأخذه ويخزيه، ولعل هذا كان بيناً واضحاً طيلة العصور التي عملت فيها قريش بوصايا رسول الله ﷺ وتعاليمه من أداء الأمانة وإتقان العمل وحسن الاتباع لرسول الله ﷺ مما رفعهم في الدنيا إلى قيادة البشرية، وفي الآخرة إن الله لا يضيع أجر المحسنين.

فالموقف من هذه النصوص يؤكد أن التقوى هي الميزان القائم في ميدان الأعمال الصالحة، التي تحدم الدين وتنصر الأمة، وأن النبي ﷺ يحث أبناء أمته على التمسك بقيم العدل والإنصاف، والتعاون والمواساة، والإقدام والبذل والتضحية، ويبين أن المقدم الكريم فيهم عند رسول الله ﷺ هم المتقون؛ وأن أهل التقوى أحب إلى رسول الله ﷺ من أهل النسب الشريف، والمتقون هم أولياؤه المقربون، وأن دعاوى التعلق بالوصية لآل البيت إنما أهدافها الطعن بعلي ﷺ وآله واتباعهم بمنازعة الأمر أهله، أو بالتقصير في القيام بما أوكل إليهم، وكل ذلك لإيجاد شرخ بين أبناء أمة الكتاب والسنة، يتسللون من خلاله إلى عقول الغوغاء فيسخر ونهم للطعن بآمتهم، لهذا فالمقربون إلى النبي ﷺ هم من كان أكثر تمسكاً بما كان عليه ﷺ وأصحابه ﷺ، وأن قيم الاتباع والافتداء برسول الله ﷺ هي التي تقود صاحبها إلى أن يكون على منهاج النبوة ﷺ وهداياها، ومن كان كذلك فهو من أتباع وأحباب رسول الله ﷺ ذلك أن منهجه هذا من منهج رسول الله ﷺ وهو أهل لأن يقول له النبي ﷺ: " هذا مني وأنا منه " فعلى من يريد أن يؤكد هذا الانتساب، أن يبرأ ممن يعمل بضده، ولا يجوز إلا أن يكون كذلك، وإلا فإن أمر من يزعم العمل بمراد رسول الله

ﷺ هذا؛ ومولاته ومودته لمن يعمل بضده؛ فإنها كمن يزعم حبّ أصحاب رسول الله ﷺ ثم يوالي أعداءهم ومبغضيهم ممن يشتمهم ويطعن بعقيدتهم! ولا يستويان أبدا.

المبحث الثاني

آل النبي ﷺ وأزواجه وذريته وأولياؤه وأحاديث (العترة والكساء والثقلين)

أولاً: آل النبي ﷺ وأزواجه وذريته وأولياؤه وأهل الكساء

قوله ﷺ: " اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً "

قبل الولوج في حمى هذا النص الصحيح من المناسب التعريف بما يياثله من النصوص والآيات القرآنية، واستكمال الصورة حول هذا النص الصريح الصحيح، ولعل الآية الكريمة هذه تأتي على الكثير مما يراد قوله حول هذا الموضوع، فهذا النص جاء خطاباً لأزواج النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا، وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٢-٣٤).

وهذا النص القرآني واضح لا لبس فيه، ولا يحتمل التأويل، فهو خطاب لأمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ فكلما ذكر قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فالمقصود الأول به أزواج النبي ﷺ الطاهرات المباركات فالخطاب قبله وبعده موجه إليهن رضي الله عنهن، مما يسقط شبهات أعداء الصحابة ومن يوافقهم من المقربين لهم ممن يريد صرف الناس عن معرفة فضائل أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ طعنًا بهن رضي الله عنهن، ليكون ذلك جسراً للطعن برسول الله ﷺ ومن ثم الطعن بأمته أمة الكتاب والسنة، وليتفرغ أهل الباطل في التصرف بالدين بحسب أهوائهم ورغبات مراجعهم، ولا أشد خطراً من هؤلاء الذين يردون نصوص القرآن الكريم؛ إلا من يوافقهم من المحسوبين على أمة السنة! الذين يوالون من

يطعن بأمهات المؤمنين، ممن لا يبالي بمناطحة هذا النص القرآني الواضح، الذي يبينه ويؤكدده قول الله تعالى، في خطابه للنبي ﷺ يوم بدر: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٢١).

وجاء شرح هذه الآية في صحيح البخاري بقوله: (غدوت) خرجت في أول النهار (من أهلك) من حجرة زوجك عائشة رضي الله عنها. (تبوء) تنزلهم منازل لأجل القتال فتجعلهم يمنة ويسرة وتحدد لهم مواطن ومواقف^(١).

فهذا يبين وبنص الكتاب المين أن النبي ﷺ كان متواصلاً مع أهله ولا سيما عائشة رضي الله عنها حتى في أحلك الظروف وأخطرها، وفي أول لقاء بين الشرك والإسلام في يوم الفرقان، قال تعالى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: من الآية ٤١) ذلك اليوم الحاسم الخالد، الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل حين زلزل الطغاة وحطم جبروت المشركين، فإن النبي ﷺ خرج من بيت زوجته الطاهرة عائشة رضي الله عنها، مما يثبت سمو المكانة التي تمتاز بها وعميق الثقة التي تتمتع بها عند رسول الله ﷺ وبها يؤكد خروج من ينالها بسوء من دائرة المؤمنين! كما يتضح أنها من أهله المقربين إليه ﷺ في النص المين في الآية: (مِنْ أَهْلِكَ) وهذا ظاهر كما هو في خطاب الله تعالى لزوجته نبيه إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود: ٧٣).

وكما ورد ذلك مؤكداً في خطبة النبي ﷺ في حديث الإفك وهو قائم على المنبر ﷺ قائلاً: (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيراً)^(٢) وأمثاله في كتب السنة كثير.

(١) صحيح البخاري: ٤/١٤٨٤. كتاب التفسير، سورة آل عمران تفسير الآية (١٢١).

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٩١٠).

وقال النبي ﷺ: (من سرّه أن يكتال بالمكيال الأوفى، إذا صلّى علينا أهل البيت، فليقل: " اللهم صلّ على محمد النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته، وأهل بيته، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد " فكأنه ﷺ أفرد أزواجه وذريته بالذكر على وجه التأكيد، ثم رجع إلى التعميم، ليدخل فيها غير الأزواج والذرية، من أهل بيته ﷺ وعليهم أجمعين^(١)) وسيتضح هذا أكثر في بيان أدلة من قال: إن آله ﷺ هم أزواجه وذريته.

قال ابن القيم: فجمع بين الأزواج والذرية والأهل وإنما نص عليهم بتعيينهم لبيان أنهم حقيقيون بالدخول في الآل وأنهم ليسوا بخارجين منه بل هم أحق من دخل فيه، وهذا كظائره من عطف الخاص على العام، وعكسه تنبيهاً على شرفه وتخصيصاً له بالذكر من بين النوع، لأنه من أحق أفراد النوع بالدخول فيه، وهنا للناس طريقان، أحدهما: أن ذكر الخاص قبل العام أو بعده، قرينة تدل على أن المراد بالعام ما عداه، والطريق الثاني: أن الخاص ذكر مرتين مرة بخصوصه، ومرة بشمول الاسم العام له، تنبيهاً على مزيد شرفه، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (الأحزاب: ٧) وقوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٩٨).

وأعداء الصحابة الذين يبغضون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، يُسمّون الزوجة أهل كما هو ظاهر في أدلتهم، لكنهم إذا تحدثوا عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ؛ فإنهم يتعامون فلا يرون الشمس في رابعة النهار، ويقولون مفترين أنّهنّ لسن من آل البيت! فمن رواياتهم في هذا الباب، عن حماد عن الحلبي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: " جعلت فداك إني لما قضيت نسكي للعمرة أتيت أهلي ولم أقصر، قال: عليك بدنة...^(٢) " وقال جعفر الصادق عليه السلام: " إذا أتى

(١) سنن البيهقي الكبرى: ح (٢٦٨٦) سنن أبي داود: ح (٩٨٢) السيوطي: جمع الأحاديث، (٢٢٤٣٤).

(٢) الكليني: الكافي، ٤/ ٤٤١.

أحدكم أهله فليذكر الله"^(١) وفي رواياتهم بعد استشهاد أمير المؤمنين علي عليه السلام قالوا: " فبويع الحسن ابنه عليه السلام فعُوهد ثم عُدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طُعن بخنجر في جنبه، وانتهب عسكره فوادع معاوية عليه السلام وحقن دمه ودم أهل بيته عليهم السلام"^(٢) وواضح في هذا النص أن المقصود بأهل بيته أولاده وأزواجه ومن معهم من أقاربهم الآخرين عليهم السلام وفي هذه النصوص وغيرها الرد على مكرهم حين يقولون إن الزوجة لا تعد من أهل البيت، وذلك حرباً على أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، ورداً لكتاب الله تعالى الذي جاء خطابه صريحاً دون تلميح، ونكران أعداء الصحابة وردهم لنص الآية، وأن أزواج النبي صلى الله عليه وآله لسن من أهله! لا غرابة فيه فهم يقولون في القرآن كله ما هو أعظم من هذا الرد والتأويل والتكذيب، وكتاب مرجعهم الحاقق نوري طبرسي " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب " لم يدع وجهاً من وجوه تكذيب القرآن الكريم ورده إلا وجاء به، وبما أغنى عن بذل أي جهد لإثبات رد القوم لكتاب الله نظرياً وتطبيقياً، وإنكارهم أو تأويلهم الفاسد لهذه الآية، هو من باب الرد الصريح، ولكن من يرد هذا النص وهو يزعم أنه يدافع عن السنة فهذا هو موضع الشبهة والريبة، وكل هذا يبين الحاجة إلى الحديث عن معنى آل البيت عليهم السلام ومن هم المعنيون بذلك، ويؤكد الحاجة إلى توضيح الموقف من المقصود بآية التطهير التي نزلت في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن؛ ولا زال البعض يعمل على تحريف أسباب نزولها لغايات ومآرب، أو لجهل وغفلة!

(١) الخميني: تحرير الوسيلة، ٢/ ٢٣٩. بحار الأنوار: ٦/ ٢٠١. وينظر أحاديث يحتج بها الشيعة، ١/ ٤١٠.

(٢) محسن الأمين: أعيان الشيعة، ١/ ٢٦.

في معنى الآل واشتقاقه وأحكامه

وفضلاً عما سبق من بيان معنى الأهل، فإن ابن القيم فَصَّلَ في هذا الباب فأجاد وأفاد، وذكر أن في معنى الآل قولين، أحدهما: أن أصله "أهل" ثم قلبت الهاء همزة فقييل: آل ثم سهلت على قياس أمثالها، فقييل آل، قالوا: ولهذا إذا صُغِرَ الآل رجع إلى أصله، فقييل: أهيل^(١).

وآل الرجل أهله وعياله، وآله أيضاً أتباعه، وهو عند هؤلاء مشتق من آل يؤول إذا رجع، فآل الرجل هم الذين يرجعون إليه ويضافون إليه، ويؤولهم؛ أي يسوسهم، فيكون مآلهم إليه، ومنه الإيالة وهي السياسة، فآل الرجل: هم الذين يسوسهم ويؤولهم، ونفسه أحق بذلك من غيره، فهو أحق بالدخول في آله، ولكن لا يقال إنه مختص بآله بل هو داخل فيهم وهذه المادة موضوعة لأصل الشيء وحقيقته ولهذا سمي حقيقة الشيء تأويله لأنها حقيقته التي يرجع إليها ومنه قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ (الأعراف: من الآية ٥٣).

وقال عبد المطلب جد النبي ﷺ في الفيل وأصحابه الصليبيين أبرهة الأشرم وجنده الغزاة: وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك^(٢).

واختلف في آل النبي على أربعة أقوال:

فقييل: هم الذين حرمت عليهم الصدقة، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء: أحدها: أنهم بنو هاشم، وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه، والثاني: أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة، والرواية الثانية عن أحمد واختيار ابن القاسم صاحب مالك، والثالث: أنهم

(١) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد ﷺ خير الأنام، دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ٢٠٣.

(٢) ابن قيم الجوزية: جلاء الأفهام، ٢٠٤، ٢٠٧.

بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب، فيدخل فيهم بنو المطلب، وبنو أمية، وبنو نوفل، ومن فوقهم إلى بني غالب. وهذا القول في الآل أعني أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة، هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين، وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي، والقول الثاني: أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة، حكاه ابن عبد البر في التمهيد^(١).

واستدل قوم على أن آل محمد هم وأزواجه وذريته خاصة، لقوله ﷺ في الحديث: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وفي حديث أبي حميد الساعدي: " اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته " قالوا: فهذا تفسير ذلك الحديث ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته قالوا: فجاز أن يقول الرجل لكل من كان من أزواج محمد ﷺ ومن ذريته: صلى الله عليك؛ إذا واجهه، وصلى الله عليه إذا غاب عنه، ولا يجوز ذلك في غيرهم. قالوا: والآل والأهل سواء وآل الرجل وأهله سواء، وهم الأزواج والذرية بدليل هذا الحديث.

والقول الثالث: أن آله اتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم، وأقدم من روي عنه هذا القول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ذكره البيهقي عنه ورواه عنه سفيان الثوري وغيره، واختاره بعض أصحاب الشافعي، وحكاه عنه أبو الطيب الطبري في تعليقه، ورجحه الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم، واختاره الأزهري، والقول الرابع: أن آل محمد هم الأتقياء من أمتهم، حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة، واحتجوا بما روي عن أنس رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ " من آل محمد؟ فقال: كل تقى " قال: وتلا رسول الله ﷺ ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ (الأنفال: من الآية ٣٤)^(٢).

(١) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢١١.

(٢) الطبراني: المعجم الصغير، ح (٣١٨) لم يروه عن يحيى بن سعيد إلا نوح تفرد به نعيم العجم الأوسط: (٣٣٣٢).

كنز العمال في سنن الأقوال: ح (٥٦٢٤). ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢١١.

عن نافع أبي هريرة قال سمعت أنس بن مالك يقول: (سئل رسول الله ﷺ من آل محمد؟ قال: "كُلُّ نَفْسٍ")^(١) واحتج لهذا القول أيضاً بأن الله ﷻ قال لنوح ﷺ عن ابنه: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَكُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: من الآية ٤٦) فأخرجه بشره أن يكون من أهله فعلم أن آل الرسول ﷺ هم أتباعه، لكن الشافعي ضعف هذا القول.

واحتجوا أيضاً بحديث واثلة بن الأسقع، قال واثلة ﷺ: قُلْتُ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ ﷺ: "وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِي" قَالَ وَاثِلَةُ ﷺ: إِنَّهَا لَمِنْ أَرْجَى مَا أَرْجُو) لكن قالوا: (تخصيص واثلة بذلك أقرب من تعميم الأمة به، وكأنه ﷺ جعل واثلة في حكم الأهل، تشبيهاً بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقاً)^(٢) قال ابن القيم: والصحيح هو القول الأول، ويليه القول الثاني، وأما الثالث، والرابع، فضعيفان، لأن النبي ﷺ قد رفع الشبهة بقوله: "إن الصدقة لا تحل لآل محمد ﷺ"^(٣) وهناك أقوال أخرى غير ما قاله ابن القيم.

ومن الأدلة على ما سبق

فأما القول الأول: وهو أن الآل من تحرم عليهم الصدقة على ما فيهم من الاختلاف فحجته من وجوه، أحدها: ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالنخل عند صرامه فيجيء هذا بتمر وهذا بتمر حتى يصير عنده كوم من تمر، فجعل

(١) سنن البيهقي: (٢٩٨٧) وهذا في سننه نافع السلمى أبو هريرة بصري كذبه يحيى بن معين وضعفه أحمد بن حنبل وغيره.

(٢) سنن البيهقي الكبرى: ح (٢٩٨٤).

(٣) سنن البيهقي الكبرى: ح (٢٩٨٥).

(٤) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢٢٢.

الحسن والحسين يلعبان بذلك التمر فأخذ أحدهما ثمرة فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه، فقال: "أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة" (١).

الثاني: ما رواه مسلم عن زيد بن أرقم. قال: قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً فبنا بقاء يدعى خمأ بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثم قال: (أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكرهم الله في أهل بيتي، أذكرهم الله في أهل بيتي، أذكرهم الله في أهل بيتي، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته؛ ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم) (٢).

الثالث: قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (إِنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أُرْسِلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَبِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ تَطَلَّبَ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ وَفَدْلِكَ وَمَا بَقِيَ مِنْ حُمْسِ خَيْبَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا نُورُثُ مَا تَرَكَنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، يَعْنِي مَالَ اللَّهِ، لَيْسَ هُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكَلِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَشْهَدَ عَلَيَّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَصِيْلَتَكَ، وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَقَّهُمْ فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أُصَلَ مِنْ قَرَابَتِي) (٣) فمن خصائص آله ﷺ حرمان الصدقة، وأنهم لا يرثونه ﷺ ومنها استحقاقهم

(١) البخاري: ح (١٣٩٠).

(٢) صحيح مسلم: ح (٤٤٢٥) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢٠١٢.

(٣) صحيح البخاري: ح (٣٤٣٥).

خمس الخمس، ومنها اختصاصهم بالصلاة عليهم، وقد ثبت أن تحريم الصدقة واستحقاق خمس الخمس، وعدم توريثهم، مختص ببعض أقاربه، فكذلك الصلاة على آل رسول الله ﷺ^(١).

الرابع: أنه: (اجتمع ربيعة بن الحارث، والعباس بن عبد المطلب، فقالوا: والله لو بعثنا هذين الغلامين، قالا لي وللفضل بن عباس، إلى رسول الله ﷺ فكلماه، فأمرهما على هذه الصدقات، فأديا ما يؤدي الناس، وأصابا مما يصيب الناس، قال: فبينما هما في ذلك جاء علي بن أبي طالب ﷺ فوقف عليهما فذكرا له ذلك، فقال علي بن أبي طالب: لا تفعلوا، فوالله ما هو بفاعل، فانتحاه ربيعة بن الحارث، فقال: والله ما تصنع هذا إلا نفاسة منك علينا، فوالله لقد نلت صهر رسول الله ﷺ فما نفسناه عليك، قال علي: أرسلوهما، فانطلقا واضطجع علي ﷺ قال: فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سبقناه إلى الحجرة، فقمنا عندها حتى جاء ﷺ فأخذ بأذاننا ثم قال: أخرجنا ما تصرران، ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش رضي الله عنها، قال: فتواكلنا الكلام ثم تكلم أحدنا، فقال: يا رسول الله، أنت أبر الناس وأوصل الناس، وقد بلغنا النكاح فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات، فنؤدي إليك كما يؤدي الناس، ونصيب كما يصيبون، قال: فسكت ﷺ طويلاً، حتى أردنا أن نكلمه قال: وجعلت زينب تلمع علينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه، قال: ثم قال ﷺ: إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس، ادعوا لي محمية وكان علي الخمس، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، قال فجاءه، فقال ﷺ لمحمية: أنكح هذا الغلام ابنتك للفضل بن عباس، فأنكحه، وقال ﷺ لنوفل بن الحارث: أنكح هذا الغلام ابنتك، لي، فأنكحني، وقال ﷺ لمحمية: أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا^(٢).

الخامس: ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِكَبْشٍ أَقْرَنٍ يَطَأُ فِي سَوَادٍ وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ فَأُتِيَ بِهِ لِيُصْحِيَ بِهِ فَقَالَ لَهَا: يَا عَائِشَةُ هَلْمِي الْمُدِيَةَ ثُمَّ قَالَ:

(١) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢١٣

(٢) صحيح مسلم: (١٧٨٤) قال: ومحمية بن جزء ﷺ من بني أسد كان النبي ﷺ استعمله على الأخماس.

أَشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ أَخَذَهَا وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضَجَعُهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ؛ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ. ثُمَّ صَحَّحِي بِهِ^(١) فقول النبي ﷺ: "اللهم تقبل من محمد ﷺ وآل محمد ﷺ فيه أزواجه ﷺ ذلك أنه لم يذكر أن أحداً منهن ضححت عن نفسها مع أضحية النبي ﷺ هذه التي هي عنه وعن آل بيته ﷺ من أزواجه وذريته ﷺ.

أدلة من قال بأن ذريته وأزواجه هم آل خاصة

أما أهل البيت في لغة العرب التي جاءت في كتاب الله تعالى، فأول ما يقصد بها الزوجة، ثم من يشتمل عليهم البيت من الأبناء والبنين والأب والأم وغيرهم، ثم يتسع ذلك الانتفاء ليشمل الأقارب بحسب درجات القربى، وقالوا: أهل الرجل هم من يجمعه وإياهم بيت واحد، ثم يمتد ذلك إلى نسبه، قال الفراهيدي: "أهل البيت: سكأنه، وأهل الإسلام: من يدين به"^(٢).

وأهل الرجل امرأته، وتأهل إذا تزوج، فأصبح له أهل، وقيل "آله" أهله وأزواجه، كأنه ذهب إلى أن الرجل تقول له: ألك أهل؟ فيقول لا، وإنما يعنى أنه ليس له زوجة، قال: وهذا معنى يحتمله اللسان، ولكنه معنى كلام لا يُعرف، إلا أن يكون له كلام يدل عليه، كأن يقال: للرجل تزوجت؟ فيقول: ما تأهلت فيعرف بأول الكلام أنه أراد ما تزوجت^(٣).

و(أهل البيت) هم الأزواج، وورد في القرآن الكريم في موضعين وهما يؤكدان ذلك، أحدهما في خطاب الملائكة لزوجة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْعَجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود: ٧٣). وفي قوله تعالى: لَأَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ

(١) صحيح مسلم: ح (٣٦٣٧) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢١٤.

(٢) الفراهيدي: كتاب العين، ٨٩/٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ٣٢/١١.

وَأَتَيْنَكَ الرَّكُوعَ وَأَطَعَنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
 الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿ (الأحزاب: ٣٣) وأصل هذا اللفظ ومعناه الزوجة! كما هو بين
 واضح في قوله تعالى: ﴿ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سِيَدَهَا لَدَا
 الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (يوسف:
 من الآية ٢٥) أي زوجتك.

وفي خطاب القرآن لنبي الله موسى ﷺ وأهله، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ
 بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا
 بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (القصص: من الآية ٢٩) وأهله
 الذين كانوا معه زوجته، وقال ﷺ عن لوط: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
 الْغَابِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٣) واستثنى الله تعالى من أهله امرأته، فأثبتت الآية الكريمة أن المرأة
 من الأهل، وفي قول يوسف لإخوانه، في قوله تعالى: ﴿ وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (يوسف: من
 الآية ٩٣) بين القرآن أن المقصود بذلك أبوه وزوجته، وإخوة يوسف الآخرون، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا
 دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴾ (يوسف: ٩٩).

فمن خصائص أمهات المؤمنين أنهم من أهل البيت ﷺ، وأنهم هنَّ المعنيات أولاً في قوله
 تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب: من الآية
 ٣٣) يوضح ذلك القرائن التي قبلها والتي بعدها، وبما لا يقبل التأويل، ومن خصائصهن التي
 ليست لغيرهن رضي الله عنهن، أتهن أمهات المؤمنين بنص الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ
 أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (الأحزاب: من الآية ٦) وهذا ليس لغيرهن رضي
 الله عنهن، فهل يرضى عاقل أن يطعن بأمته؟! لهذا صرح القرآن الكريم جازماً في من يصر على

الطعن بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بأنه ليس من المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ١٧) فالؤمن يقف عند أوامر الله ونواهيه، وغير المؤمن يكذب قول الله ويتبع أهواءه، وهذا لا يبالي الله تعالى به ولا المؤمنون يباليون به، فهو ساقط في هاوية الطعن بمن برأها وشهد بطهرها القرآن الكريم، فالساقطون بالطعن والغون بجريمة تكذيب وردّ كتاب الله تعالى، وذلك مؤثر ودليل واضح على انتمائهم لجماعة المنافقين وسلوكهم مسالكهم الملتوية المشينة.

ومن الخصائص الأخرى أن أجرهنّ مضاعف، كما أن الوعيد لمن تقع في معصية حاشاهنّ؛ مضاعف أيضاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْتِنْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَّلْ صَالِحًا نُؤْتِهِنَّ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣١) وقال تعالى: ﴿يُنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مَّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٠) وهذا ليس لغير أزواج النبي ﷺ مما يشير إلى عظمة المكان الذي هن فيه.

ومنها أنهن لم يرثن من صدقات النبي ﷺ شيئاً مثلهنّ مثل فاطمة رضي الله عنها ابنة النبي ﷺ ومما يبين مكان أمهات المؤمنين من آل البيت، موقفهن من الميراث، وأنهن لم يأخذن نصيبهنّ منه، ما رواه عروة بن الزبير، قال: سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ تقول: (أرسل أزواج النبي ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه يسألنه ثمنهنّ مما أفاء الله على رسوله ﷺ فكنت أنا أردهنّ، فقلت لهنّ: ألا تتقين الله؟ ألم تعلمن أن النبي ﷺ كان يقول: " لا نورث ما تركنا صدقة - يريد بذلك نفسه - إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال " فانتهى أزواج النبي ﷺ إلى ما أخبرتهنّ، قال: فكانت هذه الصدقة بيد علي رضي الله عنه منعها علي رضي الله عنه عباساً رضي الله عنه فغلبه عليها، ثم كانت بيد حسن بن علي؛ ثم بيد حسين بن علي رضي الله عنه، ثم بيد علي بن حسين، وحسن بن حسن، كلاهما كانا

يتداولونها، ثم بيد زيد بن حسن، وهي صدقة رسول الله ﷺ حقاً^(١) ومنها ما روي أن خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه بعث إلى أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها " ببقرة " فقالت: (إنا آل محمد ﷺ لا نأكل الصدقة)^(٢).

ومن الآداب التي تأدب بها المؤمنون مع بيت النبي ﷺ وأزواجه خاصة، ما جاء في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِ
إِنَّهُ وَلَكِنَّ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ
يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَجِىءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِىءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا
فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا
رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ (

الأحزاب: من الآية ٥٣) هذا فضلاً عن قربهنّ المباشر من رسول الله ﷺ والمعرفة التامة بأحواله وخصوصياته ﷺ وأنهنّ أزواجه في الجنة، وأنّ مرتبة النبي ﷺ بأعلى مكان في الجنان، فحق لمن كانت معه هناك أن تكون لها من الخصوصيات ما ليس لسواها.

أما القول بأن المرأة تكون أهلاً للرجل دهنراً ثم يُطلقها فتعود إلى أهلها، فهذه شبهة باردة، لا تنطبق على أزواج رسول الله ﷺ بل إنّ الحديث بها في هذا الموضع يبعث على الريبة وعلى أنّ صاحبها لا يقيم وزناً لكتاب الله تعالى، فإن وجدت في بعض الروايات فهي لا تذهب إلى ما يذهب إليه أعداء الصحابة بمقاصدهم الفاسدة وأمانيتهم الحاقدة، فلا يتعلق بها إلا المخلطون ومن في قلوبهم مرض من أعداء الصحابة؛ ومن هو على شاكلتهم في الفهم والمعتقد، وهي شبهة مردودة بقوله تعالى: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَنَاتُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ

(١) صحيح البخاري: ح (٣٨٠٩) صحيح مسلم: ك. الجهاد والسير، باب حكم الفيء (١٧٥٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ح (٣٧٦٨٢) كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال: ح (١٧٠٨٧).

حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ (الأحزاب: من الآية ٥٢)
 فحددت هذه الآية الكريمة أزواج النبي ﷺ وأنه لا يحل لرسول الله ﷺ أن يتزوج غيرهن بعد ذلك، ولم يُطلق أحداً منهن وتوفي ﷺ وهو عنهن راض رضي الله عنهن، وحرّم الله تعالى الزواج من أمهات المؤمنين كحرمة الأم على أبنائها، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: من الآية ٥٣).

فعمل أعداء الصحابة على صرف معاني هذه الآية إلى بيت علي ﷺ خاصة، فيه مطعن على رسول الله ﷺ ومحاوله من المغرضين للإيحاء بأن بيت علي أعظم منزلة من بيت رسول الله ﷺ فلا بد من التنبه لذلك، والعلم بأن المقصود بهذه الآية من آل البيت هو أزواجه وذريته خاصة، ثم يشمل آل البيت عموم هذه الآية، فهم الذين أكرموا تبعاً للنبي ﷺ كما أكرم أزواجه تبعاً له ﷺ ثم أكرم المتقون من أمته لاتباعهم سنته ﷺ وتمسكهم بها.

ومن المعلوم أن بيت النبي ﷺ يشمل أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها وجميع أولادها: القاسم وإبراهيم رضي الله عنهما، ومع فاطمة رضي الله عنها؛ رقية وأم كلثوم زوجتا أمير المؤمنين عثمان الأموي ﷺ وزينب الكبرى زوجة أبي العاص بن الربيع الأموي ﷺ، فهل يستطيع بشر أن يخرج أحداً من هذه الأسرة الطاهرة إلا إذا كان زنديقاً يطعن بعرض رسول الله ﷺ! ويقول كاذباً أن بناته من خديجة رضي الله عنها غير فاطمة رضي الله عنها؛ هنّ من غير رسول الله ﷺ وحينها لا يسع المسلم إلا أن يردد قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ١٦) فيبرأ من أعداء الصحابة، ومن يصدقهم، أو يتعاون معهم، أو يهون من أخطارهم، ويبدل وسعه في سبيل تحذير الأمة من شرورهم ومكائدهم، التي ما انفكوا يموهونها منذ اغتيالهم أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ.

فالقول الثاني: أنهم ذريته وأزواجه خاصة، احتج ابن عبد البر له بحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال أبو حميد رضي الله عنه: إنهم قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: " قولوا اللهم صلّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد" ^(١) وفي غيره من الأحاديث اللهم صلّ على محمد؛ وعلى آل محمد، وهذا غايته أن يكون الأول منهما قد فسره اللفظ الآخر، واحتجوا أيضا بما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً" ^(٢).

ومعلوم أنّ هذه الدعوة المستجابة، لم تنل كل بني هاشم ولا بني المطلب، لأنه كان فيهم الأغنياء وأصحاب الجدة، وإلى الآن، وأما أزواجه وذريته فكان رزقهم قوتاً، وما كان يحصل لأزواجه بعده من الأموال كنّ يتصدقن به ويجعلن رزقهن قوتاً، وقد جاء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مال عظيم، فقسمته كله في قعدة واحدة، فقالت لها الجارية لو خبأت لنا درهماً نشترى به لحماً فقالت لها لو ذكرتني فعلت ^(٣) وفي الخبر عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: (فما كانت عائشة رضي الله عنها تستجدُّ ثوباً حتى تُرَقَّعَ ثوبها، وتُنكَّسَهُ، قال: ولقد جاءها يوماً من عند معاوية رضي الله عنه ثمانون ألفاً، فما أمسى عندها درهم، قالت لها جاريتها: فهلا اشتريت لنا منه لحماً بدرهم؟ قالت رضي الله عنها: " لو ذكّرتيني لفعلتُ " ^(٤).

(١) صحيح البخاري: ح (٣١٨٩) و (٥٩٩٩).

(٢) صحيح مسلم: ح (١٧٤٧) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢١٤.

(٣) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢١٦.

(٤) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦ هـ) جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط، مكتبة دار البيان، ح (٢٧٧١).

واحتجوا أيضاً بما في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: " ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثة أيام" (١) حتى لحق بالله عز و جل، قالوا: ومعلوم أنّ العباس وأولاده وبني المطلب، لم يدخلوا في لفظ عائشة ولا مرادها، قال هؤلاء: وإنما دخل الأزواج في الآل وخصوصاً أزواج النبي ﷺ تشبيهاً لذلك بالسبب لأن اتصاهاً بالنبي غير مرتفع وهن محرمات على غيره في حياته وبعد مماته وهن زوجاته في الدنيا والآخرة، فالسبب الذي لهنّ بالنبي ﷺ قائم مقام النسب، وقد نص ﷺ على الصلاة عليهن ولهذا كان القول الصحيح وهو منصوص الإمام أحمد رحمه الله أنّ الصدقة تحرم عليهم، لأنها أوساخ الناس، وقد صان الله سبحانه ذلك الجناب الرفيع وآله من كل أوساخ بني آدم، قال ابن القيم: ويا لله العجب كيف يدخل أزواجه في قوله اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً وقوله في الأضحية: اللهم هذا عن محمد وآل محمد، وفي قول عائشة رضي الله عنها: ما شبع آل رسول الله ﷺ من خبز برّ، وفي قول المصليّ: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ﷺ ولا يدخلنّ في قوله إنّ الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد ﷺ مع كونها من أوساخ الناس! فأزواج رسول الله ﷺ أولى بالصيانة عنها والبعد منها (٢).

قالوا: وقد قال الله تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

(١) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَتَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الْأَصْحَابِيِّ فَوْقَ ثَلَاثِ؟) قَالَتْ: مَا فَعَلَهُ إِلَّا فِي عَامِ جَاعِ النَّاسِ فِيهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُطْعِمَ الْغَنِيِّ الْفَقِيرَ، وَإِنْ كُنَّا لَنَرْفَعُ الْكُرَاعَ فَنَأْكُلُهُ بَعْدَ خَمْسِ عَشْرَةَ، قِيلَ مَا اضْطَرَّكُمْ إِلَيْهِ فَضَحِكْتُ، قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ بَرٍّ مَأْدُومٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ (صحيح البخاري: ح (٥٠٠٣)).

(٢) ابن القيم: جلاء الأفهام، ١/٢١٧.

لِيُذْهَبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا . وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي
يُوتِيكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿ (الأحزاب: ٣٠ - ٣٤)
فدخلن في أهل البيت لأن هذا الخطاب كله في سياق ذكرهن فلا يجوز إخراجهن في شيء منه^(١)
وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾
نزلت في أزواج النبي ﷺ خاصة^(٢).

وأما القول الثالث: وهو أنّ آل النبي ﷺ أمته وأتباعه، إلى يوم القيامة، فاحتجوا له بأن آل
المعظم المتبوع، هم أتباعه على دينه وأمره، قريتهم وبعيدهم، قالوا: واشتقاق هذه اللفظة تدل
عليه، فإنه من آل يؤول، إذا رجع، ومرجع الأتباع، إلى متبوعهم لأنه إمامهم وموتلهم، قالوا:
ولهذا كان قول الله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ (القمر: من الآية ٣٤) المراد به أتباعه
المؤمنون به من أقاربه وغيرهم، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
الْعَذَابِ﴾ (غافر: من الآية ٤٦) والمراد بآل فرعون أتباعه^(٣) في مختار الصحاح: (وآل الرجل أهله
وعياله " وآله " أيضاً أتباعه " والإيالة " السياسة يقال: " آل " الأمير رعيته، من باب قال،
و" إيالاً " أي ساسها وأحسن رعايتها)^(٤).

واحتجوا أيضاً بأن الصحابي واثلة بن الأسقع ﷺ قال: (سألت عن علي ﷺ في منزله فقيل لي:
ذهب يأتي برسول الله ﷺ إذ جاء فدخل رسول الله ﷺ ودخلت فجلس رسول الله ﷺ على
الفراش، وأجلس فاطمة رضي الله عنها عن يمينه، وعلياً ﷺ عن يساره وحسناً وحسيناً رضي الله
عنهما بين يديه وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

(١) ابن القيم: جلاء الأفهام، ١/٢١٩.

(٢) الاستيعاب في بيان الأسباب، ٣/١٠٤. وقال عن رواية سبب النزول: أن سندها حسن.

(٣) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢٢٠.

(٤) الرازي: مختار الصحاح، باب الهمزة، ٣٢.

تَطْهِيراً ﴿ (اللهم هؤلاء أهلي) قال واثلة ؓ: فقلت من ناحية البيت: وأنا يارسول الله من أهلك؟ قال: " وأنت من أهلي " (١) قال واثلة: إنها لمن أرجى ما أرتجي. قالوا: ومعلوم أن واثلة بن الأسقع ؓ من بني ليث بن بكر بن عبد مناة! وإنما هو من أتباع النبي ﷺ، وهذا النص الصحيح يردّ على من يريد أن يحصر آل بيت رسول الله ﷺ في بيت علي ؓ ومن ثم في أولاد الحسين ؓ كما هو مشاهد في كثير من كتابات ومناسبات وأدعية وروايات أعداء الصحابة! الذين يعملون ما في وسعهم على نسف ثوابت الإسلام وصناعة ثوابت جديدة تهدم كلما جاء إلى الأمة عن طريق الصحابة ؓ الذين جاهدوا في سبيل الله لنصرة الدين وحماية العقيدة.

والقول الرابع أن آل الأتقياء من أمته فاحتجوا بها روي عن أنس بن مالك ؓ قال سئل رسول الله ﷺ من آل محمد؟ فقال: " كل تقى " وتلا رسول الله ﷺ: ﴿ إِن أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾ (الأنفال: من الآية ٣٤) (٢) واحتج لهذا القول أيضاً بأن الله عز وجل قال لنوح عن ابنه: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود: من الآية ٤٦) فأخرجه بشره أن يكون من أهله فعلم أن آل الرسول هم أتباعه (٣).

لكن هناك من قال: المراد أن ابنه ليس من أهله الذين ضمن الله نجاتهم، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود: ٤٠) فمن آمن معطوف على المفعول بالحمل وهم الأهل والاثنان من كل زوجين، واحتجوا بحديث واثلة بن الأسقع المتقدم.

قال ابن القيم: والصحيح هو القول الأول، ويليه القول الثاني، وأما الثالث، والرابع، فضعيفان، لأن النبي ﷺ قد رفع الشبهة بقوله إن الصدقة لا تحل لآل محمد ﷺ وقوله إنما يأكل آل

(١) صحيح ابن حبان: ح (٦٩٧٦) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢٢١.

(٢) المعجم الأوسط: ح (٣٣٣٢) البيهقي: شعب الإيمان ح (١٥٩٢).

(٣) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢٢٢.

محمد من هذا المال، وقوله ﷺ: اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً وهذا لا يجوز أن يراد به عموم الأمة قطعاً^(١).

لأن عيشة القوت لم تشمل جميع الأمة وإنما شملت آله وخاصة أزواجه ﷺ الذين كنّ يشاركنه ﷺ عيشه في حياته، وبعد مماته ﷺ فكان عيشهن رضي الله عنهن قوتاً، وكما هو في تخصيص الأزواج والذرية في الصلاة عليه ﷺ لينالهم شرف الصلاة عليهم كأزواج وذرية خاصة ومع آل البيت عامة.

المتقون هم أولياء رسول الله ﷺ

قال ابن القيم: وأما من قال إنهم الأتقياء من أمته فهؤلاء هم أولياؤه، فمن كان منهم من أقربائه، فهو من أوليائه، ومن لم يكن منهم من أقربائه، فهم من أوليائه لا من آله، فقد يكون الرجل من آله وأوليائه، كأهل بيته والمؤمنين به من أقاربه، وقد لا يكون من آله ولا من أوليائه - وهو من أقاربه - وقد يكون من أوليائه؛ وإن لم يكن من آله؛ كخلفائه في أمته، الداعين إلى سنته، الذين عنه الناصرين لدينه ﷺ وإن لم يكن من أقاربه، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال " إن أوليائي المتقون أين كانوا ومن كانوا " والمقصود أن المتقين هم أولياء رسول الله ﷺ وأولياؤه أحب إليه من آله^(٢) أياً كانوا، يؤيد ذلك ويؤكد كثر من الأحاديث النبوية الصحيحة.

قال ﷺ: (إن أهل بيتي هؤلاء يرون أمتهم أولى الناس بي، وإن أولى الناس بي المتقون، من كانوا، وحيث كانوا، اللهم إني لا أحل لهم فساد ما أصلحت، وإيم الله ليكفؤون أمتي عن دينها كما يكفأ الإناء في البطحاء)^(٣) وقال ﷺ: (ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)^(٤).

(١) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢٢٣، ٢٢٨.

(٢) ينظر جلاء الأفهام: ٢٢٧.

(٣) صحيح ابن حبان: ح (٦٤٧) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي، المعجم الكبير: ح (٢٤٢). وفي ظلال الجنة ح

(٢١٢) و (١٠١١) قال عنها الألباني: صحيحان، وكلاهما عن معاذ بن جبل ؓ.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (قام رسول الله ﷺ حين أنزل تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾) (الشعراء: ٢١٤) فقال ﷺ: (يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشترُوا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً! يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمّة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي؛ لا أغني عنك من الله شيئاً)^(١) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ رضي الله عنه راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال ﷺ: (يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري فبكى معاذ خشعاً لفراق رسول الله ﷺ ثم التفت، فأقبل ﷺ بوجهه نحو المدينة، فقال إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا)^(٢) وقال ﷺ: (إن أوليائي يوم القيامة المتقون، وإن كان نسب أقرب من نسب، لا يأتي الناس بالأعمال، وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم، فتقولون: يا محمد! فأقول: هكذا أو أعرض في عطفه)^(٣).

فالموقف من هذه النصوص الصحيحة، فيه الكثير من العبر والدروس، منها إذا كان النبي ﷺ يخاطب أهله بهذه الصراحة وهذا الوضوح، منذراً ومحذراً لذريته وأعمامه وأقاربه وعشيرته، فكيف بمن لا نسب له مع رسول الله ﷺ ولا قرابة، فلا شك أن الإنذار له سيكون أشد تأكيداً وأكثر وضوحاً، ومن جانب آخر فإن الأمر فيه من السعة التي تبين عدل الإسلام، وكرم الحق ﷺ على عباده المؤمنين، بأن الباب مفتوح للمتنافسين في خدمة دينهم ونصرة نبيهم ﷺ، وأن أقربهم إلى رسول الله ﷺ هم المتقون ومن يقوم بأعمال التقوى التي توصله إلى رضاء الله تعالى

(١) سنن أبي داود: ح (٣٦٤٣) قال الألباني: صحيح، سنن الترمذي: ح (٢٩٤٥) قال الألباني: صحيح.

(٢) صحيح البخاري: ح (٢٦٠٢) سنن النسائي: ح (٣٦٤٦) قال الألباني: صحيح.

(٣) مسند أحمد: ح (٢٢١٠٥). تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٤) الألباني: ظلال الجنة في تحريج السنة لابن أبي عاصم، حسن.

ورضا رسوله ﷺ، ولعل موقف النبي من زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيه ما يوضح معنى الولاية والقرب من رسول الله ﷺ.

سئل النبي ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال عائشة رضي الله عنها. وذلك أنه بعث عمرو بن العاص ﷺ على جيش ذات السلاسل: قال ﷺ: فأتيت النبي ﷺ فقلت: (أي الناس أحب إليك؟ قال: (عائشة) رضي الله عنها، قلت: من الرجال؟ قال ﷺ: (أبوها) قلت: ثم من؟ قال ﷺ: "عمر" فعده رجلاً، فسكتت مخافة أن يجعلني في آخرهم) (١) وذلك أن المتقين هم أولياء الله كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: ٦٢) وأولياء الله سبحانه وتعالى هم أولياء لرسوله ﷺ. قال ﷺ: (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) (٢) ومن هذه الآية الكريمة وهذا النص الصحيح، يتضح أن من يعادي أصحاب رسول الله ﷺ أو أحداً منهم إنما هو في حرب مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ ذلك أن الصحابة ﷺ هم سادة الأولياء، فهم الذين جاهدوا وأنفقوا وعلموا وصبروا واحتسبوا لله تعالى ولنصرة نبيه ﷺ، فمن يوالي أعداء الصحابة أو يدعوا إلى التقارب معهم، وهم على باطلهم وبغضهم لأمة الكتاب والسنة، فإنما ذلك الولاء والتقارب مظاهره ومناصرة لمن يجارب الله ورسوله ﷺ ويا لها من هاوية لا ينجي منها سوى التوبة إلى الله تعالى والبراءة من كل من يخاصم أحداً من أصحاب محمد ﷺ.

حديث الكساء

وحديث الكساء الذي أسبغ فيه النبي ﷺ المكانية العلية على فاطمة وعلي وذريتهما ﷺ روته أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها، وذلك لمحبتها لفاطمة وعلي ولأبنائهما ﷺ وبما يكذب

(١) صحيح البخاري: ح (٤١٠٠) صحيح مسلم: ح (٢٣٨٤). سنن ابن ماجه: ح (٢٢٥) وقال: أي من آخره تفرطه بالعمل الصالح في الدنيا، لم ينفعه في الآخرة شرف النسب. وقال الألباني: صحيح. مسند أحمد: ح (٧٤٢١) قال شعيب على شرط الشيخين.

(٢) صحيح البخاري: ح (٦٠٢١).

أباطيل أعداء الصحابة الذين يصورون تعامل الصحابة كما هو في عقولهم الموبوءة بالضغائن والغش والتحاسد، فيشيعون عنهم المكايده والخلاف فيما بينهم، وبها يخالف أخلاقهم وأخوتهم ومحاسن أخلاقهم، لكن النصوص ترد على أباطيل أعداء الصحابة ومن يتستر عليهم من المخذولين والمهزومين، وتفصح نواياهم الفاسدة، وتسويغاتهم الباردة، قال جُمَيْعُ بْنُ عُمَيْرِ التَّمِيمِيِّ: (دَخَلْتُ مَعَ عَمَّتِي عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَسُئِلَتْ: أَيُّ النَّاسِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: فَاطِمَةُ؛ فَقِيلَ مِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَتْ: زَوْجُهَا إِنْ كَانَ مَا عَلِمْتُ صَوَامًا قَوَامًا)^(١).

فهذا حال الطاهرة العادلة العالمة في من يحبهم النبي ﷺ فحين سئلت عبرت عما في ضميرها من سمو وأمانة، فأكدت أنها تحب ما يحبه النبي ﷺ وتبرأ مما يبرأ منه النبي ﷺ وما ذلك إلا لشدة حبها لرسول الله ﷺ فبينت عن رأيها بكل صدق وأمانة، كيف لا وهي العالمة بقوله ﷺ: " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ " ^(٢).

وحين سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال ﷺ: (عائشة) ^(٣) دون أي تردد يتيح مجالاً للمخذولين للتشويش والتشكيك بمكانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولهذا فإن كل من يتعرض لها رضي الله عنها إنما هو مفضوح مقبوح، خارج أمة النبي ﷺ ذلك أنه يكذب رسول الله ﷺ ويرد قوله الصحيح، ويبغض ما يجب! ويكذب القرآن الذي حذر من يطعن بها في قوله

(١) المستدرک: ح (٤٧٤٤) وقال صحيح الإسناد، لكن الذهبي حذفه في التلخيص لضعفه. سنن الترمذي: ح (٣٠٨٠٩) قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب قال: وأبو الجحاف اسمه داود بن أبي عوف ويروى عن سفيان الثوري حدثنا أبو الجحاف وكان مرضيا. المعجم الكبير: ح (١٠٠٨) (قالت: فاطمة) وليس فيه ذكر لعلي ﷺ. جامع الأصول: ح (٦٦٧١).

(٢) السيوطي: الجامع الكبير، ح (١٤٣٠) البغوي: شرح السنة، ١/ ٣٥. الأربعين النووية: (٢١) وقال النووي: هذا حديث صحيح روينا في كتاب الحججة بإسناد صحيح، قال الألباني: في ظلال الجنة ح (١٥) ضعيف ورجاله ثقات غير نعيم بن حماد.

(٣) صحيح البخاري: ح (٣٣٨٩).

تعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ١٧) فمن يطعن بأم المؤمنين عائشة ليس من المؤمنين بنص الكتاب!.

ولما كان أعداء الصحابة يدينون بالطعن بها رضي الله عنها كان نصيبهم الخذلان والولوغ في تزييف الشرع الذي جاء به النبي ﷺ في مثل ما يدينون به من استباحة المتعة التي أفقدتهم روح الزواج الشرعي وخلطت حابلهم بنابلهم، وأفسدت عليهم ما في الصلوات الزوجية من الوفاء والثقة، مثلما حرمتهم طهر العلاقة الزوجية ونقاءها القائم على الرحمة والمودة، وذلك الخذلان الذي جلبوه على أنفسهم بسبب إصرارهم على حرب الصالحين من أصحاب رسول الله ﷺ وحرب الكتاب والسنة، ولما تستروا بحب آل البيت وأنهم ينتصرون لهم ضد أمهم عائشة رضي الله عنها، كذبتهم السنة الصحيحة وتبين أن آل البيت الأزواج والذرية والآل جميعاً، يجب بعضهم بعضاً ويفخر بعضهم بنشر فضائل البعض الآخر، كما كانت عائشة رضي الله عنها تنشر فضائل علي وفاطمة وأولادهما ﷺ حباً لهم واعتزازاً بهم، وبما يسقط كل دعاوى الموتورين الحاقدين من أعداء الصحابة وآل البيت ﷺ: قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله ﷺ، ثم جاء الحسين ﷺ فدخل معه، ثم جاءت فاطمة رضي الله عنها، فأدخلها ثم جاء علي ﷺ فأدخله، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب: من الآية ٣٣)^(١).

وقوله: " مرط مرحل " المرط كساء، جمعه مروط، والمرحل هو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل، و" الرجس " قيل هو الشك وقيل العذاب، وقيل الإثم، قال الأزهري: الرجس اسم لكل مستقذر من عمل^(٢) فتبين أن أهم الأحاديث التي ترفع شأن أسرة علي ﷺ إنما روته أم

(١) صحيح مسلم: فضائل أهل البيت، (٢٤٢٤).

(٢) صحيح مسلم: شرح الحديث: (٢٤٢٤).

المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وعلى لسانها أخذت تتناقل تلك الفضيلة أجيال الأمة حتى جاء من يزعم حبّ بعض آل البيت ويبغض البعض الآخر في دعاوى يسقط بعضها بعضاً ويزري الحديث عنها بأهله، ويسقط مصداقيتهم ويبين عوارهم لكل عاقل بصير، ومما يسقط شبهاث المخالفين حول تخصيص حديث الكساء بأسرة علي عليه السلام فضلاً عما سبق من أنّ النص القرآني في آية التطهير إنما خاطب أزواج النبي صلى الله عليه وآله وأنّ النبي صلى الله عليه وآله ألحق أهل الكساء بالآية الكريمة حين دعا لهم بذلك صلى الله عليه وآله.

موقف أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله: (حين جاء نعي الحسين بن علي رضي الله عنهما، لعنت أهل العراق! فقالت: قتلوه قتلهم الله، غرّوه، وذلّوه، لعنهم الله، فإنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله جاءته فاطمة غدية برمة، قد صنعت له فيها عصيدة، تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يديه، فقال صلى الله عليه وآله لها: أين ابن عمك؟ قالت: هو في البيت، قال صلى الله عليه وآله: فاذهبي فادعيه وائتني بابنيه، قالت: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في أثرهما حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فأجلسها في حجره وجلس علي عن يمينه، وجلست فاطمة عن يساره، قالت أم سلمة: فاجتنب من تحتي كساء خبيرياً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة، فلفه النبي صلى الله عليه وآله عليهم جميعاً، فأخذ بشاله طرفي الكساء، وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، قال: اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قلت: يا رسول الله أأنت من أهلك؟ قال صلى الله عليه وآله: بلى فادخلي في الكساء، قالت: فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمّه علي وابنيه وابنته فاطمة رضي الله عنهم) ^(١) وفي صحيح الترمذي أنها لم تدخل الكساء كما سيتضح بعد قليل.

(١) مسند أحمد: (٢٦٥٩٢) (٢٦٥٥٠) (٢٥٣٣٩) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وهناك خلاف حول وفاة أم سلمة رضي الله عنها فقد ذكر ابن عبد البر أنها توفيت عام تسع وخمسين، الاستيعاب: ٩٢٢، في حين ذكر ابن حجر أن هذا غير صحيح، وأن وفاتها رضي الله عنها كانت عام واحد وستين، الإصابة: ٣٤٤ / ٨، معتمداً في ذلك على حديث صحيح بأنّ هناك من جاء يسألها عن جيش تخسف به الأرض...

ولعل اللافت الأول في هذا النص: ما قالته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها حين بلغها مقتل الحسين ﷺ على أيدي أهل الكوفة الغادرين، الذين غرروا به ﷺ وعاهدوه على النصرة والطاعة! حتى إذا خرج إليهم خذلوه ﷺ! ثم خرجوا مع من خرج عليه فأسهموا في قتله ﷺ! في معركة غير متكافئة، لكنهم بمكرهم وكيدهم للأمة بعد أن قتلوا الحسين ﷺ جعلوا من دمه الطاهر ورقة وسلعة يزاودون بها على أمة الحسين المكلومة بمصابه، أمة الكتاب والسنة، وكما هو شأنهم في هذا العصر، حيث يختطفون بعض قضايا الأمة المصرية، ببعض الوسائل الرخيصة، مثل اختراق عقليات أو جيوب بعض القيادات التي لا تمتلك ثوابت العقيدة، أو بالخطابات التي تقوم على عكس ما تفعل، وأحياناً تكون مقرونة ببعض الفتات، أو المواقف التي تستهوي وتستغوي من لا يبالي إن كان يسير على منهج عمر الفاروق ﷺ أو على منهج أبي لؤلؤة المجوسي، من أمثال زعمهم بمعادة المعتدين على بلاد المسلمين، بإعلام وخطابات ومنشورات أعداء الصحابة مستنفرة ضد هؤلاء، حتى إذا سمعهم من لا خبرة له بوسائلهم الباطنية، ظن أن ما يقولونه لا يبعد عن الحقيقة، وربما قاس ذلك على إعلام وخطابات بعض المحسوبين على أمة السنة، فيجد البون شاسعاً، بإعلام أعداء الصحابة يتحدى ويعلن بالويل والثبور للمعتدين، لكن كل ذلك جعجة لا يرى لها المتابع طحناً! بل كلما ارتفعت خطاباتهم على العلن؛ تكون دليلاً على توافق أحوالهم ومخططاتهم في السر، ضد أمة الكتاب والسنة، وهذا مشاهد ومعلن لكل متابع حصيف، لا ينكره إلا من طمس الجهل أو الهوى على بصيرته، أو أسقط موازين العقيدة الصحيحة من حساباته!.

الأمر الثاني: لعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها لأهل العراق أي أهل الكوفة! أولئك الذين غدروا بالحسين ﷺ ليدلوه فيدلوا به الأمة! ودعاؤها عليهم بالقتل، فلا غرابة أن تجمع

وذلك في أيام ابن الزبير، وأيام ابن الزبير رضي الله عنها كانت في عهد يزيد وما بعده، صحيح مسلم: ح (٥١٣١). قال أبو عيسى الترمذي: والرواية التي فيها دخول أم سلمة الكساء أصح سنداً، وفي صحيح الترمذي: أن النبي ﷺ قال لها: "أنت على مكانك وأنت على خير" ح (٢٩٧٩) صحيح.

عليهم في دعائها اللعن والقتل لعظيم جريمتهم وكبير إثمهم، ولا غرابة في ذلك الموقف الصارم من أم المؤمنين رضي الله عنها، وهي بقية أهل رسول الله ﷺ وخاصته؛ الحكيمة العاقلة رضي الله عنها، لما للحسين ﷺ من مكانة في قلب رسول الله ﷺ وقلوب أمهاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وأمتة أمة الكتاب والسنة، ولكن الغرابة في أن ترى القتلة الذين يُحرفون الكتاب ويحاربون السنة هم الذين يزعمون البكاء على الحسين ﷺ وعامة أمة السنة مغرورة بما يرون ويسمعون، ولمدة قرون متوالية، ولعل هذا من أغرب ما حصل في تاريخ البشرية على الإطلاق!.

الأمر الثالث: أن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها لم تدع على يزيد ولم تذكره بسوء لعلها بالمجرمين الحقيقيين! وهذا دليل على حصافتها، ودقة تشخيصها للحدث الجلل، وتيه وخطأ من يلعن غير ما لعنت أم المؤمنين رضي الله عنها، يؤكد ذلك ويوضحه مواقف أئمة آل البيت ﷺ في عصرها، عبد الله بن العباس، ومحمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، وعلي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين وهو الذي شهد المصاب بعينيه، حين كان مع أبيه في كربلاء، لكنه كان مريضاً فلم يتعرض له أحد^(١) فكان الشاهد الصادق لما حصل في موقعة كربلاء، ولينظر الناظر الأمين وليدقق فإنه لن يجد لهؤلاء الأئمة رواية صحيحة تُحمل يزيد أوزار ما حصل في كربلاء، فضلاً عن إعلان يزيد براءته من كل ما حصل هناك! وكذلك عدم مشاركة هؤلاء السادة ومن يسمع لهم في أي عمل عسكري ضد يزيد لا لأنهم يرون أن يزيد هو الأولى بالخلافة، ولكن لعلمهم بما تتعرض له الأمة من مكر وكيد على أيدي أقوام سخرُوا كل طاقاتهم وأوقاتهم للنيل من هذه الأمة!^(٢) هذا فضلاً عن موقف أخوات الحسين وبناته اللواتي شهدن المصاب وخطبن في أهل الكوفة ما يؤكد تحملهم كامل مسؤولية مصاب الحسين رضي الله عنه وعنهم أجمعين^(٣) يضاف إلى هؤلاء الأكارم موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، الموافق لموقف

(١) ينظر الخليفة: ريجانة النبي ﷺ الحسين بن علي رضي الله عنها، ٩٩.

(٢) ينظر ريجانة النبي ﷺ الحسين بن علي رضي الله عنها، ٩٣ فما بعدها.

(٣) ريجانة النبي ﷺ الحسين بن علي رضي الله عنها، ٩٧ فما بعدها.

أئمة آل البيت في عصره، والذي لم يخرج منه ما يدين به يزيد في مقتل الحسين ﷺ وهو الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، وأيضاً براءته من كل من يخرج على يزيد من أولاده ومواليه وغيرهم^(١). ولم يكن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يفعل ذلك لأنه يرى يزيد أولى بالخلافة؛ لا، فالأولى من يزيد ومن الحسين ﷺ ابن عمر ذاته ﷺ لو كان أمر الخلافة على السابقة والفضل، ولكن لمعرفة ابن عمر رضي الله عنهما كما هي معرفة أئمة آل البيت المذكورين وعبد الله بن الزبير وغيرهم من الصحابة ﷺ بما تُكاد به السنّة وأهلها على أيدي من مكر بالحسين ﷺ حين كتبوا إليه؛ فأوقعوه فيما حصل له ثم تخلّوا عنه! ولكن الغوغاء المغرر بها المحسوبة على أمة السنّة، ترى القتل يسيرون في جنازة الحسين ﷺ في كل عام مرات ومرات، فتسير معهم فتسهم في براءتهم وفي تضليل عوام أمة الكتاب والسنّة وهذا مصاب آخر أصيبت به الأمة غير مصابها بالحسين ﷺ!!

وبعد كل هذا فهل يستغرب حضيف من أي فعل أقيم يقوم به أعداء الصحابة؟! وكيف يستغرب طعنهم في أعراض الصحابة وفي الكتاب والسنّة وهم الذين فعلوا بمكرهم وكيدهم ما فعلوه بالحسين ﷺ؟! فمن يجترئ على الدم فهو على الأعراض أجراً، لا يحجزه آيات الكتاب ولا السنة النبوية، فأعداء الصحابة لم يكفهم الطعن بأمة المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وتكذيب خطاب الله تعالى لأزواج النبي ﷺ بل إنهم يطعنون بينات النبي ﷺ الأخريات، أم كلثوم زوجة عثمان الأموي ﷺ، وزينب زوجة أبي العاص بن الربيع الأموي ﷺ صهري رسول الله ﷺ على بناته رضي الله عنهنّ، فلشدة بغضهم لبني أمية ومنهم الكريمين اللذين أثنى عليهما رسول الله ﷺ

(١) عن نافع قال: لما خلع الناس يزيد بن معاوية رضي الله عن معاوية أيام الحرة، جمع ابن عمر رضي الله عنهما بنيه وأهله، ثم تشهد ثم قال: (أما بعد فإننا قد باعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ﷺ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان وإن من أعظم الغدر، أن لا يكون الإشراف بالله تعالى، أن يبائع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ﷺ ثم ينكث بيعته، فلا يخلعن أحد منكم يزيد، ولا يشرفن أحد منكم في هذا الأمر، فيكون صيلم بيني وبينه) مسند أحمد: ح (٥٠٨٨) تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط الشيخين. وقوله: صيلم: أي قطعة منكرة بيني وبينه وأصل الصيلم الداهية.

عثمان وأبي العاص رضي الله عنهما، طعنا بعرض رسول الله ﷺ وزعما كاذبين أن بنات النبي ﷺ من خديجة سوى فاطمة، إنما هن من غير النبي ﷺ^(١) وهذا منتهى التطاول على النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، والنيل منهم.

وحديث الكساء وغيره من النصوص التي تشير إلى فضائل آل علي ﷺ وتبين مكانتهم وقربهم من النبي ﷺ ومحبه لهم وحرصه عليهم، لكن جميع هذه النصوص لا يوجد فيها ما يدعو إلى أن آل البيت ﷺ هم وحدهم آل علي ﷺ كما يفسر ذلك أعداء الصحابة متعمدين في كتاباتهم وخطاباتهم، ولكن مثلما هذا النص يبين ما لآل علي ﷺ من مكانة في صميم آل البيت ﷺ، فهناك نصوص أخرى؛ تثبت أن غيرهم أيضاً من أهل بيته ﷺ وخاصته ومن آله المقربين وليس هناك تناقض، فليس في النص السابق ما يفيد أن آل علي ﷺ هم أهله فقط، ومن قال بالتحديد اعتماداً على هذا النص دون سواه، لا يأتي بالمراد الصحيح! كمن يقتصر على قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ من غير إكمال قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (الماعون: ٥) أو كمن يقرأ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾ ولا يتم المعنى المراد من الآية إلا بتام قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (النساء: من الآية ٤٣).

فمن قرأ الآية ولم يصلها بما بعدها، أو لم يتم المعنى، فإن المعنى ينعكس عن المراد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٧) وبمثل هذا البتر للنصوص والافتقار للمعاني؛ يتعامل أعداء الصحابة مع الموروث الإسلامي، للتلبيس على عوام الناس، ولحرفهم عن المنهج الصحيح الذي سار عليه أصحاب النبي ﷺ مما يؤدي إلى إشكالات والتباس في المفاهيم!.

(١) ينظر عثمان الخميس: وقفات مع كتاب المراجعات، ٣٩.

وإذا كان آل علي ﷺ هم المعنيون المخاطبون بآية التطهير التي خوطب بها أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فلماذا يجمعهم النبي ﷺ ويضع عليهم الكساء؟ ثم يدعو الله تعالى قائلاً: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) فلو كان الأمر كما يقولون لكان النص القرآني يؤدي مراد رسول الله ﷺ وإنما أراد النبي ﷺ أن يتحقق لهم ما خاطب الله تعالى به أزواجه^(١) فأدخلهم في هذا الشرف العظيم ومنحهم ﷺ هذا الوسام الكريم، فالنبي ﷺ كان يطلب من مولاه تعالى ما يوجب طهارة آل بيته ويذهب الرجس عنهم، لا أنهم من أهل العصمة، فالآية فيها الأمر لهم بالعمل بما يوجب طهارتهم وذهاب الرجس عنهم.

خلاصة الموقف من آية التطهير وحديث الكساء: أن أزواج النبي ﷺ هنّ المخاطبات بنص آية ا تطهير، يوضح ذلك نص الآية الصريح، ثم ردّ النبي ﷺ على أم سلمة حين طلبت الدخول مع أهل الكساء، فقال لها ﷺ: (أنتِ على مكانكِ وأنتِ على خير)^(٢) والمعنى والله أعلم؛ أي أنت ممن شملتهم الآية، ودعاء النبي ﷺ شمل أهل الكساء بمقاصد هذه الآية ولولا دعاؤه ﷺ لما تأكدت مكانة أهل الكساء ﷺ وهذا يعني أن أصحاب الكساء لو كانوا مشمولين من الأساس بحكم الآية لما دعا لهم النبي ﷺ ومن قال إنّ أهل البيت هم أهل الكساء، فهذا ارتقى مرتقياً صعباً بلا هادي ولا دليل، بل هذا قول يترتب عليه نفس معنى أهل البيت، والقول بأنهم آل علي ﷺ وليس آل محمد ﷺ وهذا كلام باطل وخطير، ورد لصريح القرآن، وتكذيب للآيات البينات من (٢٨-٣٤) في سورة الأحزاب!.

أما القول بأنّ أهل الكساء ﷺ معصومون كما يروّج ذلك أعداء الصحابة، الذين جعلوا من قضية العصمة المزعومة عقيدة بنوا على أساسها الفتاوى التي تبيح أموال المسلمين ودماءهم، وجواز أو وجوب مقاتلتهم والخروج عليهم! في مثل فتوى ابن بابويه القمي التي تكفر من لا يقول بعصمة أهل الكساء، قال: (من نفى العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم! ومن

(١) ينظر دمشقية: أحاديث يحتج بها الشيعة، ١/٤١٧.

(٢) صحيح سنن الترمذي: ح (٢٥٦٢) صحيح.

جهلهم فهو كافر!)^(١) وهذا قول فاسد وفتوى بلا دليل، فإذا كان معنى آية التطهير عصمة أهل الكساء ﷺ وهم لا ذكر لهم فيها، كما هو في ظاهر الآية وما قبلها وما بعدها، فكيف لا يكون نساء النبي ﷺ معصومات؟! وهن اللواتي تخاطبهن الآية وهدهن رضي الله عنهن؟ وكما هو في ما قبلها وما بعدها، وهذا يفرض على أعداء الصحابة: إما أن يقولوا بعصمة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن؛ وعصمة بنات النبي ﷺ الأخريات ولا سيما زوجتي الشهيد ﷺ عثمان الأموي رقية وأم كلثوم؛ وأختهن زينب الكبرى رضي الله عنها زوجة أبي العاص بن الربيع الأموي ﷺ وكذلك أولاد الحسن بن علي ﷺ فلماذا لا تشملهم العصمة كما شملت أولاد الحسين بزعمهم؟! أو أن يبحثوا عن دليل في مصحف آخر يُثبت ما يزعمون، أما في المصحف الذي فيه آية التطهير فلا حظ لدعواهم هذه فيه مطلقاً! فهي دعوة باطلة مردودة لا دليل عليها في هذا المصحف الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢).

ثم ما دام أهل الكساء ﷺ معصومين، فما حاجتهم إلى الدعاء بإذهاب الرجس والتطهير وهم لا يذنبون؟! وإذا كانت الآية جاءت بذلك فما حاجة أهل الكساء ﷺ إلى الدعاء أيضاً؟ وإذا كانت الآية كما هي فصيحة صريحة في أزواج النبي ﷺ خاصة؟ فعل أعداء الصحابة أن يكفوا ألسنتهم وأفلامهم وفصائلتهم وأبواقهم عن أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه، وليشتغلوا بعقيدتهم التي جاء فيها عصمة أئمتهم، وليدعوا عقيدة أمة الكتاب والسنة التي لا تقول بعصمة أحد سوى رسول الله ﷺ.

وإذا كان أهل الكساء لا ذكر لهم في آية التطهير كما هو في ظاهر الآية؛ فإنه من المناسب أن يدعو النبي ﷺ لبضعته وريحانتيه وصهره ﷺ وأن يشملهم المولى بفصائل هذه الآية، ليزدادوا طهراً على طهر، وشرفاً على شرف، وهذا هو الذي حصل، أي أن النبي ﷺ ألحق أهل الكساء ﷺ بخصائص هذه الآية محبة لهم وكرماً من رسول الله ﷺ.

(١) ابن بابويه القمي: اعتقادات الصدوق، ١٠٨.

وكلام أعداء الصحابة والمقرّبين إليهم؛ والراء في (المقرّبين) تقرأ بالكسر- أولاً ثم بالفتح، لا قيمة شرعية ولا علمية له وإنما هو إذاعات يبثونها للتشكيك والتشويش لا حباً بأهل الكساء ﷺ ولكن بغضاً بأزواج النبي المكرمات ﷺ.

أما دندنة أعداء الصحابة حول مقاصدهم الفاسدة التي تعبر عما في نفوسهم تماماً، في قوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٠) فلم تأت واحدة منهنّ بفاحشة والحمد لله تعالى، وهنّ النقيات الطيبات؛ زوجات الطيب المبارك ﷺ وهذا الخطاب زيادة في التوجيه، للمحافظة على المكانة السامية التي تبوأها بعد أن أصبحن أمهات للمؤمنين، ولهذا الخطاب أمثلة في القرآن الكريم مثل قوله ﷺ للنبي ﷺ وهو سيد الأتقياء وإمامهم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الأحزاب: ١) فالنبي ﷺ لم يطع الكافرين والمنافقين، وأزواجه رضي الله عنهنّ لم يخضعن بالقول، ولم يتبرجن تبرج الجاهلية، بل أقمن الصلاة وآتين الزكاة، واتقين الله وأطعنه ﷺ واخترن الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة، ولقد كان اختيارهنّ الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة على الدنيا وزيتها، صادقاً حقيقياً مقبولاً عند الله تعالى، الذي ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (غافر: ١٩).

وكانت علامة القبول هي المكافأة لهنّ بأن لا يتزوج عليهنّ النبي ﷺ مع حرمة طلاق أي منهنّ ليتزوج غيرها، كما جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ (الأحزاب: ٥٢) فقوله تعالى: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) فيه تحريم زواج النبي ﷺ عليهنّ، وقوله ﷺ: (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) فيه تحريم الطلاق لأي منهنّ! وليبوء المبعوضون بسوات الدنيا والآخرة.

وهذا الحال من البيان والقبول من الله تعالى، وما كان عليه بيت النبي ﷺ من الطهر والعفاف والرحمة والمودة بين النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين، هو الذي زاد في أحقاد أعداء الصحابة على أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، ذلك أن مبغضيهن لم يطيعوا ولم يسمعوا الله ولرسوله ﷺ كما أمر الله تعالى في كتابه وسنة نبيه ﷺ، مما قادهم إلى الانغماس في حمأة البهتان والإفك والتحريف والتحويل والتزييف؛ لكل ما يقيم عليهم الحجة ويكشف عن مراميهم الخبيثة التي يأملون من ورائها، وفي تشهيرهم بأمهات المؤمنين والصحابة المكرمين ﷺ أن يصرفوا الناس عن محبة النبي ﷺ والثقة به وعن طاعته ﷺ ما دام لم ينجح - حاشاه ﷺ - في تربية الأزواج والأصحاب كما يزعمون ذلك مفترين. وهذا المقصد الخطير، يؤكد أن كل من يعادي الصحابة ﷺ وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن؛ إنما هو حرب على رسول الله ﷺ وعلى دينه وأمته؛ فلا بد من الحذر منه، والتحذير من مخططاته وجميع نشاطاته، لأنها لن تكون موجهة إلا ضد أمة الكتاب والسنة! مهما تلبس أعداء الصحابة بالوسائل والأسباب والمسوغات الأخرى التي لا تزيد عن التمويه والتشويه. ﴿ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (لأنفال: من الآية ٣٠).

ثانياً: أ- حديث العترة

معنى العترة اللغوية: الفرق بين العترة والآل: أن قولهم: "عترة فلان أي منصبه" وقال بعضهم: "العترة أصل الشجرة الباقي بعد قطعها، قالوا: فعترة الرجل أصله" وقالوا: "عترة الرجل أهله وبنو أعمامه الأذنون" واحتجوا بقول أبي بكر الصديق ﷺ عن عترة رسول الله ﷺ يعني قريشاً، فهي مفارقة للآل على كل قول، لأن الآل هم الأهل والأتباع، والعترة هم الأصل في قول، والأهل وبنو الأعمام في قول آخر^(١) وفي الزاهر في معاني اللغة قوله: "والعترة شجرة بتهامه ونجد كثيرة اللبن"^(٢).

(١) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية (١٤٠٤).

(٢) الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ٩٦/٢.

وعِترَةَ الرجل ذريته وعشيرته الأذُنُون، مَنْ مَضَى مِنْهُمْ، وَمَنْ عَبَّرَ، وَيُدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه: " نَحْنُ عِترَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا، وَبَيَّضَتْهُ الَّتِي تَفَقَّاتُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا جِيئَتْ الْعَرَبُ عِنَّا كَمَا جِيئَتْ الرَّحَا عَنْ قُطْبِهَا " وَلَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ لِيَدَّعِي بِحَضْرَةِ الْقَوْمِ جَمِيعًا مَا لَا يَعْرِفُونَهُ^(١) وَذَلِكَ حِينَ قَالَ لِلْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ، وَقَوْلُهُ: " إِنَّمَا جِيئَتْ الْعَرَبُ عِنَّا كَمَا جِيئَتْ الرَّحَا عَنْ قُطْبِهَا " أَيِ خُرِقَتْ الْعَرَبُ عِنَّا فَكُنَّا وَسَطًا وَكَانَتْ الْعَرَبُ حَوَالَيْنَا كَالرَّحَا وَقُطْبِهَا الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ " ^(٢).

وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَوْضَحَ لِأُمَّتِهِ الطَّرِيقَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَسِيرَ عَلَيْهِ بِشَكْلِ وَاضِحٍ جَلِيٍّ، فِي قَوْلِ بَيْنِ فَصَلٍ لَا لِبَسٍ فِيهِ وَلَا غَمُوضٍ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لِيُنْهَارَهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادًا) ^(٣)

ثُمَّ أَوْصَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلِ بِهِ، ذَلِكَ أَنَّهُ حَبِلَ النِّجَاةَ مِنْ مَصَايِدِ الشَّيْطَانِ وَغُرُورِ الدُّنْيَا، وَأَوْصَى صلى الله عليه وسلم بِرِعَايَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ هُمْ أَزْوَاجُهُ وَذُرِّيَّتُهُ، وَمَنْ حَرَمَتْ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي حُجَّتِهِ، يَوْمَ عَرَفَةَ، وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقِصْوَاءِ، يُخْطَبُ، فَسَمِعْتُهُ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مِنْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ، وَعَتْرَتِي: أَهْلَ بَيْتِي) ^(٤) وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَأَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ) ^(٥) وَيَتَضَحُّ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ): أدب الكتاب، ٨/١.

(٢) أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٨٣٢/١.

(٣) صحيح ابن ماجه: (٤١) ظلال الجنة في تخريج السنة: ح (٣٣) مسند أحمد: (١٧١٤٢).

(٤) صحيح الترمذي: (٢٩٧٨) صحيح المشكاة، (٦١٤٣) الصحيحة، (١٧٦١) صحيح الجامع (٧٨٧٧).

(٥) المستدرک: (٤٧١١) صحيح على شرط الشيخين، تعليق الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

التقلين في قوله ﷺ: (إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)^(١).

فمعنى هذه النصوص ومدارها على ما في صحيح مسلم من التأكيد على العمل بكتاب الله وسنة النبي ﷺ والتمسك بهما، والوصية برعاية أهله ﷺ حيث أنّ الخلافة ستكون في غيرهم، ولو كانت الإمامة فيهم كما يزعم المخالفون لأوصى النبي ﷺ آل بيته بأتمته.

فهذه أحاديث أوصى فيها رسول الله ﷺ بالتمسك بكتاب الله ووجوب العمل به؛ كما هو واضح في صحيح مسلم وغيره، وتبين أنّ آل النبي ﷺ هم من استمسك بالكتاب والسنة النبوية، وهذا ما كان عليه أهل بيته ﷺ في عصر الراشدين ﷺ ولم يكن هناك غير كتاب الله وما يهدي إليه من الدعوة إلى الصراط المستقيم.

لكن أعداء الصحابة يريدون أن ينجحوا بهذه النصوص إلى غير بحرهما، خدمة لمشاريحهم القائمة على حرب أمة الكتاب والسنة، والتشكيك بها فيها لإقامة ديانة أخرى، مضادة لما جاء به رسول الله ﷺ لها أئمتها وفقهها وأهدافها وأمانيتها القائمة على هدم السنة النبوية، ومحاربة حملتها من أصحاب رسول الله ﷺ وكل ذلك تحت غطاء زائف اسمه موالاته آل البيت! وكأن آل البيت لا يؤمنون بسنة النبي ﷺ؟ ولا يحبون أصحابه ﷺ الذين نصروا النبي ﷺ على آبائهم وإخوانهم وعشائريهم، وعلى الامبراطوريات التي يُقدس أعداء الصحابة أبناءها القتلة الغادرين، أو أن النظام الإسلامي كأنظمة أعداء الصحابة، الغاية فيه تبرر كل وسيلة متاحة، ولا يخرج عن ذلك كما هو ثابت في مناهجهم، مسالك الغدر والكيد والمكر والبهتان والتضليل.

فمنهجية النظام الإسلامي تُسقط كل ما يبينه مبغضو الصحابة، ذلك أنّ غاية هذا النظام هي إقامة العدل على القريب والبعيد، لا فرق في ذلك بين آل البيت وبين غيرهم من إخوانهم المسلمين، قال النبي ﷺ: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ

(١) المستدرک علی الصحیحین، کتاب العلم، ح (٣١٩) صحیح الجامع: ح (٥٢٤٨) صحیح.

المُخْزُومِيَّةَ الَّتِي سَرَقَتْ! فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ﷺ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ؟! ثُمَّ قَامَ ﷺ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنْتُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِيمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" (١) - حاشاها - رضي الله عنها.

فأخبر النبي ﷺ أن أقرب الناس عليه من أهله، لو أتى بما يوجب الحد، لأقامه عليه فلو زنى أحدهم وهو محصن رُجم، ولو قتل نفساً عمداً عدواناً محضاً لقتل به، وإن كان المقتول من الحبشة أو الروم أو الترك أو الديلم، فإن النبي ﷺ قال: " الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَفْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشَدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّبِهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، لَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ" (٢). فكيف يخص النبي ﷺ أهله وحدهم من غير المسلمين؟ بأن يشتد غضب الله على من أراق دماءهم، ذلك أن المسلمين سواء في الذمة والجوار والحرمة آل البيت والصحابة وعامة المسلمين، فالله حرم قتل النفس إلا بحق، فالمقتول بحق لم يشتد غضب الله على من قتله، ومن قتل بغير حق يقع عليه غضب الله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٣).

فالعاصم للدماء والمبيح لها يشترك فيه آل البيت وغيرهم، ولا يقول بغير شرع الله تعالى إلا منافق يقدح في نبوته ﷺ أو جاهل لا يعلم العدل الذي بُعث به النبي ﷺ وكذلك في قوله ﷺ: " من آذاني في عترتي " فإن إيذاء رسول الله ﷺ حرام في عترته، وسنته، وأصحابه ﷺ وأمتة وغير

(١) صحيح البخاري: ح (٣٢١٦).

(٢) سنن أبي داود: ح (٢٣٧١).

ذلك^(١) وإن كان النبي ﷺ خص العترة فلا يعني ذلك أنه ﷺ أباح دماء غيرهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: من الآية ٦١).

وهذا يوضح بأن أولياء الله ورسوله ﷺ هم المتقون " أين كانوا وأنا كانوا " قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: ٦٢) وقال ﷺ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: من الآية ١٣) وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ﴾^(٢).

فميزان الله تعالى وميزان رسوله ﷺ قائم على التقوى وأقرب الناس إلى رسول الله ﷺ وأحبهم إليه هم المتقون، و﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: من الآية ٢٧) والموازن الأخرى يتساوى فيها الناس فالأقربون أولى بالمعروف حين يقبلوا المعروف، أما إذا لم يقبلوه ولم يلتزموا به فما فائدة القربى؟ وآل رسول الله ﷺ كانوا كبقية أصحابه متمسكين بالكتاب والسنة، ولما كان خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر ﷺ أكثر الناس تمسكاً بالسنة وعملاً بها، وجهاداً لنصرتها، وأكثرهم حرصاً على العمل في سبيل الله، كان أكثرهم كرامة عند الله وعند رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (الليل: ١٧) ومعلوم أن هذه الآيات نزلت في الصديق ﷺ وهو في مكة^(٣) حين كان ينفق في سبيل الله قبل الهجرة ويعتق الرقيق من النساء والغرباء والضعفاء، وما إلى ذلك، وإذا جمعنا قوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ وقوله ﷺ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ تتضح مكانة الصديق ﷺ وبأنه هو الأكرم بين أبناء الأمة، من آل البيت وغيرهم ﷺ لأنه الأكثر عملاً في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

فمن شبهات أعداء الصحابة في هذا الباب قولهم إن رسول الله ﷺ قال: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض)

(١) تيمية: منهاج السنة، ٤/ ٣٥٤.

(٢) صحيح البخاري: ح (٦٠٢١).

(٣) ينظر الاستيعاب في بيان الأسباب: ٣/ ٥١٧، وقال: حسن، بعد أن علق على رواياته.

وترديدهم: (أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)^(١) وقالوا: وهذا يدل على وجوب التمسك بقول أهل بيته وعلي عليه السلام سيدهم فيكون واجب الطاعة على الكل فيكون هو الإمام عليه السلام، يقولون ذلك ليبطلوا خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبطلوا إمامة علي عليه السلام فإذا كانت الإمامة لعلي عليه السلام كما يقولون فكيف يذكرون في كتبهم أنه بايع الصديق عليه السلام فكيف يترك إمامته والإمامة عندهم ركن من أركان دينهم؟ وهو المعصوم عندهم ويباع من لا عصمة له، فضلاً عما يعتقدونه فيه عليه السلام! وهذا كاف لبيان ضحالة تفكيرهم وهشاشة معتقداتهم، وأنهم لا يبغون من كل ما يقومون به؛ لا نصره عترة ولا آل، وإنما همهم تغذية الفتنة وشق الصفوف لينفردوا بمن يرضون عليهم منافعهم من ضريبة الخمس والمتعة والرياسة والتحكم في رقاب الناس باسم محبة آل البيت وهم أبعد الناس عن آل البيت وزهدهم ولغتهم!

قال ابن تيمية في رده على فريتهم هذه: إن لفظ الحديث الذي في صحيح مسلم، قوله عليه السلام (إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكرهم الله في أهل بيتي)^(٢) وهذا اللفظ يدل على أن الذي أمرنا بالتمسك به وجعل المتمسك به لا يضل هو كتاب الله تعالى.

وهكذا جاء في غير هذا الحديث كما في صحيح مسلم عن جابر في حجة الوداع لما خطب يوم عرفة وقال عليه السلام: (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟) قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٣).

(١) السلسلة الضعيفة: (٤٥٠٣) ضعيف. الجامع الصغير، (١٢٠٢٨) ضعيف. مشكاة المصابيح، (٦١٧٤).

(٢) صحيح مسلم: ح (٤٤٢٥)

(٣) صحيح مسلم: ح (٢١٣٧) منهاج السنة: ٣٧٨/٧.

وأما قول أعداء الصحابة عن قوله ﷺ: " وأنها لن يفرقا، حتى يردا على الحوض" (١) فقد سئل عنه أحمد بن حنبل فضعفه، وضعفه غير واحد من أهل العلم، وقالوا لا يصح، وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته ﷺ كلهم لا يجتمعون على ضلالة قالوا: ونحن نقول بذلك، كما ذكر القاضي أبو يعلى وغيره، ولكن أهل البيت لم يتفقوا والله الحمد على شيء من خصائص مذهب الرافضة، بل هم المبرؤون المنزهون عن التدنس بشيء منه (٢).

وفي قولهم أن النبي ﷺ قال: " مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح" (٣) فهذا لا يعرف له إسناد صحيح ولا هو في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها، فإن كان قد رواه مثل من يروي أمثاله من حطاب الليل الذين يروون الموضوعات فهذا ما يزيدُه وهناً (٤) والعترة هم بنو هاشم كلهم، ولد العباس، وولد علي، وولد الحارث بن عبد المطلب وسائر بني أبي طالب وغيرهم، هذا على قول من قال بأن العترة هم أهل الرجل وأقاربه، وعلي ﷺ وحده ليس هو العترة، وسيد العترة هو رسول الله ﷺ يبين ذلك أن علماء العترة؛ كابن عباس رضي الله عنهما وغيره لم يكونوا يوجبون اتباع علي ﷺ في كل ما يقوله، ولا كان علي ﷺ يوجب على الناس طاعته في كل ما يفتي به، ولا عرف أن أحداً من أئمة السلف لا من بني هاشم ولا غيرهم، قال: إنه يجب اتباع علي ﷺ في كل ما يقوله (٥).

والعترة لم تجتمع على إمامة علي ﷺ ولا على أفضليته، بل أئمة العترة كابن عباس وغيره، يقدمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في الإمامة والأفضلية، بل إن علياً ﷺ يعاقب من يقدمه على الشيخين، قال علي ﷺ: (لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلا جلدته حد

(١) مسند أحمد: (٢١٦١٨) تعليق شعيب الأرناؤوط: صحيح بشواهده دون قوله: " وإنما لن يفرقا حتى يردا علي الحوض" وهذا إسناد ضعيف لسوء حفظ شريك. و(٢١٦٩٧) ضعيف.

(٢) منهاج السنة: ٣٧٩/٧.

(٣) الألباني: السلسلة الضعيفة: (٤٥٠٣) ضعيف. مشكاة المصابيح، (٦١٧٤) ضعيف.

(٤) ابن تيمية: منهاج السنة: ٣٧٩/٧.

(٥) منهاج السنة: ٣٨٠/٧.

المفتري) (١) وكذلك سائر بني هاشم من العباسيين والجعفرين وأكثر العلويين، وهم مقرون بإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيهم من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم أضعاف من فيهم من الإمامية.

والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين وتابعيهم، من ولد الحسين بن علي وولد الحسن وغيرهما (رضي الله عنهم) أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وكانوا يفضلونهما على علي (رضي الله عنه) والنقول عنهم ثابتة متواترة وقد صنف الحافظ أبو الحسن الدارقطني كتاب ثناء الصحابة على القرابة وثناء القرابة على الصحابة، وذكر فيه من ذلك قطعة، وكذلك كل من صنف من أهل الحديث في السنة، مثل كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، والسنة للخلال، والسنة لابن بطه، والسنة للأجري، واللالكائي، والبيهقي، وابن ذر الهروي، والظلمنكي، وابن حفص بن شاهين، وأضعاف هؤلاء الكتب التي يحتج هذا بالعزو إليها، مثل كتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد، ولأبي نعيم، وتفسير الثعلبي، وفيها من ذكر فضائل الثلاثة، ما هو من أعظم الحجج عليه، فان كان هذا القدر حجة، فهو حجة له وعليه وإلا فلا يحتج به (٢).

وقولهم هذا معارض بما هو أقوى منه، وهو أن إجماع الأمة حجة بالكتاب والسنة والإجماع، والعترة بعض الأمة، فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العترة، وأفضل الأمة أبو بكر (رضي الله عنه) كما تقدم ذكره، وإن كانت الطائفة التي إجماعها حجة، يجب اتباع قول أفضلها مطلقاً، وإن لم يكن هو الإمام، ثبت أن أبا بكر (رضي الله عنه) هو الإمام وإن لم يجب أن يكون الأمر كذلك، بطل ما ذكره في إمامة علي (رضي الله عنه) وأن أمر الأمة على ما أقره المهاجرون والأنصار (رضي الله عنهم) وما سوى ذلك ما هو إلا امتداد لحركات الردة والخوارج!.

(١) جامع الأحاديث (٣٤٠٦٥) كنز العمال: (٣٦١٥٧) ابن حنبل: فضائل الصحابة، (٤٩).

(٢) ينظر العاصمي الحنبلي: أل رسول الله وأوليائه، ٦٨/١.

ب. حديث الثقلين

الثقل في اللغة: ضد الخفة قال الراغب: وهما مُتَقَابِلَانِ فَكُلُّ مَا يَتَرَجَّحُ عَلَى مَا يُوزَنُ بِهِ أَوْ يُقَدَّرُ بِهِ يُقَالُ: هُوَ ثَقِيلٌ وَأَصْلُهُ فِي الْأَجْسَامِ؛ ثُمَّ يُقَالُ فِي الْمَعَانِي نَحْوُ: أَثْقَلَهُ الْغُرْمُ وَالْوِزْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (الطور: ٤٠) ثَقُلَ الشَّيْءُ فَهُوَ ثَقِيلٌ وَثَقَالَ: وَشَاهِدِ الثَّقَالَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ (التوبة: من الآية ٤١) وَكُلُّ شَيْءٍ خَطِرٌ نَفْسٍ مَصُونٍ لَهُ قَدْرٌ وَوِزْنٌ: ثَقُلَ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: "إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي" جَعَلَهُمَا ﷺ ثَقَلَيْنِ إِعْظَامًا لِقَدْرِهِمَا وَتَفْخِيحًا.

وقال ثعلب: سمّاهما ﷺ ثَقَلَيْنِ؛ لِأَنَّ الْأَخْذَ بِهِمَا وَالْعَمَلَ بِهِمَا ثَقِيلٌ. وَالثَّقَلَانِ: "الْإِنْسُ وَالْحِنُّ" لِأَنَّهَا فَضْلًا بِالْتَمِيِيزِ الَّذِي فِيهِمَا عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانَ، وَمِنْ الْمَجَازِ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (الزلزلة: ٢) الْأَثْقَالُ: كُنُوزُ الْأَرْضِ وَقِيلَ: مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ أَجْسَادِ مَوْتَاهَا عِنْدَ الْحَشْرِ وَالْبَعْثِ. وَمِنْهُ الْأَثْقَالُ: بِمَعْنَى الذُّنُوبِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (العنكبوت: من الآية ١٣) أَي آثَامَهُمُ الَّتِي هِيَ تُثَقِّلُهُمْ وَتُبْطِئُهُمْ عَنِ الثَّوَابِ. وَمِنْثَقَالُ الشَّيْءِ: مِيزَانُهُ مِنْ مِثْلِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧) وَثَقَالَ النَّاسُ بِالْكَسْرِ وَثَقَلُواهُمْ: مَنْ تَكَرَّرَ صُحْبَتُهُ وَيَسْتَثْقِلُهُ النَّاسُ، وَاجِدُهُمَا ثَقِيلٌ، يُقَالُ: أَنْتَ ثَقِيلٌ عَلَى جُلَسَائِكَ، وَمَا أَنْتَ إِلَّا ثَقِيلُ الظِّلِّ بَارِدِ النَّسِيمِ وَيُقَالُ: مُجَالَسَةُ الثَّقِيلِ تُضْنِي الرُّوحَ، وَمِنْ أَبْدَعِ مَا أَنْشَدْنَا فِيهِ بَعْضُ الشُّيُوخِ:

وَتَقِيلُ قَالَ صَفِينِي قَدْ تُ إِيشِ فِيكَ أَصِفُ
كُلُّ مَا فِيكَ ثَقِيلٌ حَلَّ عَنِّي وَأَنْصَرِفُ

وقال الراغب: الثَّقِيلُ فِي الْإِنْسَانِ يُسْتَعْمَلُ تَارَةً فِي الدَّمِّ وَهُوَ أَكْثَرُ فِي التَّعَارُفِ، وَتَارَةً فِي الْمَدْحِ، نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

خِيفُ الْأَرْضِ إِذَا زُلَّتْ عَنْهَا وَتَبَقَى مَا بَقِيََتْ بِهَا ثَقِيلًا
حَلَلَتْ بِمُسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا فَتَمْنَعُ جَانِبَيْهَا أَنْ يَمِيلَا

وأصبح ثاقلاً: أي أثقله المرض، قال لبيد رضي الله عنه :

رَأَيْتُ التُّقَى وَالْحَمْدَ خَيْرَ تِجَارَةٍ رِبَاحاً إِذَا مَا الْمَرْءُ أَصْبَحَ ثَاقِلاً

أي أدنقه المرض. وثقل القول: إذا لم يطب سماعه، وهو مجاز. وقوله تعالى: ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: من الآية ٥) أي له وزن. وقوله تعالى: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ (التوبة: من الآية ٤١) قيل: مؤسرين ومُعسرين^(١) وقد سبق الاستشهاد في هذا الحديث فيما يخص الآل والذرية ﷺ، وهنا لا يبعد في معانيه كثيراً عما سبق، فهو يعالج المسألة ذاتها، تحت مسمى الثقلين ووصية النبي ﷺ لأمته بحفظ ما هو تاركة فيهم من الثقلين، فقال ﷺ: (وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضل، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث ﷺ على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال ﷺ: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي^(٢)).

وهذا النص من الأحاديث الصحيحة التي يُلبس بها أعداء الصحابة على الأمة، كما هو في مسألة العترة والمولى، وغيرها من الألفاظ والعبارات التي تؤكد على مكانة آل البيت في أمتهم وعند نبيهم ﷺ فيتحدث بها أعداء الصحابة على غير وجهها الصحيح، لإخراج آل البيت ﷺ عن مكانة الاحترام والتبجيل، إلى المخاصمة والمشاحنة، وإلى العمل على ترويح تلك المشاحنات الموهومة بين الناس، لنشر التحزب، وتكوين الفرق، وانتهاز الفرصة للطعن بوحدة الأمة وعقيدتها واستقرارها، ولينفذوا بعد ذلك ما في جعبتهم من مخططات للتحكم بمقالييد الأمور والاستعانة بالأجنبي للهيمنة على شؤون الأمة! كما حصل من فعل أبي لؤلؤة المجوسي الذي يجد التبجيل ممن يزعم أنه من أنصار آل البيت! حيث يزار قبه في مدينة كاشان ويعظم! ويشتم عنده الصحابة الكرام ﷺ!! وكأن آل البيت ﷺ يوالون المجوس، وهذا ما يفعلونه مع ابن سبأ الذي عبث في فكر الأمة وهويتها، مستخدماً شعارات آل البيت، ومظلومية آل البيت، حتى أودت

(١) تاج العروس: باب (ث، ق، ل)

(٢) صحيح مسلم: فضائل علي ﷺ (٤٤٢٥).

تلك الشعارات بحياة أمير المؤمنين علي عليه السلام وهاهم الخوارج الذين كانوا يزعمون أنهم من شيعة علي عليه السلام يمجدون قاتله عبد الرحمن بن ملجم، ويقولون بكفر أمير المؤمنين علي عليه السلام وكذلك في مسألة استشهاد الحسين عليه السلام فكل ذلك يستعمله أعداء الصحابة لتنفيذ مخططات لا صلة لها بآل البيت، إلا في الشعارات ومخططات الفتن، ولعل الواقع الحالي يؤكد ذلك ويوضحه!

أما مقاصد النص فهي واضحة من أهمية العلم بكتاب الله تعالى والتحذير من الزيغ عن منهجه القويم، ومن ثم التوصية بآل بيته الشريف ذلك أن أمر الخلافة لن يكون بأيديهم بعد وفاته عليه السلام ولذلك كان حالهم في العطاء أنهم أول الناس وأكثرهم عطاء، صغارا وكبارا، وفي عصر عمر عليه السلام كان يقدمهم على نفسه وعلى أولاده وأقاربه، واستمر حالهم في الأمة من الكرامة والمودة والتبجيل في الصدارة، وإن حصل صراع في بعض الفترات على الإمارة، فلم يكن ذلك مخرجاً مكانتهم من قلوب الناس، وإنما كانت اجتهادات اجتهد بها أهلها بنية خدمة الدين والأمة، وقد فعل أكثرهم ذلك، ولم يكن لديهم علم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسألة الخلافة بحق أحد من أهل بيته الأبطال بها ليقفوا عنده، فكان آل البيت وغيرهم في هذه المسائل سواء، وكل يجتهد اجتهاده ويدلي بدلوه والأمر بيد الله، قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَلْمَلِكِ تُؤْتِي أَلْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ أَلْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ أَلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران: ٢٦).

كما لم يكن عند آل البيت عليهم السلام وصية أو خصوصية في مسألة الخلافة، ليحاجوا بها الناس، فكان طالب الملك منهم يجتهد اجتهاده فيصيب ويخطئ ويتنصر ويخسر، وهذا حال أبناء العمومة من بني عبد مناف؛ بني أمية وبني العباس وآل علي عليه السلام، ولم يكن الملك ليغير مكانتهم في قلوب أهل السنة والجماعة، وكم من سيد من آل علي عليه السلام خاصة أعرض عن الملك وطلب الرياسة فكان مكانه في الأمة أسمى من مكانة الخلفاء والرؤساء في زمانهم.

فحين أوصى النبي ﷺ برعاية آل بيته لم تكن الوصية خاصة بآل علي فآل البيت كما تبين هم أزواجه وذريته وآل علي وآل عباس وآل عقيل وآل جعفر، فلماذا يتحدث أعداء الصحابة عن آل علي فقط؟ ولماذا يحصرون أمر الخلافة فيهم فقط؟ كل ذلك يفعلونه لتصديق الصفوف! ونزع الأخوة من قلوب المسلمين! ولتتمكنوا بمكرهم من آل البيت؛ ومن ثم أمة محمد ﷺ ولا أدل على ذلك من أنهم في هذا العصر يرفعون ذات الشعارات الموهمة، لكن المتابع يجد أن هذه الشعارات مخادعة، فهذه السلطات بأيدي العجم وغيرهم ممن يعيش على هذه الشعارات! ولكن آل البيت هم آخر من يتحدث بهذه الحقوق! ولو كانت شعاراتهم صادقة لسلموا الأمر لآل البيت ما دامت الخلافة من حقوقهم التي أوصى بها النبي ﷺ كما يزعمون!! وكل هذا وغيره من التناقض الصارخ بين حال آل البيت ﷺ وبين من يرفع الشعارات الموهمة، ليحقق أمانه الخاصة باسمهم، لذلك كانت الوصية النبوية بهم خاصة، لكي يعرف الناس حقهم، ويساندونهم أمام مكر أولئك الأشرار، الذين يزعمون حبهم، ويطنون بغضهم! ويحاربونهم ويحرمونهم ويُقصونهم عن مواقعهم التي يجب أن يكونوا فيها بحسب شعاراتهم؛ ويجردونهم من أي موقع فيه مكانة وتكرمة لهم، وهذا الواقع التاريخي والمعاصر يصدق هذا ويؤكد.

ولم تكن الوصية خاصة بآل البيت ﷺ وإن كان النبي ﷺ أكد على ذلك كونهم أزواجه وذريته وأسرته وأقاربه ﷺ، وإنما كان ذلك كمثل من أوصى بهم النبي ﷺ من أصحابه قبيل وفاته؛ مثل وصيته ﷺ بالأنصار ﷺ فقد أكد النبي ﷺ في وصيته بالأنصار؛ على أهمية معرفة حقهم وإكرامهم من بعده ﷺ المحسن منهم والمسيء!! قال ابن عباس رضي الله عنهما: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِمَلْحَفَةٍ قَدْ عَصَبَ بِعَصَابَةٍ دَسَمَاءَ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَوَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ النَّاسَ يَكْتُرُونَ، وَيَقِلُّ الْأَنْصَارُ، حَتَّى يَكُونُوا فِي النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْمَلْحِ فِي

الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِي مِنْكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ فِيهِ قَوْمًا؛ وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ، فَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ (١).

قال أنس رضي الله عنه: (مرَّ أبو بكرٍ والعبَّاسُ بمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَّا، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ قَالَ: فَصَعِدَ الْمُنْبَرَ وَلَمْ يَصْعُدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئَتِهِمْ) (٢).

فهذه نصوص صحيحة تحمل وصية رسول الله ﷺ لأُمَّته بالأنصار ولا سيما الولاية منهم مع التأكيد على معرفة حقهم وقربهم من رسول الله ﷺ مع البيان بأن ذلك كان من آخر ما خطب به النبي ﷺ أصحابه ﷺ ولقد عرف المسلمون بالأنصار ذلك لكنهم لم يقولوا لهم تعالوا واستلموا خلافة المسلمين بل لم يتولَّ أحد من الأنصار الخلافة على الرغم من أنهم كانوا يمثلون الدرع الذي يحمي المسلمين، وكانوا يفتدون النبي ﷺ وأصحابه ﷺ بأرواحهم وما يملكون، وبالجملة لم يكن لآل البيت ﷺ من الجهد كما كان للأنصار ﷺ الذين قدموا الدماء والأولاد والمال والثمار والبيوت والمكانة على مستوى عامة قبائلهم، رخيصة في سبيل نصره رسول الله ﷺ ودعوته.

يؤكد هذا شهادة النبي ﷺ لهم بأنهم أدوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، مع بيان مكانتهم العظيمة في قربهم من رسول الله ﷺ وأنهم كانوا موضع سرّه وأمانته، قال ﷺ: " الأنصار كرشِي وعيبتِي " ومع هذه المكانة الباذخة والقرب الذي شبهه ﷺ بالثوب الذي يستر صاحبه، فإذا انكشف انكشفت العيبة! مع كل هذا لم يقل أحد من أعداء الصحابة عن حقوق الأنصار، بمثل ما يقولونه عن حقوق آل البيت ﷺ التي يتولون الحديث عنها مخادعين للأمة، ثم يحصرون

(١) صحيح البخاري: ح (٣٣٥٦).

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٥١٥) (٣٥١٦) صحيح مسلم: ح (٤٥٦٥) وقوله ﷺ: " الأنصار كرشِي وعيبتِي " أراد أنهم بطانته وموضع سرّه وأمانته، الذين يعتمد عليهم في أموره، واستعار الكرش والعيبة لذلك.. النهاية: ١٦٣/٤.

الحديث بأولاد الحسين ﷺ وبعد ذلك بأولاد زين العابدين علي بن الحسين، ذلك أن أمه " شهربانوا" فارسية، حتى إذا تهيأت لهم فرصة الوصول إلى سلطة ورياسة، خَلَفُوا مسألة آل البيت وراءهم ظهريا! وجعلوا الحكم أعجمياً فارسياً! مسقطين راياتهم وثقافتهم التي أوصلتهم إلى تلك المكانة.

فإذا حصل لهم كل هذا في الماضي والحاضر تحت شعارات نصره آل البيت ثم أنكروا حقوقهم التي يزعمونها، إلا بالقدر الذي يهتمون به منهم حين يهاجمون أمتهم في أمنها وعقيدها، فلا عجب أن لا يوجد منهم من يقول: أين حقوق الأنصار ووصية النبي ﷺ بهم؟ وما ذلك إلا لسوء نوايا أعداء الصحابة المتسترين بحب آل البيت الأطهار حتى إذا استلموا أمرا من أمور الإسلام كان أول من يُقضى ويُبعد هم آل البيت ولغتهم وأمتهم وهذا الواقع يؤكد ذلك ويوضحه، فلا ينخدع بأباطيل أعداء الصحابة إلا فاقد الفهم والعلم، أو من أسقط الولاء لأمة الكتاب السنة ووالى خصومها التاريخيين.

فإذا تبين هذا فإن النبي ﷺ أعطى الأنصار من الدعاء بجملتهم ما لم يعط غيرهم بالجملة، وذلك خير لهم من الدنيا وما فيها من ملك ومال، وهذا هو الإكرام الحقيقي من رسول الله ﷺ لمن يجيبهم ويريد لهم الخير من آله أو من أصحابه ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ وَالْأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ)^(١) ولما زين ﷺ صدورهم وذكرهم بكل هذه الأوسمة العطرة الطيبة، أوصاهم وصية المود المحب ﷺ بالصبر والتمسك بما هم عليه في حياته ﷺ لكي يتولى بيده الشريفة جزاءهم هناك بين يدي الله تعالى، عندما تكون الأعطيات جنة أو نار! قال النَّبِيُّ ﷺ لِلْأَنْصَارِ رضي الله عنهم: (إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، وَمَوْعِدُكُمْ الْحَوْضُ)^(٢).

(١) صحيح مسلم: ح (٤٥٦١).

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٥٠٩).

فهل كان النبي ﷺ يبرّ أنصاره بمثل هذا البر المبني على ادخار الأجر لهم عند الله تعالى، ويدع أزواجه وذريته وآله فريسةً للعالمين ومكائدها لأهلها؟! وهو الناصح الأمين ﷺ! أم أن أعداء الصحابة يُلبسون على العامة من المسلمين ممتطين في ذلك علماء السوء، وطلاب الدنيا وعبيد الشهوات، ممن يزين للمسلمين مساوئ أعداء الصحابة، ويجعلها من المحاسن التي يجب أن تقبل عند أمة الكتاب والسنة؟! وقد فقه الأنصار ﷺ كل هذا وما بعده من مقاصد رسول الله ﷺ فرضوا بها اختار لهم ﷺ ووفوا بما أوصاهم به، فهذا هو ﷺ يريد أن يُعجل لهم بعض العطاء أو يوصي لهم ببعض ما يكرمهم به من الدنيا، فيأبون إلا كرمًا وسموًّا! قال أنس ﷺ: (دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ إِلَى أَنْ يُقْطَعَ لَهُمُ الْبَحْرَيْنِ فَقَالُوا ﷺ: لَا، إِلَّا أَنْ تُقْطَعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا!! قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِمَّا لَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أُثْرَةٌ)^(١).

ولما طلب منه بعض الأنصار العمل على بعض البلدان نصحه النبي ﷺ بما نصح به أبناء آل بيته حين طلبوا منه مثل ذلك وإن كان آل بيته ﷺ قد قال لهم إنا لا نحل لنا الصدقة! فإنه بشر الأنصار بما هو أفضل لهم من ذلك، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ﷺ: (أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فَلَانًا قَالَ: سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ)^(٢).

ولما كان الأمر كذلك فإنهم أوثروا رسول الله ﷺ محبة لهم كان يصرح بها أمام المسلمين، عن أنس ﷺ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى صَبِيئًا وَنِسَاءً مُقْبِلِينَ مِنْ عُرْسٍ فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مُمْتَلًا فَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، يَعْنِي الْأَنْصَارَ ﷺ)^(٣) وكان أخيار المسلمين يقتدون برسول الله ﷺ وينفذون وصياه، قال عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ: (بَلَغَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ عَرِيفِ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، فَهَمَّ بِهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ فَقَالَ لَهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

(١) صحيح البخاري: ح (٣٥١٠).

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٥٠٨).

(٣) صحيح مسلم: ح (٤٥٦٣).

اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا أَوْ قَالَ مَعْرُوفًا، اقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ، فَأَلْقَى مُضْعَبٌ نَفْسَهُ عَنْ سَرِيرِهِ، وَالزَّقَ خَدَّهُ بِالْبِسَاطِ، وَقَالَ أَمْرٌ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ. فَتَرَكَهُ^(١).

أما أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ فكان يحمل همّ تنفيذ وصايا رسول الله ﷺ بمن يجب ﷺ حتى بعد أن طعنه المجوسي بخنجر الغدر الذي يدين به جميع أعداء الصحابة، ويشاركهم آثامه من يوالي هؤلاء الغدرة، ويدعو إلى مودتهم خداعاً للأمة وإيقاعاً بها، فقد كان الفاروق ﷺ لا يقدم على آل بيت النبي ﷺ أحداً من الناس ولا سيما في المكرمات والعطاء، وفي مقدمة الناس كان أزواج النبي ﷺ وعلي والحسن الحسين ﷺ ومن ثم الأنصار والسابقون من أمة محمد ﷺ وكان هذا الشأن مما يشغله عن آلام الجراح التي كانت تثعب دماً من جسده الطاهر ﷺ فحين شعر بدنو الأجل وقرب الرحيل أوصى ﷺ قائلاً: (أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين خيراً، أن يعرف لهم حقهم وأن يحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً ﴿ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ (الحشر: من الآية ٩) أن يقبل من محسنهم ويعف عن مسيئهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم وأن يُقاتل من ورأئهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم^(٢)).

فهكذا كان حال الأمة من التلاحم والتعاون والتناصر والإيثار، فكانت تلك الأحوال تسر- المؤمنين وتشرح صدورهم وتولد لديهم طاقات متجددة للعطاء والعمل في سبيل خدمة الدين وحماية الأمة، في حين كان ذلك يغيظ أعداء الصحابة ويزرع في قلوبهم الحسد والضغينة ويولد عندهم وسائل متجددة للمكر بالأمة والعمل على تدمير كيانها وحرفها عن عقيدتها! وكل ذلك يقومون به متسلحين بالتدليس والتلبيس تحت مسميات يسخرونها لخدمة أهدافهم وعقائدهم الهدامة.

(١) مسند أحمد: (١٣٠٤٠).

(٢) صحيح البخاري: ح (١٣٠٥).

ومن ذلك أنهم يقولون إن المراد في " العترة والثقلين " هم آل بيت النبي ﷺ وهذان الاسمان هما أكثر ما يردده أعداء الصحابة، وهذا لا يرده أهل السنة؛ بل هم متمسكون به، وكما يريد رسول الله ﷺ وهو أن العترة فيهم هم أهل بيته ﷺ، كما جاء ذلك موضحاً في قوله ﷺ: " عترتي أهل بيتي " وأهل بيته في الأصل هم " نساؤه ﷺ وفيهنّ الصديقة عائشة بعلمها ومكانتها رضي الله عنهنّ جميعاً، كما هو صريح في كتاب الله وكما تم تفصيله وبيان المقصود بآله وأهل بيته ﷺ والمقصود بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب: من الآية ٣٣) وما قبلها وما بعدها من الآيات التي تخاطب نساء النبي ﷺ بخطاب واضح فصيح صريح، ثم يأتي معهم من أحقّه رسول الله ﷺ بهم من آله الأطهار أهل الكساء ﷺ. لكن أعداء الصحابة يردون كتاب الله وفصيح خطابه ويقولون إن أهل البيت الذين ورد ذكرهم في الآية الكريمة هم علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ دون نساؤه ﷺ في تحريف فاضح لكتاب الله تعالى، انتصاراً لأهوائهم وأمانتهم المهادفة إلى التفريق بين آله وأصحابه لتمزيق أبناء أمته ﷺ! في حين أن العترة والثقلين هم جميع آل البيت وأنّ النبي ﷺ ألحق علي وفاطمة والحسن والحسين في آية التطهير في نص واضح جاء بيانه في حديث الكساء وما في معناه، وغاية ما في حديث الكساء هو توسيع دلالة الآية ودخول علي وأهله فيها كما بينه الحافظ ابن كثير وغيره، وكذلك حديث " العترة " قد بين النبي ﷺ أنّ المقصود به أهل بيته ﷺ بالمعنى الشامل لزوجاته وعلي وأهله، وقد اتضح أن عترة الرجل: هم أهل بيته ورهطه الأذنون، ولاستعمالهم " العترة " على أنحاء كثيرة بينها رسول الله ﷺ بقوله: " أهل بيتي " ليعلم أنّه أراد بذلك نسله وعصابته الأذنين وأزواجه " وقد قيل: إن المقصود من " أهل البيت " إنما هم العلماء الصالحون منهم، والمتمسكون بالكتاب والسنة، قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى: " (العترة) هم أهل بيته ﷺ الذين هم على دينه وعلى التمسك بأمره " وذكر نحوه الشيخ علي القاري، ثم استظهر أن الوجه في تخصيص أهل البيت بالذكر ما أفاده بقوله: " إن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم المطلعون على سيرته، الواقفون على

طريقته، العارفون بحكمه وحكمته، وهذا يصلح أن يكون مقابلاً لكتاب الله كما قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (البقرة: من الآية ١٢٩).

قال الألباني: ومثله قوله تعالى في خطاب أزواجه ﷺ في آية التطهير: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٤) فيتين أن المراد بـ (أهل البيت) المتمسكون منهم بسنته ﷺ فتكون هي المقصود بالذات في الحديث، ولذلك جعلها أحد (الثقلين) في حديث زيد بن أرقم ﷺ المقابل للثقل الأول وهو القرآن، وهو ما يشير إليه قول ابن الأثير في النهاية: ساهما (ثقلين) لأن الأخذ بهما "يعني الكتاب والسنة" والعمل بهما ثقيل، ويقال لكل خطير نفيس ثقل فساهما "ثقلين" إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما.

والحاصل أن ذكر أهل البيت ﷺ في مقابل القرآن في هذا الحديث، كذكر سنة الخلفاء الراشدين ﷺ مع سنته؛ حين عهد إلى أصحابه قبيل وفاته في قوله ﷺ: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)^(١).

فأول ثمرة لاتباع السنة هي الانقياد لما كان عليه رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه، والسلامة من الاختلاف المذموم، والعصمة من الدخول في أمور الفرقة التي ذمها النبي ﷺ هو التمسك بالسنة وهذا ما كان يفعله ﷺ في تعليمه لأصحابه ﷺ يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً...".

وقوله ﷺ: "فعليكم بسنتي" أي فالزموا سنتي "وسنة الخلفاء الراشدين المهديين" فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، بالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها، وقد كانت طريقته هي طريقته ﷺ، فكانوا أشد الناس حرصاً عليها وعملاً بها في كل شيء، فكانوا إذا

(١) سنن أبي داود: ح (٤٦٠٧) قال الألباني: صحيح.

أعوزهم الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عملوا بما يظهر لهم من الرأي بعد الفحص والبحث والتشاور والتدبر، وهذا الرأي منهم أولى من رأي غيرهم عند عدم الدليل قال أبو حاتم ابن حبان: " في قوله ﷺ: " فعليكم بسنتي " عند ذكره الاختلاف الذي يكون في أمته بيان واضح أنّ من واظب على السنن وقال بها ولم يعرج على غيرها من الآراء، من الفرق الناجية في القيامة جعلنا الله منهم بمنه^(١).

وفي اتباع السنّة ولزومها النجاة من الفرقة التي توعد الله تعالى أهلها بالنار، قال ﷺ: (لِيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَدَوِ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّةً عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفَتَّرَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)^(٢) وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: (قام فينا رسول الله ﷺ فقال: ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، ثنتان وسبعين في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة)^(٣).

ففي هذا البيان بأن في لزوم سنته ﷺ السلامة من الفرقة المذمومة التي توعد الله أهلها بالنار، وهذا خبر من رسول الله ﷺ فيه إعجاز وتصديق لنبوته ﷺ إذ الأمر حصل كما قال ﷺ وحصلت فرق، مثل: الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والجهمية، والرافضة الذين هم الأخطر على السنّة في هذا العصر من أي خطر آخر ذلك أنهم يجعلون كل طاقاتهم موجهة لحرب السنّة، والفرق التي تركت ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه كثيرة، أخبر الرسول ﷺ أن هذه الفرق ستبلغ إلى ثلاث

(١) علي بن نايف الشحود: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، ١٠/٣٣٨.

(٢) سنن الترمذي: (٢٥٦٥) قال أبو عيسى حسنٌ غريبٌ مُفسَّرٌ لا نَعْرِفُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٣) سنن أبي داود: ح (٣٩٨١) زَادَ ابْنُ يَحْيَى وَعَمَرُو، وَإِنَّهُ: سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ، وَقَالَ عَمَرُو: الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِزٌّ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ.

وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة هي التي تتمسك بها كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، وهذا يؤكد قوله ﷺ: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة نبيه" (١). فالتمسكون بكتاب الله وبمحنة العترة هم أمة السنة وهدمهم، لأن أعداء الصحابة أسقطوا عصمة كتاب الله عن درجة الاعتبار! روى الكليني عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله: "أن القرآن الذي جاء به جبريل إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية!" (٢) وعن سالم بن سلمة قال: "قرأ رجل على أبي عبد الله وأنا أسمع حروفاً من القرآن ليس مما يقرأه الناس. فقال أبو عبد الله: مه! اكفف عن هذه القراءة، وقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام القائم اقرأ كتاب الله على حده" (٣) وهذا التشكيك بكتاب الله تعالى يجعلهم في مصادمة مع القرآن مباشرة، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) فإما أن يصدقوا كتاب الله، ويؤمنوا بعصمته وبحفظ الله تعالى له في كل الأماكن والأزمان كافة، وإما أن يخرجوا من أمة الكتاب والسنة وهم كذلك بتكذيبهم لعصمة القرآن الكريم، ويصدقوا أساطير الأفكين المكذبين لكتاب الله تعالى! حالهم حال المشركين الذين كذبوا النبي ﷺ وقاتلوه، والمرتدين الذين حاربوا أبو بكر ﷺ فما سبق يتبين أن العترة والثقلين هم الآل المتمثلون بالأزواج والذرية والمؤمنين من بني هاشم، واتضح أنه لا خلاص ولا سلامة ولا وحدة ولا قوة ولا توحيد خالصاً لله تعالى إلا باتباع سنة النبي ﷺ لما فيها من الوضوح واليسير والهدى النبوي الشامل، الذي يقود من تمسك به إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ وهذه هي الطريق المسلوكة والممهدة الآمنة، الموصلة من ثبت عليها إلى التمكين في الأرض، وإلى أمن الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ

(١) موطأ مالك: باب النهي عن القول بالقدر، ح (١٥٩٤).

(٢) ينظر الكليني: أصول الكافي، ٢/ ٦٣٤، المجلسي: مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، ١٢/ ٥٢٥.

(٣) الألويسي: أخبار الشيعة وأحوال رواتها، تقديم وتعليق: محمد مال الله، ١٨.

الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ (النور: ٥٥).

وقد حصل موعود الله تعالى هذا لأصحاب رسول الله ﷺ فقد آمنوا بالله تعالى ولم يشركوا به أحدا، وجاهدوا في سبيل الله حتى أخرجوا الناس من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، وهداهم الله إلى عمل الصالحات، ثم حقق لهم موعوده في الاستخلاف والتمكين في الأرض، مع التمسك بالدين، وجعلهم أوامره ونواهيه هي محور ما يحكم حياتهم، لا يخرجون عنه في حرب ولا سلم، وكان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك القدح المعلى، ولا سيما في موقفه يوم وفاة النبي ﷺ وموقفه من المرتدين، فمن تلك السير العطرة تستقى المواقف والعبر، لمن أراد أن يسير على خطاهم ويصل إلى ما وصلوا إليه من عز الدنيا والآخرة. قال الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكنوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح.

الفصل الثاني

حول قول النبي ﷺ لعلي: لأعطين

الراية غداً رجالاً يحب الله ورسوله ﷺ

وبيان أبعادها وبعض من صرح النبي ﷺ

بمحبته

المبحث الأول

قول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ﷺ ويحبه الله ورسوله ﷺ" وقوله ﷺ: "أحب أهلي إلي" والإشارة إلى حبه ﷺ لأصحابه عامة

يحب الله ورسوله ﷺ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ: (لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَيَّ يَدِيهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ، أَيُّهُمْ يُعْطَى؟ فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ ﷺ: أَيْنَ عَلِيٌّ؟ فَقِيلَ: يَسْتَكْبِي عَيْنَيْهِ! فَبَصَقَ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ؛ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ! فَأَعْطَاهُ، فَقَالَ: أُفَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلَكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا؛ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)^(١).

قال النبي ﷺ هذا الحديث الشريف يوم خيبر، في السنة السابعة من الهجرة، وذلك بعد أن حاصر المسلمون حصون خيبر القوية، ذات الإمكانيات الدفاعية الغنية بالعتاد والرجال والتموين، في حين كان المسلمون مكشوفون في العراء للحر والقر والسهام! مع قلة الطعام وضعف المدد المادي، فقاتل المسلمون في أيامهم الأولى قتالاً شديداً وهم على تلك الحال، وكان علي رضي الله عنه مع ذلك الجيش لكنه حال بينه وبين المشاركة عذر شرعي، وهو الرمد الذي كان في عينيه، ولعله رضي الله عنه كان في نفسه يخشى أن تفوته المشاركة في ذلك الجهاد، فكان يتمنى ويدعو أن يبسر الله له، فرصة المشاركة مع إخوانه الصحابة رضي الله عنهم كما هي حاله معهم في المشاهد السابقة، وسرعان ما جاءه الفرغ وتحققت أمنيته رضي الله عنه حين جاءه الداعي يقول له: أجب رسول الله ﷺ وحين وقف بين يدي النبي ﷺ دعا له بالعافية، فكان الشفاء بالحال أمام المسلمين في خيبر، ثم

(١) صحيح البخاري: ح (٢٧٨٧) و(٣٤٢٥).

سلمه النبي ﷺ الراية، ودعاه إلى الحرص على دعوة الناس إلى الإسلام حتى في ساحات القتال، فما إن باشر ومن معه من الصحابة ﷺ الهجوم على الحصن الذي أمامهم، حتى يسر الله تعالى عليهم فتحه وهو من أعظم حصون خيبر، ومن بعدها سهل أمر الفتح، فكان في ذلك كرامة ظاهرة لعلي ﷺ لما تحقق من شفاء ونصر.

لكن اللافت أن كثيراً من الناس تناسى دعاء النبي ﷺ وأن النصر من عند الله تعالى، وكيف أن ذلك الدعاء كان سبباً في انتشار علي ﷺ مما هو فيه من المرض وعدم القدرة على المشاركة، إلى أن يكون هو حامل الراية صحيحاً فصيحاً، وبعد أن هزم دعاء رسول الله ما في عيني علي ﷺ من أوجاع، وأعطاه الراية؛ أكان يليق بعد تلك الكرامة أن يرجع ﷺ من غير الفتح؟ وهل يليق الحال؛ أن يكون على غير الفتح والنصر التام؟ بعد أن شكى المسلمون حالهم من الجوع والبرد إلى رسول الله ﷺ؟ والذي اعتاده الصحابة ﷺ أن رسول الله ﷺ إذا رفع يديه إلى مولاه، فإنها لا تخطآن الهدف ولا ترجعان إلا بإنجاز الطلب! وهذا ما حصل في يوم خيبر من دعاء النبي ﷺ، فلو كان في خيبر ألف حصن لفتحت بركة دعائه ﷺ بإذن الله تعالى!.

وكيف لا تفتح وقد جاءتهم بشرى بفتحها قبل أن يتوجهوا إليها؛ بعد بيعة الرضوان وصلاح الحديبية مع مشركي قريش مباشرة، وهم في الطريق إلى المدينة، فذهبوا إلى خيبر وكلهم ثقة بالنصر التام بناء على موعود الله تعالى لهم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧) وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا* وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (الفتح: ١٨-١٩-٢٠) ومعلوم أن المراد بالفتح القريب والمغانم الكثيرة المعجلة هو فتح خيبر ومغانمها.

فخيبر ومغانمها كانت هي الفتح القريب الذي جاءتهم البشرى به قبل أن يؤمروا بها! وكيف لا تفتح خيبر، وقد دعا النبي ﷺ لما شاهد حصونها وقبل أن يدخلها، قائلاً ﷺ: (اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإننا نسألك بخير هذه القرية، وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها، وشر ما فيها وحلف كعب بالذي فلق البحر لموسى لأنها كانت دعوات داود حين يرى العدو) ^(١) وكيف لا تفتح والنبي ﷺ يردد أمام أصحابه: (الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذرين) ^(٢) فكيف يستحل من يزعم أنه من أهل السنة أن يوافق أعداء الصحابة في ردهم للنصوص الصحيحة، وينقل شبهاتهم التي تنسب فتح خيبر لعلي ﷺ وتبطل ما سواها.

وكانت خيبر تتكون من عدة حصون منيعة، أشهرها: (حصن ناعم، وحصن الصعب بن معاذ، وقلعة الزبير، وقلعة أبي، وحصن النزار، وحصن القموص، وحصن الوطيح، وحصن السّلام، وحصن الكتيبة) ^(٣) وفي خيبر حصون أخرى غير هذه الحصون والقلاع، أكرم الله تعالى علياً بفتح أحدها وهو يحمل راية رسول الله ﷺ ويجوئه دعاؤه ﷺ في حين فتحت بقيت الحصون الأخرى إما عنوة، وإما صلحاً، وإما تركها أهلها وانسحبوا منها إلى حصون غيرها. وهذه هي حال المسلمين ونيبهم ﷺ في جهادهم للكفار والمشركين وأهل الكتاب في عصرهم، فإنهم لا يظلمون ولا ييطرون، ولا يعتدون على ضعيف، ولا مريض ولا امرأة ولا طفل ولا غير ذلك، فإن واجهتهم عقبات ومصاعب لجأوا إلى ربهم الذي لا يجيب عباده الصالحين الصادقين في كل عصر ومصر.

(١) سنن النسائي الكبرى: ح (٨٨٢٦) ح (١٠١٠٠) وقال الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة (٢٧٥٩).

(٢) صحيح البخاري: باب دعاء النبي ﷺ، ح (٢٧٢٦).

(٣) الرحيق المختوم: ٣٣٣.

فالغربة ممن يريد أن يحصر أحداث خيبر كلها في موقف واحد، أو في رجل واحد، ثم لا يرضى بذلك حتى يجعل ذلك الموقف سبباً لتمجيد ذلك الصحابي ﷺ ورفعته إلى حال لا تتوافق مع حال العبودية لله تعالى، وهذا مقصد من مقاصد أعداء الصحابة، للطعن به باسم مدحه ونصرته، ومن ثم حطهم من حال إخوانه الصحابة الآخرين إلى حد وصفهم بالخوف والضعف ثم التآمر والكيد، وما إلى ذلك من كذب وهتان! ونقائص وخزايا تدور في نفوس أعداء الصحابة، وهذا هو حال الذين جعلوا من أحداث خيبر مقمعة!؛ لهدم بناء الإسلام، وللتشنيع على أصحاب النبي ﷺ وإهمال شأن الدعاء وما فيه عون وتيسير، ونسبة الأمور كلها آنذاك إلى شخص واحد!.

وكما اتضح من قبل أنهم يفعلون ذلك حقداً لا حباً لعلي ﷺ وطعناً بإخوانه وشركائه في الفتح، وقطعاً لرحم العقيدة بينهم، وزرعاً لبذور الشرك والشك! وإفساداً لفرحة ذلك النصر المؤزر على إخوان أعداء الصحابة من يهود خيبر، والفتح الذي تجلت فيه قدرات الصحابة القتالية والتخطيطية، مع التعاون والصبر والجرأة، وهذا ليس موضع التفصيل في أحداث خيبر، ولكن هذه مقدمة للقول بأن علياً ﷺ هو أحد أبطال المسلمين وقادتهم وأن جهاده متمم لجهادهم، وهو محب لهم؛ وهم محبون له، فمن أراد أن يدخل بينهم بالتشكيك أو اللغمز واللمز أو الطعن الصريح أو المبطن، فهو موضع الشك والريبة، المتهم بأهدافه ومقاصده، والمطعون به وبكل من يتعاون معه، أو يُجمله أو يسالم باطله، وأصحاب رسول الله ﷺ هم الأكرمون المبرؤن مما يذيعه وينشره عنهم أعداؤهم، فإذا ما وجد القارئ الحصيف شبهة على صحابي، فإثمها دليل على اتهام من أثارها وأوردها ونشرها، أو وثق بمن يفعل شيئاً يعين أحداً ممن ينال من أصحاب رسول الله ﷺ كما هو حال من يحيطون أنفسهم بأعداء الصحابة والخوارج وأصحاب المنزلة بين المنزلتين؛ ثم يزعمون أنهم وسطيون يعملون للإسلام! وكأن الإسلام خليط من المداهنة والمراوغة والتردد والتمتمة وحصد المنافع! وليس قيادة الناس على البيضاء، والسير بهم آمنين متأخين بين جناحي الكتاب والسنة؛ وما يحيط بهما من علم وفهم وجهاد أصحاب رسول الله ﷺ ومكانتهم في الأمة.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّ لَهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٩٠).

فمحنة الله ورسوله ﷺ صفة تتجسد في عقيدة كل مسلم عاقل، ومؤمن فاضل، وهذا الوصف ليس خاصاً بعلي ﷺ من دون المؤمنين، فكل مؤمن صادق يجب الله ورسوله ﷺ ويحبه الله ورسوله ﷺ ولكن هذا النص فيه الشهادة لعلي ﷺ بذلك، كما شهد النبي ﷺ لأعيان العشرة بالجنة، وكما خص كثيراً من أصحابه بمثل هذه المزايا الطيبة المباركة، فهو ليس من خصائصه فضلاً عن أن يكون نصاً على إمامته وعصمته، كما يزعم ذلك أعداء الصحابة، ليجعلوا من ذلك سلماً يتسلقون عليه للطعن بخيار الأمة وقادتها أصحاب رسول الله ﷺ فوقعوا في سوء أعمالهم حين قادتهم أمانيتهم الفاسدة؛ إلى محاربة أولياء الله ورسوله ﷺ الصحابة ﷺ، فما هم يقولون: إن الصحابة ارتدوا بعد موت النبي ﷺ! وهذه هاوية سقطوا فيها لا يمكنهم الخروج منها إلا بمراجعة دينهم والتوبة مما هم عليه! ذلك أنه لا يمكنهم الاستدلال بما يفترونه على الصحابة ﷺ لأن من يكفر أحداً من المسلمين، يبوء بها أحدهما، قال النبي ﷺ: (أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٍ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا) (١) والصحابة ﷺ إيمانهم ثابت في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: من الآية ١١٠) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٤).

فمن يتهم الصحابة بالكفر لا شك أنه هو الذي يبوء بما ينطق به من الكفر، كما هو واضح بهذه النصوص البيّنة من الكتاب والسنة، ومن يكفر الصحابة فهو في المكان الذي يزعمه لهم من

(١) صحيح البخاري: ح (٥٦٣٩).

الكفر؛ اعتماداً على هذه النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة، فبأي ستار يستتر أعداء الصحابة من الله تعالى الذي أعلن الحرب على من عادى أوليائه وهل هناك أولياء الله قبل أصحاب محمد ﷺ؟! ثم ما حال وأعدار المتقربين لأعداء الصحابة، المدافعين عن باطلهم خداعاً وغشاً لأمة الكتاب والسنة؟! وتحت أي راية يقفون؟.

فأعداء سنة النبي ﷺ يكفرون الصحابة، وكل من لم يبايع أمير المؤمنين علي ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ متناسين أن علياً ﷺ بايع خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ مما يؤكد زيغهم وقلة إنصافهم، وإلا فما هو موقفهم من بيعة علي لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما؟! فهل يقولون عنه ما يقولونه عن بقية إخوانه الصحابة ﷺ؟.

أما الخوارج فهم يكفرون أمير المؤمنين علياً ﷺ بعد قبوله التحكيم والصلح بين أهل الشام وأهل الكوفة، ويقولون إن علياً ﷺ ممن ارتد أيضاً عن الإسلام! قال الأشعري: أجمعت الخوارج على كفر علي ﷺ وأهل السنة يبطلون قول الخوارج بأدلة كثيرة لكنها مشتركة تدل على إيمان الثلاثة وإيمان الصحابة ﷺ ومن تبعهم بإحسان^(١).

وبهذا وغيره يتضح أن أعداء الصحابة بكل أشكاهم، غايتهم واحدة وهي محاربة أصحاب رسول الله ﷺ لأنهم حملة الدين وحماة السنة النبوية المباركة، ولا أدل على ذلك من مواقفهم من الصحابة، ومواقف الخوارج من علي ﷺ ومعه بعض الصحابة الآخرين ﷺ ومن الغرائب والغرائب جمّة؛ أن الذين يزعمون حبّ علي ﷺ والخوارج الذين يكفرونه، يلتقون في حربهم على السنة والجماعة! وعلى تشويه سيرة الصحابة، وإنجازاتهم العسكرية، والسياسية، والحضارية، ولعل في هذا دعوة لأمة الكتاب والسنة للحذر من كل من في قلبه مثقال ذرة بغض لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ.

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ١/١٦٧. ينظر: منهاج السنة: ٩٨/٤.

والمخالفون هنا بتدليسهم ومكرهم؛ يزعمون أنّ هذا النص النبوي الشريف يحدد محبة الله والنبوي ﷺ لعلّي ﷺ فقط، ومحبة عليّ لهما، أما الآخرون فهم خارج دائرة معتقد الرافضة! وهذا فهم مبني على مقاصد سوء غايتها الطعن في الصحابة، وبالتالي إبطال كل ما أجمعوا عليه ﷺ في حين أنّ أيّ نظرة سريعة في كتب الحديث، تبين أنّ هذا الذي وصف به عليّ ﷺ من الحب والمحبة هو حال الصحابة جميعاً؛ فكلهم يحب الله ورسوله ﷺ وهذه النصوص التي تبين ذلك، وتزيل أي أثر في النفوس من وقع حملات التشويه التي يشنها أعداء الصحابة على جيل القدوة في هذه الأمة، ومن ذلك حبّ النبي ﷺ لأسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما الذي كان يسميه الصحابة رضي الله عنهم الحب بن الحب، لما يشاهدون من محبة النبي ج لهما.

قال ﷺ: أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ ...

فقد رويت أحاديث كثيرة تبين حبّ النبي ﷺ لأصحابه الذين لا يحبهم ﷺ إلا الله تعالى ولأنهم يحبون الله ورسوله ﷺ ومن ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُسَامَةَ عَلَى قَوْمٍ فَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ! فَقَالَ ﷺ: إِنْ تَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَقَدْ كَانَ خَلِيفًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ)^(١). وفي المسند، قال النبي ﷺ: (وَإِنَّ ابْنَهُ هَذَا بَعْدَهُ؛ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا فَإِنَّهُ، مِنْ خِيَارِكُمْ)^(٢) وصحّ عن النبي ﷺ أنّه قال: (أسامة أحبّ الناس؛ وما حاشا فاطمة ولا غيرها)^(٣) أي أنّ النبي ﷺ قدم أسامة على فاطمة رضي الله عنها في محبته لهما ﷺ بحسب هذه النصوص،

(١) صحيح البخاري: ح (٣٩١٩).

(٢) مسند أحمد: ح (٥٦٣٠) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وفي المسند أيضاً، أضاف: (قَالَ سَالِمٌ: مَا سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ قَطُّ إِلَّا قَالَ مَا حَاشَا فَاطِمَةَ) ح (٥٨٤٨) تعليق شعيب الأرناؤوط: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) السلسلة الصحيحة مختصرة: ح (٧٤٥) صحيح. صحيح الجامع: ح (٩٢٤). مسند أحمد: ح (٥٤٤٩).

وكذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (أَسَامَةُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ) (١) وقوله ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول: (أَسَامَةُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، ولم يستثن فاطمة ولا غيرها) (٢) وما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: (من كان يحب الله ورسوله فليحب أسامة بن زيد) (٣).

قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: (كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ يَسْتَأْذِنَانِ فَقَالَا: يَا أَسَامَةَ اسْتَأْذِنْ لَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ يَسْتَأْذِنَانِ فَقَالَ ﷺ: أَتَدْرِي مَا جَاءَ بِهِمَا؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَكِنِّي أَدْرِي، فَأَذِنَ لَهُمَا، فَدَخَلَا، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ؛ أَيُّ أَهْلِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ ﷺ: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ! فَقَالَا: مَا جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ أَهْلِكَ! قَالَ ﷺ: أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ مَنْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْهِ، أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ! قَالَا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ﷺ: ثُمَّ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلْتَ عَمَّكَ آخِرَهُمْ؟! قَالَ ﷺ: لِأَنَّ عَلِيًّا قَدْ سَبَقَكَ بِالْهُجْرَةِ) (٤) وفي مسند البزار قال ﷺ: (فَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ابْنُ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْعَمْتُ عَلَيْهِ) (٥) فهذه النصوص النبوية الشريفة تبين ما لأسامة بن زيد رضي الله عنهما من مكانة وقرب عند رسول الله ﷺ وبصيف مختلفة مما ينبي بتكرار تلك العبارات النبوية العذبة

(١) الجامع الصغير وزياداته، (٩٢٦) صحيح الجامع، (٩٢٤) أبو بكر الشيباني: الأحاد والمثاني، ح (٤٤٦).

(٢) تحاف الخيرة المهرة، (٦٨٠٧) مسند الطيالسي: (١٨١٢) (١٩٢١) رجاله ثقات. مسند أحمد: (٥٤٤٩) (٥٧٠٧) تعليق الأرنؤوط: على شرط مسلم. السلسلة الصحيحة، ح (٧٤٥).

(٣) البوصيري: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ح (٦٨٠٦) صحيح ابن حبان (٦٨٠٨) قال: رواه ثقات.

(٤) سنن الترمذي: ح (٣٧٥٥) قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَكَانَ شُعْبَةُ يُضَعِّفُ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ، المعجم الكبير: ح (٣٧٢).

(٥) مسند البزار: ح (٢٦٢٠) مسند أسامة بن زيد، ومعلوم أن الذي أنعم الله عليه وأنهم عليه النبي ﷺ هو زيد ولكن حين دخل علي والعباس رضي الله عنهما، إلى رسول الله ﷺ كان قد زيد قد استشهد في مؤتة (٨ هـ) ولما كان أسامة موجودا فهو بقيته عند النبي ﷺ.

على قلب أسامة ؓ وقلوب الصحابة ؓ وقلوب من يحبهم من أهل الإسلام، ويظهر أن محبة النبي ﷺ لأصحابه كمحبتهم له، وأنهم كانوا هم المجتمع المثالي المتألف المتعاون على البر والتقوى، وأنه إذا أثنى على بعض أصحابه في بعض المواقف، فهذا هو خلقه ﷺ معهم جميعاً تشجيعاً لهم للمضي في أفعال الخير، وتسديداً لهم لبناء الثقة في نفوسهم وتجديد دوافع الإقدام والعطاء والتضحية وهكذا كانوا ؓ يتحدثون ويتحاورون ويبنون تواصلهم على الحب والإيثار والمودة والثقة والصراحة. وروي أن علياً ؓ قال: (خطبت إلى رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها، فزوجني فقلت: يا رسول الله؛ أنا أحب إليك أم هي؟ فقال ﷺ: هي أحب إلي منك! وأنت أعز علي منها)^(١).

وأسامة بن زيد رضي الله عنهما هو الحب بن الحب، أبوه مولى رسول الله ﷺ الذي تبناه النبي ﷺ حتى كان يقال له زيد بن محمد ﷺ وذلك قبل أن يحرم التبني في قوله تعالى: ادعوهم لأبائهم) وزيد ؓ شهيد مؤتة وأمير الشهداء الأمراء ؓ وأم أسامة بن زيد؛ هي أم أيمن الحبشية رضي الله عنها بقية أهل رسول الله ﷺ وحاضنته ﷺ.

أحب الناس إلى النبي ﷺ

ومثلما كان النبي ﷺ يحب أهله ومواليه وأقاربه وعشيرته ﷺ كذلك كان يحب المسلمين عامة، وهو ﷺ الذي أنزل عليه: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة: من الآية ٨٣) والثناء والإطراء حين يكون على الحق وبالحق، فهو من أجمل ما يسمعه الإنسان، والنبي ﷺ كان يُعلم أصحابه إذا أحب أحدهم أخيه أن يُعلمه أنه يحبه، كما علم ذلك لمن أحب معاذ بن جبل ؓ، فقال له معاذ: (أحبك الله الذي أحببتني فيه)^(٢) وهو الذي كان يُعلم أصحابه وأمته من بعدهم بقوله ﷺ: (أنزلوا الناس

(١) سنن النسائي الكبرى: ح (٨٥٣١) تحاف الخيرة المهرة: ح (٣٢٧١). السلسلة الضعيفة: ح (٤٠٠٠).

(٢) مسند أحمد: ح (١٣٠٤٦).

منازلهم) (١) وهكذا كان يفعل ﷺ فلما سُئِلَ عن أحبِّ النَّاسِ إلى الله ورسوله ﷺ لم يخص بذلك آل بيته وأقاربه ومواليه! وإنما بيّن ﷺ أن أحبَّ الناس إليه هم المتصفون بالقيم السامية، وأصحاب الأخلاق الطيبة الذين يحبون أمتهم ودينهم، كما يحبون مكارم الأعمال والمواقف، قال أسامة بن شريك: (كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّ عَلَيَّ رُؤُوسَنَا الرَّحِمَ، مَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ، إِذْ جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنَا فِي كَذَا، أَفْتِنَا فِي كَذَا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنْكُمْ الْحَرْجَ، إِلَّا مَنْ افْتَرَضَ مِنْ عَرَضِ أَخِيهِ، فَذَلِكَ الَّذِي حَرَجَ وَهَلَكَ! قَالُوا: أَفْتِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: نَعَمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ قَالُوا: مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: الْهَرَمُ! قَالُوا: فَأَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ ﷺ: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) (٢).

ولما كان النبي ﷺ يحب العدل وجاء بالعدل ويعمل به ويشجع عليه، وعلى العمل في كل ما يخدم الأمة ويحقق طموحاتها العادلة المتوافقة مع عقيدتها عقيدة الكتاب والسنة، فإنه ﷺ كان يُصرح بمحبته لأهل العدل من الناس، ولا يقدم عليهم أحداً، ومثلما كان يحب أهل العدل كان ﷺ يبغض أهل الجور والظلم، قال ﷺ: (إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا: (إِمَامٌ عَادِلٌ) وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُ عَذَابًا: (إِمَامٌ جَائِرٌ) (٣) فكل هذا الترغيب بالعدل وبيان منزلة أهله تشجيع من النبي ﷺ لأبناء أمته لكي يتخلقوا بهذا الخلق النبيل، الذي يحبه الله ورسوله ﷺ هذا الخلق الذي يورث الثقة بين الناس ويضفي على المجتمعات روح الطمأنينة، والمودة التي تولد التعاون والتبادل والإيثار، وتزيل الضغائن والأحقاد التي تمزق المجتمعات فتضعف الأمم وتزلزل أمنها واستقرارها، الذي هو من أئمن ما يريده الناس، وعلى

(١) سنن أبي داود: ح (٤٢٠٢).

(٢) صحيح ابن حبان: ح (٤٨٦) البوصيري: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، (٥١٩٩).

(٣) لبوصيري: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، (٨٣٥٧). ابن حجر العسقلاني: إطفاف المُسنَدِ المعْتَبَرِ بأطراف المُسنَدِ الحنبلي، ح (٨٣٥٧).

هذا فالظالم مبعوض مكروه عند الله وعند رسوله ﷺ وعند عباده الصالحين، لما يجني على الأمة من جنایات تودي بأخوة أبنائها وتفقدهم الثقة بأنفسهم وأمتهم، فما أسوأ حال الظالمين وما أشد مخاطرهم على المجتمعات، لهذا حذر منهم النبي ﷺ وأعلن بغضه لهم، لخيانتهم الأمانة الموكلة إليهم، ولرأداء طباعهم، ودناءة نفوسهم التي تبيح أكل حقوق الآخرين بغير وجه حق.

حب النبي ﷺ للأَنْصار

ولما كان الأنصار ﷺ من محبي العدل وممن يبذله ويعمل به وينصر أهله ودعاته، فإن النبي ﷺ بوأهم من نفسه الشريفة ﷺ مكاناً علياً، فأشاد بمواقفهم وأعلن بمحبته لهم ودعا الله تعالى لهم بأحسن ما يدعو ﷺ لأصحابه كما سبق ذكر بعض ذلك، ومنه قوله ﷺ للأَنْصار حين (أَبْصَرَ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءً وَصِيبَانًا مُقْبِلِينَ مِنْ عُرْسٍ فَقَامَ مُمْتَنًّا فَقَالَ ﷺ: اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ)^(١) وكان ذلك في المدينة بعد الهجرة، مما ينبي عن قرب النبي ﷺ من المجتمع الذي كان يعيش فيه ﷺ ومشاركته لأهله في مناسباتهم، وتعبيره عما يجيش في نفسه من مشاعر المودة ورغبته في أن يسمعهم ما لهم عنده ﷺ من المكانة القريبة، والتنويه بما قدموه لدينهم ونيهم ﷺ وأمتهم.

ولشدة حب النبي ﷺ للأَنْصار ﷺ وحرصه على أن يكونوا دائماً في المقدمة، كان يدخر لهم أجورهم ويقلل عليهم من الدنيا وزهرتها، في حين كان ﷺ يبذل غنائمها لغيرهم، ممن لم يبيل بلاءهم ولا جاهد جهادهم ﷺ تجلى ذلك حين وزع النبي ﷺ غنائم غزوة حنين، قال أنس بن مالك ﷺ: (لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَقْبَلْتُ هَوَازِنُ وَعَظْفَانَ وَعَيْرُهُمْ بِنَعْمِهِمْ وَذَرَارِيَهُمْ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَةَ آلَافٍ وَمِنْ الطُّلُقَاءِ فَأَدْبَرُوا عَنْهُ حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ، فَنادَى ﷺ يَوْمَئِذٍ نِدَاءً لَمْ يَخْلُطْ بَيْنَهُمَا، التَّتَتْ عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَشِّرُ نَحْنُ مَعَكَ! ثُمَّ التَّتَتْ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبَشِّرُ نَحْنُ مَعَكَ! وَهُوَ عَلَى بَعْلَةٍ بَيْضَاءَ فَتَزَلَّ، فَقَالَ ﷺ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَأَهْرَمَ الْمُشْرِكُونَ فَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ غَنَائِمَ كَثِيرَةً، فَقَسَمَ

(١) صحيح البخاري: ح (٤٧٨٢) صحيح مسلم: ح (٤٥٦٣).

في المهاجرين والطلقاء، ولم يُعطِ الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن ندعى، ويُعطى الغنيمه غيرنا، فبلغه ذلك فجمعهم في قبة، فقال ﷺ: يا معشر الأنصار ما حديث بلغني عنكم؟ فسكتوا! فقال ﷺ: يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدينيا، وتذهبون برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم؟ قالوا: بلى فقال النبي ﷺ لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لأخذت شعب الأنصار^(١).

وفي صحيح مسلم: (أن رسول الله ﷺ لما فتح حنيناً قسم الغنائم فأعطى المؤلفة قلوبهم، فبلغه أن الأنصار محبوبون أن يصيبوا ما أصاب الناس، فقام رسول الله ﷺ فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم، قال ﷺ: يا معشر الأنصار ألم أجِدْكُمْ ضلالاً فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ ومُتفرقين فجمعكم الله بي؟ ويقولون رضي الله عنهم: الله ورسوله آمن، فقال ﷺ: ألا تحببوني؟ فقالوا: الله ورسوله آمن، فقال ﷺ: أما إنكم لو شئتم أن تقولوا: كذا وكذا وكان من الأمر كذا وكذا لأشياء عددها زعم عمرؤ أن لا يخطؤها، فقال ﷺ: ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإيل، وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكُم؟ الأنصار شعارٌ والناس دنارٌ، ولولا الهجرة لكنتُ امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً، لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، إنكم ستلقون بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض^(٢).

فيتبين أن حب النبي ﷺ وإكرامه لمن هو قريب منه لا يتمثل في شيء من متاع الدنيا، وربما أنه كان يقلص على من يحبهم من متاعها في حين كان يبذله للآخرين، وذلك ادخاراً لأجورهم وتعليماً لمن جعل عامة عمله الإسلامي مقروناً بالمكاسب والأجور العاجلة؛ بما في ذلك الدعوة إلى الله تعلق وتعليم شرائع الإسلام، حتى أصبح الدعاة يتقاضون الأجور على دعوتهم بل ويسكنون الفنادق التي هي حرب على الدعوة وأخلاقها وقيمها، في حين أن هذه النصوص تبين

(١) صحيح البخاري: ح (٣٩٩٢).

(٢) صحيح مسلم: ح (١٧٥٨).

أن النبي ﷺ كان يتسامى بالعاملين في ميادين الجهاد والتضحية عن النظر إلى المكافآت المادية، كما هو واضح في هذه النصوص الصحيحة، ولكي لا تذهب طيباتهم في حياتهم الدنيا يستعجلون أجورهم فيها، فكان ﷺ يدخر لهم ذلك على الحوض، فهناك العطاء الجزل والكرم الجم والمكافآت الكبرى، وعلى مثل هذه المعاني كان النبي ﷺ يوجه أبناء أمته ويحثهم على التخلق به، فقال ﷺ: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرَزِقَ كَفَافًا، وَفَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ)^(١) وتأكيداً لهذه القيم والمعاني كان ﷺ يتمثل هذه المعاني في حياته اليومية ولما خير ﷺ بين أن يكون ملكاً رسولاً أو عبداً رسولاً ﷺ اختار أن يكون عبداً رسولاً، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ قَالَ وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَنظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: (إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خَلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ! فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، أَفَمَلَكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ؟ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جِبْرِيلُ تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدٌ. قَالَ ﷺ " بَلْ عَبْدًا رَسُولًا ")^(٢) ومثل ذلك قوله ﷺ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتًا)^(٣).

والمتابع في سيرة النبي ﷺ يجد أن موقفه ﷺ من هذه المسألة واحد منذ أن بعث إلى أن قبض ﷺ لم يتغير فهو ﷺ يتقلب في معاشه بين العسر واليسر، وكان ﷺ يعلم أمته أن من أثنان طريق القرب إلى الله تعالى، التخفف من الدنيا ومتاعها قال ﷺ: (ما من عبد يحب الله ورسوله إلا الفقر أسرع إليه من جرية السيل على وجهه، ومن أحب الله ورسوله ﷺ فليعد للبلاء تجفافاً)^(٤) ولما كان عامة حديث النبي ﷺ كان يرتبط بمواقف ومناسبات يوجه النبي ﷺ من خلالها أصحابه ﷺ إلى ما يبشرهم ويزيل همومهم ويبعث فيهم التفاؤل والأمل، ويغذي فيهم عوامل الصبر والاحتساب والرضا بما قسم لهم من الرزق، قال بن عباس رضي الله عنهما: (أصاب نبي الله ﷺ خصاصة فبلغ

(١) صحيح مسلم: ح (١٧٤٦).

(٢) مسند أحمد: ح (٧٣٥٩).

(٣) صحيح مسلم: ح (١٧٤٧).

(٤) السيوطي: جامع الأحاديث، ح (٢٠٥٩١) سنن البيهقي: ح (١١٤٢٩)

ذلك علياً ﷺ فخرج يلتمس عملاً ليصيب منه شيئاً يبعث به إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأتى بستاناً لرجل من اليهود فاستقى له سبعة عشر دلواً كل دلو بتمرة فخيره اليهودي من تمره سبع عشرة تمرّة عجوة فجاء بها إلى نبي الله ﷺ فقال من أنتي هذا يا أبا الحسن؟ قال: بلغني ما بك من الخصاصة يا نبي الله فخرجت التمس عملاً لأصيب لك طعاماً قال: فحملك على هذا حب الله ورسوله؟ قال علي: نعم يا نبي الله، فقال نبي الله ﷺ: والله ما من عبد يحب الله ورسوله إلا الفقر أسرع إليه من جرية السيل على وجهه، من أحبّ الله ورسوله فليعدّ تحفافاً، وإنما يعني الصبر^(١).

ومن صور ما كان يعيشه رسول الله ﷺ وكبار أصحابه ﷺ من حال الفاقة والحاجة التي تصل أحياناً إلى حد الجوع ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ! فَقَالَ ﷺ: " مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بَيْوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟ " قَالَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا! قَوْمُوا فَقَامُوا مَعَهُ، فَآتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرَحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي! قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعَدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِّيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ " فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعَدْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! أَخْرَجَكُمُ مِنْ بَيْوتِكُمْ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمُ هَذَا النَّعِيمُ^(٢).

وهذا نص فيه الكثير من العبر والأحكام التي تبين الحال الذي كان عليه النبي ﷺ وكبار أصحابه ﷺ وكيف كانوا يقدمون ما عندهم لنصرة أمتهم، ويؤثرون على أنفسهم بقلوب راضية

(١) سنن البيهقي الكبرى: ح (١١٤٢٩).

(٢) صحيح مسلم: ح (٣٧٩٩).

ونفوس مطمئنة، لكي يتعلم منهم من يأتي من بعدهم؛ كيف تكون أخلاق القدوة في المجتمع الإسلامي، ومدى استعداده للبذل والعطاء في سبيل عقيدته، وأنه كان يتجرد من كل ما يملك في سبيل ذلك، وهذه وقفة تصلح أن تكون مقياساً توزن عليه مواقف الآخرين، ممن يزعم أنه يعمل لخدمة البلاد والعباد، فمن خلالها يمكن التمييز بين المخلصين لعقيدتهم وبين من يعمل لنفسه أو لحزبه باسم مصلحة الأمة، ومن خلالها أيضاً يمكن تلمس مواطن الخلل وأسباب عسر تحقيق النجاح في البناء الإسلامي المعاصر، وهذا وغيره يؤكد أهمية العمل بوصايا وتوجيهات النبي ﷺ وسيرة أصحابه وضرورة تفعيل تلك القيم والتخلق بها حتى تصبح واقعا معاشاً يتلمسه الناس في أفعال ومواقف قادة العمل الإسلامي لكي يتمايزوا عن الآخرين من طلاب الدنيا، فنتشر الثقة فيهم، وفي ما يقولون أو يفعلون.

وفي هذه المعاني تتجلى مظاهر ثقافة الرضا والقناعة، والثقة وقوة الصبر والتحمل الذي كان يتمتع به أصحاب رسول الله ﷺ، مما مكنهم أن يتجاوزوا ما مرّ بهم من المحن العسكرية والسياسية والاقتصادية، وقدرتهم على معالجة تلك المضلات التي واجهتهم في حياتهم، وتأقلمهم مع الأحوال التي مرت بها دولتهم في بدايات نشأتها، واتضح أن المغانم عند النبي ﷺ وأصحابه كانت تتمثل في الإيثار والتخفف من الدنيا بقدر المستطاع، وبذل الجهد في ميادين المعالي التي تخدم الدين والأمة، إلا أن هذا لا يعني التواكل وترك العمل والأخذ بالأسباب، وإنما يعني تكوين ثقافة صلبة قادرة على مواجهة جميع التحديات التي تعترض المسلم في حياته، يبين ذلك أن كثيراً من أصحاب النبي ﷺ كانوا أصحاب زرع وضرع، وتجاراً أغنياء وأصحاب أموال وعقارات وغيرها، فلا تنافي بين ذلك ما دام المسلم يؤدي حقوق الله تعالى فيما يملك، ويرضى بما يقسمه الله تعالى له من غير ضجر ولا تملل، ومن غير أن تكون الحاجة سبباً في سلوك وسائل الكسب اللامشروع، الذي يصرف المسلم عن المواقع التي ترتقي به إلى أن يكون أهلاً لمحبة الله تعالى له.

وقالها النبي ﷺ لبعض عوام أصحابه وغربائهم في المدينة

وكان النبي ﷺ يشهد لبعض أصحابه بأنه يحب الله ورسوله ﷺ وهو غير معروف بين المسلمين بل وربما كان البعض يعتقد فيه الرياء وهو على غير ذلك، قال الأذرع الأسلمي ﷺ: (جِئْتُ لَيْلَةً أَحْرُسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا رَجُلٌ قِرَاءَتُهُ عَالِيَةٌ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا مُرَاءٍ، قَالَ: فَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ، فَفَرَعُوا مِنْ جِهَازِهِ فَحَمَلُوا نَعَشَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ازْفُقُوا بِهِ رَفَقَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: وَحَضَرَ ﷺ حُفْرَتَهُ، فَقَالَ: أَوْسِعُوا أَوْسَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ حَزِنْتَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ ﷺ: أَجَلٌ إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ ^(١).

وروي أنه ﷺ قالها لرجل من أصحابه كان يُجلد على شربه الخمر، روي عن عمر ﷺ أنه كان على عهد رسول الله ﷺ رجلاً اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً يُضحك رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ قد جلده في الشراب، فأُتي به يوماً فجلده، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله ﷺ: (لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله) ^(٢).

وقالها ﷺ لمن يعرف بالعلم والأناة

قال مزينة العبدي: (جاء الأشج يمشى حتى أخذ بيد النبي ﷺ فقبلها فقال له النبي ﷺ: أما إنَّ فيك لخلقين يُجبهما الله ورسوله! قال: جبلاً جبلت عليه أو خلقاً معي؟ قال ﷺ: لا بل جبلاً جبلت عليه، قال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله ﷺ) ^(٣) وأشج عبد القيس اسمه

(١) أبو بكر الشيباني: الأحاد والمثاني، المحقق: باسم فيصل الجوابرة، (٢٣٨٢) سنن ابن ماجه: ح (١٥٥٩).

(٢) البحر الزخار مسند البزار: (٢٧٠) قال: وهذا لا نعلم رواه عن هشام بن سعد، إلا عبد الله بن نمير، وقد رواه الليث بن سعد عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، أيضا.

(٣) الأدب المفرد: (٥٨٧).

المنذر بن عائذ العبدى رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلأَشْجِ أَشْجٌ عَبْدُ الْقَيْسِ: (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُجِبُهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ)^(١).

وروي هذا الحديث على وجه آخر فيه تفصيل أكثر يستفاد منه بيان مناسبة الحديث، قال: (بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم ﷺ: سيطلع عليكم من هذا الوجه ركب هم خير أهل المشرق، فقام عمر بن الخطاب يتوجه في ذلك الوجه فلقي ثلاثة عشر راكبا فرحب وقرب وقال: من القوم؟ قالوا: نفر من عبد القيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد التجارة؟ قالوا: لا قال: فتبيعون سيوفكم هذه؟ قالوا: لا، قال: فلعلكم إنما قدمتم في طلب هذا الرجل؟ قالوا: أجل، فمشى يحدتهم حتى إذا نظر إلى النبي ﷺ قال: هذا صاحبكم الذين تطلبون فرمى القوم بأنفسهم عن رحالهم، فمنهم من سعى ومنهم من هروا، ومنهم من مشى، حتى أتوا النبي ﷺ فأخذوا بيده فقبلوها وقعدوا إليه ﷺ وبقي الأشج وهو أصغر القوم، فأناخ الابل وعقلها وجمع متاع القوم، ثم أقبل يمشي على تؤدة حتى أتى النبي ﷺ فأخذ بيده فقبلها فقال له النبي ﷺ: فيك خصلتان يجبهما الله ورسوله قال: ما هما يا نبي الله؟ قال: الأناة والتؤدة فقال يا نبي الله أجبل جبلت عليه أو خلق مني؟ قال: بل جبل جبلت عليه فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يجب الله ورسوله)^(٢) ومما روي في هذا الباب عن أبي هريرة ؓ قال: (قام رسول الله ﷺ على المنبر، ويده كتاب، فقال ﷺ: لأعطين هذا الكتاب رجلاً يحب الله ورسوله ﷺ، ويحبه الله ورسوله؛ قم يا عثمان بن أبي العاص، فقام عثمان بن أبي العاص فدفعه إليه)^(٣).

(١) صحيح مسلم: باب الأمر بالإيمان بالله تعالى، ح (٢٤).

(٢) المعجم الأوسط: (١٦٥٦٨) مسند أبي يعلى: ح (٦٨٥٠) إسناده حسن.

(٣) المعجم الأوسط: (٧٨٤) قال: لم يروه عن المقرئ إلا أبو أمية بن يعلى تفرد به الفيض بن وثيق. مجمع الزوائد، ح (١٥٩٩٢).

وقالها ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ

روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله كان في سفر فأخذتني وحشة من الليل فقال رسول الله ﷺ: ما لك؟ فقلت: إني في هذا المكان في ليلة ظلماء فأخاف عليك، فقال ﷺ: كلا إن الله عز وجل يبعث لنا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يكلؤنا بقية ليلتنا، قالت: فبينما أنا كذلك إذ رأيت سواداً قد أقبل نحونا، فقال رسول الله ﷺ: من هذا؟ فقال: أنا سعد بن مالك - أي ابن أبي وقاص - جئت أكلؤك بقية ليلتك هذه، فوضع رسول الله ﷺ رأسه فنام^(١) يؤكد هذا ما جاء في الصحيح، أن أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ سهر، فلما قدم المدينة، قال ﷺ: ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة، إذ سمعنا صوت سلاح فقال من هذا فقال أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك ونام النبي ﷺ^(٢) وهذه النصوص كانت قبل أن ينزل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة: ٦٧) حيث ترك النبي ﷺ بعدها الحراسة.

ووصف النبي ﷺ أخلاقاً تقود إلى محبة الله ورسوله ﷺ

ومن فضل النبي ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، أنه كان حريصاً أن تسود الأخلاق النبيلة والقيم السامية جميع المجتمعات، ذلك أنه كان ﷺ حريصاً على صلاح البشرية جمعاء مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الانباء: ١٠٧) وقوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨) والقيم السامية والفضائل

(١) المعجم الأوسط: (٨٥٦) لم يرو هذا الحديث عن أبي جعفر إلا العوام بن حوشب.

(٢) صحيح البخاري: ح (٢٦٧٢).

الحميدة لا تنتشر حتى يتخلق بها الناس ويتعاملوا بمبادئها، فكان ﷺ يقر الأخلاق الحميدة حتى لو كانت مما يتعامل به أهل الجاهلية وينوه بها، قال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (١).
أما أن يعيش الإنسان كما يشاء؛ لا كما ينبغي، فهذا مما حذرت منه السنة كما حذرت من اللامبالاة بمواقف الآخرين ومشاعرهم، يتجلى ذلك في قول النبي ﷺ: (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ) (٢) فكان النبي ﷺ يوجه أصحابه ﷺ إلى الاهتمام برأي الآخرين وحسن التعامل معهم، والحرص على صفاء العلاقات الاجتماعية، وحسن الظن والتعاون والمودة، ولا سيما من استقام منهم على شرع الله تعالى، لما يترتب على ذلك من نتائج مهمة في حياة المسلم وفي آخرته، فمواقف المسلمين لها وزنها وأهميتها، ورأيهم يعمل به، وهو يعبر عن الحقيقة لما يمتازون به من الأمانة، وحسن السيرة، والعلم وأداء الشهادة على وجهها، قال أنس ﷺ: (مَرَّ بِجَنَازَةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ ﷺ: أَتْنُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: كَانَ مَا عَلِمْنَا يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ﷺ؛ وَأَتْنُوا عَلَيْهِ خَيْرًا فَقَالَ ﷺ: « وَجِبَتْ » قَالَ: ثُمَّ مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ ﷺ: أَتْنُوا عَلَيْهِ، فَقَالُوا: بَشَسَ الْمَرْءُ كَانَ فِي دِينِ اللَّهِ فَقَالَ ﷺ: " وَجِبَتْ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ " (٣).
وعن أنس ﷺ قال: (مَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثِنِّيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَمَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثِنِّيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ، قَالَ عُمَرُ: فِدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي مَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثِنِّيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقُلْتُ: وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَمَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثِنِّيَ عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتُ: وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ! وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ! أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ) (٤).

(١) السلسلة الصحيحة: ح (٤٥) صحيح. " وفي رواية: صالح الأخلاق".

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٢٢٤) وفي رواية " اصنع " ح (٣٢٢٥).

(٣) البيهقي: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، ح (٧٤٣٦).

(٤) صحيح مسلم: ح (١٥٧٨).

فمن هذه التوجيهات النبوية، يتأكد أن على المسلم أن يضع في اعتباره مواقف أبناء مجتمعه، وأن يجعلها محل اهتمام منه، لأن المسلمين شهود على ما يحصل من قول أو فعل يسمعونه أو يرونه، فما وافق معتقدتهم من القيم والفضائل التي كانت تبني عليها مواقف المشهود عليهم، فإنّ الثناء سيكون عطراً، وإن كانت اللامبالاة بمشاعر الآخرين من المسلمين، أو العمل بما يخالف معتقدتهم وسنة نبيهم ﷺ فإن الشهادة ستكون معبرة عن تلك الأفعال، فالحرص على مكارم الأخلاق ركن من أركان التعامل في المجتمع الإسلامي، يترتب عليه ما يبين مكانة المسلم بين أبناء مجتمعه، ويوضح مدى حرصه على ما بينه وبين ربه.

وهذا ما يتضح في هذا النص، الذي يبين أنّ من علامات محبة العبد لله ولرسوله ﷺ ومحبة الله ورسوله ﷺ للعبد، حرصه على التمسك بالصدق وأداء الأمانة وحسن الجوار، عن عبد الرحمن بن أبي قراد رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ توضأ يوماً فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه فقال لهم النبي ﷺ: " ما يحملكم على هذا؟ " قالوا: حب الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: " من سرّه أن يحب الله ورسوله؛ أو يحبه الله ورسوله، فليصدق في حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا أؤتمن، وليحسن جوار من جاوره)^(١) ولا شك أنّ هذه المعاني السامية إذا سادت في أي مجتمع؛ فإن آثارها العملية ستظهر على أخلاقيات ومواقف أبناء ذلك المجتمع، وستنعكس عليه أمناً واستقراراً وثقة، تثمر أبنع الثمار التي يسعى لها العاملون على الإصلاح وبناء الأجيال، وتكوين الأمة الراقية في قيمها، المزدهرة في ثقافتها، الثرية في عطائها، الراسخة في أمنها وقوتها.

ولن تصل أمة إلى مثل هذا الحال حتى تكون راقية في آمالها كريمة في فعالها، حريصة على العمل بتعاليم النبي ﷺ وتسعد بتطبيقها على واقع الحياة مصداقاً لقوله ﷺ: (من سرّه أن يحب الله ورسوله؛ أو يحبه الله ورسوله فليصدق في حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا ائتمن، وليحسن جوار من جاوره)^(٢).

(١) مشكاة المصابيح: ح (٤٩٩٠) قال الألباني: حديث حسن.

(٢) جلال الدين السيوطي: جامع الأحاديث، (٢٢٤٠٩) البيهقي: شعب الإيمان (١٥٣٣).

فالصدق وأداء الأمانة وحسن الجوار من جوامع أخلاقيات صلاح الفرد؛ وبناء المجتمع، وهي مكونات الثقة المحرّضة على العطاء والجد وصناعة الأهداف العظيمة، التي تتطلع إليها الأمم الرائدة المتجددة، فإذا عمل المسلم بهذه التوجيهات فإن لذلك علامات تظهر من خلال ضوابط الحب والبغض التي تبني عليها المواقف في حياة الناس، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن ويعجبه، فهو يحب الله ورسوله ﷺ)^(١) و (من سرّه أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف)^(٢) و (من سرّه أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف)^(٣) ذلك أن حب المصحف، يعني حب الحق والعمل به.

الحث على الحب في الله

والحب في الله من علامات الإخلاص والولاء الإسلامي، والفهم الإيماني، والرقي الاجتماعي، والسمو الأخلاقي، فضلاً عن الثمار اليانعة التي يجنيها المتحابون في الله في الدنيا والآخرة، لهذا ولغيره أكدت القيم الإسلامية على هذه المعاني، وعلى أهمية إشاعتها بين أبناء الأمة المسلمة، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؛ الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي)^(٤).

فلا شك أن هذه ثمرة عظيمة ترفع صاحبها إلى مراتب الأمراء العادلين والعلماء العاملين والعباد الزاهدين، من غير بذل الكثير من المجهود، فيما سوى تنمية المشاعر السامية المبنية على الوفاء والمودة، والإحساس بالآخرين وتفقدتهم وتمني الخير لهم، فإذا بلغت هذه الصلوات بين المسلمين حداً تنتفي فيه المصالح والمنافع المادية، أو تكون هذه المنافع في الدرجة الثانية لأسباب

(١) مسند ابن الجعد: ح (١٩٥٦).

(٢) الألباني: السلسلة الصحيحة، ح (٢٣٤٢) قال: حديث، حسن.

(٣) السيوطي: جامع الأحاديث، (٢٢٤٢٧). البيهقي: شعب الإيمان، (٢٢١٩).

(٤) صحيح مسلم: ح (٤٦٥٥).

التواصل، فإن البشارات تأتي للمتخلفين بهذه القيم وهم في الحياة الدنيا، قال النبي ﷺ: (إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا عَيْرٌ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بَانَ اللَّهُ قَدْ أَحْبَبَكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)^(١) فكان أئمة السلف وعلماؤهم يؤكدون على نشر هذا الفهم وهذه الثقافة الراقية، بين أبناء المجتمع الإسلامي، ويحرصون هم على التخلق بها، والعمل بمضمون مقاصدها، قال أبو مسلم الخولاني: (دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ فإذا فيهم شاب أكحل العينين براق الشنايا ساكت، فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه، فسألوه، فقلت: لجليس لي من هذا؟ قال: هذا معاذ بن جبل ؓ، فوقع له في نفسي حب فكنت معهم حتى تفرقوا، ثم هجرت إلى المسجد فإذا معاذ بن جبل قائم يصلي إلى سارية، فسكت لا يكلمني، فصليت ثم جلست، فاحتيت برداء لي، ثم جلس فسكت لا يكلمني وسكت لا أكلمه، ثم قلت: والله إنني لأحبك، قال: فيم تحبني قال: قلت: في الله تبارك وتعالى، فأخذ بحبوتي فجرني إليه هنية، ثم قال: أبشر إن كنت صادقاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغطهم النبيون والشهداء) قال: فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت ؓ فقلت: يا أبا الوليد، ألا أحدثك بما حدثني معاذ بن جبل في المتحابين؟ قال: فأنا أحدثك عن النبي ﷺ يرفعه إلى الرب عز وجل قال: (حقت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ وحقت محبتي للمتواصلين فيّ)^(٢).

وواضح في هذا النص أن من ثمار المحبة في الله تعالى، الارتفاع بإيمان المتحابين، وتزكية مقاصدهم، مما يأخذ بأيديهم إلى التخلق بأخلاق الصالحين من الشهداء والنبيين، الذين عاشوا لعقيدتهم ولأمتهم معلمين ومنافحين وباذلين، وهذا يقود إلى انتشار ثقافة العطاء والتضحية في

(١) صحيح مسلم: (٤٦٥٦).

(٢) مسند أحمد: ح (٢٢١٣٣). تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

سبيل الله، والتحسس لأحوال الناس وبها يعود على الأمة والمجتمع المسلم، بأعلى درجات التماسك والتعاون والتواصل وإشاعة أخلاق الثقة والإيثار والتناصر، والرغبة في خدمة الآخرين والعمل على حفظ مكاسبهم وتنميتها، مما يورث الاستقرار والأمن والنظام والعدل.

محبة رسول الله ﷺ ترفع درجات المحبين

وكانت مواقف المحبة في الله قائمة في عصر الرسالة بأهـى صورها، والمتخلقون بها يرجون من الله تعالى ما يرجوه الشهداء والمنفقون والمجاهدون في سبيل الله تعالى، مما وفر البيئة الصالحة للبناء وإيجاد جيل القدوة في العلم والعمل، ومن ذلك: (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ ﷺ: وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ! فَقَالَ ﷺ: " أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ " قَالَ أَنَسٌ ﷺ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: " أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ " قَالَ أَنَسٌ ﷺ: فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ، بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ)^(١).

فهذه المحبة الخالصة لله تعالى ترتفع بأصحابها إلى مراتب عالية قد ينفق من أجلها الأغنياء أموالهم، والعلماء أوقاتهم، والمجاهدون دماءهم، حتى يصلوا إلى ما يصل إليه المتحابون في الله تعالى، ولقد ظهرت للناس ولا زالت صور المحبة، في مواقف أبناء المسلمين في المحن وحين تتعرض بلادهم للنكبات من الاعتداءات الخارجية، أو في مواجهة صناعات الفتن الداخلية، ولعل من أبلغ الصور الميدانية في هذا الباب ما رواه أبو جهم بن حذيفة العدوي، قال: (انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي ومعني شنة من ماء أو إناء، فقلت: إن كان به رمق سقيته من الماء، أو مسحت به وجهه، فإذا أنا به ينشغ، فقلت: أسقيك؟ فأشار أي نعم، فإذا رجل يقول: آه فأشار ابن عمي أن انطلق به إليه، فإذا هو هشام بن العاص أخو عمرو رضي الله عنها، فأتيته فقلت: أسقيك فسمع آخر يقول: آه، فأشار هشام أن انطلق به إليه، فجتته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى

(١) صحيح البخاري: ح (٣٤١٢).

هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات رحمهم الله تعالى^(١) فهذه الصور الواقعية الفريدة في أمة الإسلام ما هي إلا ثمرة من ثمار المحبة في الله تعالى، التي تقود أصحابها إلى أن يفتدي بعضهم بعضاً، ويؤثر بعضهم على بعض في أعلى درجات الإيثار، وهم في أشد حالات الحاجة كما هو واضح في هذه الصورة المعبرة، التي تختصر الحديث عن كل ما يراد قوله في هذا الباب.

فكانت هذه القيم تأخذ من اهتمامات الصحابة حيزاً وكانوا يسألون عنها النبي ﷺ قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)^(٢) وهذه البشارة من رسول الله ﷺ باب مفتوح لأبناء الأمة للتعبير من خلالها عن مشاعرهم في ولاء الله وسوله ﷺ والبراءة من أعدائهم، وفيها البرهان الكافي على الفهم الصحيح للإسلام، واستعداد المتخلق بها للعطاء والتضحية من أجل دينه، ذلك أنه لا يجب رسول الله ﷺ وأصحابه إلا من بلغ درجة عالية من الشفافية الروحية والتعلق بالوسائل الموصلة إلى الأحوال التي جعلت أصحاب النبي ﷺ يقدمون كل شيء في سبيل الوصول إلى هذه المرتبة العالية، ومن ثم بقي الباب مفتوحاً على مصراعيه لالتحاق القادمين من أبناء الأمة؛ بسلفهم المعطاء الكريم، وذلك ببشارة رسول الله ﷺ للاثنين، أن خلق الحب في الله تعالى أصيل في هذه الأمة تتناقله أجيالها الآتية لتلحق بالسابقة، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ)^(٣) وهذه البشارة ما هي إلى دعوة مفتوحة، لكل مسلم يقظ حذر فطن، لمباشرة العمل الجاد والمتواصل، للترقي في قيم الإيمان، والاقتراب من هذه المعاني، وصولاً إلى محبة الله ورسوله ﷺ التي تقود صاحبها إلى ما يتمناه المسلم في كل عصر ومصر.

(١) البيهقي: شعب الإيمان، ح (٣٤٨٣)

(٢) صحيح البخاري: ح (٥٧٠٣).

(٣) صحيح مسلم: ح (٥٠٦٠).

من درجات محبة رسول الله ﷺ

أما درجات المحبة لرسول الله ﷺ فهي تختلف بحسب أحوال المحبين له ﷺ فمنهم من يحبه أكثر من نفسه وأهله وماله، لكنه لا يستطيع الصبر عن مفارقتة ﷺ في الدنيا، ويتجاوز ذلك إلى حمل هم الآخرة وكيف أنه بعد الموت يخشى أن لا يتمكن من رؤية رسول الله ﷺ ومنهم من يحبه أكثر من ولده ووالده والناس أجمعين، وهو متمالك لمشاعره لكنه لا يتصور العيش بدون رسول الله ﷺ وهذا ما حصل لأنس بن النضر ﷺ يوم أحد حين سمع ﷺ من قال له قتل محمد ﷺ فقال: وما طيب العيش بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه نبيكم فقاتل حتى استشهد ولم يستطع أن يفعل مثل فعله من كان معه ممن يحب النبي ﷺ كحبه ﷺ وهناك مراتب أخرى تظهر من خلال مثل هذه النصوص والصور الفريدة.

قال عبد الله بن هشام: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ " فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الْآنَ يَا عُمَرُ)^(١).

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: " يا رسول الله؛ والله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة؛ خشيت أن لا أراك، فلم يردّ عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٩)^(٢) وهذا النص يصور حال

(١) صحيح البخاري: ح (٦١٤٢) وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ هِشَامٍ: هُوَ جَدُّ زُهْرَةَ بِنْتِ مَعْبُدٍ، رَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ فَمَسَحَ النَّبِيُّ ﷺ رَأْسَهُ وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَاتِ.

(٢) المعجم الأوسط (٤٧٧) السلسلة الصحيحة (٢٩٣٣).

بعض اصحاب النبي ﷺ وما هم عليه من حال التعلق به، وجعل العيش بقربه أهم آمالهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فلما صدقوا بذلك جاءتهم البشارة بأن المحبين للنبي ﷺ درجاتهم معه ومع المقربين له ﷺ من الصديقين والشهداء والصالحين.

والذي يتضح من النصوص الأخرى المتعلقة في هذه المسألة أن هناك شروطاً واضحة لا بد من تجاوزها للوصول إلى مرتبة المحبة الحقيقية، ودرجة الإيمان الحق، وهي أن تكون محبة رسول الله ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّةِ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وأن المفهوم من هذه النصوص هو إطلاقِ عَدَمِ الْإِيمَانِ عَلَى مَنْ لَمْ يُحِبَّهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ.

قال النبي ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَاَلِدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)^(١) وقال ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ - وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الْوَارِثِ - الرَّجُلُ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ: أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)^(٢).

ولن تكون هذه المحبة قائمة على وجهها الصحيح حتى يتحقق فيها الركن الآخر وهو غيره المسلم على ما يُحِبُّ، والبراءة من مبغضي محبوبه، ومن أعداء ما يحبه النبي ﷺ، ولا سيما أصحابه ﷺ وأزواجه رضي الله عنهن، ولن تتحقق مقاصد تلك المحبة ولذة التفاعل معها، إلا إذا اقترن ذلك بالصدق والإخلاص والوفاء، قال رسول الله ﷺ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ)^(٣) وأن يتحقق فيه أيضاً الجانب الإنساني المشرق في الأخلاق الإسلامية، مثل قول رسول الله ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ؛ أَوْ قَالَ لِجَارِهِ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)^(٤) فإذا توفر لدى المسلم الإخلاص والوفاء وصدق المحبة،

(١) صحيح مسلم: ح (٦٣).

(٢) صحيح مسلم: ح (٦٢).

(٣) صحيح مسلم: ح (٦٠).

(٤) صحيح مسلم: ح (٦٤).

فإنَّ الباب مفتوح لكل محب لرسول الله ﷺ من أبناء هذه الأمة إلى قيام الساعة، لقول رسول الله ﷺ: (مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ)^(١).

وعلامات محبة رسول الله ﷺ محبة أنصاره ﷺ الذين أحبوه وافتدوه بأنفسهم وأهليهم وما يملكون، يحبون ما يحب ويبرؤون ممن يبرأ، قال أبو علي الدقاق: " من استهان بأدب من آداب الإسلام عوقب بحرمان السنَّة، ومن ترك سنَّة، عوقب بحرمان الفريضة، ومن استهان بالفرائض، قىض الله له مبتدعاً يذكر عنده باطلاً فيوقع في قلبه شبهة!"^(٢).

فإذا كان الحال هكذا، فكيف بمن يُسخر قلمه ودرهمه وجاهه لخدمة أعداء الصحابة، ومداهنتهم، والحرص على تحقيق مصالحهم اللا مشروعة! مع الجرأة على السنَّة وأهلها والغلظة عليهم ومجافاتهم ثم الزعم بعد ذلك أنه من أهل السنَّة ويجب الصحابة ﷺ قال القائل:

تَوَدُّ عَدُوِّي، ثُمَّ تَزَعُمُ أَنَّي صَدِيقُكَ، إِنَّ الرَّأْيَ مِنْكَ لِعَازِبُ

وعازب أي بعيد، ولا شك أن من له أي صلة مودة معلنة أو خفية؛ مع قتلة الخلفاء الراشدين، أو معاونة لمبغضي أصحاب سيد المرسلين ﷺ في بيع أو شراء أو مجالسة أو مصاحبة أو مسالمة أو مصاهرة، فلا شك أنه محروم من شرف حب الصحابة ﷺ قال علي ﷺ قال رسول الله ﷺ: (ثلاث هنَّ حق، لا يجعل الله من له سهم في الإسلام؛ كمن لا سهم له، ولا يتولى الله عبداً فيوليه غيره، ولا يحب رجل قومًا إلا حشر معهم)^(٣) فمن أحبَّ النبي ﷺ أحبَّ أصحابه، ومن أحبَّ أصحاب النبي ﷺ لا يحب أعداءهم، ومن أحبَّ أعداءهم لن يحب الكتاب والسنَّة وإن زعم، فإنها هو الوهم والأمانى. قال تعالى: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (المتحنة: من الآية ١).

(١) صحيح مسلم: ح (٥٠٦٠).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٤ / ٣٣٠.

(٣) الألباني: صحيح الترغيب والترهيب، (٣٠٣٧). قال: صحيح لغيره.

المبحث الثاني استشهادهم بالأحاديث الموضوعة

احتجاج أعداء الصحابة بالأحاديث الموضوعة

وزعمهم بأنّ رسول الله ﷺ قال: (من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربي، فليوال عليّاً ﷺ من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلّقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلّتي، لا أناهم الله شفاعتي) (١).

إنّ أعداء الصحابة كما تقرر في أكثر من موضع، لا يبالون بما يقولون لأنهم لا يبحثون عن حقيقة وإنما هدفهم التشويش والتشويه والتضليل، ولعل هذا النص مثال على ذلك، لما فيه من الخلط وعوار القول، وشتات الفكر، وطيش الأمانى، وركاكة المطالب، وسوء الوصف، وفقدان الأصالة، وبما يتناقض مع النصوص النبوية الصحيحة، وفي هذا النص أيضاً ما يدحض قول من وضعه من المخادعين، فعلي أمير المؤمنين ﷺ الراشدي الرابع يوالي الله ورسوله ﷺ وخلفاءه الراشدين من قبله، وتواليه أمة الكتاب والسنة، سابقاً ولاحقاً والجميع يعرف مكانته في الأمة وبين الخلفاء الراشدين ﷺ ويلتقون معه ﷺ على أوامر ونواهي الكتاب والسنة، لكن أعداء الصحابة يفارقون أمير المؤمنين عليّاً ﷺ في عامة ما يقومون به من عبادات واجتهادات وولاءات! وبراءة يزعمونها من أعدائه، أصّلت القطيعة بينهم وبين أمة الكتاب والسنة، فأصبحوا يُشرّعون من دون الله تعالى، ويضعون الأحاديث على لسان رسول الله ﷺ خدمة لأهدافهم ومآربهم، إلا أنهم يجعلون ذلك تحت مسمى آل البيت، متناسين بأن مقياس الأمة المسلمة، هو الكتاب والسنة وما فيها من نصوص تدعو إلى محبة آل البيت ﷺ فإذا كان من يزعم

(١) الألباني: السلسلة الضعيفة، ح (٨٩٤) قال: حديث موضوع.

حب آل البيت يحارب مصادر التشريع التي تؤصل لمكانة آل البيت ومودتهم، فكيف يوفق هؤلاء بين زعمهم وواقع حالهم؟ ومصادر تشريعهم التي يحتكمون إليها؟!

وكل ما يروية أعداء الصحابة من مرويات مفتراة على رسول الله ﷺ بحجة تأكيد فضائل علي ﷺ فإن عند أهل السنة والجماعة ما هو أعلى شأنًا منها وأمضى قيمة وأسمى مكانة، تؤكد مكانة أمير المؤمنين علي ﷺ بين أصحاب رسول الله ﷺ وكرام الناس وأكابر القادة، وبالراوايات الصحيحة الموثوقة عن رسول الله ﷺ وبما يبطل عامة ما يصنعه أعداء الصحابة من أحاديث مكذوبة، مما يبعث على التساؤل عن أسباب وضعهم لتلك الأحاديث الركيكة!.

لكن الناظر في نصوصهم يجد أن مقاصدهم لا تتصل بعلي ﷺ فقط، وإنما هم يجعلونه مشجباً يعلقون عليه أمانيتهم وآمالهم في صناعة أئمة، وبناء عقيدة لهم، على غير منهج الكتاب والسنة، وتعظيم قيادات وأشخاص لا صلة لهم بالأمة وعقيدتها، واقتران أحاديثهم على الأغلب بالظعن بأئمة الكتاب والسنة؛ وعقيدتهم وإنجازاتهم واجتهاداتهم، وهذا هو المقصد الحقيقي وراء حرص أعداء الصحابة على الاستغناء عن الأحاديث الصحيحة، وإشغال أجيالهم بأحاديث موهومة لا صحة لها! لكنها مقرونة بأمانى وأباطيل، ومحاطة بأحقاد وأراجيف ومكائد، تحول بين الناس وبين ما في الكتاب والسنة من عقيدة تصلهم بخالقهم، وتنظم تواصلهم فيما بينهم وبين أبناء أمتهم، فلهذه المقاصد الفاسدة يحرصون على صناعة الأحاديث وترويجها، ليستغنوا بها عن الكتاب وصحيح السنة النبوية المطهرة.

ومن شبهاتهم رد الشمس لعلي ﷺ

ومن شبهاتهم التي يشيعونها بين الناس لا تنقاص الصحابة، باسم إظهار فضائل علي ﷺ " أن الشمس رُدَّت لعلي ﷺ حتى يصلي العصر " وذلك لمضاهاة ما ورد في الصحيحين لبعض الأنبياء، قال رسول الله ﷺ: (غَزَا نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَمَلَأَ يَبْنَ بِنَهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى يُبُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ

خَلْفَاتٍ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَا دَهَاءَ، فَغَزَا فِدْنَا مِنَ الْقَرِيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحَبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا، فَلَمْ تَطْعَمَهَا، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ فِيكُمْ عُلوًّا فَلْيَبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ فِيكُمْ الْعُلُولُ، فَلْيَبَايِعْنِي قَبِيلَتِكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْعُلُولُ، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا فَجَاءَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ، رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا^(١).

فإن قيل: فهذه الأمة أفضل من بني إسرائيل، فإذا كانت قد رُدَّت لِيُوشَعَ، فما المانع أن ترد لفضلاء هذه الأمة؟ فيقال: يوشع لم تُرد له الشمس، ولكن تأخر غروبها: أي زيد له النهار، وهذا قد لا يظهر للناس، فإن طول النهار وقصره لا يدرك، ونحن إنما علمنا وقوفها لِيُوشَعَ ﷺ بخبر النبي ﷺ وأيضاً لا مانع من طول ذلك، لو شاء الله لفعل ذلك.

لكن يوشع كان محتاجاً إلى ذلك، لأن القتال في شريعته كان محرماً عليه بعد غروب الشمس، لأجل ما حرم الله عليهم من العمل ليلة السبت ويوم السبت، وأما أمة محمد ﷺ فلا حاجة لهم إلى ذلك، ولا منفعة لهم فيه، فإن الذي فاتته العصر إن كان مفترطاً لم يسقط ذنبه إلا بالتوبة، ومع التوبة لا يحتاج إلى رد، وإن لم يكن مفترطاً، كالنائم والناسي فلا ملام عليه في الصلاة بعد الغروب، وبغروب الشمس خرج الوقت المضروب للصلاة، فالمصلي بعد ذلك لا يكون مصلياً في الوقت الشرعي حتى لو عادت الشمس! وقول الله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ (طه: ١٣٠) يتناول الغروب المعروف، فعلى العبد أن يُصلي قبل هذا الغروب، وإن طلعت ثم غربت، والأحكام المتعلقة بغروب الشمس حصلت بذلك الغروب، فالصائم يفطر، ولو عادت بعد ذلك لم يبطل صومه، مع أن هذه الصورة لا تقع لأحد، ولا

(١) صحيح البخاري: ح (٢٨٩٢).

وقعت لأحد، فتقريها تقدير ما لا وجود له، وهو أشبه بتقرير انتظار الغائب في سرداب سامراء منذ مئات السنين! ولهذا لا يوجد الكلام على حكم مثل هذا في كلام العلماء المعتبرين.

وأيضاً فالنبي ﷺ فاتته العصر يوم الخندق، فصلاًها قضاءً، هو وكثير من أصحابه، ولم يسأل الله ردّ الشمس، وعلي ﷺ ليس بأحرص على أداء الصلاة من رسول الله ﷺ، قال علي ﷺ: أنهم يوم الأحزاب اقتتلوا وحبسونا عن صلاة العصر فقال النبي ﷺ: (اللهم املاً قبورهم ناراً أو املاً بطونهم ناراً كما حبسونا عن صلاة الوسطى قال: فعرفنا يومئذ أن صلاة الوسطى صلاة العصر) (١).

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال لأصحابه، لما أرسلهم إلى بني قريظة، بعد غدرهم بالمسلمين: (لا يُصَلِّينَ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يَرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنَّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ) (٢)

فهؤلاء الذين كانوا مع النبي ﷺ صلّوا العصر بعد غروب الشمس، وليس عليّ بأفضل من النبي صلّى الله عليه وسلّم، فإذا صلاها هو وأصحابه معه بعد الغروب، فعليّ وأصحابه أولى بذلك.

فإن كانت الصلاة بعد الغروب لا تجزيء أو ناقصة تحتاج إلى رد الشمس، كان رسول الله ﷺ أولى برد الشمس، وإن كانت كاملة مجزئة فلا حاجة إلى ردها، وأيضاً فمثل هذه القضية من الأمور العظام الخارجة عن العادة التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها، فإذا لم ينقلها إلا الواحد والاثنان علم بيان كذبهم في ذلك، وانشقاق القمر كان بالليل وقت نوم الناس، ومع هذا فقد رواه الصحابة ﷺ من غير وجه، وأخرجوه في الصحاح والسنن والمسانيد من غير وجه، ونزل به القرآن، فكيف برد الشمس التي تكون بالنهار، ولا يشتهر ذلك، ولا ينقله أهل العلم نقلة مثله؟! ولا يعرف قط أن الشمس رجعت بعد غروبها، وإن كان كثير من الفلاسفة والطبيعيين

(١) مسند أحمد: ح (١٣١٣) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) صحيح البخاري: ح (٨٩٤).

وبعض أهل الكلام ينكر انشقاق القمر، وما يشبه ذلك، فليس الكلام في هذا المقام، لكن الغرض أنّ هذا من أعظم خوارق العادات في الفلك، وكثير من الناس ينكر إمكانه، فلو وقع لكان ظهوره ونقله أعظم من ظهور ما دونه ونقله، فكيف يُقبل وحديثه ليس له إسناد مشهور، فإن هذا يوجب العلم اليقيني بأنه كذب لم يقع^(١) قال تعالى: ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (القمر: ١) قال الذهبي: ولهذا الخبر إسناد رواه جماعة عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك أخبرنا محمد بن موسى القطري عن عون بن محمد عن أمه أم جعفر عن جدتها أسماء بنت عميس أنّ رسول الله ﷺ (وضع رأسه في حجر علي ﷺ فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال النبي ﷺ: اللهم إن عبدك علياً احتسب نفسه على نبيه فرد عليه شرقها، قالت أسماء: فطلعت حتى وقفت على الجبال والأرض، فقام علي فتوضأ وصلى العصر، ثم غابت الشمس وذلك بالصهباء في غزوة خيبر)^(٢).

(١) ابن تيمية: الإمامة في ضوء الكتاب والسنة، جمع وتقديم وتعليق محمد مال الله، ١١٢/٢.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال: ٥٢٤. والخبر منكر، وعون بن محمد هو ابن الحنيفة وأمه هي ابنة محمد بن جعفر بن أبي طالب، وعون وأمه ليسا ممن يعرف حفظهم وعدالتهم ولا من المعروفين بنقل العلم ولا يحتج بحديثهم في أهون الأشياء فكيف في مثل هذا ولا فيه سماع المرأة من أسماء بنت عميس، وهذا المصنف ذكر عن ابن أبي فديك أنه ثقة وعن القطري أنه ثقة ولم يمكنه أن يذكر عن بعدهما أنه ثقة، وإنما ذكر أنسابهم ومجرد المعرفة بنسب الرجل لا توجب أن يكون حافظاً ثقة. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، من طريق عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس قالت كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس فقال النبي ﷺ إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت: أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت. قال ابن الجوزي: وهذا موضوع بلا شك، وقد اضطربوا فيه فرواه سعيد بن مسعود المروزي، عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن علي بن الحسين عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء نحوه، وفضيل بن مرزوق ضعفه يحيى، وقال أبو حاتم: يروي الموضوعات ويخطئ على الثقات. المنتقى من منهاج الاعتدال: ٥٢٥. الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعات: ح (٩٧١) قال: « كذب موضوع لا أصل له ».

وفي المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي، قال: ولفظ ابن المطهر في منهاجه، أن علياً صلاها للوقت، ما علمت أحداً رواه، وأما رد الشمس لعلي بابل فهذا من أباطيل الرافضة، قال وزاد الماء بالكوفة وخافوا الغرق فركب علي ﷺ بغلة رسول الله ﷺ والناس معه فنزل علي على شاطئ الفرات، فصلى ودعا، وضرب صفحة الماء بقضيب، فغاض الماء، وسلّم عليه كثير من الحيتان، ولم ينطق الجري! فسئل عن ذلك فقال ﷺ: أنطق الله لي ما طهر من السمك، وأصمت ما أخرسه وأنجسه وأبعده.

قال الذهبي: قلنا أين إسناد هذا؟! وإلا فمجرد الحكايات يقدر عليه كل أحد، ولا يعني شيئاً، ثم هو باطل، ولو وقع لتوفرت الدواعي والهمم على نقله، ثم السمك كله طاهر مباح اجمعوا على حله فكيف يقال إن الله أنجسه؟! أفنحرم ما أحل الله بمثل هذه الخرافة؟! ونقول: نطق السمك ليس هو مقدوراً له عادة، بل من الخوارق، فالله أنطق ما أنطق منه بقدرته، وما بقي فعلى الأصل، هذا أن لو كان ذلك وقع، وهو لم يقع! فأى ذنب للسمك، وقد قلنا إن علياً ﷺ أجلّ قدراً من أن يحتاج إلى هذه الأحاديث الموضوعات!.

سلوني قبل أن تفقدوني . سلوني عن طرق السماء فإني أعلم بها من طرق الأرض!

فمن كان له علم بمعرفة طريقة أهل الحديث، ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد، ويعرف صدقها من كذبها، علم أنّ هؤلاء الذين يتقلون مثل هذا القول عن علي ﷺ من أبعاد الناس عن معرفة المنقولات! والتميز بين صدقها وكذبها، فهم يزيفون النصوص ويبدلون أسماء الصحابة، فإن لم يجدوا ما يستشهدون به مما يخدم أهدافهم في تغذية الفتن وتشويه سيرة أئمة الكتاب والسنة ومكانتهم في قلوب المسلمين، فإنهم ينشرون النصوص الموهمة لمن لا علم له، مثل قولهم: إن علياً ﷺ قال: (سلوني قبل أن تفقدوني سلوني عن طرق السماء فإني أعلم بها من طرق الأرض)^(١) قال في المنتقى إن كان قال ذلك، فنقول: لا ريب أن علياً ﷺ لم يكن يقول هذا بالمدينة بين سادة

(١) ينظر المنتقى من منهاج الاعتدال: ٥٠٩.

الصحابة رضي الله عنهم الذين يعلمون كما يعلم، وإنما قال هذا لما صار إلى العراق بين قوم لا يعرفون كثيراً من الدين، وهو الإمام الذي يجب عليه أن يعلمهم ويفقههم، وقوله: أنا أعلم بطرق السماء إن كان قاله، فمعناه أعلم بما يتقربون به من الأمر والنهي والعبادة والجنة والملائكة، ما لا أعلمه في الأرض، ليس مراده رضي الله عنه أنه صعد ببدنه إلى السماء، هذا لا يقوله مسلم، وهذا كأنه موضوع، ولا يعرف له إسناد، وقد تضل به الغلاة الذين يعتقدون نبوته فيحتجون بهذا، بل وكثير من العوام والنسك يعتقدون في بعض الشيوخ نحو هذا.

قال الرافضي: وإليه رجع الصحابة في مشكلاتهم وردّ عمر رضي الله عنه في قضايا كثيرة قال فيها: "لولا علي لهلك عمر!" قال في المنتقى: فيقال ما رجع الصحابة إلى علي رضي الله عنه في شيء من دينهم، بل كانت النازلة تنزل فيشاور عمر رضي الله عنه علياً وعثمان وابن عوف وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبا موسى وجماعة رضي الله عنهم حتى كان يدخل ابن عباس معهم مع صغر سنه رضي الله عنه وهذا مما أمر الله به المؤمنين ومدحهم عليه بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: من الآية ٣٨).

ولهذا كان رأي أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وحكمه وسياسته من أسدّ الأمور، وقد أجاب ابن عباس عن مشكلات أكثر مما أجاب علي رضي الله عنه بكثير، لطول مدته واحتياج الناس إلى علمه، وكان عمر رضي الله عنه يشاورهم مع أنه أعلم منهم رضي الله عنهم وكثيراً ما كانوا يرجعون إلى قوله في مثل مسألة العمريتين^(١) والعول وغيرهما فإن عمر أول من أجاب في زوج وأبوين أو امرأة وأبوين، بأنّ للأم

(١) العمريتين في الموارث: هي (زوج وأبوين، وزوجة وأبوين) فإن عمر رضي الله عنه أعمل النص القرآني فيها لأن الله تعالى يقول: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (النساء: من الآية ١١) وقبل اجتهاد عمر رضي الله عنه لم تكن الآية متحققة وتفصيل الأمر في إحدى المسألتين اللتين أفتى فيها عمر رضي الله عنه هي أنّ المسألة قبل الاجتهاد من أن للآب سهماً؛ لأنه عاصب، وللأم سهمين وللزوج ثلاثة، والملاحظ أنّ الأم أخذت ضعف الأب وهو ما يخالف النص القرآني، وأصبحت المسألة بعد اجتهاد عمر أن الزوج أخذ نصيبه ثلاثة، وأخذت الأم الثلث من الباقي بعد نصيب الزوج وهو واحد وأخذ الأب الباقي وهو اثنان، وبذلك أصبح نصيب الأب ضعف نصيب الأم وفقاً للآية الكريمة ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ ولما

ثلث الباقي واتبعه أكابر الصحابة، وأكابر الفقهاء كعثمان وابن مسعود وعلي وزيد رضي الله عنهم والأئمة الأربعة وخفي قوله على ابن عباس فأعطى الأم الثلث ووافق طائفة وقول عمر رضي الله عنه أصوب. وقوله: رد عمر رضي الله عنه في قضايا كثيرة قال فيها: "لولا على لهلك عمر" فهذا لا يعرف أن عمر رضي الله عنه قاله إلا في مسألة واحدة إن صح ذلك وقد كان عمر يقول نحو هذا كثيرا لمن هو دون علي قال للمرأة التي عارضته في الصداق رجل أخطأ وأصابت امرأة، وأما قولك معرفة القضايا بالإلهام بمعنى أنه صادق حكم بذلك بمجرد الإلهام، فلا يحل الحكم بهذا في دين الإسلام، ولو كان الإلهام طريقاً كان الرسول صلى الله عليه وسلم أحق من قضى به، وكان الله يوحى إليه من هو صاحب الحق فلا يحتاج إلى بينة، فإن قلت معناه أنه يُلهم الحكم الشرعي، فهذا أيضاً لا بد فيه من دليل شرعي، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قد كان قبلكم في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر) ^(١) ومع هذا فلم يكن يجوز لعمر رضي الله عنه أن يحكم بالإلهام ولا يعمل بمجرد ما يلقي في قلبه حتى يعرض ذلك على الكتاب والسنة فإن وافقه قبله وإن خالفه رده ^(٢).

والموقف الذي يجب أن يتضح من هذا النص مهم، ذلك أنه وإن كان أعداء الصحابة ينشرون هذا الخبر مضافاً إليه ما اعتادوا على وضعه فيما يحسونه من أبواب تقديم علي رضي الله عنه ليتسللوا من خلاله للطعن بإخوانه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الحاكم أورد هذا النص في مستدركه عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قام على المنبر أي في الكوفة، فقال: سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوني بعدي مثلي قال: فقام ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ (الذريات: ١) قال رضي الله عنه: الرياح قال: فما ﴿فَالْحَائِلَاتِ وَقُرًا﴾ (الذريات: ٢) قال: السحاب قال: فما ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ (الذريات: ٣) قال: السفن قال: فما

كان أعداء الصحابة حرباً على القرآن وأهله فإنهم يشنعون على عمر رضي الله عنه في مثل هذه المسائل! ينظر الشهود: موسوعة

الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، ١٥/٢٣٣.

(١) صحيح البخاري: ح (٣٤١٢).

(٢) ينظر الذهبي: المتقى، ٥٠٩.

﴿فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾ (الذريات: ٤) قال الملائكة قال: فمن ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (ابراهيم: من الآية ٢٨) قال: منافقوا قريش^(١).

وقال: سمعت علياً عليه السلام قام أي في الكوفة، فقال عليه السلام: (سلوني قبل أن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي، فقام ابن الكواء فقال: من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار؟ قال: منافقوا قريش، قال: فمن ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٤)؟ قال: منهم أهل حروراء^(٢).

وهذه النصوص فيها كثير من الدلائل التي تبين الواقع آنذاك، أهمها أن علياً عليه السلام كان حريصاً على نشر العلم وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما شاهد في تلك البلاد من المبتدعة والكذابين، وغيرهم ممن يعمل من غير التقيد بالسنة، أو يقول بلا علم! ومنهم ومن أخطرهم الذي لم يكتف أمير المؤمنين بدعوتهم للعلم بل توعدهم بالعقوبة الصارمة، وهم الذين ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا سيما الشيخين ذلك النيل الذي لما سمعه علي عليه السلام بكى شوقاً إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأسفاً على الحال التي جعلته صلى الله عليه وآله وسلم يعيش بين أقوام ينالون من سادة الدنيا أخوي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته على أمته! ومن الأمور الأخرى التي جعلت علياً عليه السلام يلح في قوله سلوني زهد أهل الكوفة بعلمه المبني على الكتاب والسنة وسرعة الكثير منهم إلى التمرد على هذا المنهج القويم الذي كان يحرص أمير المؤمنين علي عليه السلام على نشره بين رعيته هدايتهم إلى الحق، وخوفاً عليهم من الضلال، فضلاً عن أدائه لواجب الأمانة في تعليم الناس الدين، طمعاً في الأجر والثوبة، ولا

(١) المستدرک: (٣٧٣٦) قال: صحيح ولم يخرجاه وتعليق الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٢) المستدرک: ح (٣٣٤٢) قال: هذا حديث صحيح عال، وبسام بن عبد الرحمن الصيرفي من ثقات الكوفيين ممن يجمع حديثهم ولم يخرجاه. السيوطي: جامع الأحاديث، مسند علي (٣٢٧٦٤) وينظر جامع الأحاديث، مسند علي، (٣٢٩٧٦). كنز العمال: (٣٦٥٠٢).

سيما أن علياً عليه السلام هو الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: (لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)^(١).

والملاحظ أنه لم يكن هناك كثير حرص على علم أمير المؤمنين علي عليه السلام في الكوفة، إلا من قبل بعض من يعرف أهمية ذلك العلم، من أمثال ابن الكوا الذي تكررت الرواية عليه مرتين، وأنه كما قال أمير المؤمنين إن فقدوه فلن يحكمهم حاكم عالم مثله من بعده أبداً، وهذه حقيقة لا مرأى فيها، فمن مثل أمير المؤمنين علي عليه السلام في علمه وزهده وإخلاصه ومحبة للسنة النبوية ولأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن حكم المسلمين بعده؟.

وهذا وغيره يبين أن أعداء الصحابة لا يؤدون الأمانة، ولا يحفظون السنة، بل يزيفونها! ويضيفون إليها، فإن لم يتيسر لهم ذلك، فإنهم يفسرونها على عكس المراد منها، كل ذلك حرباً على هذا الدين ومن حمله من الصحابة والتابعين، ولا أدل على زهدهم بالعلم وجرأتهم على تحريف السنة، من أنهم يروون النصوص بلا أسانيد، فيضيفون إليها ويحذفون منها، أو يبترونها على الوجه الذي يرون أنه يحقق لهم ما يريدون، في حربهم المعلنة على السنة أو فيما يؤكد مصالحهم ويحفظ مواقعهم بين أتباعهم، ومن يسمع لهم ممن أسقط من حساباته حق الله والدار الآخرة، فأطلق لسانه ولخياله العنان يقول ما يشاء!.

فإسناد علم الغيب للأئمة عندهم، شيء مسلم به، وبوّوا على ذلك أبواباً، وذكروا بعض المغيبات، التي ذكرها الأئمة، كما هو موجود في بعض كتبهم منها كتاب: سلوني قبل أن تفقدوني، ومنها كتاب: علي والوصية، ومنها كتاب: مفاتيح الجنان، وغير ذلك من كتبهم، وذكروا في كتاب مفاتيح الجنان أن أئمة آل البيت! هم الذي سوف يحاسبون العالم يوم القيامة، وأن الذي ليس بشيعي سوف يدخلونه النار، والذي هو شيعي سوف يدخلونه الجنة، وهذا الكلام موجود

(١) صحيح البخاري: ح (٢٧٨٧) (٣٨٨٨).

في كتاب: علي والوصية^(١) ويفسرون قوله ﷺ: ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيئَاتِهِمْ ﴾ (الأعراف: من الآية ٤٦) أنّ علي بن أبي طالب ﷺ سوف يقف على الأعراف، ويعرف من ناصره ويدخله الجنة، ويعرف من أبغضه ويدخله النار!.

ويفسرون قول الله عز وجل، ويقولون مفترين، قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة قال الله تعالى لي ولعلي ابن أبي طالب أدخلوا الجنة من أحبكم، وأدخلوا النار من أبغضكم، وذلك قوله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (ق: ٢٤) ومعنى الكفار كما فسروه هو الذي كفر بنبوّة النبي ﷺ، والعنيد: هو الجاحد حق علي بن أبي طالب ﷺ ومنها الخلافة، فمن لم يقتر بأنّ الخليفة بعد رسول الله ﷺ هو علي ﷺ فهو من أهل النار! فالصحابه ﷺ عندهم من أهل النار، والأمة الإسلامية مصيرها إلى النار، لأنهم أقرّوا بأنّ الخليفة بعد ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ بل إنّ علي بن أبي طالب وأولاده وبني هاشم مصيرهم إلى النار لأنهم أقرّوا بالخلافة لأبي بكر بعد رسول الله ﷺ وهذا على تفسير هؤلاء القوم السائرون على عكس منهج علي ﷺ.

ويقولون: إنّ علي بن أبي طالب يدخل أحبابه الجنة بغير حساب، ويروون أحاديث في بعض كتبهم، وعندهم ملصقات مكتوب عليها: أنّ الرسول ﷺ قال: حب علي حسنة لا يضر- معها سيئة، وفي حديث آخر: " من أحبّ عليّاً دخل الجنة وإن عصاني، ومن أبغض عليّاً دخل النار وإن أطاعني " وهو عندهم حديث قدسي، وعندهم حديث: ولاية علي بن أبي طالب حصن، فمن دخل حصني آمن من عذابي^(٢) وهذا مبني على نص ضعيف لكن النظر فيه يوضح أساليب أعداء الصحابة ووصائلهم في ترويح باطلهم، زكّم ذلك تحريفهم لقول علي ﷺ: (حدثني

(١) ينظر الوصية: ح (١٠٠-١٠٣).

(٢) الوادعي: الإلحاد الخميني في أرض الحرمين، أعدها للشاملة، رأفت الحامد العدني، ١٤٢٨ هـ، ٢٥٦/١.

(٣) ينظر مقبل هادي الوادعي: الإلحاد الخميني في أرض الحرمين، ٢٥٦.

جبريل فقال: يقول الله تعالى: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي^(١) ومن هذا النص وأمثاله يجزم القارئ بزيف ما يرويه أعداء الصحابة من أحاديث، ويتضح له أنهم لا يبالون بمصدقية ما ينقلون، بمقدار ما يجعلون من تلك النصوص مطية لهم لترويج الشك والشبهات.

وواضح أن هذه النصوص المفتراة على النبي ﷺ وعلى أمير المؤمنين علي ﷺ إنما هي دعوة صريحة للتحلل من أعمال الإيثار، وإسقاط الفرائض، واستباحة المحرمات، وهذا ما هو قائم في كثير من فتاواهم ومواقفهم من العبادات مما يعني أن مواقفهم رافضة للكتاب والسنة في مثل قوله تعالى: ﴿فَاتِّمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (الرعد: من الآية ٤٠) ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: من الآية ٥٢) ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ (الشعراء: ١١٣) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (الغاشية: ٢٦)

وإسقاط ما في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) قالت: (قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا! سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ)^(٢).

ولنشر موبقاتهم التي تتجاوز الكتاب والسنة، وترويجهما بين الناس من غير أن يجرؤ أحد من أتباعهم أن يستفسر عن شيء منها، فإنهم رووا أحاديث تساند ما سبق من باطل وتحميه من أن يخضع للتدبر، أو التساؤل عن مدى موافقته للكتاب والسنة، أو مدى صحة روايته، فقالوا في أحاديثهم الموضوعية إن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (ما علمي وعلم أصحاب محمد ﷺ في

(١) عصام الدين الصابطي: جامع الأحاديث القدسية، قسم الضعيف والموضوع، ١/١. الاتحافات: (٥٩٦) ضعيف

جداً، الألباني: ضعيف الجامع الصغير، (٢٦٩٩) ضعيف.

(٢) صحيح مسلم: (٣٠٤).

علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر!)^(١) وهذا لكي يغطوا على ما ينسبونه إلى علي عليه السلام من غيبات وخوارق لم تكن للأنبياء ولا لغيرهم، وليوظفوا مثل هذه النصوص لاستسلام جماهيرهم لكل ما يقوله سدنتهم من أحاديث مصنوعة، من غير أن يكون لأتباعهم أي فرصة للتمعن في معانيها ومقاصدها، ومن ثم لشن الغارات على أئمة الكتاب والسنة للطعن والتشكيك، والأمثلة على ذلك تملأ كتبهم بما يناقض الواقع ويصادم الحقيقة، ويفضح واضعيه ومروجه، ومن يسمع لهم أو يواليهم من غيرهم، أو يرجو منهم عوناً أو خيراً صافياً لأحد من المسلمين!.

ولا حاجة لتلويث أسماع القراء الكرام ببهتان ينال وينتقص ممن يُثني الله عليهم في الكتاب والسنة، إذ يكفي الفهيم العاقل لإصدار الحكم الجازم الصحيح على كل من يطعن بأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله دون البحث عن مسوغات أخرى، وهل هناك مسوغ أكبر من أن يطعن أعداء الصحابة؛ بأحد من الصحابة الكرام، أي أن أكبر تهمة توجه إلى عقيدة الطاعن بالصحابة، هي هذا الطعن فما سواها أهون، لأن الطاعن يريد من المسلم أن يكذب القرآن والسنة في ثنائها على الصحابة عليهم السلام ويكذب واقع حياتهم المبني على التمسك بشرع الله تعالى في كل اجتهاداتهم، ونصدق إفكه وزيفه أو باطنيته وزوره، ومن مثل الصحابة عليهم السلام حتى نسمع لمن يطعن فيهم قولاً أو شبهة، أما التائهون الذين يوادون من حادّ الصحابة، فليسمعوا لمن شاؤوا، وليقولوا ما شاؤوا، ولكن لا سبيل أمامهم للدخول في دين الكتاب والسنة، إلا بالبراءة من أعداء الصحابة، أو الوقوع في هاوية مكائدهم ومكرهم المودي بمن يسقط فيه إلى أودية الضلال والردة!.

ومن مكر أعداء الصحابة أنهم لا يبالون بالقول بكفر الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ولا يبالون في ذلك بما يروونه هم عن يروون عنه أنه قال: " سلوني قبل أن تفقدوني ... " بأنه لم يكفر أحداً ممن قاتله من أهل الجمل وصفين، ولم يسب ذرية أحد ولا غنم مال أحد، فضلاً عن أن يكفرهم فكان أبعد الناس عن ذلك، ولم يصدر منه مثل هذا الذي يدين به مبغضو الصحابة فيمن قاتله، فكيف بمن لم يقاتله كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم؟! بل إنه لم يحكم على من قاتله بحكم المرتدين،

(١) الوادعي: الإلحاد الخميني في أرض الحرمين، أعدها للشاملة، ٢، ٢٥٧.

مثلاً حكم أبو بكر رضي الله عنه وسائر الصحابة في بني حنيفة وأمثالهم من المرتدين، وكان علي رضي الله عنه ينادي مناديه في يوم الجمل ويقول له: (لا يتبع مدبر، ولا يجهز على جريح، ولا تكشف عورة، ولا يهتك ستر!) وكل هذا فيما يروونه هم عن علي رضي الله عنه ^(١) ورووا عنه أنه قال لمن وقع بينه وبينهم حرب: (إننا لم نقاتلهم على التكفير لهم، ولم نقاتلهم على التكفير لنا، ولكننا رأينا أنا على الحق، ورأوا أنهم على الحق) ^(٢).

وأما قول الرافضي: وقد سجل لنا التاريخ أن علياً رضي الله عنه هو أعلم الصحابة على الإطلاق، وأنهم كانوا يرجعون إليه في أمهات المسائل، ولم نعلم أنه رجع إلى واحد منهم، ولا ابن مسعود، ولا من هو دونهم من الصحابة، وإنما كان يستفتيه المستفتي كما يستفتي أمثاله من الصحابة ^(٣).

قال شيخ الإسلام: (وفي الجملة لا يعرف لأبي بكر مسألة من الشريعة غلط فيها، وقد عرف غيره مسائل كثيرة) ^(٤) وكان الصحابة رضي الله عنهم يقرّون في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله بأن الصديق رضي الله عنه هو أعلمهم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله النَّاسَ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَأَخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَعَجَبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَنْ عَبْدٍ خَيْرٍ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله هُوَ الْمُخْبِرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ مِنْ أَمْنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أبا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتَهُ، لَا يَبْقَيْنِي فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سَدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ) ^(٥).

وكان فضله في العلم على غيره من الصحابة بيناً واضحاً، وما رفع الله على يديه من الاختلاف بين الصحابة، يقرّ به القاصي والداني، فلم يكن أحد منهم يراجعه رضي الله عنه ولم يكن أحد منهم يسأله إلا ويجد عنده علماً، كيف لا وهو لم يفارق رسول الله صلى الله عليه وآله لا في مكة ولا في المدينة، ولا تنزل

(١) ينظر مستدرک الوسائل: ٥٢/١١، بحار الأنوار: ٢٥٢/٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢٤/٣٢.

(٣) منهاج السنة: ٥٧-٥٨.

(٤) منهاج السنة: ٤٩٧/٥.

(٥) صحيح البخاري: (٣٣٨١).

برسول الله ﷺ نازلة يشاور فيها الناس، إلا والصدّيق ﷺ يكون في أولهم " وقد تنازعت الصحابة ﷺ بعده في مسائل، مثل: الجد، والإخوة، والعمريتين، والعول، وغير ذلك من مسائل الفرائض، وتنازعوا في مسائل الحرام، وغير ذلك من مسائل الطلاق، وتنازعوا في مسائل صارت مسائل نزاع بين الأمة إلى اليوم، وكان تنازعهم في خلافة عمر ﷺ نزاع اجتهاد محض وكل منهم يقرّ صاحبه على اجتهاده، كتنازع الفقهاء أهل العلم والدين، وكان عمر هو أعلمهم ﷺ وأما في خلافة عثمان ﷺ فقوي النزاع في بعض المسائل، ولكن لم يقاتل بعضهم بعضاً باليد ولا بسيف ولا غيره، وكان في العموم عثمان هو أعلمهم ﷺ اتضح ذلك جلياً من إدارته لأزمة السبئية ومن أغروه بالخروج معهم حيث أسقط جميع حججهم وهتك أستارهم التي كانوا يضللون بها عوام الناس، ولما لم يتمكنوا من إلقائه في فخاخ فتنهم وعجزوا عن مواجهته أخلاقياً وحضارياً وشرعياً وهزموا أمام صبره وورعه وعلمه لجأوا إلى الغدر وتجاوز حدود الشرع والوقوع في متاهات الأهواء ووسائل الجاهلية وقيمها الظالمة! وأما في خلافة علي ﷺ فتغلظ النزاع، حتى تقاتلوا بالسيوف، وكان علي ﷺ في العموم هو أعلمهم ﷺ واستخدم السيف على أوسع نطاق للوصول إلى ما يراه الحق والصواب، لكنه ﷺ لم يستطع أن يحقق ما يريد بسبب مكر كثير ممن حوله ممن يزعم أنه من أنصاره وشيعته، حتى في نهاية المطاف من الغدر به ليلحق بإخوانه الخلفاء الشهداء عمر وعثمان رضي الله عنهما ولتتعلم من بعد ذلك أمة الكتاب والسنة أن أهداف أعداء الصحابة واحدة وإن تستر البعض منهم بحب هذا الصحابي وبغض الآخر فكل من يبغض أياً من الصحابة فهو عدو للكتاب والسنة ولأمتها معادلة لا تقبل التأويل ولا التعديل.

فمواقف أعداء الصحابة مخزية لهم بحق أصحاب رسول الله ﷺ! وهم يوجهون بهتانهم إلى القادة الفاتحين، والعلماء المحدثين ﷺ لأنهم هم الذين حفظوا الدين وسنة سيد المرسلين، ومن هذا الباب تأتي خطورة من يصدقهم، أو يتعاون معهم، أو يسكت عن كشف شبهاتهم، فهذا سعد بن أبي وقاص ﷺ لا يسلم من بهتانهم لا لشبهة في سيرته ﷺ ولا لتقصير في أدائه ولم يكن ممن نافس على الخلافة، مما يسقط أي حجة يتشبث بها أعداء الصحابة ليكيلوا له التهم من

خلالها، ولكن بغضهم له يأتي ثأراً منه ﷺ لما حقق من انتصار ساحق على المجوس في القادسية، وقتل لقائد جيوشهم رستم المجوسي، وهزيمة مدوية لدولتهم جعلت أبواب امبراطوريتهم مشرعة أمام دعاة وقوات المسلمين، حتى أتموا إزاحة تلك الدولة الظالمة، وتطهير الأرض من طواغيتها، فأحفاد رستم والموبدان وأبي لؤلؤة المجوسي الغادر؛ أسقط في أيديهم أي وجه من وجوه مقاومة الإسلام وعلى الصعد كافة، لأنهم هزموا أخلاقياً وعلمياً وعسكرياً، فلم يبق أمامهم إلا الدخول في الإسلام من غير باطنية، أو التدين بالمكر والحقد، والعمل على تزييف حقيقة الإسلام وجهود أبنائه.

فأسسوا لثقافة جديدة ليواجهوا بها الإسلام، تتمثل في تبني محبة البعض من آل البيت ظاهرياً، ومخالفة سيرتهم واقعيّاً، فهم يزعمون حبّ علي وأولاده ﷺ ويغضون العباس وأولاده ﷺ وهو عمّ رسول الله ﷺ وهم يزعمون حب بني هاشم ويغضون إخوانهم بني أمية! يزعمون حب النبي ﷺ ويغضون زوجه رضي الله عنها! وحب الإسلام؛ ويغضون حملته أصحاب النبي ﷺ في مواقف متناقضة بعيدة عن معاني الإسلام، وقيم الكتاب والسنة، كل ذلك لتمزيق وحدة الصف الإسلامي، وتسعير الفتن بين أبنائه، طمعاً في اغتنام فرصة ضعف المسلمين، لإعادة أمجاد امبراطوريتهم البائدة، بوسائل جديدة تقوم على البغض والمحاربة لكل ما هو قائم على قواعد الكتاب والسنة، فهذه المواقف من أعداء الصحابة أصبحت بينة واضحة، لا تقبل التردد، فكل من يشاركهم وجهاً من وجوه حربهم السرية والمعلنة على الأمة، فإنّها هو متهم في فهمه أو ولاءه ومعتقده.

ولعل موقفهم من سعد بن أبي وقاص الزهري ﷺ المبشر بالجنة، وأحد أعضاء الشورى الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم، يؤكد كل ما سبق ويفسره، قال أمير المؤمنين علي ﷺ: (مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَجْمَعُ أَبُوِيَهُ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: يَا سَعْدُ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي) ^(١) وعلى الرغم من أن علياً ﷺ لم يسمع النبي ﷺ يجمع أبويه لغير سعد ﷺ فقد ثبت أنه

(١) صحيح البخاري: ح (٣٧٥٣) (٥٧١٦) صحيح مسلم: ح (٤٤٢٩).

ﷺ جمعها للزبير ﷺ يوم قريظة! وسعد خال النبي ﷺ كما أخبر النبي ﷺ عن ذلك، قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: أقبل سعد ﷺ فقال النبي ﷺ (هذا خالي فليرني امرؤ خاله) (١) أي أن رسول الله ﷺ يفاخر به وبقربه منه ﷺ وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ سَهْرًا، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: " لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ " إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلَاحٍ فَقَالَ ﷺ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ، وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ) (٢).

وفضائل سعد ﷺ كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، والمقصود هو التأكيد على مواقف أعداء الصحابة ضد أئمة هذه الأمة، فالنبي ﷺ يصفه بمثل ما تقدم من روايات يرويها الصحابة وفي مقدمتهم علي ﷺ ولكن كل ذلك لا يمنع بهتان أعداء الصحابة من القفز فوق نصوص الكتاب والسنة! ليثبت في ذلك لكل عاقل عمق أحقادهم وشدة بغضهم لهذا الدين وأهله، وليتأكد التحذير منهم ومن كل من يداهنهم ممن يزعم الانتساب إلى أمة الكتاب والسنة، ومن مواقفهم المفضوحة أخلاقياً والمردودة علمياً، بهتانهم على سعد ﷺ وبها يؤكد ما سبق ذكره، ما رواه أبو الحسن العاملي مفترياً، قائلاً: (سعد بن أبي وقاص ﷺ قارون هذه الأمة! وهذا ظاهر من جهة ارتداده وتكبره) (٣).

ومما يؤكد بهتانهم وتدينهم ببغض الصحابة، وسفاهة شواهدهم وبعدها عن أخلاق وقيم الصحابة، فضلاً عن بعدها عن الحقيقة والواقع، ما أسنده صدوقهم إلى الأصمغ بن نباتة الكذاب، قوله: (بيننا أمير المؤمنين ﷺ يخطب الناس وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا

(١) صحيح سنن الترمذي: ح (٢٩٥١) صحيح، صحيح المشكاة: ح (٦١١٨) قال أبو عيسى: وكان سعد من بني زهرة وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة لذلك قال النبي ﷺ هذا خالي .

(٢) صحيح البخاري: ح (٢٦٧٢) مشكاة المصابيح: ح (٦١٠٥).

(٣) أبو الحسن العاملي: مقدمة البرهان، ٢٨٠. ومعلوم أن سعد ﷺ بايع أمير المؤمنين علياً ﷺ لكن سعداً اعتزل الفتنة ولم يقاتل أحداً من المسلمين فأثنى أمير المؤمنين علي على موقف سعد ومع عبد الله بن عمر ﷺ وقال: "إن كان ذنباً فما أيسره، وإن كان أجراً فما أعظمه" هذا بعد ما حل من فتن بين المسلمين.

تسألوني عن شيء يكون إلا نبأتكم به، فقام إليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال له: أما والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنك ستسألني عنها...^(١) وتتمة هذه الرواية المفتراة، تتوافق تماماً مع أخلاقيات أعداء الصحابة، وما فيها من البذاءة وفقدان المعنى والحقيقة، فلماذا الزج بها في هذه الصفحات وتلويث مسامع القارئ بنتن بهتانها؟ ومعلوم لدى القارئ الحصيف أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعد أن بايع علياً رضي الله عنه لم يقاتل معه ولم يخرج إلى الكوفة، واعتزل كل أحداث خلافة علي رضي الله عنه ذلك أنه عدّها ككثير من الصحابة غيره رضي الله عنه أحداث فتنة؛ لا يجوز الدخول فيها، لكثرة النصوص التي حذر النبي صلى الله عليه وسلم فيها من الفتن، وهؤلاء المفترون يروون عنه ما يصنعونه من أباطيل في الكوفة!.

وهذه القصة واحدة من القصص الكثيرة المكذوبة على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأفتها الأصبح بن نباتة^(٢) وإن كانت عامة أسانيدهم على منوال الأصبح هذا في البهتان وعدم التحرج من الكذب الصريح، وغير هذا الكثير مما تؤكد زيفه وكذبه أشهر مصادرهم، ولا فائدة من ذكره ونشره هنا، ولعل هذه الحكاية المكذوبة على سعد رضي الله عنه فيها شاهد كاف لتنبه كل سادر وغافل ممن لا زال يشهد مجالسهم، أو يأكل على موائدهم! أن انجو بنفسك قبل أن تحبط في أهوائهم وتعرق في ظلماتهم.

(١) قال عنه الكشي الرافضي: كان من خاصة أمير المؤمنين علي (ع). اختيار معرفة الرجال للطوسي (ص: ٥، ٩٨، ١٠٣).

(٢) أصبح بن نباتة، وهو كذاب متروك الحديث يقول بالرجعة. قال عنه أبو بكر بن عياش: كذاب. وقال ابن معين: ليس بثقة. وفي قول آخر: ليس بشيء. وقال النسائي وابن حبان: متروك. وزاد ابن حبان: فأتى بالطامات فاستحق من أجلها الترك. وقال ابن عدي: بين الضعف. وقال أبو حاتم: لين الحديث. وقال العقيلي: كان يقول بالرجعة. وقال الدارقطني والساجي: منكر الحديث. ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ٢/٣١٩، وميزان الاعتدال، ١/٢٧١، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١/٣٦٢، وتقريب التهذيب، ١٧٦.

ومواقف أعداء الصحابة، المحاربة للكتاب والسنة وحملتها ﷺ لا تحتمل الاجتهاد، ولا تقبل التأويل، وتفرض على من يطلع عليها، أن يتخذ موقفاً صارماً منها وممن يدين بها، يقوم على البراءة منهم وممن يواليهم، تجنباً للوقوع في سرايب السبئية وأوديتها المظلمة، وذلك لتكذيبهم الكتاب والسنة، ولتسميتهم وزيراً رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: بـ (فرعون وهامان)^(١) وأن عبد الرحمن بن عوف ﷺ هو الذي يسميه أعداء الصحابة: " قارون هذه الأمة "^(٢) وهؤلاء الذي يشتمون الصحابة ﷺ هم عبيد بين يدي كل قارون وكل هامان من معاصريهم، كما كان ابن العلقمي والطوسي بين يدي هولاء الوثنى، وكما رآهم الناس وهم خاضعون أذلاء بين يدي بريمر الصليبي وهم طلقاء! بينما رأى غيرهم كيف كانوا أعزاء وهم مقيدون سجناء! مما يؤكد أنه لا يطعن بالصحابة إلا من هو فاقد الرجولة منزوع القيم النبيلة، كيف لا وهم يدينون بأنّ الشهداء الأسيدين طلحة والزبير رضي الله عنهما، كانا من أئمة الكفر، عاشا كافرين، وماتا كذلك، حاشاهما وأخزى الله مبغضيهما.

وإخوان أبي لؤلؤة وابن سبأ وابن ملجم وتلامذتهم المبغضون للصحابة، لا يكتفون بمثل هذا البهتان الذي يسمعه القارئ، حتى يغوصوا في حماة الكذب! فينسبون إلى أمير المؤمنين علي ﷺ أنه يقول مثل قولهم حاشاه ﷺ فهم يفترون الأقوال التي تعبر عن أحقادهم، ثم يزعمون أنّ علياً ﷺ قال عن إخوانه: (ألا إنّ أئمة الكفر في الإسلام خمسة: طلحة والزبير ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري ﷺ)^(٣) وذلك ليزرعوا الشك والفتنة في صفوف المسلمين، ولكي لا تُكشف عوراتهم يفترون على علي ﷺ مثل هذه الأباطيل، متناسين أنّ المسلمين، يعتقدون أنّ كل من يطعن بأحد من الصحابة، فهو متهم في دينه، وأمير المؤمنين علي ﷺ هو من أكبر المحامين

(١) ينظر الخصال للصدوق : ٢ / ٣٦١، عبد الله شبر: حق اليقين، (١٦٩/٢).

(٢) الكاشاني: اليقين، (٧٣٢ / ٢) ينظر: الفصل في الرد على شبهات أداء الإسلام، ١٢ / ٣٥٠.

(٣) المرتضى: الشافي في الإمامة، ٢٨٧ . الطوسي: تلخيص الشافي، ٤٦٢.

عن الصحابة رضي الله عنهم وهو ممن يروي فضائلهم، قال رضي الله عنه: (سَمِعْتُ أُذُنِي مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ: طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ جَارَايَ فِي الْجَنَّةِ)^(١).

وفضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما، وجهادهما بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر من بهتان أعداء الصحابة، عن أبي هريرة رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَهْدَأُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ)^(٢) فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد لأبي بكر رضي الله عنه بأنه صديق هذه الأمة، وإخوانه المبشرين بالجنة عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم بالشهادة في سبيل الله، ويشرهم بهذه البشرى التي تطير لها القلوب طرباً وفرحاً، ويهتز لها المؤمنون شوقاً وأملًا، وأعداء الصحابة لسوء مقاصدهم وقعوا في هذه الهاوية المظلمة التي جعلتهم يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يشهد لأصحابه بالشهادة، وهم بعنادهم وبغيهم وحقدهم يردون شهادة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون بعكس قوله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك يزعمون أنهم مؤمنون به صلى الله عليه وسلم!! وهذا من العجب العجاب!

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم النَّاسَ يَوْمَ الْحَنْدَقِ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِييَ الزُّبَيْرُ)^(٣) وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: (كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثا، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف، قال: أو هل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(١) سنن الترمذي: (٣٦٧٤) قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، قال الحاكم في المستدرک (٥٥٦٢):

صحيح الاسناد، وقال الألباني في صحيح وضعيف الجامع: (٨٠٦٦) ضعيف.

(٢) صحيح مسلم: (٤٤٣٨). (٤٤٣٩)

(٣) صحيح مسلم: ح (٤٤٣٦).

من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم، فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: فذاك أبي وأمي^(١).

وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: (سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ: أوجب طلحة. يعني يوم أحد^(٢)) وقال الزبير ﷺ: (خرجنا مع رسول الله ﷺ فصعد في أحد فذهب رسول الله ﷺ لينهض على صخرة فلم يستطع، فبرك طلحة بن عبيد الله تحته، فصعد رسول الله ﷺ على ظهره حتى جلس على الصخرة، قال الزبير: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أوجب طلحة^(٣).

ويوم أحد يوم المحنة الكبرى التي مرَّ بها المسلمون حين امتحنوا ذلك الامتحان الرهيب حين صرخ صارخ أن محمداً ﷺ قد قتل، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

ومن صور جهاد طلحة بن عبيد الله ﷺ يوم أحد، أن أبا بكر الصديق ﷺ كان (إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك يوم كان كله يوم طلحة ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء إلى رسول الله ﷺ يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه قال: أراه يحميه، قال: قلت: كن طلحة، حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلاً من قومي أحب إليّ، وبين النبي ﷺ رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ﷺ فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر، فقال رسول الله ﷺ: عليكم أصحابكم أيريد طلحة وقد نزفاً فلم نلتفت إلى قوله ﷺ وذهبت لأنزع ذلك من وجهه قال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقي لما تركتني، فتركته وكره أن يتناولها بيده فيؤذي النبي ﷺ فأرم عليه بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت

(١) صحيح البخاري: ح (٣٤٤٢).

(٢) ظلال الجنة في تخريج السنة: ح (١٣٩٧).

(٣) المستدرک: ح (٥٦٠٣) صحيح، ظلال الجنة: ح (١٣٩٧) (١٣٩٨).

ثنيته ﷺ مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع فقال: أقسمت عليك بحقي لما تركتني؟ ففعل كما فعل في المرة الأولى، فوقعت ثنيته الأخرى ﷺ مع الحلقة فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتماً، فأصلحنا من ثياب النبي ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة ورمية وضربة فإذا قد قطع أصبعه فأصلحنا من شأنه ﷺ^(١).

في ذلك اليوم الرهيب ظهرت معادن الناس فكان معدن طلحة ﷺ من أنقاها وأصفاها، وكل ذلك النقاء والصفاء كان يتجلى جهاداً بين يدي رسول الله ﷺ حتى شهد له النبي ﷺ بالجنة وبشره بها حين قال ﷺ أوجب طلحة، فإذا كان ذلك اليوم يوم أحد بلغ من شأن طلحة ﷺ فيه أن يقال ذلك يوم كله لطلحة ﷺ فبأي لسان يتكلم من يحاول أن يناطح الجبال بقرون الطين سوى التائمين والضالين، وفاقدي الإنصاف والفهم؟

واشتهر موقف طلحة ﷺ وجهاده في ذلك اليوم بين الناس، حتى أصبح البعض يسأل عن معاني بعض آيات القرآن التي تمجد أهل التضحية والعطاء، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣) فجاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فسأله: من الذين قضوا نحبهم؟ فأعرض عنه ﷺ فدخل طلحة بن عبيد الله ﷺ من باب المسجد، عليه ثوبان أخضران، فقال ﷺ: هذا من الذين قضوا نحبهم! وعن موسى وعيسى ابني طلحة ﷺ عن أبيهما أن أصحاب رسول ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأله عن من قضى نحبه من هو؟ وكانوا لا يجترؤن على مسأله! فسأله فأعرض عنه ﷺ ثم سأله فأعرض عنه ﷺ وإني اطلعت من باب المسجد عليّ ثياب خضر فلما رأي رسول الله ﷺ قال: أين السائل عن من قضى نحبه؟ قال الأعرابي: أنا يا رسول الله، قال ﷺ: هذا ممن قضى نحبه^(٢) وروي عن طلحة ﷺ أن رسول الله ﷺ صعد المنبر فخطب وقرأ هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) البوصيري: تحاف الخيرة المهرة: ح (٦٧٠١) مسند الطيالسي: ح (٦) كنز العمال في سنن الأفعال: (٣٠٠٢٥).

(٢) ظلال الجنة في تخريج السنة: ح (١٣٩٩)

رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾
(الأحزاب: ٢٣) فقال له رجل: من هؤلاء يا رسول الله ﷺ؟ فأقبلت وعليّ ثوبان أخضران فقال
ﷺ أيها الناس هذا منهم! (١) وقال معاوية ﷺ: (أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: طلحة ممن
قضى نحبه مما عاهد الله عليه) (٢).

وقال طلحة ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا رآني قال: سلفي في الدنيا والآخرة، وسباني رسول الله
ﷺ طلحة الخير، وفي غزوة ذات العسيرة طلحة الفياض، ويوم حنين طلحة الجود، وقال ﷺ من
أحبّ أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض، فلينظر إلى طلحة (٣) وعن موسى بن طلحة، أنّ
طلحة بن عبيد الله نحر جزوراً، وحفر بئراً، يوم ذي قرد، فأطعمهم وسقاهم، فقال رسول الله
ﷺ: أنت طلحة الفياض! وهذا الإسناد أنّ طلحة اشترى بئراً فتصدّق بها ونحر جزوراً
فأطعمهم، فقال رسول الله ﷺ: يا طلحة أنت الفياض، قال: فسمي ﷺ طلحة الفياض (٤).

فإذا كان موقف أعداء الصحابة من طلحة والزبير رضي الله عنهما، أنها محل تهمة، مع كل ثناء
النبي ﷺ عليهما بعد صبرهما وجهادهما، فما هو حال أبناء أمة الكتاب والسنة في هذا العصر - ممن
ليس لهم من العمل إلا القليل، مما يخدم الإسلام ودين النبي عليه الصلاة والسلام؟ لا شك أنه
سيكون أسوأ وأكثر عرضة للاتهام والاستباحة عند أمة أعداء الصحابة التي تركت أهل الكفر
والإلحاد ولم يعد لها شغل سوى العمل المتواصل على هدم دين وأمة الكتاب والسنة، مما يوجب
على كل مؤمن حصيف أن يفقه مخاطر ثقافة هذه الأمة وما ترمي إليه من المهالك التي لا نجاة
منها إلا بمعرفة مروجيها ومن يواليهم ثم العمل المتواصل على معالجتها وبناء المواقف الإيمانية
التي تهدم كل ما بناه أعداء الصحابة وعلى مر السنين.

(١) ظلال الجنة في تحريج السنة: ح (١٤٠٠).

(٢) الألباني: ظلال الجنة في تحريج السنة، (١٤٠١).

(٣) ظلال الجنة: ح (١٤٠٣).

(٤) ظلال الجنة: ح (١٤٠٤).

وكل هذا وغيره الكثير يؤكد أنّ الموقف بين دين الصحابة؛ ودين أعدائهم، لا يلتقيان لا في الأصول ولا في الفروع، وأنّ لكل منهما مصادر وأئمة، إلا أنّ دين أعداء الصحابة قائم على هدم دين الصحابة المبني على الكتاب والسنة وإجماع أمة السنة والجماعة! وأنّ المسؤول عن الفرقة وزرع الخلاف وتمزيق الصفوف ونشر ثقافة الكراهية والشك والتكذيب هو معتقدات أعداء الصحابة، وأنّه لا يمكن اللقاء معهم على باب من أبواب التوحيد أو الوحدة، ما لم ينسفوا معتقداتهم هذه، ويبرؤوا منها، وينقحوا موروثهم الشرعي، والسياسي، والعلمي، من كل ما يُسيء للصحابة ويشوه مواقفهم الرائدة في الفتوح ونشر الإسلام بعد نصرته النبي ﷺ وحمايته من المشركين وغيرهم من أعدائه ﷺ وأعداء بعثته ﷺ، ثم يتخذوهم بعد ذلك قدوة بعد النبي ﷺ يقتدون بهم ويتعلمون منهم، ذلك أنهم تلامذة النبي ﷺ وتربيته ورواد مدرسته ﷺ وأئمتها، وما سوى ذلك فكل على منهجه، وشتان بين منهج بيني أهله مواقفهم على آثار أصحاب النبي ﷺ ومنهم آل بيته ﷺ وعلى فقههم بالدليل الواضح الصحيح، وبين من يدين بعداوة هؤلاء وبغضهم ومخالفتهم في كل دليل وعمل قاموا به، وهذا يؤكد زيف دعاوى التقريب بين السنّة وأعدائها وهم على حالهم من الكراهية للسنّة والعمل بما يخالفها!.

ولما كان هدف أعداء الصحابة هو التشويش والتشويه؛ فإنهم لا يباليون في مواقفهم مما يروون أو يقولون، سواء صدقه الناس أم لم يصدقوه! ومن ذلك ما ينسبه الكليني إلى الصادق في قوله: (ورب الكعبة، ورب البنية، لو كنت بين موسى والخضر؛ لأخبرتتهما إني أعلم منهما! ولأنبأتها بما ليس في أيديهما، لأنّ موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون! وما هو كائن حتى تقوم الساعة!! وقد ورثنا من رسول الله ﷺ وراثته^(١) وينسبون إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، قوله: (إنا نعلم المكنون والمخزون، والمكتوم، الذي لم يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل! غير محمد ﷺ وذريته^(٢)).

(١) الكليني: الكافي، ١/ ٢٦٠-٢٦١.

(٢) أبو جعفر الطبري الرافضي: دلائل الإمامة، ٦٧.

وواضح أنّ هذه النصوص في أمهات كتبهم، وأنها مما يعتقدونه ويتعلمونه ويُعلمونه، ولا حاجة للتعليق على من حاله فوق الأنبياء والمرسلين والملائكة، لأن هذا خلق آخر لم نسمع عنه في علوم الأنبياء والمرسلين!! ولا حاجة للإشارة إلى مزيد من الشواهد في هذا الباب، لأنّ الموقف من هذه النماذج فيه المسوغات الكافية للمفاصلة والبراءة ممن يؤمن بمثلها، والمقصود أن هذه الأقوال تقودهم إلى الاعتقاد بأنهم خلق آخر لا يشبههم أحد، فيجيزون لأنفسهم ما يشاؤون، وربما هذا هو الذي يولد عندهم عقائد عنصرية تقودهم إلى التعالي على الآخرين سرّاً في حال ضعفهم، وعلناً مع البطش والتشفي بالضعيف! ومحاولات اجتثاث ومحق الآخرين! في حال شوكتهم، ولا سيما ممن يشعرون أمامهم بالهزيمة الحضارية والنفسية والأخلاقية، وأنهم حفاة عراة عندهم، وأنّ كل ما يزعمونه لا يستر أباطيلهم ومخترعاتهم! ولعل هذا يفسر ما يجري لأبناء أمة الكتاب والسنة على أيدي أعداء الصحابة في حال تسلطهم المقرون غالباً بالتحالف مع الغزاة والمحتلين، أو بالباطنية والتنكر والتظاهر بغير الهوية التي يعتقدونها ويؤمنون بها.

حديث الطائر

ومن شبهاتهم الباطلة التي يموهون بها على الغوغاء ودعاة التقريب والمتفعين والمداهنين وغيرهم، بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدلون بها للتشويش على إمامة أبي بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين يعلمون أنّ أحاديثهم الموضوعة لا قيمة لها مفردة مجردة، حيث إن أسانيدها مكذوبة ومتونها ممجوجة! فإنهم يعودون إلى التلبس في الفتنة، والزعم أنهم يفعلون ذلك نصرة لعلي رضي الله عنه على أخيه الصديق رضي الله عنها، ويزعمون أنّ الأحاديث التي يصنعونها ويفترونها إنما جاءت في حق علي رضي الله عنه وكان علياً رضي الله عنه لا يكفيه ما في الأحاديث الصحيحة من الفضائل والمناقب التي يجمع عليها الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أمة الكتاب والسنة، فهو ليس بحاجة إلى هبتانهم ولوثاتهم التي يلصقونها به رضي الله عنه ليفتحوا نوافذ الفتنة وأبواب الردة، ومن ذلك

ما ينسبونه إلى النبي ﷺ عن أنس ؓ أنه كان عند النبي ﷺ طير فقال ﷺ: (اللهم اتنني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير. فجاء علي فأكل معه)^(١).

وذكر ابن حجر الهيثمي مجموعة من الأحاديث التي يحتج بها المخالفون للطعن في إمامة الصديق ؓ تحت مظلة تفضيل علي ؓ فقال: " هذه الأحاديث كذب باطلة موضوعة مفتراة عليه ﷺ ألا لعنة الله على الكاذبين، ولم يقل أحد من أئمة الحديث أن شيئاً من هذه الأكاذيب بلغ مبلغ الآحاد المطعون فيها، بل كلهم مجمعون على أنها محض كذب وافتراء"^(٢) وعند الحاكم أن علياً ؓ لم يدخل إلى النبي ﷺ إلا بعد محاولات بزعمهم، حيث منعه أنس ؓ ثلاث مرات طمعاً في أن يأتي رجل من قومه الأنصار يأكل مع النبي ﷺ من الطائر فيحظى بهذه الدعوة! وروى هذا الحديث الحاكم في المستدرک على الصحيحين بسند موضوع، تعقبه الذهبي وحكم عليه بالوضع، وتناقض الحاكم في الحكم على هذا الحديث، قال أبو عبد الرحمن الشاذلي، كنا في مجلس السيد أبي الحسن فسئل أبو عبد الله الحاكم عن حديث الطير فقال: لا يصح، ولو صح لما كان أحد أفضل من علي ؓ بعد النبي ﷺ قال الذهبي: ثم تغير رأي الحاكم وأخرج حديث الطير في مستدرکه^(٣) وقال: (هو خبر منكر)^(٤) وهناك أقوال خطيرة للعلماء في الحاكم يرحمه الله، اتضحت تحت عنوان اختراقهم للكتب ولبعض العلماء، وما ذلك إلا لاضطرابه في بعض الأحاديث التي يريد أن يعظم فيها علياً ؓ مثل حديث الطائر وأمثاله، وهذه إحدى مصائب العصبية التي لا علاج لها.

(١) سنن الترمذي: (٣٧٢١) قال الألباني: ضعيف. المستدرک: ح (٤٦٥٠) قال الذهبي: فيبي سننه ابن عياض لا أعرفه (٤٦٥١) وقال: في سننه إبراهيم بن ثابت ساقط (٤٦٥٠) وقال: فيبي سننه ابن عياض لا أعرفه.

(٢) ابن حجر الهيثمي: الصواعق المحرقة: ١/١٢٣ فما بعدها. وينظر الإيجي: المواقف، ٣/٦٠٣.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٣/١٦٤.

(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٣/١٦٦.

قال ابن طاهر: سألت أبا إسماعيل الأنصاري عن الحاكم صاحب المستدرک، فقال: (ثقة في الحديث رافضي خبيث) ثم قال ابن طاهر: " كان شديد التعصب للشيعة في الباطن، وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة، وكان منحرفاً عن معاوية رضي الله عنه وآله امتظاهراً بذلك ولا يعتذر منه. قلت - الذهبي -: أما انحرافه عن خصوم علي رضي الله عنه فظاهر، وأما أمر الشيخين فمعظم لهما بكل حال، فهو شيعي لا رافضي، وليته لم يصنف المستدرک، فإنه غرض من فضائله بسوء تصرفه " ^(١) ولا شك أن أمر الشيخين رضي الله عنهما، ظاهر في كتابه المستدرک وذكرهما فيه جمل طيب عطر.

ولعله من الفضائح والقبايح التي لا تُستر؛ أن يدخل بعض المصلين، بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم! فينصر هذا على هذا، ويصوّب هذا، ويخطئ ذاك! وهذا من قلة التوفيق، ومن الجهل والعبث، وقرع أبواب الفتنة، والعمل بما لم يؤمر به المسلم، ذلك أن المسلم أمر أن يحب سلف هذه الأمة، كلاً منهم على مرتبته، فلا يساوي السابقين منهم باللاحقين، ولكنه لا يجوز له في وجه صحيح أن يحشر أنفه بينهم رضي الله عنهم فيتشيع لهذا على هذا! والمسلم أمر بالاستغفار والدعاء وسلامة القلب لهم ومودتهم والثقة بهم جميعاً، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر ١٠)

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٣/١٦٦. ونقل الحافظ الذهبي في السير: ١٧:١٦٨. وتذكرة الحفاظ ٣/١٠٤٢، " سئل أبو عبد الله الحاكم عن حديث الطير فقال: " لا يصح، ولو صح لما كان أحد أفضل من علي بعد النبي صلى الله عليه وسلم " ثم قال الذهبي: " فهذه حكاية قوية، فما باله أخرج حديث الطير في المستدرک؟! فكأنه اختلف اجتهاده " وكذا اختلف فيه قول الحافظ ابن حجر. فقال في " لسان الميزان " ٣/٣٣٦: " هو خبر منكر " وحسنه في " الأجوبة عن أحاديث وقعت في مصابيح السنة ووصفت بالوضع " ملحقة بأخر مشكاة المصابيح: ٣/٣١٣ قال: " السدي إسماعيل بن عبد الرحمن أخرج له مسلم، ووثقه جماعة منهم شعبة وسفيان ويحيى القطان " وهو يشير بذلك إلى رواية الترمذي والنسائي في الخصائص، والسدي وصف بالغلو في التشيع، والغالي لا تقبل روايته فيما يقوي به بدعته، ولو كان ثقة كما قرره الحافظ نفسه. ينظر الإمامة في ضوء الكتاب والسنة: جمع وترتيب محمد مال الله: ٢/٢٠٤.

فهل الذي يتظاهر على بعض الصحابة ضد بعضهم الآخر عاقل ومنصف؟! أم أنه يدخل فيما نهي عنه؛ ويعمل بما لم يؤمر به؟ ولا شك أن ضريبة التعصب والحزبية، ورد إجماع الأمة في عدالة الصحابة ﷺ والتجاوز على نهي رسول الله ﷺ في قوله: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه)^(١) وعلى قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: من الآية ١١٠) فلا شك أن هذا التجاوز ستكون له ضريبة باهضة يدفعها كل من يقع فيه، ضريبة ترزعع المعتقد، وتهز الثقة بأصحاب رسول الله ﷺ وهذا أمر خطير يقود إلى المهالك التي وقع فيها بعض الأخيار؛ من المحدثين والعلماء، فموقفهم المتجاوز لهذا؛ شان إنتاجهم وشوّهه، وززعع الثقة في بعض جهودهم، ذلك أن أمة الكتاب والسنة لا تبيح بحال من الأحوال الدخول بين الصحابة إلا بالموودة والثقة بهم، والدعاء لهم، أو الاعتذار عنهم، أما الإعراض عن بعض الصحابة والإعلان بذلك، فهذا من الطيش والحمق وضعف الإدراك؛ الذي يبعث على الريبة في أقوال من يقع فيه.

قال الخطيب أبو بكر: أبو عبد الله الحاكم كان ثقة، وكان يميل إلى التشيع، فحدثني إبراهيم بن محمد الأرموي، وكان صالحاً عالماً قال: جمع الحاكم أحاديث وزعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم منها: حديث الطير، وأمثاله و" من كنت مولاه فعلي مولاه " بزيادته، فأنكرها عليه أصحاب الحديث فلم يلتفتوا إلى قوله^(٢) قال الحافظ ابن حجر: هو خبر منكر^(٣) وقال الزيلعي في نصب الراية: كم من حديث تعددت طرقه وكثرت رواياته وهو ضعيف كحديث

(١) صحيح البخاري: ح (٣٤٧٠)، صحيح مسلم: ح (٢٥٤٠).

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٣/ ١٦٤. وقال الألباني في مشكاة المصابيح: ح (٦٠٨٥) ضعيف، وفي ضعيف الترمذي،

ح (٣٩٨٧). سنن الترمذي: ح (٣٧٢١) قال أبو عيسى هذا حديث غريب وقال الألباني: ضعيف.

(٣) ابن حجر: لسان الميزان: ٢/ ٣٥٤.

الطير^(١) أما حديث من كنت مولاه، من غير زيادته، فهو صحيح والزيادات من إضافات أهل الأهواء إلى النص الصحيح.

وقال ابن كثير: فهذه طرق متعددة عن أنس بن مالك وكل منها فيه ضعف ومقال، وقال: (قال: شيخنا أبو عبد الله الذهبي، في جزء جمعه في هذا الحديث بعد ما أورد طرقاً متعددة نحواً مما ذكرنا، ويروى هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة)^(٢) وقال: (وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة، منهم أبو بكر بن مردويه، والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان، فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي، ورأيت فيه مجلداً في جمع طرقه وألفاظه لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المفسر صاحب التاريخ، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه، سنداً ومتمناً، للقاضي أبي بكر الباقلاني المتكلم)^(٣) قال الألباني: قال: ابن الجوزي: "وقد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طريقاً، كلها مظلم، وفيها مطاعن، فلم أر الإطالة بذلك"^(٤) فحديث الطائر يستعمله أعداء السنّة النبوية، للتشويش على أمير المؤمنين علي عليه السلام والطعن بأبي بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله واتهام خادم رسول الله الأمين أنس بن مالك، وأنه لم ينفذ الأمر، وردّ علياً رضي الله عنه ثلاث مرات طمعاً في أن يأتي رجل من الأنصار فتصبيه دعوة النبي صلى الله عليه وآله وهذا كله من أباطيلهم.

وقال ابن تيمية: والجواب من وجوه، أحدها: المطالبة بتصحيح النقل، وقوله روى الجمهور كافة كذب عليهم فإن حديث الطير لم يروه أحد من أصحاب الصحيح ولا صححه أئمة الحديث، ولكن هو مما رواه بعض الناس كما رووا في فضائل معاوية رضي الله عنه أحاديث كثيرة وصنف في ذلك مصنفات وأهل العلم بالحديث، لا يصححون لا هذا ولا هذا.

(١) الزيلعي: نصب الراية ١ / ٣٦١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧ / ٣٨٩.

(٣) البداية والنهاية: ٧ / ٣٩٠.

(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ١٤ / ١٧٨ دار المعارف (ط، ١) الرياض.

الثاني: أن حديث الطائر من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل، قال أبو موسى المديني: قد جمع غير واحد من الحفاظ طرق أحاديث الطير، للاعتبار والمعرفة، كالحاكم النيسابوري، وأبي نعيم، وابن مردويه، وسئل الحاكم عن حديث الطير فقال لا يصح^(١) وقد سبق ذكر قول الذهبي أن الحاكم اضطرب في حكمه على هذا الحديث، وقال الشوكاني عن حديث الطائر: "له طرق كثيرة كلها ضعيفة"^(٢).

وكل من حسن حديث الطائر وقواه، لم يأت بما يتفق عليه أهل الحديث، فيصلح في سنده، ما يحكم غيره عليه بالضعف، ويظهر فساد ما زعم صلاحه، فلما صححه الحاكم في المستدرک وقال على شرط الشيخين، وقال: "قد رواه عن أنس رضي الله عنه جماعة من أصحابه، زيادة على ثلاثين نفساً، ثم صحت الرواية عن علي، وأبي سعيد الخدري، وسفيينة رضي الله عنه فكان التعقيب على ذلك قولهم: "ونعم ما علق الحافظ الذهبي على قول الحاكم": وقد رواه عن أنس رضي الله عنه أكثر من ثلاثين نفساً قال ابن كثير: قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي أي في تعليقه: "فصلهم بثقة يصح الاسناد إليه!" وعن قول الحاكم: "وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وسفيينة رضي الله عنه قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: "لا والله ما صح شيء من ذلك"^(٣).

وقال أبو موسى المديني: "قد جمع غير واحد من الحفاظ طرق أحاديث الطير للاعتبار والمعرفة، كالحاكم النيسابوري، وأبي نعيم، وابن مردويه. وسئل الحاكم عن حديث الطير فقال:

(١) ابن تيمية: منهاج السنة: ٧/ ٣٧٢. وقد خرج هذا الحديث الشيخ أحمد ميرين البلوشي حديث الطائر وتتبع طرقه في تحقيقه لكتاب "خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه" للإمام النسائي ص ٢٩ وما بعدها فأجاد وأفاد، وهو تخريج نفيس جاء ثابته وجها من وجوه روايته جميعها متهاككة لم يصح منها شيء، ومن صحح طريقاً منها جاء غيره فعقب عليه وبين خطأه وغلطه وبين أنه قوى الضعفاء أو المبتدعة، فلم يستقم طريق صحيح له. ينظر: مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها: ١٧/ ٦٠.

(٢) ونقل الشوكاني في "الفوائد المجموعة" ٣٨٢ عن الفيروزآبادي، في المختصر عن هذا الحديث قوله: "له طرق كثيرة كلها ضعيفة، الإمامة في ضوء الكتاب والسنة، جمع وتقديم وتعليق محمد مال الله، ٢/ ٢٠٢.

(٣) ينظر: البداية والنهاية: ٧/ ٣٨٧.

لا يصح" هذا مع أن الحاكم منسوب إلى التشيع، وقد طُلب منه أن يروي حديثاً في فضل معاوية فقال: ما يجيء من قلبي، ما يجيء من قلبي، وقد ضربوه على ذلك فلم يفعل، وهو يروي في "الأربعين" أحاديث ضعيفة بل موضوعة عند أئمة الحديث، كقوله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، لكن تشيعه وتشيع أمثاله من أهل العلم بالحديث، كالنسائي وابن عبد البر وأمثالهما، لا يبلغ إلى تفصيل علي عليه السلام على أبي بكر وعمر، فلا يُعرف في علماء الحديث من يفضل علياً عليهما عليه السلام، بل غاية المتشيع منهم أن يفضل علي عثمان، أو يحصل منه كلام أو إعراض عن ذكر محاسن من قاتله ونحو ذلك، لأن علماء الحديث قد عصمهم وقيدهم ما يعرفون من الأحاديث الصحيحة الدالة على أفضلية الشيخين، ومن ترفض ممن له نوع اشتغال بالحديث، كابن عُقْدَة وأمثاله، فهذا غاية أن يجمع ما يروى في فضائله من المكذوبات والموضوعات، لا يقدر أن يدفع ما تواتر من فضائل الشيخين، فإنها باتفاق أهل العلم بالحديث أكثر مما صح في فضائل علي وأصح وأصرح في الدلالة، وأحمد بن حنبل لم يقل: إنه صحّ لعلي من الفضائل ما لم يصح لغيره، بل أحمد أجل من أن يقول مثل هذا الكذب، بل نُقل عنه أنه قال: "رُوي له ما لم يُرو لغيره" مع أن نقل هذا عن أحمد كلاماً ليس هذا موضعه، ثم إن أكل الطير ليس فيه أمر عظيم يناسب أن يجيء أحب الخلق إلى الله ليأكل منه، فإن إطعام الطعام مشروع للبرّ والفاجر، وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الأكل، ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا، فأمر عظيم هنا يناسب جعل أحب الخلق إلى الله يفعله؟!!

وإن هذا الحديث يناقض مذهبهم؛ فإنهم يقولون: إن النبي ﷺ كان يعلم أن علياً أحب الخلق إلى الله، وأنه جعله خليفة من بعده. وهذا الحديث يدل على أنه ما كان يعرف أحب الخلق إلى الله، وأن يقال: إما أن يكون النبي ﷺ كان يعرف أن علياً ﷺ أحب الخلق إلى الله، أو ما كان يعرف! فإن كان يعرف ذلك، كان يمكنه ﷺ أن يرسل يطلبه، كما كان يطلب الواحد من الصحابة، أو يقول: اللهم اتني بعلي فإنه أحب الخلق إليك، فأني حاجة إلى الدعاء والإبهام في ذلك؟! ولو سمى علياً ﷺ لاستراح أنس من الرجاء الباطل، ولم يغلق الباب في وجه علي.

وإن كان النبي ﷺ لم يعرف ذلك، بطل ما يدّعون من كونه كان يعرف ذلك، ثم إن في لفظه: " أحب الخلق إليك وإليّ " فكيف لا يعرف أحب الخلق إليه؟! وبعد كل هذا فإن الأحاديث الثابتة في الصحاح، التي أجمع أهل الحديث على صحتها وتلقيها بالقبول، تناقض هذا الذي يلوكة أعداء الصحابة ومن يأخذ عنهم، فكيف تعارض الأحاديث الصحيحة الثابتة؛ بهذا الحديث الموضوع الذي لم يصححوه؟^(١).

قولهم: اللهم أعط علياً فضيلة لم تعطها أحداً قبله ولا تعطها أحداً بعده

ومن أحاديثهم الموضوعة الأخرى، التي يشوشون فيها على أخوة علي ﷺ مع أصحاب رسول الله ﷺ ما يروونه عن أحمد بن نصر الدارع، عن ابن عباس، قال: قتل علي بن أبي طالب ﷺ عمرو بن ود، ودخل على النبي ﷺ فلما رآه كبر وكبر المسلمون، فقال ﷺ: " اللهم أعط علياً فضيلة لم تعطها أحداً قبله ولا تعطها أحداً بعده، فهبط جبريل ومعه أترجة من الجنة فقال: إن الله يقول: حي بهذه علي بن أبي طالب، فدفعتها إليه فانفلقت في يده فلقنتين! فإذا حريرة بيضاء مكتوب فيها سطرين تحية من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالب " وهذا من وضع الدارع وصناعته المفضوحة للحديث المكذوب على رسول الله ﷺ وآثار الصنعة ظاهرة في النص مع خيال صاحبها.

ولعل هذا الوضع يحاكي في ذلك ما وهب الله تعالى نبيه سليمان ﷺ من الملك والهبات التي لم يهبها لغيره من عباده، قال تعالى على لسان سليمان ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (ص: ٣٥) وفي رواية هذا المخلط من الجهل، الذي

(١) الإمامة في ضوء الكتاب والسنة: جمع وترتيب محمد مال الله، ٤٧/٢.

(٢) موضوع: فيه الدارع وهو واضعه كما أفاده بذلك الشوكاني في (الفوائد المجموعة ١/٣٦٧) والسيوطي في اللآلئ المصنوعة ١/٣٣٨. دمشقية: أحاديث يحتج بها الشيعة، ١/٤٠٩. وعبد ود العامري قتله علي ﷺ في معركة الخندق فسرّ المسلمين، حيث قرّب بعد مقتله فرسان المشركين الذين اقتحموا الخندق على المسلمين.

يجعل صاحبه يضر من حيث يريد أن ينفع، ويذم من حيث يريد أن يمدح، ذلك أن الأنبياء لم يسألوا الله تعالى ما سأله سليمان أدباً مع مولاهم ﷺ ومع أخيهم النبي سليمان ﷺ قال رسول الله ﷺ: (اعترض لي الشيطان في مصلاي، فأخذت بحلقة فخنقته؛ حتى وجدت برد لسانه على كفي، ولولا ما كان من دعوة أخي سليمان عليه السلام لأصبح مربوطاً تنظرون إليه)^(١).

قولهم: لولا علي لهلك عمر رضي الله عنهما

ومن الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي ينشرها أعداء الصحابة ويستشهدون بها ما ينسبونه إلى أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ من قوله: (لولا علي لهلك عمر رضي الله عنهما) وهذا حديث ضعيف^(٢) وما يلفت الانتباه في هذا النص أنهم ينسبون القول إلى أمير المؤمنين عمر ﷺ وهم لا يثقون به ﷺ ولا بقوله، ولكن حين يريدون التلبيس على المسلمين فإنهم ينسبون ذلك لمن يريدون متناسين عقيدتهم في أمير المؤمنين عمر ﷺ فسحفاً لامة لا تثق بعمر الفاروق ﷺ ولا تحبه وتقتدي به! ولا تبرأ ممن غدر به ومن لا زال فرحاً بذلك الغدر!

وروي هذا الحديث ولا ذكر فيه لأمر المؤمنين علي ﷺ وإنما استبدلوه بمعاذ بن جبل ﷺ بسند فيه مجاهيل، عن أشياخ قالوا: (جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال يا أمير المؤمنين إني غبت عن امرأتي سنتين فجئت وهي حبل فشاور عمر ﷺ ناساً في رجمها فقال معاذ بن جبل ﷺ يا أمير المؤمنين: إن كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل، فاتركها حتى تضع، فتركها فولدت غلاماً قد خرجت ثناياه، فعرف الرجل الشبه فيه فقال ابني ورب الكعبة، فقال عمر ﷺ: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، لولا معاذ لهلك عمر! وهذا إن ثبت ففيه دلالة على أن الحمل يبقى أكثر من سنتين وقول عمر ﷺ في امرأة المفقود تربص أربع سنين يشبه أن يكون إنما قاله

(١) سنن النسائي الكبرى: ح (٥٥١) مسند أبي يعلى: ح (٥٩٥١) قال حسين سليم أسد: إسناده حسن.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣/١١٠٣. عن مؤمل بن إسمايل، قال البخاري: (منكر الحديث).

لبقاء الحمل أربع سنين والله أعلم^(١) إلا أنه مع وضوح هذا النص وأنّ معاذاً هو الذي سئل وهو الذي أجاب، فإنّ أعداء الصحابة أبوا إلا أن يزيفوا الأحداث ويبدلوا وسعهم في سبيل إيجاد ما يطعنون به على أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه الذي يترعب حبه في قلوب المؤمنين من أمة الكتاب والسنة جميعاً، ومن ثم سلوكهم تلك الوسائل التي أول ما تعبر عنه هو تحكّم حب الفتنة في قلوبهم إلى الحد الذي أعماهم عن الحقيقة فأخذوا يضعون النصوص أو يجرّفونها لتحقيق مآربهم الفاسدة، وهناك في هذه المسألة ما لا يدركه أعداء الصحابة، أو يدركونه ويتجاهلونه وهو أنّهم حين ينسبون العلم لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه فهذا يسرّ كل مؤمن من أمة الكتاب والسنة، وهم يعتقدون أنّ الصحابة هم خير أمة أخرجت للناس رضي الله عنهم ولكن حين يوظف أعداء الصحابة هذه النصوص للطعن بأئمة الأمة من الخلفاء الراشدين، فهذا يكشف زيف هؤلاء وضحالة فهمهم وعميق أحقادهم، ذلك أنّهم يعلمون أنّ عمر وعلياً إخوة في صف واحد يستشير بعضهم بعضاً، ويعين بعضهم بعضاً لا يستطيع أعداء الصحابة، ولا المستشرقون والعلمانيون المفارقون لدينهم مهما ابتكروا من وسائل الفتنة وأدوات البهتان، أن يحققوا أمانيتهم في صرف أبناء أمة السنة والجماعة عن حب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ومواليتهم، على مراتبهم التي كانوا عليها، وكما أقرّهم على ذلك المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم والمحروم من حرم حبيهم واتباعهم ومواليتهم.

وقد افترى المخالفون على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حين ذكروا هذا النص، وحين حذفوا اسم معاذ رضي الله عنه ووضعوا اسم علي رضي الله عنه ودونوا الحديث في كتابهم المموه في اسم مؤلفه وفي محتواه! حيث إن الاسم شبيه باسم ابن جرير الطبري صاحب تاريخ الأمم والملوك، ولم يبينوا أنّه لأبي جعفر الطبري الرافضي! الذي روى: (لولا علي لهلك عمر) وأتموا بهتانهم هذا بقولهم: رواه ابن حجر

(١) سنن البيهقي: ح (١٥٣٣٥) فمن هم هؤلاء الأشياخ ومن هو هذا الرجل الذي جاء إلى عمر كلهم غير معلومين، وقال البيهقي فيه إن صح هذا. مصنف ابن أبي شيبة: ح (٩٢٤٠٨). ومع ذلك حرفه الرافضة فحذفوا اسم معاذ ووضعوا مكانه اسم علي رضي الله عنهما، مسند زيد بن علي: ٣٣٥.

في الإصابة^(١) وهم مفترون بذلك! فإن الرواية عند ابن حجر في كتاب الإصابة هكذا: (لولا معاذ هلك عمر رضي الله عنهما)^(٢) ورواه غير ابن جرير الرافضي هذا، ونسبه كاذباً إلى الإمام البخاري! ويأتي مفتر آخر فيقول: (قوله عمر رضي الله عنه لولا علي رضي الله عنه هلك عمر جاءت بألفاظ متعددة وموارد كثيرة)^(٣) وذكر من هذه المصادر سنن أبي داود! وسنن البيهقي! مع أنه في سنن البيهقي بلفظ (لولا معاذ هلك عمر) وهو في ذلك مفتر كصاحبه اليهودي فهذا هو منهج أعداء الصحابة وكذبهم المكشوف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤).

فضلاً عن أنهم لا يثقون بكتب أهل السنة، ولا بأحاديثهم، فكيف يرجعون إليها؟ مما يؤكد أن هؤلاء القوم لا يمتلكون حجة في مصادرهم ولو امتلكوا حجة، لملاؤا بها الأرض إذاعة، فهم لا يكذبون عن جهل، وإنما يخوضون في تلك الأوحال عن قصد وسوء نية، ليمروا هذه الأخبار على جهلة أهل السنة، وليزيدوا ضلال من يقرأ لهم من أتباعهم^(٥) ومما يجب التنبيه له هو أنهم لا يثقون بكتب أهل السنة ولا بأئمتهم ولكنهم حين يحاججون فإنهم يستشهدون بذلك فيذهبون إلى كتب الموضوعات والمتروكين وما شابه ذلك فيأتون بما يشوشون به على من لا علم له.

ومن أباطيلهم مشاورة حاكم الجن لأمير المؤمنين عليه السلام على المنبر

ومن أباطيلهم ما قاله الذهبي عن صاحب منهج الندامة: وروى جماعة أن علياً عليه السلام كان يخطب على منبر الكوفة فظهر ثعبان فرقى المنبر وخاف الناس، وأرادوا قتله فمنعهم علي فخاطبه ثم نزل، فسأل الناس عنه علياً؟ فقال: هو حاكم الجن التبست عليه مسألة فأوضححتها له، وكان أهل

(١) ابو جعفر الطبري الرافضي: دلائل الإمامة، ٢٢.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ٦/١٣٧. وسند الرواية أكثره من المجاهيل الغير معروفين.

(٣) عبد الزهرا العلوي: محقق كتاب بحار الأنوار ٣٠/٦٧٩.

(٤) محمد الباقر البهبودي، محقق كتاب الصراط المستقيم، ٣/١٥، ويقول مفترياً: رواه البخاري.

(٥) ينظر دمشقية: أحاديث يحتج بها الشيعة، ١/٤٢٦.

الكوفة يسمون الباب الذي دخل منه باب الثعبان، فأراد بنو أمية إطفاء هذه الفضيلة فنصبوا على ذلك الباب قتلى كثيرة، مدة طويلة حتى سمي باب القتلى! فيقال: من هو دون علي تحتاج الجن إليه وتستفتيه، وهذا معلوم قديما وحديثاً، فإن كان هذا وقع فقدره أجل من ذلك وإن لم يكن وقع لم ينقص فضله بذلك ولكن أئمتك المعتزلة تنكر كرامات الأولياء ومن جحد وقوعها من صالحى الأمة فقد كابر، ولكن أكرم الناس عند الله أتقاهم وإن لم تقع له كرامة، قال: والفضائل إما نفسانية أو بدنية أو خارجية، وأمير المؤمنين علي عليه السلام جمع الكل فجمع الزهد والعلم والحكمة فهذه النفسانية، وجمع العبادة والشجاعة والصدقة فهذه البدنية، وأما الخارجية كالنسب فلم يلحق فيه، وتزوج بابنة النبي صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين فاطمة رضي الله عنها.

وقد روى أخطب خوارزم بإسناده، عن جابر رضي الله عنه قال: لما تزوج علي فاطمة رضي الله عنهما، زوجه الله إياها من فوق سبع سماوات وكان الخاطب جبريل والشهود ميكائيل وإسرافيل في سبعين ألفاً، فأوحى إلى شجرة طوبى: انثري ما فيك من الدر والجوهر ففعلت، والتقطه الحور العين!!^(١).

فالأمر الخارجة عن نفس الإيثار والتقوى، لا يحصل بها فضل عند الله بمجرد ما قال النبي صلى الله عليه وآله: (أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ؛ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَلَبَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله)^(٢) وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أكرم الناس؟ قال: أتقاهم قيل: ليس عن هذا نسألك، فقال: يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله خليل الله، إبراهيم أكرم على الله من يوسف، وأين ما بين أبيهما فليس في بني آدم من حيث النسب مثل يوسف وإذا فرضنا إثنين أحدهما أبوه نبي والآخر أبوه كافر وتساويا في التقوى والطاعة من كل وجه، كانت درجاتهما في الجنة سواء، ولكن

(١) ينظر المنتقى من منهاج الاعتدال: ٥٢٩.

(٢) مسند أحمد: ح (٢٢٣٩١).

أحكام الدنيا بخلاف ذلك في الإمامة والزوجية والشرف وتحريم الصدقة ونحو ذلك، والخير في الأشراف أكثر منه في الأطراف^(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (الحديد: ٢٦) وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود: من الآية ٤٦) فلم ينفع ابن النبي نوح عليه السلام نسبه حين خالف وكفر، ولما دعا له أبوه عليه السلام نهي عن ذلك، فلا يوجد وجه يتساوى فيه العبد الصالح والمسرف على نفسه بسبب نسب أو شرف أو غير ذلك، إذا كانت الأعمال متفاوتة، وهؤلاء اليهود المغضوب عليهم من أولاد الأنبياء، فلم ينفعهم نسبهم، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (المائدة: ٧٨) وقال تعالى: ﴿يَكَايُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (لقمان: ٣٣) فالمتعلقون بالأنساب المفرطون بالأعمال، يتمسكون بالسراب والوهم، وهم خارجون على تعاليم الأنبياء وهديهم، وعلى ما جاءت به الشرائع التي آمن بها المؤمنون وكفر بها الكافرون.

اتهام أعداء الصحابة لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه ساحر

لما كان موقف أعداء الصحابة هو التحريض على هدم الإسلام ببهتان أئمتهم، والعمل على تزييف نصوص الكتاب والسنة، والطعن بالخلفاء الراشدين عليهم السلام فإنهم سلكوا إلى ذلك سبلاً ملتوية، أطلقوا العنان فيها لتخيلاهم أن تصنع ما تراه مناهضاً لكل حقيقة، فاخترعوا من النصوص والقصص التي لا حصر لها ولا ضوابط، ليعملوا من خلالها على صرف الناس عن الكتاب

(١) ينظر المنتقى من منهاج الاعتدال: ٥٣٠.

والسنة، وعلوم النبوة! ولما كانوا يزعمون حبّ علي عليه السلام فإنهم وضعوا له من النصوص والقصص التي تخرجه عن بشريته، وتجعله في مقام الإله، غير مبالين بما يسيء منها لعلي عليه السلام أو لعقيدته، ومن ذلك ما يفترونه عليه عليه السلام بأنه قال: (أنا صاحب القرون الأولى أنا الصامت ومحمد عليه السلام الناطق! أنا جاوزت بموسى البحر وأنا أغرقت فرعون وجنوده، وأنا أعلم همهم البهائم، ومنطق الطير، أنا الذي أجوز السموات السبع، والأرضين السبع في طرفة عين، أنا المتكلم على لسان عيسى في المهدي أنا مصباح الهدى، أنا مفتاح التقى، أنا القائم بالقسط، أنا ديان الدين، أنا محصي الخلائق وإن كثروا أنا محاسبهم، أنا الذي عندي ألف كتاب من كتب الأنبياء^(١)).

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا ﴾ (الكهف: ٨٧) قال المجلسي: أي يردّ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فيعذبه عذاباً نكراً! وقال: (أو المراد بالرب أمير المؤمنين لأنه الذي جعل الله تربية الخلق إليه في العلم، والكمالات إليه، وهو صاحبهم والحاكم عليهم في الدنيا والآخرة)^(٢).

ومن بهتانهم على أمير المؤمنين علي عليه السلام قولهم: (إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه جميع الخلائق فيصعد عليه رجل فيقوم عن يمينه ملك، وعن يساره ملك، ينادي الذي عن يمينه: يا معشر الخلائق، هذا علي بن أبي طالب يُدخل الجنة من يشاء، وينادي الذي عن يساره: يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب يُدخل النار من يشاء)^(٣) وأباطيلهم في هذا الباب لا تنتهي فلكل عصر أفاكوه، إلا أن الذي لم يتبهاوا له ولم يدركوه ببهتانهم أنهم يزعمون الكذب لعلي عليه السلام ليفصلوا بينه وبين أمة الكتاب والسنة، لكنهم وقعوا في سوء مقاصدهم، فقادهم بهتانهم وكذبهم على أمير المؤمنين عليه السلام إلى اتهامه بأنه ساحر يتعامل مع الجن حاشاه عليه السلام، وذلك من خلال زعمهم الدفاع عن علي عليه السلام وعملهم على الطعن بأمير المؤمنين الفاروق عمر عليه السلام في زواجه المبارك من أم

(١) محمد بيومي: حقيقة الشيعة وهل يمكن التقارب معهم، ١٠٥.

(٢) ينظر المجلسي: بحار الأنوار، ٢٤ / ٢٦٢. حقيقة الشيعة: ١٠٦.

(٣) حقيقة الشيعة: ١٠٨، عن أمالي الصدوق، ١٦٤.

كلثوم بنت علي ؑ، ذلك الزواج الميمون الذي قالوا عنه بخبثهم ورجسهم كما رووه كاذبين عن زرارة عن أبي عبد الله في تزويج أم كلثوم: "إن ذلك فرج عُصْبناه"^(١).

ولما كان معتقدهم مبنياً على الباطنية وقلب الحقائق فهم يريدون الترويج لما قالوه بإفكهم لنشر ثقافة الفاحشة بين المؤمنين، فما دام علي ؑ لم يستطع أن يحمي عرضه حاشاه مما يفترون ؑ فعلى غيره أن لا يعاند في هذا الباب، ولتفسح لذلك كل أبواب التحايل على العفاف والطهر؛ بالمتعة واستعارة الفروج، وما يروجون له في بلدانهم ومعتقداتهم، والله تعالى من ورائهم محيط، فهم لا يعينهم علي ؑ ولا عرضه الطاهر الشريف، بل الذي يعينهم حرب الكتاب والسنة، وما جاء به من تنظيم للعلاقات الزوجية على أسس من الوفاء والرحمة والمودة والعفاف، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١). وقال ﷺ: ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجِيَّ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (الاسراء: ٣٢) لقد حارب أعداء الصحابة الزواج الشرعي بكل ما أوتوا من التشويه والتزييف، حتى نالوا جزاءهم من جنس عملهم فانتشرت الفاحشة بينهم تحت ذرائع باطلة ودعاوى فاسدة.

وقد جاء في رواياتهم عن هذا الزواج أنه قيل لأبي عبد الله: إن الناس يحتجون علينا ويقولون إن أمير المؤمنين زوج فلاناً يعني عمر ؑ ابنته أم كلثوم وكان متكئاً فجلس وقال أيقولون ذلك؟! إن قوماً يزعمون ذلك لا يهتدون إلى سواء السبيل، سبحان الله! ما كان يقدر أمير المؤمنين أن يحول بينه وبينها فينقدها؟! كذبوا ولم يكن ما قالوا، إن فلاناً خطب إلى علي ابنته أم كلثوم فأبى عليه، فقال للعباس: والله لئن لم تزوجني لأتزعن منك سقاية زمزم، فأتى العباس علياً فكلمه فأبى عليه، فألح العباس، فلما رأى أمير المؤمنين مشقة كلام الرجل على العباس، وأنه سيفعل بالسقاية ما قال، أرسل أمير المؤمنين إلى جنية من أهل نجران يهودية يقال لها سحيفة بنت جريرية، فأمرها

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ٤٢/ ٨٨.

فتمثلت في مثال أم كلثوم، وحجبت الأبصار عن أم كلثوم، وبعث بها إلى الرجل فلم تزل عنده حتى استراب بها يوماً، فقال: ما في الأرض أهل بيت أسحر من بني هاشم، ثم أراد أن يظهر ذلك للناس فقتل وحوث الميراث، وانصرفت إلى نجران، وأظهر أمير المؤمنين أم كلثوم^(١).

فها هي نصوصهم ثابتة في كتبهم، وبأسانيدهم واختيارهم في دفاعهم عن معتقدتهم، يشبتون أن علياً عليه السلام يتعامل مع الجن! حاشاه عليه السلام ولكنهم بيهتانهم جعلوه متصرفاً معهم بأمر ما يتصرف به عتاة السحرة، بل ربما لم يستطع مثل ما يزعمونه حتى سحرة فرعون! وكل ذلك بحجة الدفاع عن علي عليه السلام في حين أن مقصدهم هو الطعن والانتقاص من عمر الفاروق عليه السلام لكن المطعن الذي نسبوه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام مطعن يخرج من بصّر عليه من الدين، وذلك أنهم نسبوا إليه التصرف بالجن! وهذه حال لا يبلغها مؤمن بالكتاب والسنة! وحكم الإسلام في الساحر؛ معلوم، قال تعالى: ﴿ أَفْتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ (الأنبياء: من الآية ٣) وقال عليه السلام: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (طه: من الآية ٦٩) وقال سبحانه: ﴿ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: من الآية ٨١) فهذا حكم القرآن في الساحر! أما حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الساحر فيظهر في قوله: (حدّ الساحر ضربة بالسيف)^(٢) وفي مصنف عبد الرزاق الصنعاني، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من تعلم شيئاً من السحر قليلاً أو كثيراً كان آخر عهده من الله)^(٣) هذا إن لم يتداركه الله بتوبة صادقة صحيحة.

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ٤٢/١٠٧.

(٢) المستدرک: ح (٨٠٧٣) قال: هذا حديث صحيح الإسناد وإن كان الشيخان تركا حديث إسماعيل بن مسلم، فإنه غريب صحيح، وله شاهد صحيح على شرطها جميعاً في ضد هذا، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح غريب. سنن الترمذي: ح (١٣٨٠) قال: والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيرهم وهو قول مالك وقال الشافعي إنها يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم ير عليه قتلاً. سنن الدارقطني: (١١٢) مصنف عبد الرزاق: (١٨٧٥٢).

(٣) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف: (١٨٧٥٣).

وقد اختلف العلماء في حكم الساحر هل يستتاب وتقبل توبته؟ أم يقتل بكل حال؟ ولا يستتاب إذا ثبت عليه السحر؟ والقول الثاني هو الصواب لأن بقاءه مضر بالمجتمع الإسلامي والغالب عليه عدم الصدق في التوبة ولأن في بقاءه خطراً كبيراً على المسلمين، واحتج أصحاب هذا القول على ما قالوه: بأن عمر رضي الله عنه أمر بقتل السحرة ولم يستتبهم وهو ثاني الخلفاء الراشدين الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنتهم واحتجوا أيضاً بما رواه الترمذي عن جندب بن عبد الله البجلي، أو عن جندب الخير الأزدي مرفوعاً وموقوفاً: " وحدّ الساحر ضرباًه بالسيف " أو: (حدّ الساحر ضرباًه بالسيف)^(١).

ولما قال بعضهم: يجوز تزويج الضال إذا كانت هناك ضرورة! فلما اضطر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه زوّج أم كلثوم للضرورة! لم يقبل فقيهم المجلسي هذا الاعتذار ورده وعلق مفترياً عليه، فقال: أقول: (بعد إنكار عمر رضي الله عنه النص الجلي وظهور نصبه وعداوته، يُشكل القول بجواز مناكحته، من غير ضرورة ولا تقية، إلا أن يقال بجواز مناكحة كل مرتد عن الإسلام، ولم يقل به أحد من أصحابنا^(٢)) فهذا المجلسي المفتري، يتهم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه برد نص الوصيّة الذي افتراه شيخهم اليهودي ابن سبأ، ولذلك فهو ناصبي مرتد! وإذا كان عمر رضي الله عنه عندهم كذلك حاشاه؛ فمن من الناس مثل عمر رضي الله عنه بعد صاحبيه، وهل هذا المعتقد الذي يدين به أعداء الصحابة يُبقي هامشاً يناور به الذين يعملون على تضليل الأمة باسم التقريب ومن جهة واحدة مع قتلة عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؟ أم أنه يفصح تضليلهم سوء مقاصدهم؟.

فالمقربون لهم يريدون من أهل السنّة أن يدينوا بعقيدة هذا المجلسي وأن أمير المؤمنين عمر الفاروق مطفء نار المجوس المبشر بالجنة رضي الله عنه ناصبي مرتد، وأن علياً رضي الله عنه يتصرف بالجن فيأمره

(١) سنن الترمذي: ح (١٣٨٠) قال: والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم وهو قول مالك بن أنس وقال الشافعي إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر. سنن الدارقطني: ح (١١٢) مصنف عبد الرزاق: (١٨٧٥٢) صحيح وصعيف سنن الترمذي: (١٤٦٠) قال الألباني: ضيف.

(٢) المجلسي: بحار الظلمات المسمى بحار الأنوار، ١٠٩/٤٢.

وبينها، وهذا المجلسي وإخوانه المفترون، لا يكفيهم أن يكيلوا الاتهامات لأصحاب رسول الله ﷺ حتى يجعلوا من أنفسهم المريضة؛ مصوّبين مصححين لأفعال أصحاب النبي ﷺ، ولا شك أنّ هذا من المفارقات الكبرى التي تؤكد زوال هيبة أمة الكتاب والسنة، إلى الحد الذي أصبح فيه أعداء الصحابة في الماضي والحاضر يخوضون في ظلمات البغي على الصحابة، وهم في أمن وأمان من أي محاسبة أو مساءلة، أو ردّ عملي على بهتانهم وتخريصاتهم، بل ويجدون الرعاية والقبول والمودة من دعاة التقريب المشبوه، وليس هذا فحسب، بل أصبح المفتونون بالتقريب إليهم، وكلاء دفاع ومحاماة عن أعداء الصحابة، فمن يُجذر الأمة من أخطارهم ومكائدهم، ومن تسخيرهم للمقربين لهم لخدمة مشاريعهم التخريبية في بناء الأمة وهويتها، هذا يعدونه أحد أهدافهم التي تجب محاربتها، وبهذا تمكّن أعداء الصحابة من تحقيق أهدافهم أو كثير منها بواسطة حلفائهم ومن يساندتهم بالمال والمقال والقرار والإعلام، فأسهموا في توسع دائرة العدوان على حى أمة الكتاب والسنة، وأمنها ووحدتها والله المستعان.

وهذا ما لم تمر به الأمة من قبل! وبهذا الوضوح والجرأة على التعاون مع أعداء الصحابة علناً، من غير وجل ولا اهتمام بمكانة عمر ؓ من رسول الله ﷺ ولا بقرابة علي ؓ من النبي ﷺ مع التجاهل التام لمشاعر ومعتقد أمتهم فيها رضي الله عنهما، وهذه حالة لا تبشر بخير، ولها ما بعدها من الأحداث المترتبة على الموقف منها؛ وتدعو إلى التأمل فيما وصل إليه حال أمة الكتاب والسنة، وضعف مستوى غيرة كثير من العلماء والسلاطين المسلمين، وكثير من عامة الموحدين، على أئمتهم وقادتهم الخلفاء الراشدين، والصحابة الأكرمين ؓ وتهاونهم مع المفتريين الخائضين فيما لا يعنيه من أمور الدنيا والدين؛ ولكنه الهوان الذي أباح لكل لقيط وهجين، أن يتناول على أعراض المسلمين، وعقيدة الخلفاء الراشدين، وهو آمن من العقاب والمساءلة أو حتى المعاتبة برفق ولين، بل ربما وجد بعض أمناء النقابات والاتحادات، وسادة الحركات، ورؤساء المجالس والتجمعات، وسلاطين بعض المراكز والبرلمانات، وزعماء الجمعيات والفضائيات، وغيرهم من القائمين على كبرى المؤسسات المحسوبة على أمة السنة والجماعة؛ يقومون عنه بدور شهود الزور،

والتصدي لمن ينبه إلى شروره ومخاطره، على الأمن والسلم والعقيدة والأخلاق والقيم وغير ذلك!.

وهذا أمر يدعو إلى الشكوى إلى الله، واللجوء إليه بأن يعزّ الإسلام والمسلمين، ويهدي التائبين، ويزلزل السبئية والمرتدين، ويفضح المتواطئين، والمفرطين بعقيدة الأمة ووحدها؛ المتعاونين مع دعاة الفتنة بين أبنائها، المروجين لثقافة الشك بكتابها وسنة نبيها ﷺ المزيفين لتاريخها، وقضائها وآدابها وماضيها، وعظيم إنجازاتها، والناشرين الكراهية لقادتها وكرام رجالها! بظلمهم وضعف إنصافهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم. قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج: ٦٧).

الفصل الثالث

**من وسائل أعداء الصحابة اختراق
الكتب وتسخير بعض العلماء
وتحريف الأحداث**

المبحث الأول التسلل من خلال الكتب والعلماء

أولاً: التسلل من خلال بعض العلماء

استعمل أعداء الصحابة كل الوسائل الفكرية، والسياسية، والمادية، والشهوانية، والعسكرية، والاقتصادية، في حربهم المستمرة والمتلونة على أمة السنّة والجماعة، مستغفلين أو محيدين الكثير من قياداتها العلمية، وأقلامها الصحفية، ومراكزها البحثية، ومواقعها الفكرية، وبعض الاتحادات والجمعيات والنقابات والحركات والوزارات ذات الصلة وغيرها، فجعلوا من إمكانيات تلك المواقع وقراراتها ومكانتها، أدوات لحماية المد الفكري الهدام الذي يروج له أعداء الصحابة وينشرونه بين أبناء الأمة! فتمكنوا من تحقيق الكثير من أهدافهم وعلى أكثر الصعد، وها هي نتائج إصرارهم على التمسك بتلك الوسائل الهدامة، والبذل من أجل تحقيق مقاصدها، فقد تمكنوا وفي أكثر من مرحلة تاريخية من التوسع والتمدد على حساب أمة الكتاب والسنّة فهم ليس لهم نشاط دعوي ضد اليهود أو الصليبيين أو غيرهم من العلمانيين والملحدين والوثنيين، لأنهم لا يرون في أحد من هؤلاء خطراً على معتقداتهم، وليس لهم عنده تآر يطلبونه كما هو حالهم مع أهل السنّة والجماعة! حيث أنّ أجدادهم أصحاب رسول الله ﷺ أسقطوا دولة المجوس وبددوا طغيان امبراطوريتها، وهذه حقيقة كان من المفترض على من يزعم أنّه مسلم أن يزيد إجلالاً وتبجيلاً لأصحاب رسول الله ﷺ لما قاموا به من جهد وجهاد أزال الظلم والشرك والبغي، وأقام العدل والتوحيد والأمن، لكن لما كان ارتباط أعداء الصحابة بتلك الدولة ومخلفاتها الفلسفية والقومية أقوى من ارتباطهم بعقيدة أصحاب رسول الله ﷺ، كان شرّهم على الأمة أكبر من أي شرّ آخر، فهم سبب رئيس في الخراب الذي أصاب الأمة على صعيد الفكر

والعقيدة والتاريخ والسلطة، وشركاء الغزاة والمحتلين الذي دمروا الحضارة الإسلامية المادية، وشلوا كثيراً من قدراتها الأخلاقية والقيمية وغير ذلك!.

ولكل ما سبق أصبح التنبيه على وسائلهم الهدامة تلك واجب على كل مسلم، وذلك من باب التعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤) لإيقاف مدهم التخريبي، وصد شرهم عن أمة الكتاب والسنة، ذلك أن خطرهم تغلغل في الأعماق حتى تمكنوا من تحويل الكثير من المؤسسات التي تقوم على حراسة عقيدة الكتاب والسنة، إلى حراس لرؤوس الطعن بعقيدة الصحابة، المزرين بأئمة الكتاب والسنة، والمشككين بعقيدتهم؛ المزدرين لأمتهم!!.

ولعل مما يظهر ذلك الخطر ويبيئه أن الكثير من القائمين على إدارة المواقع الثقافية والفكرية والعلمية والتربوية والإعلامية، وغيرها من اتحادات علمية وجمعيات خيرية، ومراكز بحثية وأعمال دعوية، ونشاطات دينية، أصبح عامة دورها ينحسر في مسائل مادية أو هامشية شكلية، ولو نظر الأريب في نتائجهم ربما لا يجد صفحة واحدة من صفحات نشاطهم، خالصة جلية في نصرة الصحابة، ولا في الدعوة للبراءة من أعدائهم؛ وتحذير الأمة من شرورهم! في حين تُبذل الجهود والطاقات في متابعة من يجذر من أخطار أعداء الصحابة، أو يعمل على تنبيه الأمة على بعض وسائلهم؛ التي يستعملونها في تضليل من لا علم له ولا دراية في مقاصدهم، فتمكنوا من تحييد أصحاب القرار ومن له القدرة على مواجهة الغزو الباطني، من العلماء والجماعات والجمعيات النشطة، بل سخروا البعض من هؤلاء لخدمة مشاريعهم التوسعية الهدامة، فجعلوا بعض المتنفذين من هذه المجموع؛ أدوات للتفتيش في ثنايا النشاط الفكري والدعوي والخيري وغيره، لإزالة أي كلمة أو فكرة، أو خطبة، أو مقالة، أو كتاب، أو مشروع ربما يغضب أعداء الصحابة! أو لا يوافق باطلهم! أو درهم يساند من يواجه طغيانهم ومكرهم، لتقوم تلك

المؤسسات وزعاماتها؛ بدورها في الطمس والكبت والمحاسبة والمعاقبة لمن يجترئ على الدفاع عن دينه وعقيدته وأئمة أصحاب رسول الله ﷺ على الوجه الصحيح؛ ويسمى الأخطار بمسمياتها الحقيقية.

فأصبحت مهمة هؤلاء التائهين معكوسة، فبدلاً من أن يبذلوا الوسع لحماية السنّة والدفاع عن حمايتها وأبنائها ورعايتهم ومساندتهم، أصبح همهم حماية الحركات المخالفة للكتاب والسنّة وأن لا تمر من بواباتهم كلمة تغيظ أعداء الصحابة، وحصص الجهود حول الجانب المادي من طعام ونحوه، وربما أطعم هؤلاء الأغرار بعض الناس وبنوا لهم المشاريع، وتركوهم دون حصانة فجاءهم أعداء الصحابة فاجتاحوهم بعد أن أعطوهم العطاء المقرون بأنفاس عقيدتهم الحاقدة المبنية على المفاصلة مع أمة الكتاب والسنّة! فمن يبيء بأثم خذلان السنّة وحماية من يرفضها؟ ومن يلقي الله تعالى بذلك التفريط؟!.

في حين أن دعوة أعداء الصحابة بشعوبيتهم وظلاميتهم، وإعلامهم بفضائياته، وألوان نشاطه الثقافي والدعوي وغيره، يصرخ في كل مكان طعناً وانتقاصاً وشتماً وتشويهاً وبهتاناً على أمة الكتاب والسنّة، لا يعترضه ولا يسأله أحد! وإذا تكلم أو كتب أو خطب أو نصح بعض البررة الأفاذاذ من أبناء السنّة؛ يصبح جزاؤه الإقصاء والحرمان والتشهير والالتهام والتسفيه، ووأد الجهد العلمي والنشاط الفكري المنبثق من قيم الكتاب والسنّة؛ إن لم يكن متحزباً أو متعصباً! بدلاً من الرعاية والحماية والتبجيل والإكرام والمعاونة، وهذه حال لم يحصل مثلها وبهذا الشمول في تاريخ الأمة الطويل!.

لكل هذا ولغيره، وجب على كل مستطيع من أهل الأقلام والمنابر والإعلام والإنفاق والدعاء وغيرهم، من أبناء أمة الكتاب والسنّة النجباء، وضع المناهج التي تتصدى لمكائد أعداء الصحابة، وفضح المتعاونين معهم والصامتين عن شرهم، والعمل المتواصل على متابعة ردم البؤر التي يغذونها بباطلهم وتزييفهم، ورصد كل تحركاتهم ونشاطاتهم المضللة الهدامة، والعمل على حماية أبناء عامة الأمة من مخاطرهم، ومن شرور تبعات المتعاونين معهم، ولا سيما من

المحسوبين على أهل العلوم والجماعات الإسلامية، ممن يضعون أيديهم بأيدي أعداء الصحابة، جرأة على حمى العقيدة، وعلى الثقة بأئمتها الذين بذلوا النصح وقدموا التجارب لمن يأتي بعدهم. وأمام هذه المخاطر المحدقة بالأمن والهوية، يصبح قياس موازين الثقة بتلك المواقع المشار إليها، قائماً على مقدار ولائها لأصحاب رسول الله ﷺ وبمقدار نتاجهم العلمي والإعلامي والدعوي الذي يساند دين الصحابة ويحذر من دين أعدائهم، والبراءة من أولئك المضلين الذين يعملون على تحدير الأمة وتقديمها مقيدة لأعدائها، ونزع شوكة مقاومة الباطل التي غرستها فيهم عقيدة التوحيد، والزحف بمعتقدات أعداء الصحابة إلى قلوب أبناء السنّة باسم خديعة التقريب الخبيثة؛ التي لا تصح ولا تكون إلا براءة أعداء الصحابة من معتقداتهم الشعوبية والوثنية والقومية، والدخول فيما دخل فيه أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان من التسليم التام لما في الكتاب والسنة دون تردد أو تأويل.

ونظراً لما سبق، فإنّ التحذير ممن يزعم أنّه من أهل السنة والجماعة، وهو يخترق مواقع فكرهم ومعتقدهم، ويسخر طاقاتهم لخدمة الآخر المحارب لله ولرسوله ﷺ أصبح ضرورة لا بد منها حرصاً على أمن الأمة الفكري والعقدي والحضاري، فضلاً عن استقرارها ووحدة صفها، وأمام هذه الحال المتداخلة في الولاء والبراء، فتحت الأبواب لكثير من المغرضين المخربين للاندساس بين أهل السنّة والجماعة وهم من أعداء الصحابة أو من المخلطين المترددين المتهمين في معتقدهم وولائهم، بقصد التخريب والتشكيك والتزييف وصناعة وسائل الفتن.

ولا شك أن التمسك بموقف الكتاب والسنة وإجماع الأمة على عدالة أصحاب رسول الله ﷺ يغني عن الخوض في البحث عن الكثير من عوار المندسين بين أهل السنّة بمقاصد تحريفية تزييفه، وعرض معتقدهم بأصحاب رسول الله ﷺ وبيان موقفهم من ذلك كاف لفضحهم وخزيهم في الدنيا والآخرة، فمن وجد له أي مغمز أو مطعن أو توقف بريية أو شك عند أحد منهم، فإنّما هي السوء والعورة التي لا تستر، ذلك أن من لا يثق بأصحاب رسول الله ﷺ فإنه لن يثق بغيرهم من أمة الكتاب والسنة، ومن مثلهم من الناس؟!.

وهذا الضوء اللامع والسيف القاطع يغني عن الخوض في أحوال الرد على كثير من الشبهات التي يثيرها أصحاب الأهواء المفضوحين بأحقادهم وكراهيتهم للصحابة عليهم السلام وعن إخوانهم التائهيين والمضللين الداعين إلى التفريط بمعتقد أمة الكتاب والسنة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى نزع الثقة بهم عليهم السلام والشك بخياراتهم وتحريف مواقفهم الصارمة من المرتدين والمنافقين! باسم خدعة التقريب، والمزايدة على مكانة الشيخين رضي الله عنهما، إرضاء للمتستترين بباطنيتهم، المتربصين الشرّ بأمة الكتاب والسنة؛ الرافضين لقوله تعالى: ﴿ وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١٠٠).

ولقد برع أعداء الصحابة في تسيخير المترددين في ولائهم، لحمل أفكارهم ونشر أوهامهم بين أبناء السنة، قبل أن يؤسسوا دور التقريب ومجلات وأدواتها، التي من مهامها تجميل أعداء الصحابة وتزيين باطلهم، وإشغال أبناء السنة والجماعة بعضهم ببعض، ليتفرغوا هم لنشر بذور الفتنة والشك بالكتاب والسنة وبالصحابة، وعلى الرغم من أن ميدانهم الأكبر في التشويه والتحريف يرتكز على كتب التاريخ، الذي من خلاله يصلون إلى كثير من مقاصدهم الهدامة، إلا أنهم لم يقتصروا على ذلك، فكانوا يندسون بين أهل الحديث! وبين أهل الفقه ليُلبسوا على الناس، وينشروا الشك والريبة بينهم، ومن الأمثلة على ذلك:

أبان بن تغلب الكوفي: يروي عنه بعض أهل السنة، قال الذهبي عنه: " وهو صدوق في نفسه عالم كبير وبدعته خفيفة لا يتعرض للكبار، وحديثه يكون نحو المئة لم يخرج له البخاري، توفي في سنة إحدى وأربعين ومئة" ^(١) وقال السعدي أبان بن تغلب زائع مذموم المذهب مجاهر... ولأبان

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/٣٠٨. دمشقية: أحاديث يحتج بها الشيعة، ١/٥٨٦، وهؤلاء يمثلون بعض وسائل المكر التي يتلبس بها أعداء الصحابة، للطعن بعقيدة الأمة، وإصرارهم على العمل في سراديب تشويه سير أئمة الكتاب والسنة وأفذاذها، مما يوجب على كل قارئ في الفكر والتاريخ الإسلامي أن يكون نبها حذراً، وأن يجعل عدالة

أحاديث ونسخ وأحاديثه عامتها مستقيمة إذا روى عنه ثقة، وهو من أهل الصدق في الروايات، وإن كان مذهبه مذهب الشيعة، وهو معروف في الكوفة، وقد روى نحواً أو قريباً من مائة حديث، وقول السعدي: مذموم المذهب مجاهر، يريد به أنه كان يغلو في التشيع، ولم يرد به ضعفاً في الرواية وهو في الرواية صالح لا بأس به^(١).

فكيف يكون لا بأس به وهو مجاهر ببدعته؟ ويطعن بالأئمة والأخبار وإن تجنب الكبار لكي لا تكشف مقاصده! ولكن ظاهرة التعاون مع أعداء الصحابة أو السكوت عنهم، خرق كبير وقديم! ووجه من وجوه برود الولاء للعقيدة وضعف تماسك بناء الهوية، وإذا كان هناك من سوغ التعامل مع مثل هذا الصنف المندس بين المسلمين لنشر أهوائه، فربما يكون لهم هناك بعض الأعدار، حيث لم يكن لأعداء الصحابة دول ظاهرة ولا دعوات معلنة، ولم يكونوا يستطيعون التصريح بمعتقداتهم المحاربه لعقيدة الصحابة رضي الله عنهم، وهذه الأمور معدومة في هذا العصر، فأصبح موقف الدول المحاربة لإمامة الكتاب والسنة وخلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ أصبح ظاهراً معلناً، فلم يعد هناك أي مسوغ يمكن من خلاله إباحة التعاون مع نشاطات أعداء الصحابة بوجه شرعي، بل ولم يعد الموقف ممكناً من إباحة الصمت عن التحذير من مخاطرتهم، فكل من هو قادر على اتخاذ موقف من أعداء الصحابة يجب أن يعلن به في هذا العصر، لوضوح شرهم، وكثرة المتعاونين معهم، ولعدوانيتهم واستهدافهم أمة الكتاب والسنة وجوداً ومعتقداً، في عصر قلّ فيه المنافحون عن الصحابة رضي الله عنهم وميراثهم التليد!

وفي كتب الرجال نماذج عن كثير من المخلطين والمتلونين ممن ينفثون سمومهم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يسير على منهجهم، ومع هذه السوء التي يتلبسون بها فإن رواياتهم تملأ كتب

الصحابة سيفاً مصلتاً في يمينه على كل مدلس أفاك فحيث وجد الطعن بالصحابة رضي الله عنهم وإقرار ذلك أو السكوت عنه، فإنها هي حمأة البهتان وعين الزندقة، فمن لا يثق بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوثق به، ومن لا يدافع عنهم ويرد ما يُتهمون به، فهو مخذول متواطئ مع أهل الباطل، مفطر بأمن الأمة وعقيدتها يجب التحذير منه.

(١) الكامل في الضعفاء: ١/٣٨٩.

التراث الإسلامي مما خلط الحابل بالنابل، ولبس الأمور على الكثير ممن لا رؤية لهم ولا موقف لهم من أعداء الصحابة، ومن بعض هؤلاء الذين يحسب عامتهم على أهل السنة:

ابن المغازلي الشافعي المزعوم صاحب المناقب، ذكر له المخالفون كتاب مناقب علي بن أبي طالب. حققه محمد باقر البهبودي، دار الأضواء ١٤٠٣ هـ. يروي فيه أنّ علياً عليه السلام كان نوراً قبل أن يخلق الله السموات والأرض ثم قسم الله هذا النور بينه وبين محمد عليه السلام وروى أنّه لا يمر أحد على الصراط إلا من كتب معه كتاب من علي بجواز ذلك^(١) وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: (أي على صراط علي! وإنه أي علي لذكر لك ولقومك!)^(٢).

الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم ويعرف بابن البيح، أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث، والمصنفين فيه. ولد في نيسابور سنة (٣٢١) وتوفي فيها سنة (٤٠٥) رحل إلى العراق سنة (٣٤١) وحج، وجال في بلاد خراسان، وما وراء النهر، وأخذ على نحو ألفي شيخ، قال ابن عساکر: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء، منها "تاريخ نيسابور" وهو صاحب المستدرک على الصحيحين^(٣) وهو ليس منهم لكنه حسن لهم نصوصاً كثيرة يستشهدون بها. والحاكم متساهل في التصحيح، ولهذا لزم تعقب أهل العلم لكتابه لكثرة ما عرف عنه من التساهل، وكم من مرة يصحح حديثاً ويزعم أنّه على شرط الشيخين فيتعقبه أهل العلم، قائلين: بل موضوع! ومن نبه على تساهله على سبيل الإجمال: الحافظ ابن الصلاح الذي وصف الحاكم

(١) دمشقية: أحاديث يحتج بها الشيعة، ١/٥٨٦. كشف الغطاء: ١/١٠. شبهات الرافضة حول الصحابة عليهم السلام وردّها، ٣٦١/١.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني ٥/١٨١ و ١٨٥.

(٣) ينظر شرح أصول الكافي للمازندراني: ٧/٨٠.

(٤) الأوهام الواقعة في أسماء العلماء والأعلام: ٢١ ألعاصمي الحنبلي: آل رسول الله عليه السلام وأولياؤه، ١٢٥.

بأنه: " واسع الخطو في شرط الصحيح متساهل في القضاء به"^(١) وقال النووي الشافعي: " الحاكم متساهل كما سبق بيانه، مرات"^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: إن الحاكم " ذكر جماعة في كتاب الضعفاء له وقطع بترك الرواية عنهم ومنع من الاحتجاج بهم ثم أخرج أحاديث بعضهم في مستدركه وصححها"^(٣) وذكر مثلاً لذلك في نكته على ابن الصلاح وهي أنه أخرج حديثاً فيه عبد الرحمن بن أسلم وبعد روايته قال عنه " صحيح الإسناد " مع أنه قال في كتابه الذي جمعه في الضعفاء: " عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة ... فهؤلاء ظهر عندي جرحهم " وقال الذهبي: " يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة ويكثر من ذلك "^(٤) بل قال إن الحاكم النيسابوري شيعي مشهور! غير أنه لا يطعن بالشيخين^(٥) وأقره الحافظ ابن حجر العسقلاني على تشييعه وبرأه من الرفض^(٦) قال الزيلعي الحنفي: " الحاكم عرف تساهله وتصحيحه للأحاديث الضعيفة بل الموضوعة"^(٧) وقال اللكنوي الحنفي الهندي: " وكمن حديث حكم عليه الحاكم بالصحة وتعقبه الذهبي بكونه ضعيفاً أو موضوعاً، فلا يعتمد على المستدرك للحاكم ما لم يطالع معه مختصره للذهبي"^(٨).

(١) ابن الصلاح: علوم الحديث، ١٨.

(٢) النووي: المجموع شرح مهذب الشيرازي: المتوفى: ٤٧٦هـ، ٧/٦٤.

(٣) ابن حجر: لسان الميزان، ٥/٢٣٣.

(٤) الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/٦٠٨.

(٥) الذهبي: ميزان الاعتدال: ٦/٢١٦.

(٦) ابن حجر: لسان الميزان ٥/٢٣٢.

(٧) الزيلعي: نصب الراية ١/٣٦٠.

(٨) الأجوبة الفاضلة: ١٦١، أحاديث يحتج بها الشيعة، ١/٥٩٠. ميزان الاعتدال: ٣/٤٦٧.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما أنت منذر و لكل قوم هاد قال علي: رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر، و انا الهادي)^(١) قال عنه الحاكم في مستدرکه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه أي في الصحيحين! وقال الذهبي في تعليقه على التلخيص: بل كذب قبح الله واضعه، و" أحمد بن عبد الله البرقي ذكره الذهبي في التلخيص، في أول دلائل النبوة في اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم بإلياس، قال الحاكم: صحيح الإسناد، قال الذهبي: بل موضوع قبح الله من وضعه! وما كنت أحسب ولا أجوز أن الجهل يبلغ بالحاكم أن يصحح هذا؟ ثم ذكر إسناده"^(٢).

الخوارزمي الحنفي: واسمه الموفق بن أحمد بن أبي سعيد إسحاق بن المؤيد المكي الحنفي المعروف بأخطب خوارزم. وهو معتزلي تتلمذ على يد الرنخشري، ويستقي أكاذيب كثيرة من أمثال ابن شاذان الرافضي ومحمد بن عبد الله البلوي، قال الذهبي: "وقد حشا تأليفه بالموضوعات التي يتعجب منها المحدث الصادق، ويقول سبحانه هذا مهتان عظيم"^(٣) قال: "ولقد ساق أخطب خوارزم من طريق هذا الدجال ابن شاذان أحاديث كثيرة باطلة سمجة ركيكة في مناقب علي عليه السلام ومن ذلك بإسناد مظلم: عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً: "من أحب علياً أعطاه الله بكل عرق في بدنه مدينة في الجنة"^(٤) ومن مروياته الباطلة حديث: "يا علي لو أن عبداً عبد الله ألف عام وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله وحج ألف سنة على قدميه ثم قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثم لم يوالك لم يرح رائحة الجنة ولم يدخلها" رواه

(١) المستدرک: (٤٦٤٦) قال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه! تعليق الذهبي في التلخيص: بل كذب قبح الله واضعه.

(٢) برهان الدين الحلبي: الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث، تحقيق: صبحي السامرائي، عالم الكتب، ٤٧.

وهذا الكتاب فيه كثير من الأمثلة على نماذج الموضوعات والمذلسين الذين يضعون الحديث و يجر فون معانية ومقاصده.

(٣) الذهبي: المتقى من منهاج الاعتدال: ١/ ٤٧٧.

(٤) ميزان الاعتدال: ٦/ ٥٥، ابن حجر: لسان الميزان، ٥/ ٦٢.

أخطب خوارزم^(١) وهذه هي مفاهيمهم التي تدور على الوهم والغلو في علي عليه السلام والطعن بالصحابة عليهم السلام والتناقض مع تعاليم ونصوص الكتاب والسنة.

عبيد الله الحسكاني صاحب كتاب شواهد التنزيل يكثرون من الاحتجاج به وقد كان من علماء الأحناف؛ ثم نكس الله قلبه إلى التشيع^(٢) وهو ممن صحح حديث ردّ الشمس الموضوع، ذلك أن من يصححه لا يكون عارفاً بالحديث، ولذلك اعتبر الذهبي تصحيحه لهذا الحديث دليلاً على تشيعه^(٣).

ولا يستقيم أن يكون الحسكاني حنيفياً ورافضياً فإنهم عند الأحناف كفار، فقد ذكر السبكي أنّ مذهب أبي حنيفة وأحد الوجهين عند الشافعي والظاهر من الطحاوي في عقيدته كفر ساب أبي بكر عليه السلام^(٤) و"سب الشيخين كفر وكذا إنكار إمامتهما"^(٥) وكان أبو يوسف صاحب أبي حنيفة يقول: "لا أصلي خلف جهمي ولا رافضي ولا قدري"^(٦) وهذا ما يقوله الإمام البخاري صاحب الصحيح: "لا أبالي إن صليت خلف الجهمي أو الرافضي أو خلف اليهود والنصارى، لا تؤكل ذبائحهم، ولا يناكحون، ولا يعادون، ولا يشهدون، ولا يسلم عليهم"^(٧) قال السبكي الشافعي: "ورأيت في المحيط من كتب الحنفية عن محمد أنه لا تجوز الصلاة خلف الرافضة"^(٨).

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٧. الحلبي: الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث، ٢٣٥.

(٢) أحاديث يحتج بها الشيعة: ١/ ٥٩٢.

(٣) طبقات الحفاظ: ١/ ٤٤٢. تذكرة الحفاظ: ٣/ ١٢٠٠، أحاديث يحتج بها الشيعة: ١/ ٥٩٢.

(٤) فتاوى السبكي ٢/ ٥٩٠. الشحود: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، ٦٥/ ٩٨.

(٥) ينظر الحوالي: شرح العقيدة الطحاوية، ١/ ٩٠. أحاديث يحتج بها الشيعة: ١/ ٥٩٢.

(٦) اللالكائي شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٤/ ٧٣٣.

(٧) البخاري: خلق أفعال العباد، ١٢٥.

(٨) فتاوى السبكي: ٢/ ٥٧٦. أحاديث يحتج بها الشيعة: ١/ ٥٩٣.

يوسف بن قزغلي أبو المظفر سبط ابن الجوزي، قال عنه الذهبي: "روى عن جده وطائفة، وألف كتاب مرآة الزمان، فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات وما أظنه بثقة فيما ينقله بل يجنف ويجازف ثم إنه ترفض وله مؤلف في ذلك نسأل الله العافية، مات سنة أربع وخمسين وستمائة بدمشق، قال الشيخ محيي الدين السوسي لما بلغ جدي موت سبط ابن الجوزي قال لا رحمه الله كان رافضياً، قلت: كان بارعاً في الوعظ ومدرسا للحنفية"^(١) وهذا يثبت قدرة الباطنية على التلون في العقائد واستخدامهم لكل ما هو متاح من أجل محاربة عقيدة الكتاب والسنة، وبالوقت ذاته يبين الغفلة التي عليها عامة أهل السنة! بحيث يستطيع كثير من المغرضين التلون بعقيدتهم وتشويه هويتهم واستثارة الآخرين على عداوتهم.

الكنجي الشافعي صاحب كفاية الطالب، محمد بن يوسف أبو عبد الله المتوفى سنة ٦٥٨هـ، وهو معروف عند أعداء الصحابة، ويذكرون قصة مقتله على أنه قتل بسبب عداوته للصحابة، متسترين على تعامله مع الغزاة التتار آنذاك كما كان يفعل مرجعهم الأكبر نصير الطوسي وكما هو حال أمثاله في هذا العصر، قال ابن كثير عن الأحداث التي حصلت مع التتار بعد موقعة عين جالوت: "وقتل العامة وسط الجامع شيخاً رافضياً كان مصانعاً للتتار على أموال الناس يقال له: الفخر محمد بن يوسف بن محمد الكنجي، كان خبيث الطوية ممالئاً لهم على أموال المسلمين قبحه الله، وقتلوا جماعة مثله من المنافقين، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين"^(٢) وهو ممن يزعم أن علياً وصي رسول الله ﷺ وكان يعتقد بأن العسكري هو المهدي المنتظر^(٣).
والشافعية يتبرؤون من أعداء الصحابة والحمد لله، قال أبو منصور البغدادي: "وأوجب أصحاب الشافعي ومالك وداود وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه إعادة صلاة من صلى خلف

(١) ميزان الاعتدال ٧/ ٣٠٤. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩٧. أحاديث يحتج بها الشيعة، ١/ ٥٩٨.

(٢) البداية والنهاية: ١٣/ ٢٢١.

(٣) ابن طاووس: الصراط المستقيم، ٢/ ٢١٩. أحاديث يحتج بها الشيعة: ١/ ٥٩٣.

القدرى والخوارج والرافضي وكل مبتدع تنافي بدعته التوحيد" (١) وقال الشافعي: "لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة" (٢) وسئل الشافعي: "أصلي خلف الرافضي؟ قال: لا تصلّ خلف الرافضي" (٣) وقال مؤمل بن إهاب سمعت يزيد بن هارون يقول: (يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية، إلا الرافضة فإنهم يكذبون، وقال محمد بن سعيد الأصبهاني: سمعت شريكاً يقول: احمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً، وشريك هذا هو شريك بن عبد الله القاضي قاضي الكوفة من أقران الثوري وأبي حنيفة، وقال أبو معاوية: سمعت الأعمش يقول: أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين) (٤).

وأعداء الصحابة يتلقفون أي شبهة لينشروها ويتعلقوا بها، ذلك أنه لا حقيقة لكثير مما يستدلون به، فهم يروون الأحاديث من كنز العمال للمتقي الهندي، على أنها نصوص صحيحة، وهذا من جهلهم أو تجاهلهم، فإنّ كنز العمال عبارة عن مجموع للأحاديث الموجودة في السنن والمسانيد، ومعلوم أنه ليس كل ما في السنن والمسانيد محقق، ففيها الضعيف والحسن والصحيح، لكن أعداء الصحابة يأخذون الأحاديث الضعيفة وربما الموضوعية ويستشهدون بها على أنها حقائق! وهذا باطل في المنهج العلمي الذي يسير عليه العلماء من أمة الكتاب والسنة، وقد يأتون بحديث ضعيف ويقولون: انظر ميزان الاعتدال للذهبي، أو لسان الميزان لابن حجر؛ أو غيرهما من الكتب التي تترجم للرواة، وربما يجعلون كتب الموضوعات من أمهات كتبهم، التي يتثقفون على إحياءات ما فيها! مما يخدم توجهاتهم الرامية إلى زعزعة ثوابت أمة الكتاب والسنة!

ومثل هذا يفعلونه في كتب التاريخ والأدب والتراجم والسير وغيرها، فكل كتاب فيه نص يخدم شبهاتهم وأباطيلهم واتهاماتهم، يتشبهون به ويعلمونه لأتباعهم؛ تدليساً وتلبيساً، وليقولوا

(١) ينظر أحاديث يحتج بها الشيعة: ١ / ٥٩٤.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي: (٢١٤٣٣) (٢٠٦٩٤)، سير أعلام النبلاء: ١٠ / ٨٩.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٠ / ٣١. دمشقية: أحاديث يحتج بها الشيعة، ١ / ٥٩٥.

(٤) منهاج السنة: ١ / ٢٧.

للجهلة من عامة السنّة أنّ هذه النصوص من كتب أهل السنّة المعتمدة، من غير أن يبينوا لهم أن من دَوَّنها كان يقدمها مثلاً على بهتان أعداء الصحابة، وجرأتهم على صناعة الأحاديث المكذوبة، واستشهادهم بها، وهذا كله يجب أن يتنبه له أبناء أمة الكتاب والسنّة؛ فأئمتهم يحذرونهم من كذب أعداء الصحابة وبهتانهم وتزيفهم للوقائع والأحداث، ويؤكدون لهم أنّ كل ما يصدر عنهم دون أن يقرّه أئمة السنّة المؤمنین فهو مردود، سواء كان في كتب الأدب والتاريخ، أو الدين والسياسة، أو في الإعلام المسموع والمرئي أو غير ذلك، ويضاف في هذا العصر التحذير من العلماء المحسوبين على أمة السنّة والجماعة وهم أدوات بأيدي أعداء الصحابة الذين غرقوا في عدوانهم على الأمة أرضاً ودماءً ومعتقداً، فكل من يوادهم فهو محل تهمة وريبة، أذاره مردودة، واجتهاداته فاسدة، ذلك أن أعداء الصحابة لا يمدون أيديهم إلى من ينتسب إلى أمة السنّة والجماعة، إلا إذا أصبح منفذاً لاهوائهم المدمرة، وأطعمهم وأحقادهم التي لا حدود لها!.

علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ) صاحب كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر " وتصانيفه عزيزة إلا المروج، فقد اشتهر، وذكره بن دحية في كتاب صنفين فقال: مجهول لا يعرف، ونكرة لا يتعرف كذا قال: ولم يصب وقد ذكر هو في مروج الذهب إنه ولد بالعراق، فجال في الآفاق واستقر في مصر إلى أن مات بها في سنة ست وأربعين وثلاث مائة، وكتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً^(١) وقد ترجم له أعداء الصحابة لأنّه من شيعتهم^(٢) وليذكروا طعنه وأكاذيبه على الصحابة ﷺ وكتاب المروج فيه من الغمز واللمز والطعن الصريح والمبطن، على أئمة هذه الأمة رجالها ونسائها، وبوسائل خبيثة، تارة بالنكتة، وأخرى بعرض الكلام، وبعضها صريح، فلا يسلم منه أحد من الأخيار.

ومن مقاصده البحث المستمر عن مواطن الفتن، وما يغذي الطائفية والقبلية، والعمل على بيانه ووضع الشواهد الشعرية أو غيرها من الأمثلة له، وهو بهذه المقاصد الخبيثة أحرى بأن

(١) لسان الميزان: ٢٢٤/٤. سير أعلام النبلاء: ١٥/٥٦٩. طبقات السبكي: ٤٥٦/٣.

(٢) أعيان الشيعة: ١٩٨/٤١. دمشقية: أحاديث يحتج بها الشيعة، ١/٥٩٧.

يُسمى مروج الوحل، على أنه أقل جلافة من بقية أعداء الصحابة الآخرين، ذلك أنه يحرص على تغليف مقاصده بقصص مصنوعة أو روايات موضوعية، أو لطائف مركبة، ولا يخلو من بعض الأخبار المفيدة والمواقف الطريفة والحكايات المتقاة، لولا أنه لا يبدل جلده ويحرص على أن يسبح مع كل قصة وحدث ليلقي فيه حجراً من أباطيله التي تنم عن خبث وشعوبية أحياناً، وعن باطنية عدوانية ينفخ فيها روح الفتن أحياناً أخرى، ويصرح بالإحـن، ويسبغ على كثير من ذلك النـظـاهـر بالحرص على بيان الأحداث، لكنها غالباً ما تأتي متطابقة مع وجهته ومعتقدـه المنحرف، فتارة يتظاهر بالظرف واللطافة، وأخرى بالبحث عن الحقيقة، أو التحذير من أخبار الآخرين وكتابتهم، مع مدح من يوافق هواه ومذهبه، لكنه في كل ذلك ينحى منحى إخوانه ممن في قلوبهم مرض، ولا سيما على الصحابة الذين أجموا الفتنة وأطفأوا نارها، ووجدوا الأمة وأعلوا منارها، بعد أن كاد يخفت بمكر أعدائها وكيد أندادها، فهؤلاء الصحابة الأكارم ﷺ الذين وحدوا الأمة وأعادوا مجدها، وأعزوا أمنها، وأكرموا أهلها، ودحروا عدوها، لم يسلموا من بهتان دعاة الفتن وأعداء الصلح والسلم، الذين يرفضون خلافة الصديق ﷺ فيدافعون عن مسيئة الكذاب! ويقبلون أن يسيروا في ركاب هولاء الوثنى، وبريمر الصليبي؛ وغيرهم من الشعوبيين والصليبيين، ثم المستشرقين والمنصرين ومن يواليهم.

ثانياً: التسلل من خلال الكتب

مثل: كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة " ٢١٣ - ٢٧٦ هـ" وهو من كبار علماء السنة، وهو ممن يرى كفر من يطعن بأصحاب رسول الله ﷺ له كثير من المؤلفات المستقيمة الصحيحة، فيها الدليل والعلم النافع المفيد، فلا تخليط ولا بهتان، لكن غباء أعداء الصحابة قادهم إلى فضيحة لا تستر، ذلك حين اختاروه لينسبوا له كتاباً لفقـه بعضهم ليطعن بالصحابة ﷺ ويخلط الأحداث، ويحشو الأهواء والأباطيل في زواياه، مع إبقائهم على بعض النصوص الصحيحة للإمام والتمويه، وذلك أن كتاب الإمامة والسياسة الذي أرادوا أن

يجعلوه سهماً للطعن في شورى الصحابة؛ وفي شيخهم وإمامهم وخليفة نبيهم ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ الذي دلّ عليه وأشار إليه رسول الله ﷺ وتشويه يوم السقيفة الذي علّم الدنيا كيف تكون الشورى بين المسلمين، وأنه لا حجة فيها إلا لمن قال: قال الله تعالى، أو قال رسول الله ﷺ من غير باطنية أو إقليمية أو حزبية أو قبلية، فيوم السقيفة هو من أرقى وأسمى الأيام التي مرت على المسلمين بعد وفاة نبيهم ﷺ ظهرت فيه أناقتهم العلمية، ونظافة ولائهم لله ولرسوله ﷺ وصريح إيمانهم، ووقوفهم مع الدليل الشرعي دون تردد أو تأويل، ذلك اليوم الذي صعق أعداء أمة الكتاب والسنة، وأسقط أباطيلهم، وأمات أمانيتهم، وأغلق الأبواب أمام شبهاتهم، ومكن للأساس الصحيح الذي بنى عليه المسلمون نظامهم السياسي بعد وفاة النبي ﷺ لذلك أصبح تشويه يوم السقيفة هدفاً من الأهداف الملحة لأعداء الصحابة؛ من الباطنية والاستشراقية والشعوبية والصليبية ومن والاهم، لكنهم كلما أثاروا شبهة على ذلك اليوم سقطت أمام صلابة أخوة الصحابة ومتانة بنائهم ﷺ.

فلما عجزوا عن التأثير على أنوار ذلك اليوم بظلمة أباطيلهم! باشروا صناعة الروايات المكذوبة والأحاديث الموضوعية وبثها بين الناس، ومن ثم باشروا تأليف الكتب الملفة وإصاقها ببعض الأختار لعلها تحقق بعض القبول، مما يؤكد إصرار أعداء الصحابة على استخدام كل الوسائل المتاحة، لمحاربة عقيدة الأمة وتشويه سيرتها وحملتها، والعمل في سرايب الفتن المظلمة؛ لإثارة الشكوك والريبة في بنائها العقائدي، ولتفكيك نظامها السياسي، وتزييف عطائها الحضاري، وكتاب الإمامة والسياسة مكذوب على ابن قتيبة، يظهر ذلك في كثير من محتواه ومنهجه وصياغته ومقاصده، ومن ذلك:

- أن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكروا في تراجمهم له أنه ألّف كتاباً اسمه الإمامة والسياسة!
- ولا تصح نسبته أيضاً لابن قتيبة، لأنه إمام حجة ثبت، وكتاب الإمامة والسياسة "مشحون بالجهل والغباوة والركة والكذب والتزوير" وموبوء بالطعن بالصحابة ﷺ واتهامهم بأقوال

ومواقف لا تتوافق مع أخلاقهم، ولا مع دينهم ﷺ وكل ذلك يدلّ على أنّ الكتاب مدسوس عليه.

- ومؤلف الكتاب يروي عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه قاضي الكوفة المتوفى سنة ١٤٨هـ، بشكل يوحى بالتلقي المباشر عنه، وابن قتيبة ولد سنة " ٢١٣ " أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً! فمتى تلقى عنه؟ وابن قتيبة عاش " ٦٣ " عاماً فقط؟!.

- ويروي المؤلف بعض أخبار فتح الأندلس مشافهة من أناس عاصروا حركة الفتح مثل قوله: " حدثنا ابن أبي ليلى التحيبي عن حميد عن أبيه أنه قال " وقوله: " حدثني مولاة لعبد الله بن موسى حاصر حصنها التي كانت من أهله " وهذا مستبعد إذ أن فتح الأندلس كان سنة (٩٢ هـ) أي قبل مولد ابن قتيبة بنحو مائة وواحد وعشرين عاماً^(١) وهذا يؤكد بأن بعض من شارك في كتابة كتاب الإمامة والسياسة، يؤمن بصاحب الزمان ويؤمن أنّ هناك من يلتقي به من معاصريه، ذلك أنّ زعمه بأن ابن قتيبة روى قبل أن يولد بأكثر من ستين سنة، يتوافق مع من يزعم أن المنتظر المزعوم سيخرج من سرداب سامراء بعد آلاف السنين.

- أن مؤلف الإمامة والسياسة يروي كثيراً عن بعض علماء مصر، وابن قتيبة لم يثبت في ترجمته أنه دخل مصر ولو لمرة واحدة!.

- أن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه الأخرى، لم يرد لهم ذكر في مواضيع كتاب الإمامة والسياسة!.

- أن كتاب الإمامة والسياسة يشتمل على أخطاء تاريخية واضحة، مثل جعله أبا العباس والسفاح شخصيتين مختلفتين قال: " وذكروا أن أبا العباس ولى عمّه عبد الله بن علي الذي يقال له السفاح! "^(٢).

(١) ينظر الإمامة والسياسة النسوب لابن قتيبة، ٢/ ٢٤١.

(٢) ينظر الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ٢/ ٢٤١.

- وجعل هارون الرشيد الخلف المباشر للمهدي؟ واعتباره أن هارون الرشيد أسند ولاية العهد لابنه المأمون ومن ثم لابنه الأمين، وإذا رجعنا إلى كتاب المعارف لابن قتيبة نجده يمدنا بمعلومات صحيحة عن السفاح والرشيد^(١) تخالف ما ذكره صاحب الإمامة والسياسة.

- وفي كتاب الإمامة والسياسة، رواة لم يرو عنهم ابن قتيبة في كتاب من كتبه الأخرى، مثل: "أبي مريم وابن عفير"^(٢).

- ترد في الكتاب عبارات ليست في مؤلفات ابن قتيبة نحو: "قال ثم إن"^(٣) "وذكروا عن بعض المشيخة"^(٤) "حدثنا بعض المشيخة"^(٥) وهذه التراكيب لم ترد في كتاب من كتبه.

- منهجية الكتابة وتتبع صياغة الأحداث، في الإمامة والسياسة، يخالف منهج ابن قتيبة في كتبه الأخرى.

- قال ابن تيمية: (وابن قتيبة هو من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة وله في ذلك مصنفات متعددة . قال فيه صاحب " كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث " وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء أجودهم تصنيفا وأحسنهم ترصيفا له زهاء ثلاثمائة مصنف وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق وكان معاصرا لإبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون: من استجاز الوقعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه فلا خير فيه، قلت: ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة)^(٦).

(١) الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ٢/ ٢٩٥-٢٩٩.

(٢) ينظر الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ١/ ٢٨.

(٣) ينظر الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ١/ ١٣- ١٩- ٢٥- ٦٨- ٢/ ٢٣٦- ٢/ ٢٤٢.

(٤) ينظر الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ٢/ ١٩٤.

(٥) ينظر الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ٢/ ١٨٩.

(٦) مجموع الفتاوى: ١٧/ ٣٩٢.

وأخيراً ثبت في كتاب ابن قتيبة المتفق على نسبته إليه وهو كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة أنه يرمي الرافضة بالكفر وذلك لطعنهم بصحابة رسول الله ﷺ (وقد رأيت هؤلاء أيضاً حين رأوا غلو الرافضة في حب عليّ وتقديمه على من قدمه رسول الله ﷺ وصحابته عليه وادعاءهم له شركة النبي ﷺ في نبوته وعلم الغيب للأئمة من ولده، وتلك الأقاويل والأمور السرية، التي جمعت إلى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة، ورأوا شتمهم خيار السلف وبغضهم وتبرؤهم منهم^(١) فكيف ينسب إليه بعد ذلك كتاب مشحون بالطعن في الصحابة الكرام ﷺ؟.

- أن الكتاب يوحى بأن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب، في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور^(٢) وبعد كل هذه الشواهد والأدلة يتأكد أن الكتاب ليس لابن قتيبة وإنما نسب إليه لأغراض تتوافق مع مقاصد أعداء الصحابة في بغضهم لسلف هذه الأمة.

(١) ابن قتيبة: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، ٤٧.

(٢) ينظر الشحود: شبهات الرافضة حول الصحابة رضي الله عنهم وردها، ٣٦٠. أحاديث يحتج بها الشيعة:

المبحث الثاني التسلل من خلال تحريف الأحداث

جعلهم تذكير النبي ﷺ برعاية آل بيته ﷺ في غدير خم عيداً لهم ووصية مزعومة بالخلافة
تذكير النبي ﷺ أمته بآل بيته ﷺ يوم غدير خم

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ
فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: من الآية ١١٠) ومما عرف عن رسول
الله ﷺ جانب اللين والرحمة، حتى جاء وصفه في كتاب الله بالرفقة والرحمة: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨) فهذه العاطفة الجياشة على أمته حين يحمل
همها، ويسعى لنجاتها ورفعتها، ويأسى لما يصيبها ولا سيما إذا كان ذلك بسبب إعراضها
وصدودها، فالنبي ﷺ يريد لهم الهداية والفلاح وهو يعلم المصير الذي يؤول إليه المعرضون،
فكان يتمنى أن يسلموا فينجوا من عقاب المعاندين، فخاطبه ربه عز وجل قائلاً: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ
فَنَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر: من الآية ٨) كما كان ﷺ يتمنى الهداية
لجميع الناس فيلح على المشركين لقبول الإسلام الذي لا سبيل للنجاة بدونه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ
شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾
(يونس: ٩٩).

فإذا كان هذا حاله ﷺ على الناس من الرحمة والشفقة، فكذلك هو على أسرته وأهله وآله ﷺ
ولا سيما أن توصيته بأهله وما فيها من إشارات؛ تدل على أن النبي ﷺ كان لديه ما يبين له أن أمر
الخلافة ليس في أهل بيته ﷺ وفي هذا عبرة لمن يزعم الوصية، وما إلى ذلك من أوهام أوجدت

فتناً وتصدعاً في الصف الإسلامي، فالنبي ﷺ الرؤوف الرحيم ﷺ ترك أزواجه وابنته وأولادها وأبناء عمومته؛ بعد أن كان لهم ملاذاً ومعيناً وراعياً كأب وجد وقريب، وكما هو ﷺ لأمته بعد ذلك نبياً ورسولاً ﷺ فمن الطبيعي أن يوصي أمته بآل بيته، مذكراً بمقامهم ومكانتهم عنده ﷺ ومن الطبيعي أن تتلقى الأمة هذه الوصية بما يجب النبي ﷺ وتحرص على محبة آل ﷺ طاعة له ﷺ وهذا ما كان عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي قال: (ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ)^(١) وعمر ﷺ الذي قدّمهم على نفسه وأولاده وعلى عامة المسلمين، فجعل عطاءهم فوق عطاء الجميع، ودخولهم إليه قبل الجميع، وهكذا موقعهم في قلوب المسلمين وسيبقى على ذلك، إلا أن الذي يجب التنبه له كما تنبه له بعض سادة آل البيت ﷺ وهو أن هناك فِرَقاً خبيثة، تزعم حبّ آل البيت وهي تعمل على نصب الشرك لهم لإيقاعهم في المكائد التي يشغب بها أعداء الصحابة على وحدة الأمة وجماعتها، حتى إذا تنبه لهم ولالة الأمور، تخلّوا عن آل البيت وجعلوهم قوداً للفتن التي صنعوها، ولا زال يؤزونها حرباً على آل البيت والصحابة ﷺ.

قال يزيد بن حيان: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم، إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوني، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً، بقاء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال ﷺ: (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب

(١) صحيح البخاري: ح (٣٤٣٦).

الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي^(١). قال شيخ الإسلام: " وهذا انفرد به مسلم ولم يروه البخاري، وليس فيه إلا الوصية باتباع كتاب الله، وهذا أمر قد تقدمت الوصية به في حجة الوداع، وهو لم يأمر باتباع العترة ولكن قال: " أذكركم الله في أهل بيتي " وتذكير الأمة لهم يقتضي أن يذكروا ما تقدم الأمر به قبل ذلك من إعطائهم حقوقهم، والامتناع من ظلمهم، وهذا أمر قد تقدم بيانه قبل غدير خم، فعلم أنه لم يكن في الغدير أمر بشرع نزل لا في حق علي عليه السلام ولا غيره^(٢).

وقوله عليه السلام: " أذكركم الله في أهل بيتي " ليس مما يختص بعلي عليه السلام بل هو مشترك بين جميع أهل البيت: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل عباس، وأزواجه وذريته عليهم السلام وأبعد الناس عن قبول هذه الوصية هم أعداء السنة النبوية، فإنهم يعادون جمهور آل البيت، ويعاونون الكفار على أهل البيت وعلى عامة المسلمين، كما حصل في تعاونهم مع التتار الذين أسقطوا الدولة التي كان يحكمها آل البيت العباسيون الهاشميون، وساعدوهم على سبي أبناء وبنات الخلفاء العباسيين أبناء عم رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل رجالهم، كما هو معلوم للقاصي والداني في عام ٦٥٦ هـ، وكما هو حاصل في تعاونهم على قتل العرب المتمسكين بسنة النبي صلى الله عليه وآله مع الغزاة المحتلين في هذا العصر، فمتى كان من يبغيض الصديق والفاروق رضي الله عنهما يجب أخاهما علياً عليه السلام وآل بيته عليهم السلام فلم يكن ولن يكون هذا!! فمحبية الخلفاء الراشدين عليهم السلام واحدة، لا يفرق بينهم في المحبة والولاء، إلا من طمس النفاق والشعوبية وكرهية السنة النبوية على قلبه! فطلسمت خطابه وأفسدت

(١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي عليه السلام (٢٤٠٨) وفي شرح الحديث " خم " اسم لغیضة على ثلاثة أميال من الجحفة، غدیر مشهور یضاف إلى الغیضة، فیقال: غدیر خم. " ثقلین " قال العلماء: سمیا ثقلین لعظمهما وكبر شأنهما، وقيل لثقل العمل بها " وتقدم بيان من هم آل بيت النبي صلى الله عليه وآله عند الحديث عن آية التطهير وعن أزواج النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) منهاج السنة: ٨٥ / ٤.

اعتقاده، وبدلت ولاءه، فصار أمام الهاوية، التي لا ينجيه من السقوط فيها سوى التوبة وموالاته الصحابة وآل البيت ﷺ أجمعين.

ويتضح من وصيته ﷺ بآل بيته الأطهار ﷺ ما لا يخطر لأعداء الصحابة ببال ذلك أنهم لا ينظرون للأمور إلا من زاوية أحقادهم التي يخططون لها على أمة الكتاب والسنة، وأهوائهم ومنافعهم التي يسعون لها بكل وسيلة، ولو أمعنوا النظر في هذه الوصية النبوية لفقهاوا أن النبي ﷺ أوصى بآل بيته لأنه علم أن الخلافة ستكون في غيرهم من بعده، وهذا ما فقهاه أمير المؤمنين علي ﷺ وغيره من آل البيت ﷺ فسمعوا وأطاعوا، وعملوا مع الخلفاء بكل إخلاص وصدق، حتى ظهر أعداء الصحابة، فركبوا موجة حقوق آل البيت المزعومة، ليجعلوا منها سلماً للوصول إلى أهدافهم الهدامة؛ والخطرة على عقيدة الأمة وأمنها ووحدها، وعلى آل بيت نبينا ﷺ!.

لذلك تبرأ منهم علماء آل البيت وحذروا من كيدهم، لكن هؤلاء الشعوبيين المتلونين استمروا في تلييسهم على الناس، تحت هذه المظلة المخادعة التي أوقعت الكثير من أبناء الأمة البسطاء في حبالها وتمويهاها، حتى صدعوا الكثير من الصفوف، وأوقدوا الكثير من الفتن، ولا زال شرهم يتعاضم على أمة الكتاب والسنة ولم يعد يرده سوى وقفة صادقة من جميع أبنائها، ولن يكون ذلك ما دام بعض علماء السنة يناقضون الواقع والحق والتاريخ والعقيدة، فيعملون على تلميع وتجميل أعداء الصحابة والتهوين من أخطارهم المحدقة، مما أسهم في تضليل من لا علم لهم من أبناء أمة الكتاب والسنة، وهيمنة أحزاب وأفكار ومشاريع أعداء الصحابة على كثير من بلاد المسلمين، مستعينين في كل ذلك بباطنيتهم وتمويهاهم على الأمة، وأنهم يحبون آل البيت ويتمسكون بالنصوص التي جاءت في حقهم، بعد اجتزاء متونها أو بترها أو تحريف معانيها، أو صناعة أحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ وعلى آل بيته ﷺ لصناعة الفتن وإحداث البلبلة في الأمن الثقافي والفكري المنبثق من عقيدة التوحيد ومن فهم سير الصحابة ومواقفهم، ومن إرشادات أئمة الفقه وعلوم الإسلام التي ورثوها عن النبي ﷺ وأصحابه الأكرمين، وإشغال الأمة عن مهمتها الأساس في تبليغ رسالة النبي ﷺ للعالمين، لذلك اهتموا بصناعة الأحاديث وإيراد

النصوص التي تخدم تمنياتهم ومقاصدهم، ووضع أحاديث مكذوبة لصرف بعض الآيات وتوجيهها لخدمة ما يخططون له، ومن أحاديثهم المصنوعة وأباطيلهم المشهورة؛ التي شرخوا بها الأذان؛ باحتفالاتهم وإعلامهم وقولهم: أن قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة: ٦٧) يوم غدیر خم في علي بن أبي طالب (عليه السلام) ^(١)

وقولهم المفترى كذباً صريحاً وزوراً بيناً، حين قال النبي ﷺ لأسامة من كنت مولاه فعلي مولاه، بعد أن قال أسامة ﷺ لعلي ﷺ: إني لست مولاك، كما اتضح في موضعه، لكن أعداء الصحابة قبلوا ذلك وصاغوه بما يعبر عما في نفوسهم من أوهامهم: فقالوا بتنصيب علي ﷺ وهذه لغة لم تكن معروفة، وكلمة موجودة في مثل هذا الموطن وبهذا المعنى الذي يزعمونه في عصر النبي ﷺ ولم تستعمل في العصر الراشدي بأجمعه، ولكن أعداء الصحابة أقحموها فإن أصابت فيها وإلا فهي للتشويش على كل حال، فقالوا آثمين رداً لما في الصحيح: لما نصب رسول الله ﷺ علياً بغدير خم فنادى له بالولاية!! هبط جبريل عليه السلام بهذه الآية!: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: من الآية ٣) ^(٢).

وهذا الذي يفتره أعداء الصحابة يعد إنكاراً لما هو معلوم عند الصحابة والتابعين وعند أمير المؤمنين علي ﷺ وعند الأمة، فهم يردون أقوال هؤلاء ويقدمون قولهم مصرين على باطلهم، مع علمهم بأن هذا يعد فضيحة لهم، لما فيه من زيغ عن الحقيقة وتكذيب للوقائع وقفز على الأحداث، وقلب لما هو ثابت في الصحاح في مثل ما رواه طارق بن شهاب: (أن أناساً من اليهود قالوا: لو نزلت هذه الآية فينا، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً! فقال عمر ﷺ: أية آية؟ فقالوا: ﴿ الْيَوْمَ يَسِرُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا نَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ

(١) السلسلة الضعيفة: ح (٤٩٢٢) موضوع.

(٢) السلسلة الضعيفة: ح (٤٩٢٣) موضوع.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ
فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿المائدة: من الآية ٣﴾ فقال عمر الفاروق رضي الله عنه: إني لأعلم في أي مكان
أنزلت، أنزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ^(١)

وأكد ذلك ابن عباس رضي الله عنهما، حين تكرر الموقف معه مرة أخرى، حين قرأ: ﴿الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وَعِنْدَهُ يَهُودِيٌّ فَقَالَ: لَوْ
أَنْزَلْتُ هَذِهِ عَلَيْنَا لَاتَّخَذْنَا يَوْمَهَا عِيدًا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي يَوْمٍ عِيدٍ؛ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ وَيَوْمِ
عَرَفَةَ ^(٢) وتكذيب لأmir المؤمنين علي الذي قال: (نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم عشية عرفة:
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ^(٣) فغيضة غدِير حُم لا يكاد ينشأ فيها أحد إلا هلك! قال الزبيدي:
(غَدِيرُ حُمٍّ وَهِيَ شَدِيدَةُ الْوَحْمِ! وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: لَمْ يُؤَلَّدْ بِغَدِيرِ حُمٍّ أَحَدٌ فَعَاشَ إِلَى أَنْ يَحْتَلِمَ، إِلَّا
أَنْ تَحَوَّلَ عَنْهَا! ^(٤) وقال الحازمي: (وَحُم: واد بين مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، عِنْدَ الْجُحْفَةِ بِهِ غَدِيرٌ، عِنْدَهُ
خَطَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهَذَا الْوَادِي مَوْصُوفٌ بِكَثْرَةِ الْوَحَامَةِ وَشِدَّةِ الْحُمَى) ^(٥) ولولا أن أعداء
الصحابة روجوا لها لما عرفها أحد، ولما كان لها ذكر، إلا بحدود الحاجة إليها، والإشارة إلى
موقعها، وذلك أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، ولكن أعداء الصحابة في
حربهم المستمرة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم فإنهم يجعلون من الحبة
قبة، وينفخون فيها يحاكي أمانيتهم ليصيروا من الوهم حقيقة، فجعلوا حُمًّا في طقوسهم وفي
معتقداتهم وفي احتفالاتهم الترويحية، مضاهية لأرض عرفة التي وصف النبي صلى الله عليه وسلم الوقوف عليها

(١) صحيح البخاري: ح (٤١٤٥).

(٢) سنن الترمذي: ح (٢٩٧٠).

(٣) الطحاوي: مشكل الآثار، ح (٢٠٩٢) السيوطي: جامع الأحاديث، (٣٢٧٢٢) كنز العمال في سنن الأفعال
والأفعال: ح (٤٣٥٣).

(٤) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ١/٥٦٣٧.

(٥) الحازمي: الأماكن أو ما اتفق لفظه واقترب مساهم من الامكنة، ٢/٥٢.

بأنه هو الحج في قوله ﷺ: (الحج عرفة)^(١) وجعلوا من احتفالاتهم بيوم حُم؛ الذي حرّفوا مقاصده، كذباً على رسول الله ﷺ وعلى علي عليه السلام جعلوه يوماً يفوق في فضله يوم عرفه، أو بديلاً عنه! ذلك اليوم الذي ثبت أنه من أفضل الأيام عند الله تعالى؛ تُغفر فيه الذنوب، ويقبل فيه الدعاء، كما قال النبي ﷺ حين: (سئل عن صوم يوم عرفة؟ فقال ﷺ: يُكفر السنّة الماضية والباقية)^(٢).

وما ذلك الذي يذيعه أعداء الصحابة بلا سند ولا دليل عن فضائل غدیر حُم، إلا إحداث بدع مناهضة لما جاء به النبي ﷺ ولا عجب فيما يفعله أعداء الصحابة من احتفالات على الفضائيات وغيرها! لأن هذا يخدم معتقدتهم، ولكن العجب فيمن يزعم أنه من أمة الكتاب والسنّة، ويعلم أنّ الدين اتباع لرسول الله ﷺ لا يجوز فيه الافتتات عليه ﷺ باحتفال، أو القول بفضيلة مكان أو زمان، ثم يوالي أعداء الصحابة ويصدقهم، ويسير في أزقتهم العقائدية المظلمة!.

أول من أحدث بدعة غدیر حُم

قال ابن كثير: " أول من أحدث بدعة "عيد غدیر حُم" هو معز الدولة بن بويه، وذلك في سنة (٣٥٢هـ) ببغداد (وفي عشر ذي الحجة منها أمر معز الدولة بن بويه بإظهار الزينة في بغداد، وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد، وأن تضرب الدبابات والبوقات، وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء، وعند الشرط، فرحاً بعيد الغدير، غدیر حُم، فكان وقتاً عجبياً، وبدعة شنيعة ظاهرة منكورة... قال: وأمر أن يلبس النساء المسوح من الشعر وأن يخرجن في الأسواق حاسرات عن وجوههن، ناشرات شعورهن يلطمن وجوههن ينحن على الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ولم يُمكن أهل السنّة منع ذلك لظهور الشيعة وكون السلطان معهم"^(٣).

(١) سنن الترمذي: ح (٨٨٩) قال الألباني: صحيح.

(٢) صحيح مسلم: ح (١١٦٢) سنن أبي داود: ح (٢٤٢٥).

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/٢٧٦.

ولما كان اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، غدر البويهي بالخليفة المستكفي بالله فقبض عليه وخلعه بصورة تحاكي ما يفعله أتباعهم حلفاء الصليبيين في هذا العصر من الغدر والتشفي الذي ينبي عن الحقد الدفين في قلوب أعداء الصحابة، قال: (حضر معز الدولة إلى الحضرة فجلس على سرير بين يدي الخليفة، وجاء رجلان من الديلم فمدا أيديهم إلى الخليفة فأنزلاه عن كرسيه، وسحبه فتدحرجت عمامته في حلقه، ونهض معز الدولة، واضطربت دار الخلافة حتى خلص إلى الحرير، وتفاقم الحال، وسبق الخليفة ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها، وأحضر أبو القاسم الفضل بن المقتدر فبوع بالخلافة وسملت عيننا المستكفي وأودع السجن، فلم يزل به مسجوناً حتى كانت وفاته في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة... وقد كان معز الدولة بن بويه يجب الراضية قبحه الله)^(١).

فكان إحداث هذه البدع الشنيعة، وما يرافقها من براءة من الصحابة، وشم لل عشرة المبشرين بالجنة وغيرهم من أعلام الصحابة الفاتحين والمحدثين، وما يصحب ذلك من تحريض على الفتن واستفزاز الناس، والسطو على الأموال والأعراض وغير ذلك من الموبقات؛ والغدر بالخليفة المستكفي العباسي الهاشمي سليل آل البيت النبوي الشريف الذي يزعمون تعظيمه ومحبته مكرراً وخداعاً بأمة الكتاب والسنة؛ كل ذلك كان جزاء استقباله لأعداء الصحابة والثقة بهم، وتعاونهم معهم في سبيل وحدة المسلمين والتقارب بينهم، هذه الدعوة المخادعة الخطرة، التي لا زال يهذي بها بعض التائهين وكثير من المتفيعين.

وقال ابن تغري بردي: (وفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، في يوم عاشوراء ألزم معز الدولة الناس بغلق الأسواق ومنع الطباخين من الطبخ، ونصبوا القباب في الأسواق، وعلقوا عليها المسوح، وأخرجوا النساء منشورات الشعور، يقمن المأتم على الحسين بن علي رضي الله عنهما،

(١) البداية والنهاية: ١١/ ٢٤٠ - ٢٥٤ - ٢٩٦.

قلت: وهذا أول يوم وقع فيه هذه العادة القبيحة الشيعية ببغداد، وكان ذلك في صحيفة معز الدولة بن بويه! ثم اقتدى به من جاء بعده من بني بويه وكل منهم رافضي خبيث^(١).
وقال المقرئزي: (اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً، ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم، وأول ما عرف في الإسلام بالعراق أيام معز الدولة على بن بويه، فإنه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة فاتخذة الشيعة من حينئذ عيداً ... ويعتبر عيد غدير خم من الأعياد والمواسم التي كان العبيديون يقيمونها ويرعونها، ويحافظون عليها، وذلك لإثبات رفضهم وللتعمية على نسبهم الحقيقي والزعم أنهم من آل البيت! وأول ما أُقيم الاحتفال بهذا العيد المتبدع في مصر في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٦٢هـ^(٢).

وكل هذا يؤكد أن أعداء الصحابة يعملون بكل الوسائل على إيجاد الدين البديل؛ عن دين الكتاب والسنة المغلف ببعض معانيها! ونشر أهوائهم وعقائدهم التي لا تمت إلى ما أمر به النبي ﷺ أو نهى عنه، وإنما هي خليط من العادات والأحقاد والشهوات التي جمعت بتدبير وقصد؛ ليصنع منها أعداء الصحابة فلسفة يجتمعون عليها ويوحدون صفوفهم حولها، في حرب معلنة على أمة الكتاب والسنة، في كل عصر تتاح لهم فيه فرصة للظهور، إما في عصر غفلة أهل السنة والجماعة وجهلهم، وإما في حال تحالفهم مع الغزاة والمحتلين من الصليبيين واليهود والوثنيين، وأمام هذه الأخطار الهائلة المتكررة والمتجددة، لم يعد أمام أمة الكتاب والسنة إلا إيجاد ثقافة خاصة بهذا الشر المستطير؛ الذي لا يجدي معه حكمة ولا تسامح ولا تعاون ولا تغاضٍ ولا تناسٍ، ذلك أن معتنقيه قد بلغت فيهم الأحقاد على هذه الأمة حداً جعلهم لا يرون ولا يسمعون، فكل من يحمل اسم صحابي أو يوالي صحابياً، أو يبرأ من قتلة الراشدين وقتلة طلحة والزبير وقتلة الحسين ﷺ فإنه عدو لهم، مستباح عندهم دمه وماله؛ إن تمكنوا منه، وليس أمام هذا الثقافة التي تنبع من الكراهية والأحقاد، ما يواجهها من ثقافة تحيي في قلوب المسلمين الغيرة على

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، ١/٣٨٦.

(٢) المقرئزي: الخطط والآثار: ١/٣٨٨ - ٤٩٠.

الكتاب والسنة، والحمية على دماء الراشدين عمر وعثمان وعلي ﷺ ومعهم طلحة والزبير والحسين ﷺ كل هؤلاء الأخيار الأبرار أهدرت دماؤهم بمخططات وكيد أعداء الصحابة، فكل من في قلبه ذرة حقد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يشارك هؤلاء أوزارهم، وكل من يسلمهم ويضع يده في أيديهم ولا يحذر الأمة من شرورهم، تحت أي ذريعة كانت، أو أي عذر يصنعونه، فهو شريك لهم في آثامهم، إذ لا يوجد ما يسوغ لمسلم أن يوادّ قتلة الراشدين، مكذبي القرآن وسنة سيد المرسلين ﷺ.

ومن المؤسف المحزن أن هذه الثقافة القادرة على جمع الأمة لمواجهة شرور أعداء الصحابة، لا زالت في بداياتها! وإن كان وجد من حدّر من بعض الأفاضل السابقين، فإن دعوتهم ونصحهم وتحذيرهم ما هو إلا صرخة في واد، قل من يسمعها أو يتفكر بها، فضلاً عما يفعلها ويعمل على نشرها! وأمام بشاعة المصائب التي حلت بأمة الكتاب والسنة على أيدي أعداء الصحابة، يكاد المسلم يصاب بالإحباط! لما يرى ويسمع من أعداء واهية! وأفكار خائبة، يجترها بعض التائهين والمتنعين، للتستر على جرائم لا تُستر، أكلت البلاد والعباد، وأصابت العقيدة بأعطاب لا تندمل إلا برحمة الله تعالى، بل إن ما يعانیه السائرون على طريق الراشدين؛ في ولائهم وبرائهم في هذا العصر، لم يحصل مثله من قبل ولم يشهده كثير من الدعاة والمحيين لأمة الكتاب والسنة على مر العصور، فهذا عصر انقلبت فيه الموازين فأصبح الأمر بالمعروف منكرًا! والأمر بالمنكر معروفًا، وعامة المسلمين فيه يعيشون تيهًا في العقيدة لا مثل له، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (يونس: ٣٦).

بل إن الكثير من الناس يضعف لديه الفهم الصحيح لما يجري حوله، ولم يعد أحد يبالي بأحد إلا من رحم الله تعالى، ففي كل حين نسمع فتنة أودت ببلاد وعباد، من أبناء الأمة على أيدي هؤلاء الأشرار، والمصاب يتجدد في كل حين! فلا يكاد ينسى المسلمون مصاباً على أيدي أعداء الصحابة؛ إلا ويأتي آخر أشد منه هولاً وفتكاً، ومع كل هذا ندر من يتعض أو يعتبر! والحرب لا تتوقف على المصلحين والمذكرين المشفقين على أمتهم، فما بين لائم مؤنب لهم! وما بين متهم مفند

بالباطل ما يسمع منهم من الحق، وما بين متجرد لمواجهة المخلصين نيابة عن الظالمين، فالناس ولا سيما العلماء المسلمين منهم والسياسيين والإعلاميين؛ أصبحوا ما بين حارس لعقيدة أعداء الصحابة، حرب على من يفندوها ويحذر منها، لا يأذن ولا يسمح ولا يتجاوز عمن يجترئ قلمه أو لسانه على التفوه بشيء من هذا! وما بين مسوغ وملتمس للأعداء الفاسدة، وما بين شيطان أخرس كأنه لا يرى ولا يسمع، وما بين مدهن فيما لا جدوى منه، وما بين بائع متجول يبحث عن منفعة فلا يبالي بسنة ولا كتاب ولا أمة إلا من رحم الله تعالى!! فإذا أطعم من الحلواء أغمض عن الداء والبلاء الذي يصيب من حوله من أبناء أمته! فإلى الله المشتكى وهو الحكيم المستعان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (يونس: ٤٤).

والموقف من شبهة غدِير حُم والاحتفال بها: أن كل ما بني عليها باطل مبتدع مردود شرعاً، بل هو خديعة لصرف المسلمين عن دينهم وأخوتهم! لا أصل لها فيما جاء به النبي ﷺ لقوله: (الْخُدَيْعَةُ فِي النَّارِ) ^(١) ولقوله ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ) ^(٢) وقوله ﷺ: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) ^(٣) ولم يكن الاحتفال بغدير حُم من فعل المسلمين ولا من أمرهم، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ﷺ ولا علي ﷺ ولا أحد من آل بيته ﷺ ولا من محبيه حتى جاء ذلك المبتدع المفترى، الذي أورث الأمة هذه الفتنة المتجددة، فأضل بها الكثير من الجهلة ومن لا علم لهم، فضلاً عن أنها أصبحت حمأة تغذي الأحقاد الطائفية؛ وتزرع الضغائن والكراهية، لما يتخللها من الشتم والتحريض على الفتن، ونشر الأحقاد والبغضاء وكثير من قيم الجاهلية! فاتخاذ الثامن عشر من ذي الحجة عيداً وموسماً عقائدياً يحتفل فيه الناس، ويستعدون لقدمه بكل ما يملكون من وسائل تؤكد ذلك العيد وتظهره، مع اختصاصه عندهم بالقربات والذبح وما يؤكد أنه عيد ديني لا يتقدم عليه عيد آخر، ولا عيد الفطر ولا يوم عرفة، فكل ما

(١) صحيح البخاري: باب النجش، ٣٤٧/٧.

(٢) صحيح البخاري: ح (٢٤٩٩).

(٣) صحيح مسلم: ح (٣٢٤٣).

سبق يجعل ما يحصل فيه إنما هو بدع باطلة مُضلة، وأساسها الذي قامت عليه باسم الوصية والولاية والعصمة وما شابه ذلك؛ باطل مكذوب على رسول الله ﷺ وعلى أمير المؤمنين علي ﷺ وبهتان على كتاب الله تعالى حين يزعمون أن قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: من الآية ٣) هي آخر ما نزل من القرآن وأنها نزلت يوم غدیر خم، في حين أن هذه الآية نزلت في يوم عرفة تاسع ذي الحجة في حجة الوداع، كما سبق بيان ذلك، والنبی ﷺ واقف بعرفة، كما ثبت ذلك في الصحاح والسنن، وفي ما قاله أهل التفسير والحديث وغيرهم من علماء الإسلام، ولم يشذ عن هذا سوى المبتدعة المضلين، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

فالذي باء ياثم هذه الفعلة الشنعاء، المفتراة على الله وعلى رسوله ﷺ التي أورثت معتنقها حباباً للفتن، وتوثباً للغدر والبهتان، وعتناً وبعداً وإثماً، لمخالفتهم هدي النبي ﷺ وآل بيته وأصحابه ﷺ! ولما في الكتاب والسنة من نصوص بينات! ذاك هو معز الدولة البويهري الديلمي ومن وافقه ورضي بسنته، فهو الذي أثبت ببدعته الشنيعة تلك وما رافقها من آثام، أنه من أبعد الناس عن الكتاب والسنة، وعن هدي آل بيت النبي ﷺ الذين كانوا عنوان السباحة والزهد والعفاف، والرفق والمودة، والحرص على التوحيد والوحدة، وعلى التمسك بالسنة المطهرة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

المبحث الثالث

موقف أعداء الصحابة من حكام المسلمين وعدم وفائهم لما يعطون من عهود ومواثيق والتزامات

أولاً: موقف أعداء الصحابة من الحكام المسلمين

اتضح فيما سبق موقف أعداء الصحابة من الراشدين ﷺ الذين هم القمة الباسقة بين حكام المسلمين، قوة وعدلاً وعلماً ونباهة، ورحمة وزهداً وتواضعاً، ومع وضوح كل هذه المناقب لهم ﷺ فإن أعداءهم يأبون إلا نفاقاً وعناداً؛ مقرنين بالتمويه والتحريض وتغذية الضغائن على أمة الصحابة ﷺ وسلوك طريق المخادعة المتولد من معتقد التقيّة الذي يمثل تسعة أعشار دينهم، ولا يميزون التعامل مع أمة الكتاب والسنة إلا به^(١).

ولكن على الرغم من مدهانتهم لبعض حكام المسلمين ولا سيما المعاصرين منهم، وتظاهرهم بموالاتهم ومسالمتهم، فإنهم من ألد أعداء هذه الأمة حكاماً ومحكومين، ذلك أنهم يرون (إن أهل السنة شرّ جيل على وجه الأرض، وأقلهم حياء من الله ورسوله، بل متى خالف عمر ﷺ أو

(١) تعريف التقيّة: "التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين" شرح عقائد الصدوق: ٢٦١، وقال ابن بابويه القمي: "اعتقادنا في التقيّة أنها واجبة من تركها بمنزلة من ترك الصلاة" ينظر ابن بابويه: الاعتقادات، ١١٤. ثم جعلوها الدين كله، فزعموا أنّ جعفر بن محمد قال: "إن تسعة أعشار الدين في التقيّة، ولا دين لمن لا تقيّة له" أصول الكافي: ٢، ٢١٧. وقالوا: "يغفر الله للمؤمن كل ذنب يظهر منه في الدنيا والآخرة، ما خلا ترك التقيّة، ينظر تفسير الحسن العسكري: ١٣٠، والتقية عندهم سلوك دائم وخلق جماعي لهم، قال ابن بابويه في كتابه الاعتقادات: "والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم" ١١٤. وتعامل الشيعة مع أهل السنة لا يجوز إلا بالتقيّة، وذلك مؤكد في أبواب فقههم، قال الحر العاملي: باب وجوب عشرة العامة (أهل السنة) بالتقيّة، ينظر: وسائل الشيعة: ١١ / ٤٧٠.

غيره علياً ﷺ كان كافراً^(١) فهذا موقفهم من الأمة حكاماً ومحكومين، كيف لا وهم الذين يمجدون قتلة الراشدين؟! ويخدمون الغزاة المعتدين؟! ولكنهم يتظاهرون بذلك لكي يزدوا أهوة بين المسلمين، فيحصلوا على موطئ قدم لهم بين الحكام والمحكومين، فيحرضوا الحكام على أبناء أمتهم، ويشجعوا المظلومين والمتظلمين، والغوغاء والمفتونين؛ على الخروج على حكامهم المسلمين، من غير نصح ولا حوار ولا تحكيم، ليعملوا حينذاك على توفير أرضية الفتنة التي تخدم أعداء الصحابة، وتغذية أسبابها التي يصدعون بها الصفوف، في كل مكان يجلون به، ذلك أن معتقدتهم قائم على إثارة الفتنة وتدمير أمة الكتاب والسنة، حكاماً ومحكومين وعلماء وأميين، ومساجد ومؤذنين، وكتّاباً ومعلمين، والعمل الدؤوب على نزع كل مقومات الاستقرار والوحدة في بلاد المسلمين، والحقيقة المرة أنه في هذا العصر لا يوجد موقف واحد لأمة الكتاب والسنة، من هذا الشر المستطير، بل إن كثيراً من العلماء المحسوبين على الأمة، أسهموا في تقوية مواقف أعداء الصحابة وحماية اختراقاتهم العقائدية والأمنية وغيرها.

ومن هنا كان هدفهم الأول في حربهم المعلنة على الهوية، استهداف القوي الأمين عمر بن الخطاب ﷺ الذي اغتالوه في محرابه^(٢) ومن ثم اغتالوا ذا النورين الكريم الحليم عثمان ﷺ وهو يقرأ الكتاب المبين، وبذات الثقافة المبنية على الكراهية والبهتان والتزيف غدروا بالمجاهد الأمين علي ﷺ وهو يدعوهم إلى الصلاة لله رب العالمين!!.

وبعد ذلك من قتل عماد الدين زنكي الذي كان يجارب الصليبيين؟ ومن حاول قتل صلاح الدين؟ ومن قتل الوزير السلجوقي نظام الملك المدافع عن سنة النبي الأمين ﷺ؟! ثم من استباح بغداد في الحاضر مع الصليبيين؟ ومن استباحها من قبل مع التتار المتوحشين الوثنيين؟ وهل أجدت مع أعداء الصحابة سياسة التقريب والتكريم، بل وتسليم كافة السلطات للوزير

(١) المحقق الكركي: نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت، منشورات الاحتجاج، قم، ١١٠. الفكر التكفيري، ٢٤٥.

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٤٢٤).

الرافضي ابن العلقمي اللعين؟ أم أنه استغل ذلك التكريم وتلك الثقة للغدر والتخريب، والتعاون مع الغزاة لتسليمهم البلاد بعد إطلاعهم على الأسرار، وتسريح الجيوش ومحاربة أهل الصلاح من رجال الدولة الأبرار^(١) كل هذا فعله أعداء الصحابة في أئمة أمة الكتاب والسنة وحصل ومضى، وكتب التاريخ والسياسة والحكمة؛ تعج فيها الشواهد على غدرهم، لكن الأمة إذا نامت فلا توقظها إلا الطامات، وإلا ففي كل ما يجري حولنا في هذا العصر عبر ظاهرات؛ تدعو إلى اليقظة والحذر والوحدة والتعاون، ولكن الناظر إلى دعاة التقريب وغشهم للأمة! وغيرهم من باعة الدين والأمن يجد أن الشواهد تؤكد أنه لا مُعْتَبَرٍ ولا مُجِيبٍ إلا من رحم الله وهم قليل، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: من الآية ٤٣).

فإن كانت هذه هي جرأتهم على أمة الأخيار الأطهار، فمن يأمنهم بعد ذلك؟ سوى الغوغاء الدهماء الأغرار! ذلك أن أعداء الصحابة لا مكان لهم إن كان هناك إمام ودولة تقوم على هدي الكتاب والسنة، وأنهم لا تقوم لهم شوكة ولا كيان إلا في التعاون مع الغزاة والمحتلين، وأيام الشغب والفتن والجهل الذي يجلب في بلاد المسلمين، وهذه التحالفات المعقودة بينهم وبين المعتدين شاهد على مسلكهم المشين، ومعتقدهم المبغض لأمة الصحابة وتابعيهم من الصالحين!. وإن لم تكن لهم شوكة فهم يدينون بالمداهنة والباطنية، لإيقاع المغفلين ممن فقدوا الهوية وأمانة أهل الدين، في أحوال الفتن والتحالف مع الأعداء الطامعين، فها هي مواقفهم ماثلة للعيان لكل مبصر أمين، فهم يركبون موجات الغزوات المعتدين، ويخدمون الطغاة والمرتدين، لتنفيس أحقادهم في الانقضاض على المسكين بالجمهر أملاً في زرع اليقين، وبشائر النصر المبين، في قلوب المؤمنين، وهذا ما هو واضح مبين، لمن يقرأ الواقع بعيون الصادقين، وبصائر الموحدين.

فكل هذا وغيره الكثير مما يحس به المؤمنون على أمن الأمة ومصيرها وسلامة عقيدتها، يدعو وبلا تردد إلى موقف صارم من الحكام المخلصين؛ والعلماء الصالحين، يباشرون العمل فيه،

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/١٤، ١٣/٢٢٩.

لإنجاز ثقافة توقظ النائمين، وتعين العاملين، وتصعد المعتدين، وتفضح الماكزين، وتحمي حصون المسلمين، من مكائد الغادرين، وتتفهم مسارات سياسات أعداء الصحابة؛ في كل أطوار كيدها الدفين، وحرمانهم من الانتهازية التي عاشوها على مرّ السنين، فإن كانوا أقوياء حرموا المؤمنين وشردوا الصالحين، وإن ضعفوا دلسوا ومكروا وامتطوا الأذعياء التائهيين، ليشاركوهم أعمالهم ويطلعوا على أسرارهم، فالموقف من هؤلاء المصللين أنه لا شراكة ولا ثقة بينهم وبين أمة الكتاب المبين، حتى يبرؤا من ثقافة الحقد على الصحابة المكرمين، ويفاصلوا من يعمل على تحريف سنة النبي الأمين ﷺ ويقطعوا حبال وصالهم مع الغزاة والمحتلين.

فالموقف المخلص للكتاب والسنة وللأمة وحاضرها ومستقبلها، يقاس بالنقاء والبراءة من مشاركة فرق الهدامين، وأحزاب المرتدين، ومقدسي قتلة الخلفاء الراشدين، والقبول الدائم بالاحتكام إلى شرع ربّ العالمين، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

فمعتقد أعداء الصحابة قائم على اعتبار جميع الحكومات الإسلامية العادلة منها والظالمة، من يوم وفاة النبي ﷺ إلى هذه الساعة، سوى بعض فترات الفتن؛ حكومات غير شرعية، ولا يجوز لأحد من أعداء الصحابة، أن يدين هؤلاء الحكام المحسوبين على أمة السنة والجماعة، بالولاء والإخلاص من صميم قلبه، بل يداجيها مداجاة ويتقيها تقاة، لأنها كلها؛ ما مضى منها وما هو قائم الآن وما سيقوم منها فيما بعد، حكومات مُغْتَصِبَة، لا شرعية لها، والحكام الشرعيون في دينهم وصميم عقيدتهم هم أئمتهم الاثنا عشر وحدهم، سواء تيسر لهم مباشرة الحكم أو لم يباشروه، وكل من عداهم ممن تولوا مصالح المسلمين من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى من بعدهم وفي كل عصر مهما خدموا الإسلام وكابدوا في نشر دعوته وإعلاء كلمة الله في الأرض، وتوسيع رقعة العالم الإسلامي، فإنهم مفتنتون مغتصبون إلى يوم القيامة^(١).

(١) ينظر محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة، ١٨.

بل إن أعداء الصحابة يعدون علماءهم الذين تعاونوا مع الغزاة، وخانوا الحكام السنة الذين وثقوا بهم وقدموهم وسلطوهم على أبناء ملتهم، يعدونهم أبطالاً قوميين وقادة مصلحين، نجحوا في تدمير بلاد أهل السنة الموحدين، وإسقاط حكوماتهم التي تمثل في عقائدها؛ امتداداً لخلافة الراشدين ﷺ التي قوضت إمبراطوريات المجوس والصلبيين.

فهم يفخرون بتعاونهم مع التتار الوثنيين، في القضاء على دولة بني العباس الذين هم من آل البيت الهاشميين، مما يؤكد زيف موالاتهم لآل البيت العربي الهاشمي، وأن بيتهم الذي يوالونه غير هذا البيت، وعن تحريض نصير دينهم الطوسي لهولاكو على غزو بغداد العباسيين، قال مؤرخهم محمد باقر الخوانساري متبجحاً متفاخراً: (ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاكو خان بن جنكير خان، من عظماء سلاطين التتارية وأترك المغول، ومجيئه في موكب السلطان المؤيد، مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد - التتار - وإصلاح البلاد - بتدمير بغداد - وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد نائرة الجور والإلباس، بإبادة دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، إلى أن أسال من دمائهم الأقدار، كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم دار البوار، ومحل الأشقياء الأشرار)^(١).

فهذه هي حقيقة موقفهم في التعامل مع أمة الكتاب والسنة، حتى لو كان حكامهم من آل البيت الأطهار، فحالهم دائماً أنهم أشرار أقدار، استباحتهم مع الوثنيين أمر يبعث في معتقدتهم على الفخار، وإسداء الشكر لهولاكو التتاري السفاح الفاجر الغدار، وتحريضه على تدمير بغداد من أجل إنجازات مراجعهم الكبار، قال الخوانساري مبهتجاً بذلك الغدر وتعاون سيده الطوسي مع المغول الأشرار، على ارتكاب المجازر وقتل مئات الألوف من المسلمين في بغداد السلام والفخار: (فلما استشعر هولاكو لجأ عنده بإشارة المحقق الطوسي ومشورته وافتتح القعلة ودخلها أكرم - هولاكو - المحقق الطوسي غاية الإكرام والإعزاز، وصحبه وارتكب الأمور

(١) الخوانساري: روضات الجنات، ٦/ ٢٧٩، الدار الإسلامية. الفكر التكفيري عند الشيعة، ١٦٤.

الكلية حسب رأيه وإجازته، فرغبه المحقق الطوسي في تسخير عراق العرب، فعزم هولاءكو خان على فتح بغداد وسخر البلاد والنواحي واستأصل الخليفة العباسي المستعصم بالله (...)^(١) وقال علامتهم وحجتهم إبراهيم الزنجاني: (وحمل هولاءكو على العراق بقيادة نصير الدين الطوسي فيلسوف الإسلام، وبتأييد سديد الدين ابن العلقمي - الخبيث - وزير الخليفة العباسي بتاريخ ٦٥٦ هـ وقضى على خلافة بني العباس)^(٢) وهذا الشر المستطير على عقيدة وأبناء أمة الكتاب والسنة يطالبهم مطالبة لا تقبل التردد، ببلورة حكم العقيدة المنبعثة من الكتاب والسنة في من يرفض خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وبيان أن الناس انقسموا بعد وفاة النبي ﷺ إلى قسمين:

- قسم بايع خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ وجاهد تحت رايته حتى أزهق الردة وأعلى رايات التوحيد والسنة والوحدة.

- وقسم آخر أطاع مسيلمة الكذاب وقاتل معه رايات رسول الله ﷺ التي يقودها خليفته الصديق ﷺ وجنده المجاهدون في سبيل الله، واستمروا على ذلك حتى تم القضاء على طاغية الردة، وشيطان الفتنة مسيلمة الكذاب، وإزهاق عقيدته الوثنية، وسحق حركته التي رفضت الكتاب والسنة وإمامة أبي بكر الصديق ﷺ.

فتولد من ذلك وعلى أساسه الصلب معتقد أهل السنة والجماعة المتصل برسول الله ﷺ عن طريق خليفته أبي بكر ﷺ وذلك بعد أن قطعت الردة بمراجعها الضالة، السبل الموصلة إلى رسول الله ﷺ إلا عن طريق صاحبه وخليفته الصديق ﷺ.

وفي هذا العصر - كما هو في عصور - السلف الناس على مفترق طرق: طريق خلافة الصديق ﷺ التي كان تحت راياته عمر وعثمان وعلي والمهاجرون والأنصار ﷺ وإمامته الموصلة إلى رسول الله ﷺ وكتابه وسنته دون تغيير أو تحريف أو تبديل.

(١) الخوانساري: روضات الجنات، ٦/ ٢٩٣. الفكر التكفيري، ١٦٤.

(٢) حجتهم الزنجاني: عقائد الإمامية الإثني عشرية، ٣/ ٢٣١.

- وطريق مسيلمة الكذاب ومراجع الردة وأعوانها الذين قاتلوا تحت راياتها، أو بأوامرها ومساندتها، أو تحقيقاً لأهدافها وغايتها؛ في حرب خليفة النبي ﷺ وجند الكتاب والسنة من سلف هذه الأمة الميامين.

- فهذه الحال تلزم من يزعم أنه من أمة الكتاب والسنة بمواصلة الجهاد ضد رايات مسيلمة الكذاب وجنده الأشرار الراضين لخلافة الصديق.

- وفي هذا العصر الذي تزحف فيه الردة الرافضة لخلافة الراشدين ﷺ المتسترة بحب علي ﷺ تقع المسؤوليات على أهل العلم وأهل القرار في حماية عقيدة وأمة الكتاب والسنة.

- فاصبح تسجيل موقف البراءة من كل متواطئ مع أعداء الصحابة، ملزم لكل مسلم ليتوافق ذلك مع موالاته الكتاب والسنة، وصار من المشروع أن يقال لكل عالم وقائد من أمة الكتاب والسنة: أين أنت؟ وتحت أي راية تقف؟ أبرز ما يؤيد نصرتك وولاءك للكتاب والسنة، وحمايتها الصحابة المكرمين، في هذا العصر الذي قويت فيه المنظمات السبئية، فلم يعد هناك من هو في حل من المواجهة، ولا يُستثنى من ذلك أحد حتى لو كان بمقام ترجمان القرآن، أو بمكان أمير المؤمنين في الحديث وعلوم أهل الإيمان، أو بفصاحة سحبان وائل في اللغة والبيان، فإن كان هناك فعل أو قول لنصرة الكتاب والسنة، وجب الإعلان عنه للاستعانة به والدعوة إلى مثله، وإلا فالريبة والتهمة ثابتة دامغة!.

وإن كان هناك دعوة للتقارب مع رافضي خلافة النبوة، الممجدين لقتلة الراشدين! وهم على ما هم عليه، فإنها هي دعوة للسقوط في الهاوية، وتضليل الأمة ونصرة الردة، وإن كان الصمت؛ فهو الإقرار بالباطل والسكوت عن قول الحق، وإن كان الريب والشك فهي أعراض موالاته الردة؛ وعلامات الهزيمة والفرار من أمام الزحف الأسود، الذي يتمدد بمساندة المرتابين والمتواطئين، ومن هذه المواقف يُعرف الرجال القائمون على نصرته الحق وجنده، من معاونين للباطل وأهله.

قال ابن القيم: (وأيُّ دينٍ وأيُّ خيرٍ، فيمن يرى محارم الله تُنتهك، وحدوده تُضاع، ودينه يُترك، وسنة رسول الله ﷺ يُرغب عنها، وهو باردُ القلب، ساكتُ اللسان، شيطانٌ أخرس كما أن المتكلم بالباطل شيطانٌ ناطق؟

وهل بليّة الدين إلا من هؤلاء؟! الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياستهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟ وخيارهم المتحرّز المتلمّظ ولو نُوزع في بعض ما فيه غضاضةً عليه في جاهه أو ماله بدّل وتبدّل، وجَدّ واجتهداً واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء: مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بُلُوا في الدنيا بأعظم بليّة تكون وهم لا يشعرون وهو موتُ القلوب فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله تعالى ورسوله ﷺ أقوى وانتصاره للدين أكمل^(١).

فمن لا ينصر خلافة النبوة ومنهاج الكتاب والسنة أمام زحف أعدائها؛ لا بموقف، ولا فعل، فلن يكون إلا في نصره أعدائها، الذين سخروا التائهيين والمخلطين ليضربوا بهم أمتهم، متناسين أن الموقف في هذا العصر لا يحتمل الاجتهادات الباردة، فإما السنة النبوية وإما ضلال السبئية، ولا شك أن من يساوي بين الرايتين في هذا العصر ويزعم أنه من أهل السنة، فإنها هو يخدم طاووراً يعمل على إحداث الثغرات في حصون المؤمنين، لتكنيس رايات الشيخين رضي الله عنهما، ومن ورائهم أمة التوحيد، لذلك صنعت السبئية عقيدة مخالفتها وثقافة بغضها، ورفعت راياتها لهدم إنجازاتها، واستعانت في سبيل الوصول إلى ذلك بالمخلطين، ممن نزع منهم الولاء للسنة، فأصبحوا يتقلبون في حمأة المخالفين، وهم يزعمون أنهم يعملون لصالح الدين ونصرة أمة سيد المرسلين ﷺ الذي قال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي"^(٢).

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين، ٢/ ١٧٧.

(٢) السلسلة الصحيحة: ح (٢٧٣٥).

من أحقاد أعداء الصحابة على عمر الفاروق ؓ

أسس أعداء الصحابة ثقافتهم على عقيدة البراءة من الخلفاء الراشدين ؓ وحرصوا أتباعهم على التمسك بتلك العقيدة، والتعبد بها، والدفاع عنها، فأمنوا بذلك، وقاتلوا من أجل نصرتها بكل ما يستطيعون، على جبهات المكر والتقية والغدر والتشويه في عصور ضعفهم، وعلى جبهات القتل والاختيال والإقصاء المطلق لأمة الكتاب والسنة في حال قوتهم وشوكتهم، وهذا المسار تؤكد جميع الأحداث التي مرت بها الأمة على مر العصور، منذ وفاة رسول الله ﷺ ونبوغ مرجع الردة مسيلمة الكذاب، ومن ثم مقتل أمير المؤمنين الفاروق عمر ؓ، ومما يبعث على الأسى أن هذه الثقافة التي تلونت أشكالها وتعددت أطوارها، وتمددت أحقادها، لم تواجه بثقافة مماثلة، تقيم أمام مكرها وكيدها الأضواء التي تكشف زيفها وتفضح أهدافها الحقيقية، مما مكن لأعداء الصحابة في أكثر من مرحلة وأسهم في انتشار باطلهم، وتغذية كراهيتهم لأمة الكتاب والسنة، بما يتلقونه في طقوسهم من نصوص تحرض على الشرّ وعلى تأصيل ما يرد ثوابت الكتاب والسنة، وعلى تكوين الهوية المخالفة لكل ما يمت إلى الصحابة ؓ بصلة عقائدية، قال المجلسي: (إن المهدي يدعو اثني عشر ألف رجل من جيشه من العجم الفرس والعرب، فيلبسهم زياً خاصاً موحداً، ويأمرهم أن يدخلوا مدينة فيقتلوا كل من لم يكن لابساً مثلهم فيفعلوا ... ويدخلون المدن الآمنة فيسفكون دماء أهلها، ويتتهكون أعراض نساءها، ويأسرون ضعفاءها، ويهلكون الحرث والنسل!!)^(١).

فمن هذه النصوص وما يشابهها من شعارات عدوانية تحريضية على أمة الكتاب والسنة، يستقون معارفهم ويجشدون تطلعاتهم، ويننون آمالهم، ومنها يغذون أحقادهم ويُنمو عواطفهم، فلا غرابة من كل ما يقومون به من أفعال وحشية يندى لها جبين الإنسانية، فهم ولموت قلوبهم وسوء نواياهم، لا يقيمون وزناً علمياً ولا أخلاقياً لآية ولا لحديث، وجعلوا ما تفرزه أحقادهم

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ٥٢/٣٥٧. سعيد عبد الحكيم زيد: الشيعة الإمامية قراءة تحليلية، ١٢.

من صديد الإفك والحقد، فوق كل نص وآية، فهذا رسول الله ﷺ قال عن أمير المؤمنين عمر
الفاروق ﷺ: (لو كان بعدي نبيّ لكان عمر بن الخطاب)^(١) وقال ﷺ: (اللهم أعزّ الإسلام بعمر
بن الخطاب)^(٢) وقال ﷺ: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)^(٣) فهل يبغض عمر ﷺ إلا من
يبغض رسول الله ﷺ، ويبغض علياً ﷺ الذي صاهر عمر ﷺ وتقرّب إليه.

فالتّبيّ ﷺ يدعو إلى محبة عمر الفاروق ﷺ وإلى تبجيله واتباع منهجه، وأعداء الصحابة
يتآمرون عليه وعلى أمته، حتى غدروا به وهو في محرابه يُصليّ الفجر بأصحاب رسول الله ﷺ فهل
بعد هذا الفجور فجور؟! وهل هذا الفعل يُبقي مكاناً لأعداء الصحابة في ساحة أمة الكتاب
والسنة؟! إنهم يجعلون يوم مقتل الفاروق عمر ﷺ عيداً لهم يباح فيه فعل الموبقات!! وهتك
الحرّمات!! لأنّ كل ما يفعلونه في ذلك اليوم مغفور لهم بزعمهم الخاسر، وأنّ هذا العيد الذي
يقيمونه بمقتل الفاروق ﷺ الذي أطفأ نار المجوس هو خير أعيادهم، وله عندهم العديد من
الأسماء منها: يوم رفع القلم، والغدير الثاني، ويوم الفتح، ويوم الثارات، ويوم الهدى، وله
عندهم أكثر من ستين اسماً^(٤) ومن أشعارهم التي تعبر عن فرحهم في مقتل قاهر المجوسية ومبلغ
الإسلام فاروق الأئمة ﷺ صهر علي ﷺ على ابنته أمّ كلثوم ابنة فاطمة رضي الله عنها، قول
شاعرهم عليه سخط الله وغضبه وعلى من يوافقه مثل ذلك:

تبسم الدهر عن ثغر من الدرر لمّا فتكن بنات الدهر في عمر
طربت من قائل ذا يوم مقتله بالله زدني فذا من أطيب الخبر

(١) المستدرک: ح (٤٤٩٥) قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي قي التلخيص: صحيح.

(٢) سنن البيهقي الكبرى: ح (١٢٨٨٠) (١٢٨٨١) صحيح ابن حبان: ح (٦٨٨٢).

(٣) صحيح ابن حبان: ح (٦٨٩٥) سنن الترمذي: ح (٣٦١٠) قال حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٤) ينظر محمد مال الله يرجمه الله: يوم الغفران، ١٩ فما بعدها.

ما العيد عيد ولكن يوم مقتله عيد به عادت الأرواح في الصور^(١)

فهذا معتقدهم في مقتل عمر الفاروق ناصر الرسول ﷺ؛ المُلهم المُحدَّث، قال علي: (ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر) ^(٢) الذي قال فيه ﷺ: (لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ" وَقَالَ ﷺ: لَقَدْ كَانَ فِيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجَالٌ يَكَلِّمُونَ مَنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ! فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ) ^(٣) وهذه أحاديث يصدق بعضها بعضاً وشواهدا معلومة.

فإذا كان كل هذا الحقد يظهر منهم في حق العادل المتواضع الزاهد المجاهد عمر ﷺ فكيف هو شرهم على من هو دون عمر ﷺ فلا شك أنه سيكون أكثر عنفاً وأشد نكاية وأذى! فأيام إيذاء أصحاب رسول الله ﷺ عندهم أعياد، ولا سيما الفاروق عمر ﷺ الذي الذي أطفأ نارهم وزلزل جبروتهم، وأزال طغيانهم وظلمهم ورجسهم، فحق لمجوس هذه الأمة أن يجعلوا مقتل الفاروق ﷺ عيداً لهم، يقودهم إلى الردة والبراءة من دين محمد ﷺ الذي حفظه الصديق والفاروق وإخوانهم ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ فإن كان الزنادقة يفرحون بمقتله؟! فرحاً يورثهم في الدنيا عمى وضلالاً، وفي الآخرة نداماً وحسرة وهواناً.

فإن عمر الفاروق ﷺ أشد فرحاً بلقاء ربه ﷻ ذلك أنه تحقق حلمه في نيل الشهادة في سبيل الله، وفي مدينة رسول الله ﷺ وفي مسجد رسول الله ﷺ وفي محراب رسول الله ﷺ فليمت أعداء الصحابة بغیظهم وحقدهم، ومعهم من يواليهم من التائبين اللاهثين وراء المتع والمنافع الزائلة،

(١) ينظر محمد مال الله: يوم الغفران، ٤٠ - ٥٨. عن عقد الدرر في بقر بطن عمر ﷺ تأليف ياسين بن أحمد مخطوط بمكتبة رضا رامبور في الهند، تحت رقم (٢٠٠٣) فهذه القصيدة تصور مدى الحقد الذي يعتلج في نفوس الزنادقة على أئمة الإسلام وبناته، وتبين مدى الهاوية التي سقط فيها كل من يحسن الظن بهم أو يزعم جواز موالاتهم أو الثقة بهم، ممن يزعم أنه من أمة الكتاب والسنة!.

(٢) مصنف عبد الرزاق: ح (٢٠٣٨٠) المعجم الكبير: ح (٨٨٢٧).

(٣) صحيح البخاري: (٣٤١٣) سنن الترمذي: (٣٦٢٦) قال سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مُحَدَّثُونَ يَعْنِي مُفَهَّمُونَ).

وشتان بين فرح الفاروق رضي الله عنه الذي نال به أمانيه؛ التي تلحقه برسول الله صلى الله عليه وسلم وبصاحبه الصديق رضي الله عنه وبين فرح المخالفين الذي يركسهم في حمأة المرتدين، فهذا أمير المؤمنين الفاروق عمر رضي الله عنه يرفع يديه يدعو مولاه رضي الله عنه قائلاً: (اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ صلى الله عليه وسلم)^(١) وما هذا الذي حصل للفاروق رضي الله عنه وكما في دعائه وطلبه من مولاه رضي الله عنه وفي المكان الذي يريده، إلا علامة القبول والكرامة والرضا، والفضل من الله تعالى، وبعد أن أنجز مهامه وأعزّ أمته وهزم أعداءها على الصعد كافة، في حياته وبعد مماته رضي الله عنه، فالسعيد من أحبه وسار على منهجه وبرئ من قتلته ومن يواليهم، والشقي الخائب من يحسن الظن في قتلته رضي الله عنه ويدعو إلى مودتهم، على حساب الكتاب والسنة، وجهاد الفاروق رضي الله عنه ودمائه وعقيدته!.

فهذا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يفضح أعداء الصحابة، ومن يحسن الظن بهم، ويشهد لأمر المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه بما يليق به؛ وبما يتمنى علي رضي الله عنه أن يكون له مثله عند ربه، حين يخاطب أخاه أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه وهو مسجى على سريره، فيقول: (رحمك الله إن كنت أرجو ليجعلك الله مع صاحبيك، لأنني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كنت وأبو بكر وعمر وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر" فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما)^(٢).

فهذه النصوص والمواقف تفضح أعداء الصحابة المتسترين بحب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وتقود إلى البحث عما يظهر ثقافتهم التي يتعلمونها ويعلمونها أبناء أمتهم، ليثيروا فيهم الأحقاد وحب الفتن، ونكران الجميل الذي قام به الخلفاء الراشدون، من الجهاد الذي أطاح بالجاهلية والمجوسية، فأخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فلولا جهاد أبي بكر وعمر وجندهما رضي الله عنهما لوجدنا هؤلاء المبعوضون لها يسجدون للنار كما

(١) صحيح البخاري: ح (١٧٥٧).

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٤٧٤).

كان أجدادهم أيام الأكاسرة، فمن الذي أخرجهم من المجوسية سوى جهاد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟! فأبي نكران وجحود هذا الذي يدين به أعداء الشيخين؟!.

إن مواقف أعداء الصحابة من الشيخين رضي الله عنهما لها ما بعدها، فهي تقود إلى وجوب معرفة سياستهم من حكام المسلمين قاطبة في الماضي والحاضر، وبما يكشف المستور، ويبين الأمور على حقيقتها، التي يعملون بها من غير باطنية ولا تقيّة، فهم في الماضي يكيّدون ويمكرون ويتعاونون مع الغزاة، ويثيرون الفتن ويعملون بالعدو والاعتيالات، وهذا مسلك أصيل ثابت في ثقافتهم ومعتقدهم لن يتغير، إلا أن الذي يجب التنبيه إليه في هذا العصر هو مكرهم بكثير من الحكام المحسوبين على أمة الكتاب والسنة؛ الذين لا علم لهم ولا ثقافة بمكرهم، فيتظاهر أعداء الصحابة بموالاتهم ومودتهم، لكي يتسنى لهم امتطاء تلك السلطات لضرب الإسلام والمسلمين، باسم الحرص على الحكم والحاكمين، لكن مقاصدهم هي نزع الثقة بين الحكام وشعوبهم المسلمة، وتحريض الشعوب على الحكام، وإغراء الحكام بالبطش بالمسلمين، لتخلو لهم الأجواء، فيحولوا بين الحكام وشعوبهم، ويستفردوا بكل منهم على حدة، فيعبثوا بالأمن والدين والدماء، وما أكثر الشواهد على كل هذا وما أقلّ المعبرين المتعلمين!! قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧).

تعظيمهم لقاتل عمر الفاروق رضي الله عنه

من العجائب التي لا يجد لها العقل تفسيراً، سوى إيغال أعداء الصحابة في الإجحاف والبغض والكراهية، التي يغذون بها مواقفهم؛ التي يتعاملون بها مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن إجحافهم وظلمهم غدرهم بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وتعظيمهم للغادر الذي سفك الدم الحرام في البلد الحرام في المسجد الحرام، لا لذنوب سوى أنه كان موحداً عادلاً منصفاً متمسكاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم! ولم يكتف أعداء الصحابة بالعدو وسفك الدم الحرام الطاهر بل سرهم ذلك وفرحوا به وجعلوا المتولي كبره في ذلك الفجور إماماً روحياً لهم وبطلاً قومياً منذ ذلك اليوم وإلى هذا

العصر، فقبر الغادر أبي لؤلؤة فيروز الديليم المجوسي لعنه الله، مقدساً عند أعداء الصحابة ويزار في مدينة كاشان، وتذبح له النذور ويقدمون مقامه الموجود على الشبكة العنكبوتية جهاراً نهاراً من غير تقية ولا حياء، وهم يجددون الاحتفال بذلك الغدر كل عام تغذية للكرهية والأحقاد على أمة الكتاب والسنة، الغافل عامة أهلها عما يدبر لهم أعداء الصحابة من المكائد التي ترمي إلى سحقهم من الوجود مستغفلين الكثير منهم، (ويستحب فيه إطعام الإخوان وتطييبهم والتوسعة والنفقة ولبس الجديد والشكر والعبادة وهو يوم نفي الغموم)^(١).

وقال أعداء الصحابة عن الغادر أبو لؤلؤة فيروز الديلمي المجوسي، قاتل أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه: (لقد حاز هذا الرجل العظيم على السعادة الكبرى ... ونحن بعد هذه السنين الطوال نقول قولاً صادقاً: رحمك الله تعالى يا أبا لؤلؤة، فقد أدخلت البهجة على قلوب أولاد الزهراء المحزونة، والمأمول من شيعة أمير المؤمنين رضي الله عنه أن يزوروا صاحب ذلك المرقد المملوء بالصفاء في كاشان)^(٢).

وهذا يتوافق مع ما يعتقدونه في أئمة الإسلام وسادة البشر بعد الأنبياء، قال أبو علي الخراساني، عن مولى لعلي بن الحسين، قال: كنت معه عليه السلام في بعض خلواته، فقلت: (إن لي عليك حقاً، ألا تجربني عن هذين الرجلين، عن أبي بكر وعمر؟ فقال: " كافرين، كافر من أحبهما ")^(٣) وحاشا لعلي بن الحسين رضي الله عنهما أن يقبل الطعن بأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنه

(١) مال الله: ٣٧، عن الكفعمي في المصباح، ونعمة الجزائري: الأنوار النعمانية، ٢٢٣.

(٢) أبو علي الأصفهاني: فرحة الزهراء، ١٢٣ مقتل عمر رضي الله عنه، وينظر الفكر التكفيري عند الشيعة: ٨٢. وعند الاطلاع على هذه النصوص، يمتحن المسلم بعقيدته، فيما يبرأ من هؤلاء المكفرين لسادة الصحابة رضي الله عنهم ويرأى ممن يواليهم، وإما أنه يصبح من المخلطين يدعون إلى خلط السنة بالردة، والتعاون بين القاتل والمقتول، الموحد والمشارك، دون أن يكون لديه أي دليل تاريخي يؤيد ما يدعو له من التقريب الذي فتك بوحدة أهل السنة والجماعة ونخر بلادهم، ومهد لأعداء الصحابة؛ أن ينشروا أفكارهم التكفيرية بين عوام الناس.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار، ٣٠/٢٧٦. الفكر التكفيري عند الشيعة، ٦٢.

بهتانهم، وسعيهم لنشر الكراهية بين آل البيت ﷺ وأمتهم أمة الكتاب والسنة، ليجتثوا الإسلام من جذوره، انتصاراً للمجوسية، ذلك أن معتقدتهم في وزير النبي ﷺ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، هو أسوأ اعتقاد يعتقدونه في مسلم!! قال الخبيث أبو علي الأصفهاني المعاصر عن الخليفين الراشدين أبي بكر الصديق والفاروق رضي الله عنهما وسخط الله على مبغضيها: (وأما مسألة إثبات كفرهما فهو من الأمور المسلمة المتضافرة في الروايات الكثيرة! التي نذكر بعضاً منها تبركا وتيمناً...!!)^{١٠}.

فلما كان هذا موقف أعداء الصحابة، ومعتقدتهم الصريح بخيار الصحابة ﷺ وخيار الخلفاء، وخيار المؤمنين، وفي مقدمتهم وزيراً رسول الله ﷺ!! فماذا بقي لهم في الإسلام؟ وكيف يدخل الإسلام من يبغض حماه وبناته؟ والسؤال الذي يوجه لأولئك المبغضين الجاحدين، إن أبا بكر الصديق ﷺ في خلافته؛ هزم الردة وعتاتها، ومرجعها الأكبر مسيلمة الكذاب، وأعاد الأمة إلى سنة رسول الله ﷺ وكما كان الإسلام في حياته ﷺ، ثم وجه المسلمين إلى جهاد المجوس والصليبيين، فباشروا ذلك حتى زعزعوا أركان وقواعد الجيت المجوسي والطاغوت الصليبي، الراضين للخلافة الراشدة، وعدلها وتوحيدها، ثم جاء الفاروق عمر ﷺ فأجهز وجنده على من وقف في وجه التوحيد والعدل، حتى انساح الإسلام في المشارق والمغرب، فعاشت الأمم التي حكموها على أحسن حال تعيشه الأمم!! مع زهدهما وورعها وتواضعها الذي لا يوجد إلا عند الأنبياء عليهم السلام وإخوانهم الصالحين.

أما أعداء الصحابة فماذا فعلوا؟ سوى الفرح بقتل وزراء النبي ﷺ الراشدين، والفخر بالتعامل مع اليهود والتتار والصليبيين، والدفاع عن المرتدين، وإحياء ثقافة الفتن والغدر في بلاد المسلمين!

(١) أبو علي الأصفهاني: فرحة الزهراء، ١٠، وأعداء الصحابة عليهم غضب الله، جمعوا بين الحقد الغباء، فهو يعلم أن الزهراء فاطمة رضي الله عنها توفيت قبل أمير المؤمنين عمر ﷺ زوج انتها أم كلثوم رضي الله عنها، بأكثر من ثلاثة عشر عاماً، فكيف تفرح بموت نصير أبيها ﷺ وزوج ابنتها؟! وكل ذلك الفرح المزعوم بعد وفاتها رضي الله عنها وأرضاها. وينظر الفكر التكفيري عند الشيعة: ٨٠.

ونشر الحقد وثقافة الكراهية! والريبة في عقيدة التوحيد، التي جاء بها النبي الأمين ﷺ! والتشكيك بأخوة الصحابة المكرمين ﷺ، وآل البيت الطيبين؟! فلم يفتح أعداء الصحابة بلداً! ولم يهدوا ضالاً، ولم ينشروا عدلاً، ولم يقيموا جهاداً في سبيل الله!! ولا دعوة لعبادة الله! ولم ينشروا حضارة بين خلق الله!

وبدلاً من أن يُقيم أعداء الصحابة شيئاً من ذلك، فينشغلوا به عن المسلمين، فإنهم صبّوا شرهم على أمة الكتاب والسنة، غدرًا وزيفًا وإفكًا، كلما جاء غاز أو حاقد تعلقوا به، وتحالفوا معه، وعرضوا خدماتهم لمساعدته على تدمير الأمة بكل ما يملكون، وتأولوا لذلك الأسباب الموهمة والمكذوبة، فإذا أوثقوا صلاتهم مع الغزاة، تظاهروا بأنهم حرب على المعتدين، فيوقعون بتلك الدعاوى المقلوبة التي تنقضها البيئات الفاقعات، الكثير ممن استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا، فإذا أصبح لأعداء الصحابة شوكة تحت ظلال المعتدين، عاشوا في أمة الكتاب والسنة فساداً وتمزيقاً، مبتدئين بمن استزلوهم وامتطوهم للعبور إلى أمتهم، ثاراً لبيت النار التي انطفت؛ وللصلبان التي تكسرت! والعروش الجاهلية التي تحطمت!! إذ لا ثار لهم عند أمة الكتاب والسنة غير هذا!! فالخلافة الراشدة هي التي أخرجت المجوس من عبادة النار إلى عبادة الله الواحد القهار، والراشدون هم الذين خلصوا الناس من جبروت الإمبراطورية الرومانية المتسلطة على الرقاب! فكان حقهم عند الكرام الثناء والتبجيل، وجزاؤهم عند اللئام الانتقاص والشريب!.

- فتحت أي ذريعة يجاربون أصحاب رسول الله ﷺ؟ وتحت أي راية يوجهون التوحيد وأهله؟ سوى رايات الجحود وألوية الظلم والكراهية، ونكران الجميل!.

- فإذا علم هذا وغيره الكثير مما يشهد له التاريخ على امتداد مراحلها، فماذا جنى الملبسون على المسلمين أمور دينهم، ممن يزعم أنه من أمة الكتاب والسنة، ويثق بالغاشرين الناكثين ممن يقدسون قتلة الخلفاء الراشدين!؟.

- وبعد تلك الثقة التي في غير مكانها، يخادعون أمتهم، فيذيعون ويشيعون أن أعداء الصحابة ليسوا خطراً على عقيدة وهوية أمة الكتاب والسنة! فمتى لم يكونوا كذلك؟ وفي أي عصر أو مصر حكموه أو تسللوا إلى قلاعه لم يكونوا حرباً على العقيدة والدماء والأعراض؟! فسحقاً للمطففين.

فهذه المسائل البيّنة تؤكد أن أبناء أمة الكتاب والسنة حكماً وعلماً وشعباً، مطالبين باتخاذ موقف واحد من أعداء الصحابة، مبني على التماسك والتواصل والتعاون، والاعتبار والحذر من مكرهم وباطنيتهم، وتحالفهم مع المعتدين على أرض الأمة وعقيدتها، وتوجب عليهم أيضاً اعتقاد موقف البراءة من الذين ينالون من أصحاب رسول الله ﷺ بأي لون من ألوان الطعن أو الانتقاص أو الشتم أو البهتان، ذلك أن الله تعالى قال: ﴿يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ١٧).

- وأن أي موقف يقرّ التواصل مع من يصرّ على النيل من الصحابة، أو التعاون الفكري أو الإعلامي أو الثقافي أو السياحي، ولا سيما السياحة الدينية لهؤلاء خاصة، التي يحرص عليها أعداء الصحابة لنشر البدع والشك بالسنة؛ وترويج الشعوبية والحقد على العرب وحضارتهم المسلمة، إنما هو تفريط في العقيدة! وخيانة لأمن الأمة وهويتها ومصالحها! ذلك أنهم يستعملون كل تلك العلاقات لحرب الأمة في وحدتها وعقيدتها ومستقبلها!

- فالموقف التاريخي والسياسي المبني على عقيدة التوحيد، لا يميز التعاون مع أعداء الصحابة، ماداموا على حالهم من بغض أئمة الأمة وقادتها، قال تعالى: ﴿وَمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال: ٥٨) إن أمة تبني ثقافتها ومخططاتها على هدم ما بناه النبي ﷺ وأصحابه المكرمون ﷺ لا يمكن الثقة بها، ولا بمن يثق بها، أو الركون إليهما بحال من الأحوال، قال النبي ﷺ: (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)^(١) فكم لدغ المسلمون من جحور أعداء الصحابة ولم يتعلموا؟! فالصدق والوفاء عند أعداء الصحابة مفقود، والإفك

(١) صحيح البخاري: ح (٥٧٨٢) صحيح مسلم: ح (٢٩٩٨).

والبغي والظلم مؤصل موجود، والمسلم يعمل بالصدق ويبني عليه، رجاء ما عند الله تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٩).

- فمئذ غدرهم بأمر المؤمنين عمر رضي الله عنه أصبح موقف عقلاء الأمة قائماً على الحذر من كل من في نفسه مودة لأحد من أعداء الصحابة رضي الله عنهم حتى قال قائل أمة الكتاب والسنة: (لا يَحِلُّ وَاللَّهِ أَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِمَنْ تَرَفَّضَ وَلَا بِمَنْ يُخَالِفُ الشَّرْعَ فِي حَالٍ)^(١) فلا ثقة في أعداء الصحابة ولا في من يحسن الظن فيهم إلا بعد التوبة الصادقة مما هم عليه، والبراءة من بغض أي من الصحابة رضي الله عنهم والدخول في عقيدة أمة الكتاب والسنة، وربما لا يوثق بالبعض منهم حتى يمتحن في براءته من بغض الصحابة، ومن قال بغير هذا وهو يزعم أنه من أهل السنة والجماعة، فإنما هو غاش لأمة، متناقض مع عقيدته، فالرائد لا يكذب أهله أو من زعم الانتماء إلى أمة الكتاب والسنة، فلا يحق له أن يخادع المسلمين، فإن القرآن والسنة لا يقبلان من لا يأتهم بالصحابة رضي الله عنهم فكيف بمن يكفرهم ويطعن بدينهم.

وقد أوصد الإمام المرضي، محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح كل الأبواب أمام الانتهازين المحسويين على أمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فقال يرحمه الله تعالى عن حكم التعامل مع أعداء الصحابة: (لا يُسَلَّمُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُعَادُونَ، وَلَا يُنَاكِحُونَ، وَلَا يُشْهَدُونَ، وَلَا تُؤْكَلُ ذَبَائِحُهُمْ)^(٢) فلم يبق أمام المخادعين المزاولدين على أعراض الصحابة رضي الله عنهم وعقيدتهم، سوى التوبة عما قاموا ويقومون به من تضليل لعوام أهل السنة وجهلتهم، بخديعة التقريب الماكرة، والمصالح الكاذبة! والإقلاع عن العبث بعقول المسلمين من خلال التهوين من مخاطر أحقاد ومخططات الشعوبيين، أو الدعوة إلى الثقة بهم والتعاون معهم، من غير أن يعلنوا توبتهم عن الشك بالكتاب والسنة،

(١) قاله ابن هبيرة الوزير الحنبلي الحكيم العارف: ينظر ابن مفلح المقدسي الحنبلي: الآداب الشرعية والمنح المرعية، فصل في حسن الظن بأهل الدين، ٥٣/١. دار الوفاء، مصر (ط، ١) ١٩٩٩ م.

(٢) البخاري: خلق أفعال العباد، المسألة (٤٠) ص ١١.

والبراءة من رفضهم لإمامة الشيخين والصحابة المكرمين، قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ٢٩).

- فأمر المؤمنين عمر رضي الله عنه الشديد على الكفار الرحيم بالمؤمنين، كان فاروقاً منذ اليوم الذي أسلم فيه رضي الله عنه حيث فرّق بين الحق والباطل وبين المسلمين والمشركين، فاعتزّ المسلمون به وانتصفوا من الكافرين، واستبشر بإسلامه المؤمنون وأهل الصلاح المنصفون، لما قدم من العزيمة والنصرة التي زادت من ثقة المؤمنين، وكسرت من جبوت المشركين، فخارت نفوسهم، وطأطأت رؤسهم، واستمر الحال على ذلك، فإذا ذكر عمر رضي الله عنه ابتهج المسلمون وانتكس المشركون والشعوبيون.

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لما أسلم عمر رضي الله عنه قال المشركون: " اليوم انتصف القوم منا")^(١) وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (والله ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر)^(٢) وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر)^(٣) وقال رضي الله عنه: (إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين؛ حتى أسلم عمر رضي الله عنه)^(٤) فصدق ابن مسعود رضي الله عنه وبرّ، فها هم إخوان المشركين لا زالوا يبغضون عمر رضي الله عنه.

(١) المستدرک: ح (٤٤٩٤) صحیح الإسناد و لم یخرجاه تعلیق الذہبی فی التلخیص: صحیح.

(٢) المستدرک: ح (٤٤٨٧) هذا حدیث صحیح الإسناد و لم یخرجاه.

(٣) صحیح البخاری: ح (٣٥٧٤) المستدرک: ح (٤٤٩٠).

(٤) الطبرانی: المعجم الكبير، ح (٨٨٠٦).

- قال محب الدين الخطيب (وقد بلغ من حنقهم على مطفىء نار المجوسية ودولتها، الذي كان السبب في دخول أسلاف أهلها إلى الإسلام، عمر رضي الله عنه أن سمّوا قاتله أبا لؤلؤة المجوسي بـ " بابا شجاع الدين " روى الرافضي علي بن مظاهر، عن أحمد بن إسحاق القمي الأحوص شيخهم: " أن يوم قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو يوم العيد الأكبر، ويوم المفاخرة، ويوم التبجيل، ويوم الزكاة العظمى، ويوم البركة، ويوم التسلية)^(١).

فإذا كان هذا ما يقررونه في مؤلفاتهم العصرية المطبوعة والمنشورة عن عقيدتهم في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهما خير المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل تاريخ الإسلام، فأبي أمل يرجوه أدوات ما يسمى بالتقريب الديني والسياسي؟! وهل هؤلاء إلا طابور مخرب، انسل في غفلة من حراس العقيدة إلى داخل قلاع المسلمين؟!.

إن هذا العصر الذي تأججت فيه نار الفتن التي يوقدها أعداء الصحابة في كل مكان من أرض الإسلام، لم يدع مكاناً يستتر فيه المرجفون المتواطؤون مع الردة، ذلك أن تكفير ولعن أئمة أمة الكتاب والسنة، إنّها هو إعلان الحرب الشاملة على العقيدة وميراث النبوة وعلى الهوية والكرامة، وأنّ المهادنة من جانب واحد مع إصرارهم وكبرهم وتشبثهم بكل أسباب الفتنة، إنّها هو مشاركة لهم في تلك الحرب المعلنة على السنة، ونصرة لبهتانهم على الصحابة، ولعنهم للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

- (ولذلك يلعن الشيعة أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم - ولعن الله من يلعنهم - وكل من تولى الحكم في الإسلام غير علي رضي الله عنه وقد كذبوا على الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى، بأنه أقر شيعته على تسمية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما " الجبت " و " الطاغوت " فقد جاء في أكبر وأكمل كتبهم، في جملة مسائل محمد بن علي بن عيسى قال: (كتبت إلى علي بن محمد بن علي بن موسى، أسأله عن الناصب، أي عن أهل السنة - هل أحتاج في امتحانه إلى أكثر من

(١) محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة، ٢٠. محمد مال الله: يوم الغفران، ٤١.

تقديمه الجبب والطاغوت؟ أي تقديمه الشيخين وزيري رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، واعتقاده إمامتهما!)^(١).

فهذا النص الصريح وأمثاله الكثير التي يدين بها أعداء الصحابة ويعتقدونها، يجعلونها قاعدة للبراءة من أمة الكتاب والسنة، فكل من يقدم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فهو ناصبي كافر يعبد الجبب والطاغوت بزعمهم، ولا يوجد أحد من أمة الكتاب والسنة لا يقدم الشيخين رضي الله عنهما، وبهذا فإن كل أمة الكتاب والسنة كما في معتقد أعدائها تعبد الجبب والطاغوت، وبمقدار ما في هذا النص من القبح والحقد والبهتان، فيه من المفاصلة بين السنة النبوية، والخوارج السبئية ما يجعلها دينان متناقضان لا يلتقيان، وفيه من الخزي والعار والريبة التي يتسربل بها المتواطئون مع أعداء الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، سواء كان باسم التقريب أو التحالف السياسي أو غير ذلك، مما يعد بهم عن الكتاب والسنة، وعن مصلحة الأمة وأمنها، كما أبعد الذين رفضوا خلافة الصديق ﷺ عن الكتاب والسنة، وفيه ما يكفي لمعرفة المرجفين بين صفوف أبناء أمة الكتاب والسنة لتمرير العقيدة السبئية بفتنها ورددتها، ولاستباحة قيم الخلافة الراشدة مرة أخرى، بالتعاون مع أعدائها، المتربصين بالعاملين على عودتها، وتغذية قيمها وعقيدتها الصافية النقية.

- إن أمة الكتاب والسنة في هذا العصر تطالب وتخطب علماءها وسياسيها وأصحاب السطوة فيها، إن لم تقفوا مع أمتكم وعقيدتكم بالنصرة والرعاية والإعلام والتوجيه، فلا أقل من كف اليد واللسان عن الترويج للشعبوية وتجميلها، والتوقف عن التهوين من شأنها، لأن ذلك تفريط في الأمن والاستقرار؛ فضلاً عن العقيدة وحرية القرار.

- فإن كان أعداء الصحابة الذين رفضوا خلافة الشيخين خطراً على الدين والأمة، فإن المتعاونين معهم تحت ذريعة البعد عن الفتنة! أو بدعة التقريب بين عقيدة الصديق ﷺ وعقيدة الكذاب! أو

(١) ينظر المجلسي: بحار الأنوار، ٢٦٠/٨٥، المامقاني: تنقيح المقال في أحوال الرجال، ٢٠٧/١، المطبعة المرتضوية بالنجف سنة ١٣٥٢هـ الموصلي: حقيقة الشيعة، ٨٦، محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة، ١٩.

تحت ذريعة المصالح المشتركة على حساب التوحيد وثوابته، إنّ هؤلاء لا يقلّون خطراً على وحدة الأمة ومستقبلها وسلامة عقيدتها من أولئك المجاهرين بحرب أمة الصديق والفاروق رضي الله عنهما، بل إنهم يمثلون طابوراً مناصراً لأعداء الصحابة، وممهداً لأفكارهم ومشاريعهم الهدامة، فتعاونهم أو تهاونهم معهم إنما هو تفريط في أمن الأمة وثوابتها، وفتح لباب شر يستهدف الجميع، فمن لا قيمة عنده للعقيدة ولا للأمة الأمة وقادتها وموروثها؛ فلن يكون لبلاده ولا لأهلها أية قيمة عنده!.

- وموقف أمة كتاب فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، أمة الذين يتعبدون ربهم بشتم الصحابة ودعاء صنمي قريش^(١) الذي يفترون فيه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بكل ألوان البهتان والظعن، هؤلاء أيضاً إخوان ما يسمى بجماعة التقريب! فأبي مقدس عندهم إذا لم يكن القرآن العظيم؟! وأي مكرم بعد الشيخين وأمّهات المؤمنين؟! فما دام هؤلاء لا يستثيرون غيرتهم، فلن يثير غيرتهم على بلادهم وعقيدتهم أمر آخر، لهذا ولغيره وجب الحذر من هذا الطابور المخذول، والتعامل معه بريية وحذر وحزم، لما يمثله من مخاطر على الهوية والعقيدة، تظهر آثاره في أيام الشدائد والمحن التي تمر بها الأمة، أو في أيام الضعف والفقر الذي يعتري المجتمعات المسلمة، أو في مراحل غياب القيادة التي تدافع عن التوحيد والوحدة.

- فإذا كان هذا هو موقف أعداء الصحابة من هذه الثوابت الكبرى! فإنّ مواقفهم مما هو أقلّ منها، لا يخرج عن هذا الإطار الغارق بالحدق الأسود على كل ما يخدم الإسلام وينصر السنّة المطهرة، وإذا كانت هذه هي الحقيقة في ثقافة القوم ومناهجهم وأعيادهم، فإنّها على المعاصرين من أبناء أمة الكتاب والسنّة حكماً وشعوباً، أكثر حقداً وأشدّ سواداً وكراهية، ذلك أنهم يتعبدون في شتم أمة الكتاب والسنّة والحكم بتكفيرهم، قال محققهم البحراني: (لا يخفى على

(١) دعاء صنمي قريش كله شتم وبهتان ولعن على وزير رسول الله ﷺ وذكره لا يورث إلا الآسى على ما وصل إليه هؤلاء الحاقدون من الإسفاف والقباحة والجرأة على خوض ظلمات الردة، ينظر مال الله: يوم الغفران، ٦٠ فيه الدعاء وشرحه، عن المجلسي: بحار الأنوار، ٨٢ / ٢٦٠.

الخبير الماهر الواقف على ما تظافرت به النصوص، بل تواترت من لعنهم وسبهم وشتمهم وكفرهم^(١) فهذه الأحكام التي يصدرونها للتحريض على أمة السنّة والجماعة وعقيدتها وأئمتها وقادتها، وغير هذا الكثير مما لم يطلع عليه القارئ الكريم، يوجب على الجميع الحذر من مكائدهم وأحقادهم، في أي أرض يوجدون بها، مع الريبة بكل من له صلة مودة بهم، ذلك أنّه لا يوادهم إلا من هانت عنده العقيدة والأمة، وضعف انتماؤه وساء معتقده، وكل ذلك يدعو إلى مواقف يُبتغى بها وجه الله تعالى؛ ثمر التآزر والتعاون والتناصح، ولا سيّما بين العلماء والسياسيين، وأصحاب القرار والمتنفذين؛ وأهل الجاه والمال والقلم والمنبر، لضمان أمن الأمة وحماية العقيدة.

إعلانهم الحرب على رسول الله ﷺ

إن موقف الرافضين لخلافة الصديق ﷺ الطاعنين بالصحابة ﷺ وبالسنّة النبوية، ويعرض رسول الله ﷺ المجترئين على دماء عمر الفاروق ﷺ إنما حالهم يعني إعلان الحرب على رسول الله ﷺ بشكل مباشر، ولما كانت أخلاقهم مبنية على المكر والباطنية، فإنهم يزعمون أنهم يعملون للإسلام في حين جعلوا مواقفهم من أصحاب رسول الله ﷺ بعكس ما أمر الله تعالى به: قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠) فبدل الدعاء والاستغفار لسلف هذه الأمة، فإنهم دانوا بالشتم والطعن والبهتان لهم، وهذا ما أدركته أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها بعلمها ونباهتها ودقة تشخيصها! حين قالت: (أمرؤا بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسبّوهم)^(٢).

لكن أعداء الصحابة لم يصرحوا بذلك لكي لا يستثيروا عليهم عامة أمة الكتاب والسنّة وليتسنى لهم مخادعة من يمكن مخادعته منهم، فأعلنوا حرب البهتان والإفك على أحبّ الناس

(١) البحراني: الحقائق النضرة، ١٨/١٥٥.

(٢) ظلال اللجنة في تخريج السنّة، ح (١٠٠٣) قال الألباني: حديث صحيح.

وأقربهم إلى رسول الله ﷺ ممثلين في وزيريه أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما، حيث جعلوا منهما صنمي قريش كما هو معلوم ومعلن في أمهات كتبهم، وزوجته ومستراحه الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وابن عمه علي ﷺ الذي جعلوا منه إلهاً يُعبد من دون الله تعالى، وهذا مصداقاً لقول علي ﷺ في أعداء الصحابة: (ليحبنى قوم حتى يدخلوا النار في، وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي)^(١) وهذا ينطبق تماماً على الخوارج الذين كفروا علياً ﷺ وعلى المخالفين الذين يزعمون حبه وكفروا إخوانه أصحاب رسول الله ﷺ! ومن بعدهم أمة الكتاب والسنة فهلكوا جميعاً في الغلو في بغض علي ﷺ والغلو في تعظيمه!.

ومع وضوح معتقدتهم المناهض للتوحيد وللوحدة، فإنهم يزعمون مخادعين أنهم يجيئون رسول الله ﷺ ويجيئون آله ﷺ إلا أن هذا التمويه، لم ينخدع به سوى الغوغاء والجهلة وفاقدى الولاء؛ ومن لا خلاق له من المحسوبيين على هذه الأمة! قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١) فلو أن أعداء الصحابة يجيئون رسول الله ﷺ لما كذبوا سنته ولما كفروا حمايتها ﷺ لهذا فإن القرآن الكريم أعلن الحرب على من يجارب أولياء رسول الله ﷺ ومن هم أولياؤه إن لم يكن في مقدمتهم وزراء وأهله؟! قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس: ٦٢) فكان تلقي أعداء الصحابة لمعاني هذه الآية بعكس مراد الله تعالى، حيث أقبلوا على أوليائه من الصحابة المكرمين غدرا واغتيالاً وتزييفاً وبهتاناً، فكانت أعمالهم هذه عين المشاققة لله ولرسوله ﷺ مما أوقعهم في سوء أعمالهم، حين أصبح همهم الأول طمس إنجازات الصحابة وتشويه سيرتهم، حتى أسقطوا ما أوجب الله عليهم من عبادات وطاعات،، وإشغالهم في هذه الحرب على رسول الله ﷺ وأنصاره، قال تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة: ١٩) وقال تعالى متوعداً من يعاند رسول الله ﷺ ويتبع غير

(١) ظلال اللجنة في تخریج السنة، ح (٩٨٣) قال الألباني: حديث صحيح. (٩٨٦) إسناده جيد. (٩٨٤) حديث حسن.

سبيل اصحابه ﷺ: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥).

فمن يعلن الحرب على أحب الناس إلى رسول الله ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أو يوالي من يخوض أحوال تلك الحرب الخاسرة، فإنما هو يعلن الحرب على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى أولياء الله تعالى، ذلك أنه لا يوجد مسلم يؤمن بالقرآن إلا وهو يعلم أن النيل من أم المؤمنين تكذيب لكتاب الله وطعن في عرض رسول الله ﷺ وجرأة على أولياء الله وأولياء رسوله ﷺ، قال تعالى للمنافقين الذين خاضوا بالإفك: ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (النور: ١٧) فلم يتعظ المنافقون ومن بعدهم أعداء الصحابة وأصروا أن يكونوا في غير صف المؤمنين، فيتحدثوا بما يكذب كتاب الله تعالى، وهؤلاء الأشقياء علمت عقيدتهم، وافتضحت هويتهم، فملا يوالي هؤلاء بعد هذا إلا من أثر مودة أعداء الصحابة؛ وهان عليه آي الكتاب وصحيح السنة، وأسقط من معتقده ووجدانه مكانة أهل بيت النبي ﷺ ولا سيما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، التي يمثل الموقف منها فيصلاً بين أولياء رسول الله ﷺ وبين أعدائه، حيث يعلم الداني والقاصي بما اختصت به رضي الله عنها من طهارة يشهد بها كتاب الله تعالى، ومن مكانة في وجدان رسول الله ﷺ ومن ذلك أن النبي ﷺ أعدها على يديه منذ نعومة أظفارها حتى استوت أمماً للمؤمنين وعالمة لا تبارى في سنة سيد المرسلين ﷺ. قال رسول الله ﷺ: (من سب أصحابي فعليه لعنة الله)^(١) وهؤلاء الذين ينزفون الأحقاد ويقىون الكراهية على أم المؤمنين رضي الله عنها، إنما يجاربون رسول الله ﷺ بأحب الناس إليه، وهذا يفضح مقاصدهم، ويظهر عوارهم وسوء معتقدهم، فهم يزعمون أنهم يحبون آل بيت النبي ﷺ لكن معتقدهم يؤكد أنهم من أشد الناس بغضاً لهم، ولا أدل على ذلك من موقفهم من زوجة رسول الله ﷺ في الدنيا وفي الجنة، دون أن يظهر فيهم من ينهى قومه عن السقوط في هاوية محاربة رسول الله ﷺ في أهله!

(١) الألباني: ظلال الجنة في تحريج السنة، ح (١٠٠١) حديث حسن.

ووقعهم في لعنته لمن سب أصحابه ﷺ على الرغم من مرور هذه القرون الطويلة، وهذا يؤكد عميق كراهيتهم لما يجبه النبي ﷺ كما يسقط أباطيل دعاة التقريب، المتواطئين مع أعداء الكتاب والسنة، ومن وقع في شركهم ممن يوالي من لعنهم رسول الله ﷺ ولعنهم أولياء الله، ويزري بموافقهم التائهة المداهنة على حساب الحق والعقيدة!.

فأمنا عائشة رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة. قالت: إن رسول الله ﷺ ذكر فاطمة رضي الله عنها، قالت: فتكلمتُ أنا فقال ﷺ: "أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟" قلتُ: بلى والله، قال: "فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة"^(١).

وكان النبي ﷺ خطبها وهي بنت ست سنين، قبل الهجرة بستين وقيل بثلاث، وبنى بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى وهي بنت تسع سنين، وتوفي عنها ﷺ وهي بنت ثمان عشرة سنة، وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع رضي الله عنها بعد أن آثرت بمكان قبرها الذي كانت تدخره في حجرتها لتكون مع زوجها رسول الله ﷺ وأبيها الصديق ﷺ لكن أخلاقها أبت إلا كرماً في المحيا والمات فأثرت أمير المؤمنين عمر ﷺ بذلك المكان الذي هو عزيز على قلبها الطاهر الزكي رضي الله عنها، وأوصت أن يُصلي عليها أمير الحفاظ، أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه الذي يحبه المؤمنون ويغضه المنافقون، وذلك سنة ثمان وخمسين من الهجرة، ومن خصائصها أنها كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه؛ كما أعلن بذلك رسول الله ﷺ وثبت عنه في الصحاح والسنن.

ومن خصائصها أيضاً أنه لم يتزوج بكرراً غيرها، وأنه كان ينزل عليه الوحي وهو في لحافها دون غيرها من نسائه رضي الله عنهنّ، ومن خصائصها أن الله عز وجل لما أنزل على النبي ﷺ آية التخيير، في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسَرِّحَنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾ (الأحزاب: ٢٨) بدأ ﷺ بها فخيرها، فقال ﷺ: "ولا عليك أن

(١) المستدرک: (٦٧٢٩) وقال الذهبي في التلخيص: صحيح. صحيح ابن حبان: ح (٧٠٩٥) إسناده صحيح.

لا تعجلي حتى تستأمري أبويك " فقالت: " أفى هذا أستأمر أبوي! فإني أريد الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة، " فاستن بها بقية أزواجه ﷺ وقلن كما قالت " رضي الله عنهنّ.

ومن خصائصها أنّ الله سبحانه برأها مما رماها به أهل الإفك وأنزل في عذرها وبراءتها وحيّاً يتلى في محارب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (النور: ١٢) وشهد لها بأنها من الطيبات ووعداها المغفرة والرزق الكريم^(١) ﴿الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور: ٢٦).

وأخبر سبحانه أنّ ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها ولا عائباً لها ولا خافضاً من شأنها، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فإياها من منقبة ما أجلها. قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١١) فهذه براءتها في كتاب الله، وبها أجمعت الأمة على كفر قاذفها رضي الله عنها، فلينظر حلفاؤهم بماذا يستترون من رسول الله ﷺ.

قال ابن القيم: فتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها رضي الله عنها، حيث قالت: ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحى يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يرثني الله بها!.

فهذه صديقة الأمة وأمّ المؤمنين وحبّ رسول الله ﷺ وهي تعلم أنها بريئة مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون لها مفترون عليها، قد بلغ أذاهم إلى أبويها، وإلى رسول الله ﷺ وهذا كان احتقارها لنفسها وتصغيرها لشأنها، فما ظنك بمن صام يوماً أو يومين أو شهراً أو شهرين وقام ليلة أو ليلتين، فظهر عليه شيء من الأحوال، ولاحظوا بعين استحقاق الكرامات، والمكاشفات

(١) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢٣٨.

والمخاطبات والمنازلات، وإجابة الدعوات، وأنهم ممن يتبرك بلقائهم، ويغتنم صالح دعائهم، وأثمهم يجب على الناس احترامهم وتعظيمهم، وتعزيرهم وتوقيرهم، فيتمسح بأثوابهم، ويقبل ثرى أعتابهم، وأثمهم من الله بالمكانة التي ينتقم لهم لأجلها ممن تنقصهم في الحال، وأن يؤخذ ممن أساء الأدب عليهم؛ من غير إمهال، وأن إساءة الأدب عليهم ذنب لا يكفره شيء إلا رضاهم، ولو كان هذا من وراء كفاية لهان، ولكن من وراء تخلف، وهذه الحماقات والرعونات نتائج الجهل الصميم، والعقل غير المستقيم، فإن ذلك إنما يصدر من جاهل معجب بنفسه، غافل عن جرمه وذنوبه، مغتر بإمهال الله تعالى له، عن أخذه بما هو فيه من الكبر والإزراء على من لعله عند الله عز و جل خير منه، نسأل الله تعالى العافية في الدنيا والآخرة، وينبغي للعبد أن يستعيذ بالله أن يكون عند نفسه عظيماً وهو عند الله حقير، ومن خصائصها رضي الله عنها أن الأكابر من الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا أشكل عليهم أمر من الدين، استفتوها فيجدون علمه عندها!.

ومن خصائصها رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً: (يَا عَائِشَ: هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لَا أَرَى! تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم)^(١) وقال أنس رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ؛ كَفَضْلِ الشَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)^(٢).

ومنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتها وفي يومها ودفن في حجرتها، ومن خصائصها أن الملك أرى صورتها للنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يتزوجها صلى الله عليه وسلم ^(٣) قَالَتْ رضي الله عنها: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُرَيْتُكَ قَبْلَ أَنْ أَتَزَوَّجَكَ مَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُ الْمَلِكَ يَحْمِلُكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَقُلْتُ لَهُ: اكشِفْ فَكشِفَ فَإِذَا هِيَ أَنْتِ! فَقُلْتُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَمْضِيهِ، ثُمَّ أُرَيْتُكَ يَحْمِلُكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ! فَقُلْتُ: اكشِفْ فَكشِفَ، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ! فَقُلْتُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَمْضِيهِ)^(٤) ومن خصائصها أن

(١) صحيح البخاري: ح (٣٤٨٤).

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٤٨٦) و (٥٨٠٠) صحيح مسلم: (٤٤٥٩) (٤٤٧٨).

(٣) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢٣٩.

(٤) صحيح البخاري: ح (٦٤٩٥).

النَّاسَ كانوا يتحرون هداياهم يومها من رسول الله ﷺ تقريباً إلى الرسول ﷺ فيتحفونه بما يجب في منزل أحبَّ نسائه إليه رضي الله عنهن أجمعين، وتكنى رضي الله عنها بأُم عبد الله، وروي أنها أسقطت من النبي سقطاً قال ابن القيم: ولا يثبت ذلك^(١) وفي الأدب المفرد أن رسول الله ﷺ قال لها: (تكني بآبن أختك عبد الله - ابن الزبير ﷺ)^(٢).

ومن خصائصها أيضاً رضي الله عنها، أنها كانت مستراح رسول الله ﷺ وأنه حتى في حال مرضه الأخير ﷺ كان يسأل عن يومها رضي الله عنها حتى علم بذلك نساؤه رضي الله عنهن، فأذن أن يكون في مرضه ﷺ في بيتها، لا ينتقل منه ﷺ وبقي كذلك حتى توفي ﷺ وهو أقرب ما يكون إليها، قالت رضي الله عنها: (أنَّ رَسُولَ ﷺ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ يَقُولُ: " أَيْنَ أَنَا غَدًا؛ أَيْنَ أَنَا غَدًا " يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ! فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ، يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ، فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ اللهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي، وَخَالَطَ رِيقَهُ رِيقِي، ثُمَّ قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ يُسْتَنُّ بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ أَعْطِنِي هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْطَانِيهِ فَقَضَمْتُهُ ثُمَّ مَضَغْتُهُ فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى صَدْرِي)^(٣).

فالوقوف من مناقب أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أزواج النبي ﷺ أنه ما من أحد منهن رضي الله عنهن؛ إلا ولها خصائص شريفة، وميزات منيفة، ومواقف حافلة بالمكارم، لكن ذلك لا يصل إلى ما كانت عليه أم عبد الله الطاهرة الصديقة عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

(١) ابن القيم: جلاء الأفهام، ٢٤٠.

(٢) البخاري: الأدب المفرد، ح (٨٥٠) قال الألباني: صحيح.

(٣) صحيح البخاري: (٤٠٩٥) (٤٩١٩) (٤١٨٥) صحيح مسلم: فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، (٢٤٤٣).

ثانياً: محاولة نادر شاه وقفهم عن التعبد بشتم الصحابة ﷺ

أو ما يسمى بمؤتمر النجف (٢٦/ شوال، ١١٥٦هـ) كان أعداء الصحابة يدينون بالطعن والانتقاص من أصحاب رسول الله ﷺ وبما يثرونه من شتائم وشبهات على أخصر هذه الأمة، اشتد الخلاف بين الطوائف في دولة نادر شاه سنة (١١٥٦هـ) التي كانت تضم إيران وأفغانستان وتركستان والعراق وغيرها، فأقلقه ذلك، وعزم على إنهاء أسبابه، فأمر بعقد مؤتمر في النجف يوم ٢٦/١٠/١١٥٦هـ حضره العلماء: من العراق، وإيران، وتركستان، وأفغان، لبحث هذه الأمور التي فرقت بين المسلمين! حيث كفر بعضهم بعضاً، الأفغان وتركستان يكفرون الإيرانيين لأنهم يسبون الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ولأنهم يكفرون الصحابة! ويقولون بحل المتعة، ويفضلون علياً على أبي بكر رضي الله عنهما^(١) وما إلى ذلك من مسائل ابتدعها أعداء الصحابة لحرب الإسلام والمسلمين.

كان من أهداف ذلك المؤتمر وقف مبغضي الصحابة عن الاستمرار في التدين بمعتقدهم الآثم في شتم أصحاب رسول الله ﷺ ومحاولة تبصيرهم في سوء عواقب ما يدينون به من العداوة للخلفاء الراشدين وأمتهم، وكان ذلك برعاية الشاه المتشيع الغشوم نادر شاه، وبإشراف العالم السنّي النبيه الحضيف اللبيب عبد الله بن الحسين السويدي العباسي البغدادي، وكانت بغداد آنذاك غير خاضعة لهذا الطاغية، وكان من دروس ذلك المؤتمر التي لا تُنسى ولا تتغير أن أعداء الصحابة لا يُجدي معهم تقارب ولا تحاور، ذلك أتهم لا يرون هذه القيم إلا من جانب قدرتها على خدمة أهدافهم في التوسع ونشر الشك والفتن! فتقافة الكراهية والانتهازية التي يدينون بها ضد أمة الكتاب والسنة، منذ مقتل الفاروق وإلى هذه الساعة، أوصلتهم إلى حد لا يمكن معه أن يسمعوا أو يروا حقاً في عرض أو كرامة أو مقدس لهذه الأمة، في حال قوتهم وشوكتهم، وأما في حال ضعفهم، فإن معتقدتهم يبيح لهم أو يدعوهم؛ إلى أن غش السنة من أسباب دخول الجنة، فيتعاملوا معهم بما يشاؤون من حلاوة الكلام وروغان الثعلب، إلى أن يخترقوا مؤسساتهم،

(١) ينظر الخطيب: الخطوط العريضة، ٩٨.

ويمزقوا صفوفهم، ويخدعوا قياداتهم! وعندها ينسفون كل ما هو قائم من سلطان الأمة؛ ثم الهيمنة عليه إن استطاعوا، كما فعل ابن العلقمي في بغداد عام ٦٥٦هـ وجند برimmer عام ٢٠٠٣م وإبعاد كل ما هو من أمة السنة والجماعة عن أي موقع يخدم فيه أمته، إلا إذا كان ذلك ممن انسلخ عن دينه وهويته وسقط في ظلمة دهاليزهم! وأسهم معهم في تحطيم كيان الأمة، وشارك في بناء كياناتهم على ذلك الحطام! ولا توجد شواهد تخالف ذلك.

ومن هنا تأتي صرخات التجارب مع أعداء الصحابة منذرة محذرة، أنه لا ثقة ولا ميثاق ولا عهد لمن يرفض خلافة أبي بكر الصديق ﷺ ويطعن بأصحاب رسول الله ﷺ! وأن المتعاونين معهم الوثاقين بهم، إما أنهم من الغافلين ممن لا علم ولا تجربة! وإما أنهم من المنتفعين على حساب الأمة والعقيدة، وأتهم في كلا الحالين لا يزيدون عن كونهم أدوات ضد أمتهم، أو ضحايا لمكر أعداء الصحابة! فهذا ثابت صريح لكل من تعامل مع قتلة الخلفاء الراشدين، وأنه لا حل إلا بالتعامل مع هؤلاء على أساس موقفهم من الصحابة، فمن يرتاب من الصحابة ترتاب منه الأمة، ومن لا يثق بهم لا يوثق به، ومن يستبيحهم فهو مستباح، ومن يكفرهم فهو الكافر، قال تعالى: ﴿ وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: من الآية ١٩٤).

ومن يتب ويرجع إلى الكتاب والسنة فليقدم ما يؤكد ذلك علناً في جوانب حياته العملية التطبيقية، أما النظرية فقد ثبت بالتجارب أنها لا قيمة لها، فهم يعطون العهود والمواثيق ويقسمون الأيمان لكن لا وزن لها عندهم، لأن أمة الكتاب والسنة عندهم لا حرمة لها، وقد حذر من الثقة بهؤلاء المبغضين لأصحاب رسول الله ﷺ الأئمة الأعلام: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، وأبو زرعة، وأبو بكر بن العربي، وابن حزم، والغزالي، وابن الجوزي، وابن تيمية، والذهبي، وابن القيم، وابن كثير وسواهم كثير، ومؤتمر النجف دعا إليه نادر شاه بعد أن بلغ التوتر بين السنة والشيعة في مملكته مداها، وأعطى فيه الشيعة العهود والمواثيق مختارين، لكنهم لم يفو بشيء منها! كما ظهر ذلك في تفاصيل مؤتمر النجف الذي شهده عدد من

علماء أهل السنة الأفغان، وعدد كبير من علماء الشيعة في العراق وإيران، والحديث فيه مفصل في كتاب الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة، نورد منه هنا ما يرتبط بهذا البحث، وما يفيد القارئ حول قول النبي ﷺ لعلي ؑ: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى "، " وتزويج علي ؑ ابنته أم كلثوم لأمير المؤمنين عمر ؑ وبعض ما جرى في ذلك المؤتمر مما فيه تجربة وعبرة، ولا سيما حول عدم وفاء أعداء الصحابة لما يعطونه من عهود ومواثيق حتى لو كانت علانية على الملأ كما حصل في عهد نادر شاه.

- قال السويدي: فكان من علماء الشيعة الملا باشي، فخاطب هذا الملا؛ مفتي الأفغان الملا حمزة القنلنجاني، قائلاً: رأيت اليوم قاضي بخاري هادي خوجة ويُقال له بحر العلم! فقال الملا باشي: كيف يسوغ له أن يُلقب ببحر العلم؟ وهو لا يعرف من العلم شيئاً؟! فوالله لو سألته عن دليلين في خلافة علي ؑ لما استطاع أن يُجيب عنهما، بل ولا الفحول من أهل السنة، وكرر الكلام ثلاث مرات!!! فقلتُ له أي السيد عبد الله بن الحسين: وما هذان الدليلان اللذان لا جواب عنهما؟.

- قال الملا باشي: قبل تحرير البحث سألك: هل قول النبي ﷺ لعلي ؑ: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إ) ^(١) ثابت عندكم؟ قلت: نعم إنه حديث مشهور.

- فقال: هذا الحديث بمنطوقه ومفهومه يدل دلالة صريحة على أن الخليفة بالحق بعد النبي ﷺ علي بن أبي طالب ؑ فقال السيد السويدي: ما وجه الدليل من ذلك؟.

قال الملا باشي: حيث أثبت النبي ﷺ لعلي ؑ جميع منازل هارون ؑ ولم يستثن إلا النبوة، والاستثناء معيار المعلوم، فثبتت الخلافة لعلي ؑ لأنها من جملة منازل هارون، فإنه لو عاش هارون ؑ لكان خليفة عن موسى ؑ.

(١) صحيح البخاري: ح (٣٥٠٣). صحيح مسلم: فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ؑ (٢٤٠٤) وجاء في شرح الحديث: (بمنزلة هارون) نازلاً مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام في أخوة الدين والنسب وقيل إنه ؑ قاله له حين خرج إلى تبوك، وخلفه على أهله وعياله، وأمره أن يقيم فيهم، فكان كهارون حين خلفه موسى عليهما السلام على بني إسرائيل لما ذهب لميقات ربه

- فقلت: أي السويدي: صريح كلامك يدل على أن هذه القضية موجبة كلية، فما سور هذا الإيجاب الكلي؟ قال: الإضافة التي في الاستغراق بقريئة الاستثناء. فقلت: أولاً إن هذا الحديث غير نص جلي، وذلك لاختلاف المُحدثين فيه، فمن قائل إنه صحيح، ومن قائل إنه حسن، ومن قائل إنه ضعيف، حتى بالغ ابن الجوزي فادعى أنه موضوع، فكيف تثبتون به الخلافة وأنتم تشرطون النص الجلي؟.

فقال: نعم نقول بموجب ما ذكرت، وإنّ دليلنا ليس هذا، وإنما قول رسول الله ﷺ: "سلموا على علي بإمرة المؤمنين" وحديث الطائر، ولأنكم تدعون أنها موضوعان^(١) فكلامي في هذا الحديث "أي حديث موسى وهارون عليهما السلام" معكم لما لم تثبتوا أنتم الخلافة لعلي ﷺ به؟ - قلت أي السويدي: هذا الحديث لا يصلح أن يكون دليلاً من وجوه: منها أن الاستغراق ممنوع، إذ من جملة منازل هارون كونه نبياً مع موسى ﷺ وعلي ﷺ ليس بنبي باتفاق منا ومنكم، لا مع النبي ﷺ ولا بعده، فلو كانت المنازل الثابتة لهارون ﷺ ما عدا النبوة بعد النبي ﷺ ثابتة لعلي ﷺ لاقتضى أن يكون علي نبياً مع النبي ﷺ لأن النبوة معه لم تُستثن وهي من منازل هارون ﷺ كونه أختاً شقيقاً لموسى ﷺ وعلي ليس بأخ، والعام إذا تخصص بغير الاستثناء صارت دلالة ظنية، فليحمل الكلام على منزلة واحدة كما هو ظاهر التاء التي للوحدة، فتكون الإضافة للعهد وهو الأصل فيها.

"و" إلا " التي في الحديث بمعنى " لكن " كقولهم: فلان جواد إلا أنه جبان، أي لكنه، فرجعت القضية مهملة يراد منها بعض غير معين فيها وإنما نعيته من خارج، والمعين هو المنزلة

(١) حديث الطائر: عن أنس ﷺ قال: (كان عند النبي ﷺ طير فقال اللهم آتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي فأكل معه) سنن الترمذي: (٣٧٢١) قال الألباني: ضعيف. قال الهيثمي عن الأحاديث التي يحتج بها الرافضة: "هذه الأحاديث كذب باطلة موضوعة مفتراة عليه ﷺ ألا لعنة الله على الكاذبين... مطعون فيها بل كلهم مجمعون على أنها محض كذب وافتراء" وتقدم القول فيها تحت عنوان حديث الطائر، ينظر الصواعق المحرقة: ١٢٣/١. وينظر الإيجي: الموافق، ٦٠٣/٣.

المعهودة حين استخلف موسى هارون على بني إسرائيل، والدال على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ﴾ (الأعراف: من الآية ١٤٢) ومنزلة علي عليه السلام هي إستخلافه على الأهل والعيال يوم غزوة تبوك.

- فقال الملا باشى: والاستخلاف يدل على أنه أفضل وأنه الخليفة بعد.

فقلت: لو دلّ هذا على ما ذكرت لاقتضى أن عبد الله بن أم مكتوم عليه السلام خليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله: لأنه استخلفه على المدينة، واستخلف غيره، فلماذا خصصتم علياً عليه السلام بذلك دون غيره مع إشتراك الكل في الإستخلاف؟! وأيضاً لو كان هذا من باب الفضائل لما وجد علي عليه السلام في نفسه وقال للنبي صلى الله عليه وآله: (أتجعلني مع النساء والأطفال والضعفة) فقال النبي صلى الله عليه وآله: تطيباً لنفسه عليه السلام: " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى "

- فقال الملا باشى: قد ذكر في أصولكم أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قلت: إني لم

أجعل خصوص السبب دليلاً، وإنما هو قرينة تعيين ذلك البعض المهم. فانقطع...!

- قال الملا باشى: عندي دليل آخر لا يقبل التأويل، قوله تعالى: ﴿ فُكُلٌ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتِهَلْ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (آل عمران: من الآية ٦١).

- قلت: ما وجه الدلالة من هذه الآية؟ فقال الملا باشى: إنه لما أتى نصارى نجران للمباهلة احتضن النبي صلى الله عليه وآله الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة من ورائهم وعلي عليه السلام خلفها، ولم يقدم إلى الدعاء إلا الأفضل!.

- قلت: هذا من باب المناقب لا من باب الفضائل، وكل صحابي اختص بمنقبة لا توجد في غيره، كما لا يخفى على من تتبع كتب السير، وأيضاً إن القرآن نزل على أسلوب كلام العرب، وطرز محاوراتهم، ولو فرض أنّ كبيرين من عشيرتين وقع بينهما حرب وجدال، يقول أحدهما للآخر: أبرز أنت وخاصة عشيرتك وأبرز أنا وخاصة عشيرتي، فتقابل ولا يكون معنا من الأجنب

أحد، فهذا لا يدل على أنه لم يوجد مع الكبيرين أشجع من خاصتهما، وأيضاً الدعاء بحضور الأقراب يقتضي الخشوع المقتضي لسرعة الإجابة.

- فقال الملا باشى: ولا ينشأ الخشوع إذ ذاك إلا من كثرة المحبة.

- فقلت: هذه محبة مرجعها إلى الجبلة والطبيعة، كمحبة الإنسان نفسه وولده أكثر ممن هو أفضل منه ومن ولده بطبقات، فلا يقتضي وزراً ولا أجراً، إنما المحبة المحدودة التي تقتضي أحد الأمرين المتقدمين، إنما هي المحبة الاختيارية.

- فقال: وفيها وجه آخر يقتضي الأفضلية، حيث جعل نفسه ﷺ نفس علي إذ في قوله تعالى: " أبناءنا " يراد الحسن والحسين وفي " نساءنا " يراد فاطمة رضي الله عنها وفي " أنفسنا " لم يبق إلا علي والنبى ﷺ.

- فقلت: الله أعلم أنك لم تعرف الأصول، بل ولا اللغة العربية، كيف وقد عبر بـ أنفسنا والأنفس جمع قلة، مضافاً إلى " نا " الدالة على الجمع، ومقابلة الجمع بالجمع، تقتضي تقسيم الأحاد، كما في قولنا " ركب القوم دوابهم " أي ركب كل واحد دابته، وهذه مسألة مصرحة في الأصول، غاية الأمر أنه أطلق الجمع على ما فوق الواحد وهو مسموع كقول الله تعالى: " الْحَيَّاتُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيَّثُونَ لِلْحَيَّاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ " (النور: ٢٦) وقوله تعالى عن أمهات المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ (التحریم: من الآية ٤) ولم يكن لهما إلا قلبان، على أن أهل الميزان " أي علم المنطق " يطلقون الجمع في التعاريف على ما فوق الواحد، وكذلك أطلق الأبناء على الحسن والحسين، والنساء على فاطمة فقط مجازاً، نعم لو كان بدل أنفسنا بـ " نفسي " لربما كان له وجه ما بحسب الظاهر، وأيضاً لو كانت الآية دالة على خلافة علي ﷺ لدلت على خلافة الحسن والحسين وفاطمة ﷺ مع أنه بطريق الاشتراك، ولا قائل بذلك لأن الحسن والحسين رضي الله عنهما إذ ذاك كانا صغيرين، وفاطمة رضي الله عنها مفطومة كسائر النساء عن الولايات، فلم تكن الآية دالة على الخلافة في وجه من الوجوه. فانقطع الملا باشى.

- ثم قال: عندي دليل آخر وهو قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة: ٥٥) أجمع أهل التفسير على أنها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه على السائل وهو في الصلاة و"إنها" للحصر، و"الولي" بمعنى "الأولى منكم بالتصرف".

- فقلت: لهذه الآية عندي أجوبة كثيرة، وقبل أن أشرع في الأجوبة قال بعض الحاضرين من الشيعة، باللغة الفارسية، يخاطب الملا باشي بشيء معناه: اترك المباحثة مع هذا فإنه شيطان مجسم! وكلما زدت في الدلائل وأجابك عنها؛ انحطت منزلتك، فنظر إليّ الملا باشي وتبسم، وقال: إنك رجل فاضل تجيب عن هذه وعن غيرها، ولكن كلامي مع بحر العلم، وهو القاضي: هادي خوجة قاضي بخارى، فإنه لا يستطيع أن يجيب.

- أما جوابه فهو في آية الولاية وبراءة علي عليه السلام من أعداء الصحابة.

- فقلت: الذي كان في صدر كلامك أن فحول أهل السنة لا يستطيعون الجواب، فهذا الذي دعاني إلى المعارضة والمحاورة. فقال: أنا رجل أعجمي ولا أتقن العربية، فربما صدر مني لفظ غير مقصود لي....

- فقلت له: أريد أن أسألك عن مسألتين لا تستطيع أهل الشيعة الجواب عنها. فقال: وما هما؟

- قلت: الأولى: كيف حُكم الصحابة عليهم السلام عند الشيعة؟ فقال الملا باشي: ارتدوا حيث لم يبايعوا علياً عليه السلام على الخلافة (إلا خمسة: علياً والمقداد وأبا ذر وسلمان الفارسي وعمّار بن ياسر عليهم السلام!).

- قلت: إن كان الأمر كذلك فكيف زوج علي عليه السلام بنته أم كلثوم من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه السلام فقال: إنه مكره! - يقول ذلك فراراً من الإجابة التي تبطل ما يزعمون -

- قلت: والله إنكم اعتقدتم في علي عليه السلام منقصة لا يرضى بها أدنى العرب فضلاً عن بني هاشم الذين هم سادات العرب، وأكرمها أرومة، وأفضلها جرثومة، وأعلاها نسباً، وأعظمها مروءة وحمية، وأكثرها نعوتاً سنيّة، وإن أدنى العرب يبذل نفسه دون عرضه، ويُقتل دون حرمه، ولا تعز نفسه على حرمه وأهله، فكيف تثبتون لعلي عليه السلام وهو الشجاع الصنديد ليث بني غالب أسد

الله في المشارق والمغرب، مثل هذه المنقصة التي لا يرضى بها أجلاف العرب؟! بل كم رأينا من قاتل دون عياله فقتل!.

- فقال: يحتمل أن تكون زُفت إليه جنية (أي شيطانية) تصورت بصورة كلثوم رضي الله عنها؟
- قلت: هذا أشنع من الأول فكيف يُعقل مثل هذا؟! ولو فتحنا هذا الباب لانسدت جميع أبواب الشريعة حتى لو أن الرجل جاء إلى زوجته لاحتمل أن تقول: أنت جني تصورت بصورة زوجي، فتمنعه من الإتيان إليها إلا بشاهدين عدلين على أنه فلان؛ ولاحتمل أن يقال فيهما إنهما جنيان تصورا بصورة هذين العدلين وهلم جرا ... ويحتمل أن جنياً تصور بصورة جعفر الصادق، الذي تزعمون أن عبادتكم موافقة لمذهبه؛ جنياً تصور بصورته وألقى إليكم هذه الأحكام الثابتة!!.

- ثم قلت: ما حكم أفعال الخليفة الجائر؟ هل هي نافذة عند الشيعة؟ فقال: لا تصح ولا تنفذ.
فقلت: أنشدك الله من أي عشيرة أم محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب؟ فقال: من بني حنيفة، فقلت: من سبي بني حنيفة؟ فقال: لا أدري، وهو كاذب، فقال بعض الحاضرين من علمائهم: سباهم أبو بكر الصديق ﷺ ذلك أن بغض الرافضين لخلافة الصديق ﷺ قادمهم للدفاع عن المرتدين! ليطعنوا في صحة خلافته فقالون إنه ﷺ سبي المسلمين، ولكن زواج علي ﷺ من سباياهم أبطل حججهم، وفضح نواياهم، وجعلهم في صف المرتدين الذين حاربوا الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ وقتلوا أصحاب رسول الله ﷺ.

- فقلت: كيف ساغ لعلي ﷺ أن يأخذ جارية من السبي ويتولدها، والإمام في معتقدكم، لا تنفذ أحكامه لجوره، والاحتياط في الفروج أمر مقرر! فقال: لعله استوهبها من أهلها، يعني زوجته بها. قلت: يحتاج هذا إلى دليل، فلم يكن عنده دليل فانقطع والحمد لله.

- ثم قلت أي السويدي: إنما لم آتيك بحديث أو آية لأني مهما بالغت في صحة الحديث أقول رواه أهل الكتب الستة وغيرهم، فتقول: أنا لا أقول بصحتها، و لو أتيتك بآية وقلت: أجمع أهل

التفسير؛ لا يكون حجة علي وتذكر تأويلاً بعيداً، وتقول الدليل إذا تطرقه الاحتمال بطل به الاستدلال، فهذا الذي دعاني إلى ترك الإستدلال بالآية أو الحديث.
ثم إن نادر شاه أخبر بهذه المباحثة طبق ما وقع، فأمر أن يُجمع علماء إيران وعلماء الأفغان ويرفعوا المكفريات، وأكون ناظراً عليهم ووكيلاً عن الشاه، وشاهداً على الفرق الثلاث بما يتفقوا عليه، فخرجنا نشق الخيام والأفغان والأزبك والعجم يشيرون إليّ بالأصابع، وكان يوماً مشهوداً^(١).

من نتيجة المناظرة

انتهى المؤتمر بخضوع مراجع الشيعة لإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وإعلانهم ذلك على منبر الكوفة في خطبة الجمعة التي حضرها نادر شاه يوم (٢٦ / شوال، ١١٥٦ هـ) كما أورد ذلك علامة العراق السيد عبد الله بن الحسين السويدي العباسي الذي كان هو عماد ذلك المؤتمر^(٢) - لكن ما هو حالهم الآن؟ وأين وفاءهم لعهودهم ومواثيقهم؟. وانتهت المناظرة بالتالي:
- قال العالم السني الأفغاني هادي خوجة: لمرجع الشيعة الملا باشى: أنتم تكفرون بسبكم الشيخين رضي الله عنهما، قال الملا باشا: رفعنا سب الشيخين قال هادي خوجة: وتكفرون بتضليلكم الصحابة وتكفيركم إياهم!
- قال الملا باشى: الصحابة كلهم عدول رضي الله عنهم ورضوا عنه!
- قال هادي خوجة: وتقولون بحل المتعة!
- قال الملا باشى: هي حرام لا يقبلها إلا السفهاء منا!

(١) السيد محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة (ط، ١٠) ومؤتمر النجف في عهد نادر شاه، ٢٦/شوال، ١١٥٦ هـ، ص ٨٠-٩٠. وكان الذي أدار المؤتمر وأشرف عليه علمياً هو السيد الشريف عبد الله بن الحسين السويدي العباسي ١١٠٤ هـ-١١٧٤ وهو عالم ملم بالعلم، ينظر الخطوط العريضة: ٦٥. حكّمه الشاه نادر شاه على المؤتمر الذي عقد في النجف / ٢٦ شوال عام / ١١٥٦ هـ.

(٢) ينظر الخطيب: الخطوط العريضة، ٥٦.

- قال هادي خوجة: وتفضلون علياً على أبي بكر وتقولون إنه الخليفة الحق بعد النبي ﷺ - قال الملا باشى: أفضل الخلق بعد النبي ﷺ أبو بكر بن أبي قحافة فعمر بن الخطاب فعثمان بن عفان فعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً! وإن خلافتهم على هذا الترتيب الذي ذكرناه في تفضيلهم! (١). وذلك بعض ما دار في تلك المناظرة التي أثبتت أنه لا طائل يرتجى من الحوار مع أعداء الصحابة، لما في قلوبهم من غل على السنة وحملتها رضي الله عنهم، ولما في معتقدتهم في الكتاب والسنة من شك وريب لا يزول.

شروط أهل السنة

وكان من شروط أهل السنة في ذلك المؤتمر قول عالمهم بحر العلم:

- أشرط عليكم أن لا تحلوا محرماً معلوماً من الدين بالضرورة وحرمة مجمع عليها، ولا تحرموا حلالاً مجموراً عليه معلوماً حله بالضرورة.

- فقال باشى: قبلنا هذا الشرط ثم شرط عليهم بحر العلم شروطاً فقبلوها

- فقال الملا باشى، لبحر العلم: فإذا نحن التزمنا جميع ذلك تعدنا من الفرق الإسلامية؟

- فسكت بحر العلم ثم قال: إن سبّ الشيخين كفر، فقال الراضي: ألم نرفعه؟!.

- فقال بحر العلم فماذا رفعتم أيضاً؟ فذكر له ما رفعوه من الانتقاص والطعن بالصحابة، ثم قال الراضي: فهل تعدنا من الفرق الإسلامية؟ فقال بحر العلم: سب الشيخين كفر!.

- ومراد بحر العلم الأفغاني يرحمه الله أن من وقع منه سب الشيخين لا تقبل توبته على مذهب الحنفية، وأن هؤلاء الأعجام، وقع منهم السب أولاً فرفعهم السب في هذا الوقت لا ينفعهم شيئاً! (٢).

(١) محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة، ٩٣.

(٢) ينظر الخطيب: الخطوط العريضة، ٩٥.

وهم عند الأحناف كفار، ذكر السبكي أن مذهب أبي حنيفة وأحد الوجهين عند الشافعي، والظاهر من كلام الطحاوي في عقيدته كفر ساب أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذكر في كتاب الفتاوى أن سبّ الشيخين كفر؛ وكذا إنكار إمامتهما، وكان أبو يوسف صاحب أبي حنيفة قاضي قضاة بغداد في عصر هارون الرشيد، يقول: (لا أصلي خلف جهمي ولا رافضي ولا قدري) ^(١) وقال الشوكاني: (وقد جربنا وجرب من قبلنا، فلم يجدوا رافضياً ينتزه عن محرمات الدين كائناً ما كان، ولا تغتر بالطواهر) ^(٢). وهذا الموقف من بحر العلم يبين مدى نباهته وعميق معرفته بهؤلاء وهو وإن كان يعتقد بأن من وقع منه سب الشيخين لا تقبل توبته، إلا أنه يعلم أن من وقع منه ذلك لا يمكن الركون إليه أو الثقة به فهو لا عهد له ولا ميثاق، فإن كان ضعيفاً لجأ إلى المفاوضات والاتفاقيات ووافق الآخرين بما يرضيهم! ثم لا يبالي بكل ما أعلن الالتزام به، فإذا أصبح ذا شوكة وظف كل طاقاته وقوته لحرب أمة الكتاب السنة، وإن سنحت لهم فرصة التحالف مع أعداء الأمة من المحتلين، فأعداء الصحابة يعدون أنفسهم شركاء طبيعيين لهم، وجنوداً أوفياء لحرب أمة الكتاب والسنة، وكشف عوراتها واستباحة بيضتها، وهذا هو حالهم منذ أن غدروا بالفاروق عمر رضي الله عنه إلى هذا الساعة، وإلى قيام الساعة، لا يثق بهم إلا مغرور، ولا يتعاون معهم إلا تائه فاسد الولاء مذموم، لا مكانة للأمة في موازينه ولا قيمة لها في تدابيرها.

نهاية وعبرة

وبعد أن تمّ الاجتماع وحضرت جموع كثيرة من كلا الجانبين وبحثوا في تلك القضايا التي سجلها أهل السنة على الشيعة، وكان نادر شاه جاداً في تنفيذها، اتفق رأيهم على: إن الله اقتضت حكمته إرسال الرسل، فلم يزل يرسل رسولاً بعد رسول حتى جاءت نبوة نبينا محمد صلوات الله عليه ولما توفي وكان خاتم الأنبياء والمرسلين - اتفقت الأصحاب رضي الله عنهم على أفضلهم

(١) فتاوى السبكي الشافعي: ٢ / ٥٩٠.

(٢) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ٤ / ٧٣٣.

(٣) الشوكاني: طلب العلم: ٧٠.

وأخيرهم وأعلمهم أبي بكر الصديق ابن أبي قحافة رضي الله عنه، فأجمعوا وانفقوا على بيعته كلهم حتى علي بن أبي طالب عليه السلام بطوعه واختياره من غير جبر أو إكراه فتمت له البيعة والخلافة. وإجماع الصحابة رضي الله عنهم حجة قطعية، وقد مدحهم الله في كتابه المجيد فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وكانوا إذ ذاك سبعمائة صحابي، وكلهم حضروا بيعة الصديق عليه السلام ثم عهد أبو بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطاب عليه السلام فبايعه الصحابة كلهم عليهم السلام حتى علي ابن أبي طالب عليه السلام ثم اتفق رأيهم على عثمان بن عفان، ثم استشهد عثمان عليه السلام في الدار ولم يعهد، فبقيت الخلافة شاغرة، فاجتمع الصحابة في ذلك العصر على علي بن أبي طالب عليه السلام وكان هؤلاء الأربعة في مكان واحد، وفي عصر واحد، ولم يقع بينهم تشاجر ولا تحاصم ولا نزاع، بل كان كل منهم يجب الآخر ويمدحه ويثني عليه، حتى إن علياً رضي الله عنه سئل عن الشيخين فقال: هما إمامان عدلان قاسطان، كانا على حق وماتا على حق، فاعلموا... أن فضلهم وخلافتهم على هذا الترتيب، فمن سبهم وانتقصهم فماله وولده وعياله ودمه حلال للشاه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وقد سجلت - السويدي - وقائع هذا المؤتمر ومناقشاته والملابسات التي صحبتته في رسالة صغيرة بعنوان (مؤتمر النجف) وقد ضمت تلك الرسالة تفصيلات أخرى فيما دار من حوار بين الإيرانيين وعلماؤهم الأفغان، لا نرى ضرورة لتسجيلها هنا، بل اقتصرنا على ذكر الخلاصة التي انتهى إليها المؤتمر، والتي تعتبر بمثابة توصية عامة يلتزم بها الجميع من أهل السنة والشيعة، وفيها النص على ترك كل ما يثير الخلاف والفرقة بين المسلمين، ولو التزم الشيعة بعد ذلك بهذه الوثيقة لاجتمع أمر المسلمين على كلمة سواء، ولكن الشيعة لم يلتزموا بهذا الاتفاق بل كانوا يراوغون ويخادعون^(١) وسيبقون على ذلك وفي هذا من العبر التي تسقط تحرصات المفرطين بعقيدة الأمة ووحدتها وأمنها باسم التقريب المخادع الذي ينشر الشك ويحمل الردة، ويدعو للصلمت على ذلك باسم البعد عن الفتنة! التي هو عين الفتنة ومرادها وثمرتها!.

(١) ينظر الخطيب: الخطوط العريضة، ٩٨.

العبرة: أنّ من يبغض الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ولا يفي لهما ويواليهما، فإنه لن يحب مسلماً محباً للكتاب والسنة، ذلك هو دينهم ومعتقدهم الذي تعلموه وتربوا عليه عملياً في المناسبات التي يقيمونها، والطقوس التي لا تفتقر عندهم طيلة العام وكل تلك المناسبات مقرونة بالطعن بالصحابة وسنة نبيهم ﷺ!.

فإن اضطروا إلى موقف يغيّر معتقدتهم ويناقضه، فإن معتقدتهم يمدّهم بالتقية التي تصلح للتحايل على الحكام والمحكومين! وتبيح لهم إعطاء الأيمان المغلظة، ثم العمل بعكسها دون حرج أو تردد، ولا سيما إذا كان الأمر يختص بأمة الكتاب والسنة، فإن كل شيء لهم مستباح، يؤكد ذلك أن من وقع على وثيقة نادر شاه، سرعان ما نقض ذلك في التنفيذ، فغمز ولمز في خطبته بعمر الفاروق ﷺ ثم صلى الجمعة على هيئة لا توافق ما هو معروف عن صلاة النبي ﷺ وأصحابه في صلاة الجمعة لما أضاف وحذف^(١).

ولهذا أصبح من المعلوم اليّين لدى الأمة، أنّ أعداء الصحابة صنعوا معتقدتهم وثقافتهم، على حب الإيذاء وبكل وسيلة! لكل أبناء أمة الكتاب والسنة، وأن إيضار العداء والكراهية، صفة من صفاتهم، وبنوا كل ذلك على الغدر والخيانة والمكر والخديعة، حتى أصبح هذا من أعمالهم المعروفة عنهم، واتخاذ ذلك الأذى قربة لهم عند معبودهم.

قال شيخ الإسلام: "وأما الرافضي فلا يعاشر أحداً إلا استعمل معه النفاق؛ فإن دينه الذي في قلبه دين فاسد يحمل على الكذب والخيانة، وغش الناس، وإرادة السوء بهم، فهو لا يألوهم خبالاً ولا يترك شراً يقدر عليه إلا فعله بهم، وهو ممقوت عند من لا يعرفه، وإن لم يعرف أنه رافضي تظهر على وجهه سيما النفاق وفي لحن القول، ولهذا تجده ينافق ضعفاء الناس ومن لا حاجة به إليه، لما في قلبه من النفاق الذي يضعف قلبه"^(٢)

(١) ينظر محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة، ١٠٤.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة، ٣/ ٢٦٠.

وقال الشيخ الشوكاني من خلال معاشته لهم مؤكداً أنه " لا أمانة لرافضي قط على من يخالفه في مذهبه ويدين بغير الرفض، بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له، لأنه عنده مباح الدم والمال، وكل ما يظهره من المودة فهو تقية يذهب أثره بمجرد إمكان الفرصة، قال: وقد جربنا هذا تجريباً كثيراً، فلم نجد رافضياً يخلص المودة لغير رافضي، وإن أثره بجميع ما يملكه، وكان له بمنزلة الخول، وتودد إليه بكل ممكن، ولم نجد في مذهب من المذاهب المبتدعة ولا غيرها، ما نجده عند هؤلاء من العداوة لمن خالفهم، ثم لم نجد عند أحد ما نجد عندهم من التجري - الجرأة - على شتم الأعراس المحترمة، فإنه يلعن أقبح اللعن، ويسب أفظع السب كل من تجري بينه وبينه أدنى خصومة وأحقر جدال، وأقل اختلاف، ولعل سبب هذا والله أعلم، أنهم لما تجرؤوا على سب السلف الصالح! هان عليهم سب من عداهم، ولا جرم، فكل شديد ذنب يهون ما دونه"^(١).

وذكر الشوكاني يرحمه الله بعض الأمثلة العملية التي تؤكد كل ما قاله، وكيف لا يكونون كذلك؛ ودينهم قائم على إباحة الغدر والاعتيال وكل موبقة؛ ما لم يجلب ذلك ضرراً على من يقوم به من أعداء الصحابة، قال دواد بن فرقد: قلت لأبي عبد الله: ما تقول في قتل الناصب؟ فقال: "حلال الدم، ولكن أتقي عليك فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً، أو تغرقه في ماء، لكيلا يشهد به عليك فافعل!"^(٢).

وقد صدق ابن تيمية والشوكاني يرحمهما الله ومحضاً أمة الكتاب والسنة خالص النصح، مما يؤكد على كل مسلم، أن يجعل هذه النصائح أساساً عملياً في تعامله مع أعداء الصحابة وبكل أصنافهم، ومن خالف دفع الثمن باهضاً من كل ما ذكره الشيخان، وفي كل فرصة أتيح لهم فيها النيل ممن لا يتعلم من غيره، ولعل هذا العصر لم يبق فيه ما هو خفي فقد اتضحت المسارات

(١) الشوكاني: طلب العلم: ٧٠.

(٢) ابن بابويه: علل الشرائع، ٢٠٠، الحر العاملي: وسائل الشيعة، ٤٦٣/١٨، المجلسي: بحار الأنوار، ٢٧/٢٣١.

وبانت حقيقة العقائد، ولن يتوقف الأمر عند من دفع الثمن، وربما البعض لا يتعلم من هذه النصيحة شيئاً! ولا مما أصابه من البلاء على أيديهم، ولعل آخرين لا زالوا يسخرون ممن يحذرهم من زحف هذا الشرّ الأسود المتجدد المتمدد، الذي لا يسلم منه إلا من احتاط له، واتهم كل من يسلمه فضلاً عمّن يواؤه ويتعاون معه ويزين باطله، ولو علم هؤلاء الساخرون أنهم بمواقفهم هذه يكونون من أكثر الناس عوناً ونصرة لأعداء الصحابة، ذلك أنهم طابور متترس في قلب الأمة، يتسمى باسم السنة ولا يعنيه شيء من أمرها، ولا من أمر أئمتها ولا حال أبنائها!! ومن هنا يتأكد أنّ الثقة لا تمنح إلا لمن أثبت حبه لأصحاب رسول الله ﷺ وبراءته من مبغضهم أياً كانوا ومن كانوا، ومن لا يكن كذلك فهو لا ولاية له بين المؤمنين ولا يركن إليه، حتى يوالي من وإلى الصحابة ﷺ ويبغض من أبغضهم.

من قال: في مذهب جعفر الصادق تقيّة فهو مفتر عليه!

قال الشيخ السويدي: وتذاكرنا في خصوص مذهب الجعفرية المنسوب إلى جعفر الصادق، فقلت: المذهب الذي تتعبدون عليه باطل لا يرجع إلى اجتهاد مجتهد، فقال: هذا هو اجتهاد جعفر الصادق.

- فقلت: ليس لجعفر فيه شيء وأنتم لا تعرفون مذهب جعفر الصادق! فإن قلتم إن في مذهب جعفر الصادق تقيّة! فلا أنتم ولا غيركم يعرف مذهبه، لاحتمال أن تكون كل مسألة تقيّة، فإنّه بلغني عنكم أن له في البئر إذا وقعت فيها نجاسة ثلاثة أقوال: أحدها أنه سئل عنها فقال: هي بحر لا ينجسه شيء، ثانيها: أنها تنزع كلها، ثالثها: ينزع منها سبعة دلاء أو ستة، فقلت: لبعض علمائكم كيف تصنعون بهذه الأقوال الثلاثة؟ فقال: مذهبنا أن الإنسان إذا ماكانت له أهلية الاجتهاد، يجتهد في أقوال جعفر الصادق، فيصحح واحداً منها، فقلت: وماذا يقول في الباقي؟ قال: يقول: إنها تقيّة، فقلت: إذا اجتهد واحد فصحح غير هذا القول، فما يقول في القول الذي صححه المجتهد الأول؟ فقال: يقول: إنها تقيّة! فقلت: إذن ضاع مذهب جعفر الصادق! إذ كل

مسألة تنسب له ستحمل أن تكون تقيّة، إذاً لا علاقة تميز بين ما هو للتقية وبين غيره، فانقطع ذلك العالم فما جوابك أنت؟ فانقطع هو أيضاً! ثم قلت له: فإن قلت ليس في مذهب جعفر الصادق تقيّة! فهو ليس المذهب الذي أنتم عليه، لأنكم كلكم تقولون بالتقية، فانقطع الملا باشي، ثم ذكرت له دلائل غير هذا تدل على أنّ الذي في أيديهم ليس بمذهب جعفر الصادق^(١) وكل ذلك مفصل في الخطوط العريضة.

فإذا تابع القارئ هذه المحاوره مع ما قبلها من حوارات دينية وسياسية يجد أنّ القوم لا يبحثون عن حقيقة يجملونها، وإنما يعملون على تأصيل معتقداتهم ونشرها بين الناس، وانتهاز أي فرصة لتوظيفها في خدمة تلك المخططات التي تعمل في نهاية المطاف إلى مواجهة عقيدة الكتاب والسنة، وتشكيك الناس بأمانة من حملها من أصحاب رسول الله ﷺ ثم تأصيل تلك الشكوك ببثها ونشرها وتجميلها، لتتناسب مع مقاصدهم الباطنية وأهدافهم التدميرية، لكل ما يمت إلى عقيدة السنة والجماعة، ثم الانقضاض على سير الصحابة تزييفاً وبهتاناً، وإعادة إخراج ذلك مع ما يتوافق مع كل حال سياسية وعسكرية يمرون بها، فإذا واجهوا ضغطاً فإن أول أسلحتهم التي يستعملونها هي مدهانة الحكام والتودد إليهم والتظاهر بالتعاون معهم والحرص على ملكهم، وعلى تنفيذ أوامرهم، كما فعلوا ذلك مع نادر شاه، وهذا ما يفعلونه في هذا العصر على أوسع نطاق، حتى إذا زالت عنهم المتابعة والمراقبة، جعلوا عهودهم ومواثيقهم وراء ظهورهم، وانطلقوا إلى أهدافهم التي لا أهداف لهم غيرها، وهي الحرب الشاملة على أمة الكتاب والسنة حكماً ومحكومين، ومعتقداً وتراثاً ودماء، وكل هذا يصرخ في أسماع العلماء والحكام والشعوب المسلمة، أن تنهوا وانظروا ما حولكم إلى بلاد تنهاوى على أيدي هؤلاء، وعباد يساقطون تائبين في أحضانهم، حتى تحولت حال أعداء الصحابة من منظمات سرية ومليشيات طائفية، إلى دول ترفض كل ما يمت إلى السنة والجماعة وتحاربه، وتتخذ من سياساتها الفكرية والاقتصادية والدعوية وغيرها، الكيد والمكر بهذه الأمة، فلا أحد في مأمن والكل مسؤول، ولا عذر

(١) ينظر الخطيب: الخطوط العريضة، ١٠٧.

للمتشاحنين، ولا ثقة بالمتعاونين مع أعداء الصحابة الواصلين بهم، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

الفصل الرابع

الموقف من الخلافة بعد النبي ﷺ
وشبهة الوصية لعلي رضي الله عنه

المبحث الأول

شبهاتهم حول استخلاف علي عليه السلام على المدينة في غزوة تبوك وقول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ”

ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى عليه السلام“

وبيعة علي عليه السلام لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

شبهاتهم حول استخلاف علي عليه السلام على المدينة في غزوة تبوك

كان النبي صلى الله عليه وآله إذا سافر عن المدينة، استخلف من يستخلفه يصلي بالناس، حين كانت الصلاة أهم ما في دولة المسلمين، ومن أجلها كانوا يسالمون ويعادون، ولم تكن هناك ميزات خاصة تميز من يستخلفهم النبي صلى الله عليه وآله عن بقية إخوانهم رضي الله عنهم وكثيراً ما كان يستخلف عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه وهو ضرير ولم يكن لذلك أي أثر عند الناس فلم نسمع بمن اعترض أو حاول استبداله بغيره مما يعني أن هذه المسألة لم يكن لها تلك الأهمية، بل إن استقراء المواقف من ذلك الاستخلاف يبين أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على الخروج في سبيل الله مع النبي صلى الله عليه وآله ويفضلون ذلك على البقاء في المدينة. وقد استخلف النبي صلى الله عليه وآله:

- السائب بن عثمان بن مظعون، في غزوة بواط في السنة الثانية^(١).

- وعبد الله ويقال عمرو بن أم مكتوم رضي الله عنه من بني عامر بن لؤي القرشي؛ على الصلاة بالناس في المدينة في غزوة بدر الكبرى، وردّ أبو لبابة بن عبد المنذر من الروحاء، واستعمله على المدينة^(٢).

- واستخلف عبد الله بن أم مكتوم العامري رضي الله عنه في غزوة بني لحيان^(٣) وفي غزوة الفرع من بحران، وهي قرية من نواحي المدينة^(٤) واستعمله النبي صلى الله عليه وآله على الصلاة بالناس يوم أحد^(٥) واستعمله صلى الله عليه وآله

(١) ابن هشام السيرة النبوية، ٢/ ١٩٢، طبعة دار الفجر. وبواط: جبل من جبال جهينة جهة رضوى وكان النبي صلى الله عليه وآله يريد قريشاً.

(٢) ابن هشام السيرة النبوية، ٢/ ٢٠٤، طبعة دار الفجر.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ٢/ ٧٢، ابن هشام السيرة النبوية، ٣/ ١٧٦.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٤، ابن هشام السيرة النبوية، ٣/ ٥.

على المدينة يوم بني النضير^(١) واستخلفه ﷺ يوم غزوة الخندق^(٢) واستعمله النبي ﷺ على الصلاة يوم غزوة بني قريظة^(٣).

- وعاصم بن عدي بن الجند بن عجلان على العالية منطقة قباء، وكان ﷺ خرج مع رسول الله ﷺ الى بدر، فرده النبي ﷺ واستخلفه على العالية، وضرب له بسهمه وأجره مع أصحاب بدر^(٤).
- وفي بدر الآخرة أو بدر الموعد في السنة الرابعة استخلف النبي ﷺ على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري ﷺ^(٥) ويقال عبد الله بن رواحة ﷺ^(٦).
- واستخلف النبي ﷺ عثمان بن عفان ﷺ في غزوة ذي أمر، التي أراد بها النبي ﷺ غطفان في نجد^(٧).

- وفي غزوة العشيرة استخلف ﷺ أبا سلمة بن عبد الأسد ﷺ وفي غزوة الأبواء سعد بن عبادة ﷺ، واستخلف ﷺ عثمان بن عفان ﷺ في غزوة ذات الرقاع، وفي غزوة غطفان التي يقال لها: غزوة أنمار، واستخلف زيد بن حارثة ﷺ في غزوة المريسيع، واستخلف أبا لبابة بن عبد المنذر ﷺ في غزوة بني قينقاع وغزوة السويق^(٨).

- واستخلف ﷺ سباع بن عرفطة بن عمرو الغفاري ﷺ في غزوة دومة الجندل مدة غيابه ﷺ الذي دام خمسة وعشرين يوماً، وذلك في بداية السنة الخامسة للهجرة^(٩).

(١) ابن هشام السيرة النبوية، ١٨/٣ .

(٢) السيرة النبوية: ١١٤ / ٢ ، طبعة دار الفجر .

(٣) ابن هشام السيرة النبوية، ١٣٥ / ٢ .

(٤) ابن هشام السيرة النبوية، ١٤٥ / ٢ .

(٥) الطبراني: المعجم الكبير، حر (٥٤٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٤٦٦ / ٣ .

(٦) ابن هشام السيرة النبوية، ١٢٧ / ٢ ، طبعة دار الفجر .

(٧) ابن هشام السيرة النبوية، ١٢٧ / ٢ ، طبعة دار الفجر .

(٨) ابن تيمية: منهاج السنة، ٢٧٢ / ٤ .

(٩) ابن تيمية: منهاج السنة، ٢٧٢ / ٤ . السيرة النبوية، ١٢٢ / ٢ ، ١٩٣ / ٢ ، قال: والعشيرة ماء من بطن ينبع .

(١٠) مهاجرة الحجاز: ٢٢٧ . المغازي، ٤٠٤ / ١ . الطبقات، ٦٢ / ٢ . وقال ابن هشام: في السنة الرابعة، ١٢٩ / ٢ .

- واستخلف على المدينة جندب بن جنادة أبا ذر الغفاري رضي الله عنه في غزوة بني المصطلق التي دامت مدتها حوالي ثمانية وعشرين يوماً^(١) ويقال: استخلف النبي صلى الله عليه وسلم نميلة بن عبد الله الليثي رضي الله عنه^(٢).

- واستخلف على المدينة في غزوة الحديبية نميلة بن عبد الله الليثي سنة ست^(٣).

- وفي عمرة القضية التي كانت بعد صلح الحديبية، وقبل فتح مكة، استخلف النبي صلى الله عليه وسلم المدينة عوف بن الأضبط الديلي رضي الله عنه^(٤).

- وفي غزوة خيبر استخلف سباع بن عرفطة الغفاري رضي الله عنه سنة سبع من الهجرة^(٥) ويقال استخلف النبي صلى الله عليه وسلم نميلة بن عبد الله الليثي^(٦).

- وفي غزوة فتح مكة في سنة ثمان من الهجرة، استخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين عتبة الغفاري رضي الله عنه وكذلك في غزوة حنين وفي حصار الطائف وأبو رهم هو المستخلف على المدينة في أطول فترة يقضيها مستخلف لرسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة وذلك منذ أن غادر المدينة باتجاه مكة في شهر رمضان من سنة ثمان للهجرة، حتى عاد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لست ليال بقين من شهر ذي القعدة من السنة الثامنة للهجرة، ولعل هذه منقبة اختص بها هذا الصحابي رضي الله عنه وهي أطول فترة يقضيها مستخلفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في حال غيابه صلى الله عليه وسلم^(٧).

- وكما استخلف على مكة بعد فتحها عتاب بن أسيد رضي الله عنه ورزقه في كل يوم درهماً، فقام عتاب فخطب الناس فقال: أيها الناس، أجاج الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهماً كل يوم، فليس بي حاجة إلى أحد^(٨)

(١) الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٢٨. الواقدي: المغازي، ١/٤٠٤. ابن سعد: الطبقات، ٢/٦٣.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/١٨٥.

(٣) ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، ١/٥٦. ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/١٩٨.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٤. طبعة دار الفجر للتراث.

(٥) الواقدي: المغازي، ٢/٦٣٦. ابن سعد: الطبقات، ٢/١٠٦. الخليفة: مهاجرة الحجاز: ٢٢٩.

(٦) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢١٥. طبعة دار الفجر للتراث.

(٧) مهاجرة الحجاز: ٢٢٩. ابن هشام: ، ٤/٢٤. ابن خياط: تاريخ خليفة، ١/٧٢. الطبري: تاريخ، ٣/٧٠.

(٨) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/٩٦. طبعة دار الفجر للتراث.

- وكما استخلف في غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه وقيل سباع بن عرفطة الغفاري، في حين استخلف على الأهل والعيال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره بالإقامة فيهم في غزوة تبوك^(١) وقد جاءت الروايات في هذه المسألة مفصلة لا لبس فيها ولا غموض، فلا يستطيع أعداء الصحابة؛ أن يلبسوا على أحد من العقلاء في ذلك الاستخلاف، فذاك علي رضي الله عنه لا يرغب في التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله مثل بقية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في حرصهم على الجهاد في سبيل الله بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل إنه يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم باكياً قائلاً: أتخلفني في المدينة مع الأهل والعيال؟! كما جاء ذلك في كتب الحديث موثقاً ومفصلاً:

- قال علي رضي الله عنه لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغزو غزاة له: " دعا جعفرأ فأمره أن يتخلف على المدينة. فقال: لا أتخلف بعدك يا رسول الله أبداً. قال: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزم علي لما تخلفت قبل أن أتكلم قال رضي الله عنه: فبكيت "^(٢) فلم يكن عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ومن التضحية والجهاد بين يديه صلى الله عليه وسلم فهذا جعفر رضي الله عنه يجزم بأن لا يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج صلى الله عليه وسلم مجاهداً، وهذا علي رضي الله عنه لما يلزم بذلك لا يجد سوى البكاء يعبر به عن صعوبة التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لو كان ذلك بأمره صلى الله عليه وسلم.

- وفي غزوة تبوك " خرج علي رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى جاء ثنية الوداع، وعلي رضي الله عنه يبكي يقول: تخلفني مع الخوالم؟! فقال صلى الله عليه وسلم: أوما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا النبوة"^(٣).

(١) الخليفة: مهاجرة الحجاز: ٢٣٠. ابن سعد: الطبقات، ٢/ ١٦٢. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٥١٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٥١٩، وطبعة دار الفجر: ٤/ ١٠٥، ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ٣/ ٥٢٩. مهاجرة الحجاز، ٢٣٢.

(٣) الحاكم: المستدرک، ح (٣٢٩٤).

(٤) ابن حنبل: المسند، ح (١٤٦٦).

- وخلف النبي ﷺ علياً ﷺ بالمدينة في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله أتخلفني في الخالفة في النساء والصبيان؟! فقال ﷺ: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فأدبر علي مسرعاً كأنني أنظر إلى غبار قدميه يسطع"^(١)

- وخرج ﷺ إلى تبوك، واستخلف علياً ﷺ فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه ليس نبي بعدي"^(٢).

- ولما غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك خلف علياً ﷺ بالمدينة، فقال المنافقون فيه: مله وكره صحبته فنبع علي ﷺ النبي ﷺ حتى لحقه بالطريق، فقال: يا رسول الله خلفتني بالمدينة مع الذراري و النساء؟! حتى قالوا: مله وكره صحبته!! فقال له النبي ﷺ: يا علي، إنما خلفتك على أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟! غير أنه لا نبي بعدي؟"^(٣)

ولما كان أعداء الصحابة يبحثون عن أي لفظة أو موقف أو شبهة ليعتقدوها، ويدنوا بها فيزدادوا بغضاً للصحابة والتابعين ومن تبعهم، فإنهم تمسكوا بهذه الشبهة التي لا شبهة فيها لا في اللفظ ولا في المعنى، وهذا الحديث لا يصلح أن يكون دليلاً في باب الخلافة، إذ المقصود من هذا التشبيه تطييب خاطر علي ﷺ بعد ما قال المنافقون أن النبي ﷺ مله وكره صحبته حين خلفه على العيال، ووضح الفرق بين مقام علي ﷺ ومقام هارون عليه السلام فمن منازل هارون أنه كان نبياً مع موسى ﷺ وعلي ﷺ ليس بنبي لا مع النبي ﷺ ولا بعده، ومن جملة منازل هارون ﷺ أنه أخ شقيق لموسى ﷺ وعلي ﷺ ليس بأخ لرسول الله ﷺ ولو كان كل من يخلف النبي ﷺ يكون خليفة له لوجب أن يكون الصحابة الذين سبق ذكرهم ﷺ في خلافة النبي ﷺ على المدينة أولى بالخلافة من علي ﷺ لأن النبي ﷺ استخلفهم على المدينة قبله"^(٤).

(١) ابن حنبل: المسند، ح (١٤٩٣).

(٢) صحيح البخاري: ك. المغازي، باب غزوة تبوك، ح (٤١٥٤). مسلم: ك. الفضائل، باب فضائل علي ﷺ ح (٢٤٠٤).

(٣) النسائي: السنن الكبرى، ح (٨١٣٨)

(٤) ينظر محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة، ٨٠ فما بعدها.

فلو كان هذا الاستخلاف يدل على خصوصية في علي عليه السلام لم يجز استخلاف أحد غيره، وذلك من أجل أن يفهم الناس أن علياً عليه السلام هو الإمام دون غيره وجوباً، وهذا ما لم يقل به علي عليه السلام ولا غيره من الصحابة عليهم السلام.

والنبي صلى الله عليه وآله لم يقل لأحد ممن استخلفه على المدينة؛ أنه منه بمنزلة هارون من موسى، وسبب ذلك أن كل من استخلفه النبي صلى الله عليه وآله لم يظن أن في استخلافه نوع نقص، ولم يقل له المنافقون ما قالوه لعلي عليه السلام فلم يحتج أحد منهم أن يقول له النبي صلى الله عليه وآله مثلما قال لعلي عليه السلام فيكون من معنى الحديث: أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام، فكما أن موسى عليه السلام استخلف هارون عليه السلام في حياته، فكذلك أنا أستخلفك في حياتي، وإن كان المقصود من ذلك الإمامة بعد النبي فقد القائل بهذا الجهل على النبي صلى الله عليه وآله ونسب إليه الجهل حاشاه عليه السلام وأنه خفي عليه صلى الله عليه وآله أن هرون مات قبل موسى، وأن الخليفة بعد موسى هو يوشع بن نون عليه السلام الذي قاد بني إسرائيل بعد وفاة نبي الله موسى عليه السلام ^(١).

فإذا عرف القارئ الكريم مقاصد هذه الولاية في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله تبين له ما عليه المخالفون من الإفك والتضليل والبهتان، فهم يبنون ما يزعمون أنه إمامة على أحاديث لم يختص بها علي عليه السلام من دون الصحابة عليهم السلام بل فيهم من وُلِّي على المدينة مرات متعددة، فأمضى الأيام وأحياناً الشهور مستخلفاً ووالياً، فلم يزعم أحد أنه هو صاحب الولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فما بال أعداء الصحابة يزعمون ذلك لعلي عليه السلام ولم يثبت أنه استُخلف على المدينة عليه السلام فهم يقولون أن النبي صلى الله عليه وآله استخلفه في غزوة تبوك مما يعني أنه هو الإمام وهذا منتهى التضليل كما اتضح في هذه الأمثلة، إذ أن المتابع لحركة رسول الله صلى الله عليه وآله في عصر الرسالة لا يستطيع أن يثبت أن علياً عليه السلام استُخلف على المدينة في غزوة من الغزوات!!

(١) ينظر صحيح البخاري: ح (٤٤٥٠) صحيح مسلم: ح (٢٣٨٠) المستدرک: ح (٤١١١) مسند أحمد: ح (٢١١٥٧).

في حين استخلف ﷺ من الصحابه من هم دون مرتبة علي ﷺ وأنه لم يستخلف علياً ﷺ على المدينة في غزوة تبوك كما يزعمون، وإنما استخلفه على أهله وعياله كونه أحد أبناء تلك الأسرة كما يستخلف أي رجل أحد أبناء أسرته في أهله لرعايتهم وقضاء حوائجهم فأبي ولاية في هذا؟ ولا سيما أن علياً ﷺ عدّ ذلك مما يُعيبه وعدّ ذلك تخلفاً عن الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، وهذا ما تحدث به المنافقون أيضاً، وهذا ما أبكى علياً ﷺ حتى استرضاه النبي ﷺ في قوله له " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى " أي حين استخلفه في أهله وقومه حتى رجع من سفره على الرغم من أن هارون ﷺ لم يستطع أن يحفظ الأمر الذي كُلف به حين تمرد عليه السامري فأضل بني إسرائيل، قال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ (طه: ٨٥) مما عرّض هارون إلى غضب موسى عليها السلام حتى لامه وأخذ برأسه ولحيته، مما اضطر هارون ﷺ إلى الاعتذار وطلب الصفح من موسى ﷺ وتسويغ موقفه من السامري بخوفه من تفريق بني إسرائيل، قال تعالى على لسان هارون لأخيه موسى ﷺ: ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (طه: ٩٤).

وإذا عُرف كل هذا واتضح أن رسول الله ﷺ لم يستخلف في حال غيبته من غير سفر وفي مرضه في المدينة؛ إلا أبا بكر الصديق ﷺ لا علياً ﷺ ولا غيره، عُلم زيف دعاوى المخالفين وضلالهم وتحريفهم للأحداث، وبهتانهم على رسول الله ﷺ وسقطت جميع حججهم بما يسمونه الإمامة وأحقية علي ﷺ بها من دون الصحابة، كما يتضح في ذلك جهل من يزعم أنه من أهل السنة بعد الاطلاع على هذه الأحاديث، ثم يردد الشبهات والبهتان لإبطال الدين وتغيير مسار الأمة إلى غير الوجهة التي قادها عليها أئمتها المتمسكون بسنة رسول الله ﷺ.

ومثلما ثبت أن النبي ﷺ استخلف علياً ﷺ في غزوة تبوك بالأهل والعيال، فإن استخلافه ﷺ للصديق ﷺ في الصلاة متواتر ثابت، فصلّى بهم أبو بكر ﷺ في حياة رسول الله ﷺ بعد مراجعة

عائشة رضي الله عنها له ﷺ ثلاث مرات بأن يصرف ذلك عن أبيها^(١) فصلّى بهم ﷺ في حياة النبي ﷺ في مرضه إلى أن توفي ﷺ وهذا مما اتفق عليه العلماء بالنقل، فإنّ النبي ﷺ مرض أياماً متعددة، حتى قبضه الله إليه.

وفي تلك الأيام لم يكن يُصليّ بهم إلا أبو بكر ﷺ وحجرة رسول الله ﷺ إلى جانب المسجد، فيمتنع والحال هذه أن يكون قد أمر غيره بالصلاة وصلّى أبو بكر ﷺ بغير أمره ﷺ تلك المدة كما يفترى ذلك الذين في قلوبهم مرض ممن امتهنوا البهتان على خيار هذه الأمة، فكيف يصلي بالأمة خليفة رسول الله كل تلك المدة التي مرض فيها رسول الله ﷺ ولم يراجعه ﷺ أحد في ذلك، والعباس وعلي رضي الله عنهما وغيرهما، كانوا يدخلون عليه بيته، وقد خرج بينهما في بعض تلك الأيام إلى المسجد وهو مريض ﷺ وقد روي أن ابتداء مرضه كان يوم الخميس، وتوفي ﷺ بلا خلاف يوم الاثنين من الأسبوع الثاني فكانت مدة مرضه فيما قيل اثني عشر يوماً؛ وفي كل ذلك لم يسمع أحد إلا الإقرار لإمامة أبي بكر ﷺ والرضا بها وسرور رسول الله ﷺ بذلك.

فأعداء الصحابة يردون صحيح الكتاب والسنة بالتكذيب والتأويل، فلا قيمة علمية ولا شرعية لمواقفهم من الكتاب والسنة ولا من الصحابة ﷺ ولكن ما هو موقف من يثق بهم ممن يزعم أنه من أهل السنة بعد هذه الأحاديث الصحيحة التي اتفق عليها العلماء؟ وإجماعهم على استخلاف النبي ﷺ لأبي بكر ﷺ في الصلاة، وأنه صلّى بالناس قبل خروج رسول الله ﷺ أياماً، وأنه لما خرج لصلاة الظهر أمره ألا يتأخر بل يقيم مكانه، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، والناس يصلون بصلاة أبي بكر ﷺ وأبو بكر ﷺ يصلي بصلاة النبي ﷺ والعلماء كلهم متفقون على تصديق هذا الحديث وتلقيه بالقبول والتفقه في مسائل عديدة فيه^(٢).

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم أحق بالإمامة، ح (٦٧٨) و (٦٨٢) الترمذي، السنن، كتاب المناقب، في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٠٥). منهاج السنة، ١ / ٥١٢، ٨ / ٥٥٨

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة، ٨ / ٥٦١ .

والجميع متفقون على صدق موقف أم المؤمنين عائشة رضي الله في قولها: " كنت أرى أنه لن يقوم مقامه ﷺ أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر ^(١)" وقالت رضي الله عنها: لما ثقل رسول الله ﷺ قال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف - كثير البكاء - وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر. فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فقلت لحفصة: قولي له: ... فلو أمرت عمر، فقالت له: فقال رسول الله ﷺ: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فأمروا أبا بكر أن يصلي بالناس ^(٢) ففي هذا أنها راجعته وأمرت حفصة بمراجعته، وأن النبي ﷺ لا مهن على هذه المراجعة، وجعل من يراجعه على تقديم صاحبه ﷺ في موضع اللوم والتأنيب.

فدل هذا على أن تقديم غير أبي بكر ﷺ في الصلاة من الباطل الذي يُذم من يراود عليه. وكذلك فإن أبا بكر ﷺ قال لعمر أن يصلي فلم يتقدم عمر ﷺ وقال: أنت أحق بذلك. فكان في هذا اعتراف عمر ﷺ له أنه أحق بذلك منه، كما اعترف له أنه أحق بالخلافة منه ومن سائر الصحابة وأنه أفضلهم ﷺ.

وكما قال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما في سقيفة بني ساعدة: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده وبايعه وبايعه الناس ^(٣) ففي هذا الخبر إخبار عمر بين المهاجرين والأنصار أن أبا بكر سيد المسلمين وخيرهم وأحبهم إلى رسول الله ﷺ وذلك سبب مبايعته، قال عمر ﷺ: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، ليبين

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من قام إلى جنب الإمام لعله (٦٨٣) صحيح مسلم، ك. الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (٦٣٢-٦٣٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ح (٦٦٤) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض عذر (٦٣٣) (٦٣٤) سنن النسائي: كتاب الإمامة، باب الائتام بالإمام يصلي قاعداً (٨٢٤).

(٣) البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً، ح (٣٦٧٠) ابن حنبل، مسند، ح (١٨) ط. د. المعارف، ١٩٤٩ م ١٩٨٠ م. الطبري، تاريخ، ٢٠٣/٣، وكيع، أخبار القضاة، ٢٣. الخليفة، الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ١١٣. ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ١/٥١٨ - ٨/٥٦٤.

بذلك أن المأمور به تولية الأفضل^(١) وأنت أفضلنا فنباعك، وهذا ما يؤكده حديث النبي ﷺ عندما سئل من أحب الرجال إليك؟ قال: أبو بكر^(٢) وقوله ﷺ: (إنه ليس من الناس أحد أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر)^(٣) وقوله ﷺ عن أبي بكر الصديق ﷺ: (ولكن أخي وصاحبي)^(٤).

وسئلت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها: من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. قيل لها من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا^(٥) وكل هذه النصوص والمواقف تبين وبها لا لبس فيه أنّ مسألة الخلافة كانت واضحة لجميع الصحابة بنصوص الحديث ومواقف النبي ﷺ التي اتخذها قبيل وفاته ﷺ ومنعه لجميع أصحابه من التقدم على أبي بكر الصديق ﷺ في إشارات بينات وعلامات ظاهرات على مسار الأمور من بعد وفاته ﷺ وهو ما قام به أصحابه ﷺ وعلى الوجه الذي اشار إليه ورغب به ﷺ.

"واقضاهم علي ﷺ"

علي ﷺ من كبار مشاهير علماء الصحابة ﷺ وكبار فقهاءهم، وقضاتهم، وفصحتهم، وهذا معروف معلوم مشهود له في كثير من المواقف العملية، والمسائل العلمية، والنصوص الصحيحة،

(١) ينظر ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ١ / ٥١٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب لو كنت متخذاً خليلاً، ح (٣٦٦٢) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، ح (٤٣٩٦) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب من فضل عائشة، ح (٣٨٢٠) (٣٨٢٥) منهاج السنة، ٤ / ٣٠٣، ٨ - ٥٦٥.

(٣) صحيح البخاري: ح (٤٥٥) والخوخة: هي موضع المرور كالباب. وينظر منهاج السنة، ٨ / ٥٦٥.

(٤) صحيح البخاري: ح (٣٤٥٦).

(٥) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، (٤٣٩٧) المسند، ٦ / ٦٣ منهاج السنة، ١ / ٤٩٧ - ٨ / ٥٦٦.

لكن أعداء الصحابة وكما هو في مقاصدهم الهدامة، يوظفون بعض النصوص لضرب بعضها الآخر، لترويج العمل بالمشابه، ولتشكيك الأمة بأئمتها وقادتها، ولصناعة الخلاف الموهوم بين الصحابة ﷺ وتقسيم الناس إلى فريقين؛ كما هو في رغباتهم وأمانيتهم، ومخططاتهم الكامنة، ثم زعمهم الوقوف مع فريق ضد الآخر، فيوجهون أو يصنعون النصوص، التي تصوّر الفريق الذي يزعمون نصرته، واقعاً في المظلومية، وأنّ الآخرين مستبيحون لحقوقهم الموهومة، وكل ذلك يصنعونه لمقاصد شعوبية وأهداف تخريبية، وحرماً على الكتاب والسنة النبوية.

أما في الحقيقية فلا يعينهم أمر الإسلام ولا أمر المسلمين، ولا أدل على ذلك من أن أحزابهم وطوائفهم التي تزعم مظلومية آل البيت؛ وأنه لا يجوز الحكم إلا في آل البيت، قد وصلت إلى الحكم في أكثر من بلد وأكثر من عصر، لكنهم لم يتذكروا آل البيت العربي الهاشمي، وإنما جاؤوا بآل بيت عجمي! حرب على العرب وآل هاشم ولغتهم وسنة نبيهم ﷺ! وهذا واضح معلوم لكل متابع عاقل بصير، مما يؤكد جزماً سقوط أئمة التقريب في هاوية التخريب لعقيدة الأمة، ووحدة صفها، وأنهم يبوؤون بقسط وافر من آثام تمدد الفكر المعادي للصحابة ﷺ ولعقيدتهم وأمتهم ولغتهم.

ومن وراء هؤلاء دعاة الوسطية الموهومة! الذين جعلوا مرجعية الكتاب والسنة الممثلين للوسطية الحقّة ولا وسطية إلا بالعمل بهما وبمحبّة من حملهما أصحاب رسول الله ﷺ، جعلوها وراءهم ظهرياً، ووضعوا على أيانهم وشائلتهم مرجعية أعداء الصحابة، باطنيتها وخارجيتها! وقالوا لمبشرين على الأمة هذه هي الوسطية! نعم إنها وسطية! ولكنها وسطية السير إلى الوراثة؛ باتجاه الذين صنعوها وأسسوا لها، فكان من ضحاياها خلفاء النبي ﷺ ومن نتاجها الفتن المتجددة! أما مسارها فبعيداً عن سنة محمد ﷺ ونهج أصحابه.

وأما وصف النبي ﷺ لأصحابه ﷺ وإظهاره لأبرز ميزاتهم وأنه ﷺ بين أن علياً ﷺ امتاز بعلم القضاء، فإنّ هذا النص على الرغم من أنّه لم يرد في الصحيحين، ولم يرد في نصوص صحيحة معروفة، إلا أنه ورد في سنن ابن ماجه وغيرها، وبعض علماء الحديث صححه، وبعضهم ضعفه،

وعلق عليه بعض العلماء الأفاضل الذين بينوا مكانة القضاء في العلم، وأبرزوا أهم ميزات الصحابة التي وردت في هذا المعنى.

وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (أرحم أمتي أبو بكر، وأشدّها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أبي، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين؛ وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين)^(١) وهذا حديث صحيح يحمل شروط الصحيحين، وله شواهد مفردة في الصحاح عن كل ميزة من ميزات أولئك الأئمة ﷺ ولا يوجد فيه قول النبي ﷺ: "أفضاهم علي!"

لكن ابن ماجه أورد هذا النص في سننه؛ مضافاً إلى ما قبله، وقد صححه الألباني، وفيه قال: رسول الله ﷺ: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأفضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفضاهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)^(٢) وقد علق على هذه المسألة النجيب الفذ ابن تيمية في منهاج السنّة وفي الفتاوى الكبرى، فضعّف الحديث! ولكن الحديث جاء بطرق أخرى لا يمكن ردها؛ وإن كان بعضها ضعيفاً، ولكن ذلك التعليق جاء في سياق رده على شبهات أعداء الصحابة؛ ومنافحته عن صحيح السنّة، فجاء في تعليقه:

وأما قوله ﷺ: "أفضاكم علي" فهو ضعيف! وقال ابن تيمية: صح هذا عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (أبي أقرؤنا، وعلي أفضانا)^(٣) وهذا قاله بعد موت أبي بكر ﷺ والذي في الترمذي وغيره: أن النبي ﷺ قال: (أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأعلمها بالفرائض زيد بن

(١) مسند أحمد: ح (١٢٩٢٧) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. سنن الترمذي: ح (٣٧٩١) هذا حديث حسن صحيح. و (٣٧٩٠).

(٢) سنن ابن ماجه: ح (١٥٤) قال الشيخ الألباني: صحيح. (وأفضاهم) أي أكثرهم علماً بالفرائض.

(٣) مسند أحمد: ح (٢١١٢٣) قال شعيب الأرناؤوط، صحيح على شرط الشيخين.

ثابت) وليس فيه ذكر علي ﷺ والحديث الذي فيه ذكر علي ﷺ فيه أن معاذ بن جبل الأنصاري ﷺ أعلم بالحلل والحرام، وزيد بن ثابت ﷺ أعلم بالفرائض، فلو قدر صحة هذا الحديث؛ لكان الأعلم بالحلل والحرام، أوسع علماً من الأعلم بالقضاء؛ لأن الذي يختص بالقضاء، إنما هو فصل الخصومات في الظاهر، مع جواز أن يكون الباطن بخلافه، كما قال النبي ﷺ: (إِنْكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَحْنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، بِقَوْلِي: فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا)^(١).

وقال ﷺ: (إِنْكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحْنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَطَعْتَ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ)^(٢)
قال ابن تيمية: فقد أخبر سيد القضاة ﷺ أن قضاءه لا يحل الحرام، بل يحرم على المسلم أن يأخذ بقضائه ما قضي له به ﷺ من حق الغير، وعلم الحلل والحرام يتناول الظاهر والباطن، فكان الأعلم به أعلم بالدين، وأيضاً فالقضاء نوعان، أحدهما: الحكم عند تجاحد الخصمين، مثل: أن يدعي أحدهما أمراً يكذبه الآخر فيه، فيحكم فيه بالبينة ونحوها. والثاني: ما لا يتجادان فيه؛ ويتصادقان، ولكن لا يعلمان ما يستحق كل منهما، كتنازعهما في قسم فريضة، أو فيما يجب لكل من الزوجين على الآخر، أو فيما يستحقه كل من الشريكين ونحو ذلك^(٣).

فهذا الباب هو من أبواب الحلل والحرام، فإذا أفتاهما من يرضيان بقوله كفاهما ذلك، ولم يحتاجا إلى من يحكم بينهما، وإنما يحتاجان إلى حاكم عند التجاحد، وذلك إنما يكون في الأغلب مع الفجور؛ وقد يكون مع النسيان، فأما الحلل والحرام فيحتاج إليه كل أحد من برّ وفاجر، وما يختص بالقضاء لا يحتاج إليه إلا قليل من الأبرار.

(١) صحيح البخاري: ح (٢٤٨٣).

(٢) صحيح مسلم: ح (٣٢٣١).

(٣) منهاج السنة: ٣٧٧/٧. مجموع الفتاوى: ٤٣٧/٤.

ولهذا لما أمر أبو بكر عمر رضي الله عنها؛ أن يقضي بين الناس مكث حولاً لم يتحاكم اثنان في شيء! ولو عدّ مجموع ما قضى النبي ﷺ من هذا النوع، لم يبلغ عشر حكومات، فأين هذا من كلامه في الحلال والحرام، الذي هو قوام دين الإسلام، ويحتاج إليه الخاص والعام؟ وقوله ﷺ: "أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل" أقرب إلى الصحة باتفاق علماء الحديث من قوله ﷺ: "أفضاكم علي" لو كان مما يحتج به، وإذا كان ذلك أصح إسناداً وأظهر دلالة علم أن المحتج بذلك على أن علياً ﷺ أعلم من معاذ بن جبل ﷺ جاهل، فكيف يكون ﷺ أعلم من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟! اللذين هما أعلم من معاذ بن جبل ﷺ! مع أنّ الحديث الذي فيه ذكر معاذ وزيد يضعفه بعضهم ويحسنه بعضهم^(١) فالموقف من هذا الحديث أن علياً ﷺ ممن شهد له النبي ﷺ بالنباهة في القضاء، وسيرته ﷺ يؤكد ذلك، فإذا أضيف إلى هذا النص، قول عمر ﷺ الذي أورده ابن تيمية؛ مع ما جاء في سنن ابن ماجه وتصحيح الألباني له، يكون الحديث صحيحاً وإن كانت مقاصد أعداء الصحابة التي يثيرون لها مثل هذه المسائل، مقاصد خبيثة مردودة! لا صلة لها بقضاء علي ﷺ وإنما غايتهم الطعن على إخوانه الآخرين ﷺ فإن ابن تيمية قام بالقسط الأوفر في تفنيد أباطيلهم، وفضح مراميمهم، ومن فوائد جهاده في هذا الميدان؛ أن من في قلوبهم ودّ لأعداء الصحابة لا زالوا يتساقطون مفضوحين أمام حججه السديدة.

حول تشبيه النبي ﷺ بمنزلة علي ﷺ "بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام"

وعلي بن أبي طالب ﷺ المؤمن بالكتاب والسنة المحب لأصحاب رسول الله ﷺ منزلته من النبي ﷺ في حياته بمنزلة هارون من أخيه موسى ﷺ فهو القريب الحبيب والمجاهد بكل طاقاته مع المهاجرين والأنصار ﷺ لحماية ميراث رسول الله ﷺ ميراث الكتاب والسنة وحملتها، فكل من يريد هذا الحمى بسوء فهو عدو لعلي ﷺ الذي منزلته بمنزلة هارون من موسى ﷺ ولم يكن

(١) منهاج السنة: ٣٧٨/٧. مجموع الفتاوى: ٤٣٨/٤.

هارون عليه السلام إلا وفيأً لنبي الله موسى عليه السلام حتى إذا غلبه السامري بمكره وكيده وأضلّ قسماً من بني إسرائيل اعتذر لأخيه عن ذلك وبيّن له أن ذلك تم بالرغم عنه!.
أما احتجاج أعداء الصحابة بمنزلة هارون من موسى عليه السلام لعلي عليه السلام لكي يبطلوا خلافة النبي صلى الله عليه وآله ويطعنوا في خلافة صاحبه الصديق عليه السلام فليس لهم في ذلك حجة تستند إلى دليل ينفعهم، ولا تحقق لهم هذه الشبهة شيئاً مما يأملونه من تشويه وتشنيع على الصديق عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله لاختلاف المنزلتين بين علي عليه السلام وهارون عليه السلام ذلك أن هارون كان أخاً موسى عليه السلام وعلي عليه السلام ليس بأخي محمد صلى الله عليه وآله وهارون عليه السلام نبي، وعلي عليه السلام ليس بنبي صلى الله عليه وآله، وهارون عليه السلام توفي في حياة موسى عليه السلام وقبله بلا خلاف، فهارون عليه السلام لم يتولّ خلافة موسى عليه السلام وإنما الذي تولّاها هو يوشع بن نون عليه السلام.

وحين استخلف نبي الله موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام في غيبته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة: ٥١) لم ينجح في حماية وحدة بني إسرائيل ولا في المحافظة على سلامة عقيدتهم، حيث تمكن السامري من شق الصف اليهودي آنذاك، ومن تضليل مجاميع كبيرة من بني إسرائيل، وإعادتهم إلى الوثنية وعبادة العجل، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً لَّهُ خُورًا أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٨) ووصف الله تعالى عمل السامري في المرحلة التي استخلف فيها نبي الله موسى عليه السلام أخاه هارون فقال عليه السلام: ﴿فَأَخْرَجَ هُمُ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ (طه: ٨٨) واستمر بنو إسرائيل على ذلك ولم يستطع نبي الله هارون عليه السلام أن يغير هذه الحال المخالفة لمقاصد استخلافه، ولم يتمكن من منع حركة الردة التي قادها السامري، حتى عاد نبي الله موسى عليه السلام فهزم السامري وردته وعجله؛ الذي اتخذها إلهاً من دون الله تعالى، ليواجه به التوحيد الذي جاء به موسى عليه السلام وقد وصف القرآن الكريم ذلك المشهد، مبيناً موقف موسى عليه السلام الذي تمكن من عزل السامري عن بني إسرائيل، وتحطيم إلهه الذي أضلهم به في غيابه، قال تعالى مبيناً موقف موسى عليه السلام من السامري:

﴿ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ (طه: ٩٧).

فاستدلال مبغضي الصحابة بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام؛ استدلال باطل مردود لانعدام مسوغات قبوله، ذلك أن هارون عليه السلام لم يكن خليفة وإماماً بعد وفاة نبي الله موسى عليه السلام ذلك أنه توفي قبله، وعلي عليه السلام لم يكن خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام خليفته الصديق عليه السلام في حال مرضه صلى الله عليه وسلم وبشكل ملزم حاسم لا خيار فيه، وأقره المسلمون وارتضوه إماماً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في حين أن علياً عليه السلام أصبح خليفة وإماماً بعد استشهاد عثمان عليه السلام وإقرار المهاجرين والأنصار لبيعتة عليه السلام.

وأمر المؤمنين علي عليه السلام لما واجه سامري عصره، الممثل بعبد الله بن سبأ، الذي عمل على شق صف المسلمين وحرفهم عن دينهم، لم يسكت عنه علي عليه السلام ولم يهادنه بل تتبعه وحاول قتله، ثم واجه الذين أضلّهم بمكره ممن كان يتشيع لأمير المؤمنين علي عليه السلام ثم خرج عليه وشهر السلاح في وجهه عليه السلام حتى اضطروه عليه السلام إلى قتلهم وإخماد حركتهم التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم أمته في حياته صلى الله عليه وسلم فقال: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتوهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة)^(١) وهذا ما قام به أمير المؤمنين علي عليه السلام في خلافته، حفاظاً على صفاء فهم الكتاب والسنة، وعلى سلامة عقيدة المسلمين، وعملاً بوصايا النبي الأمين صلى الله عليه وسلم.

(١) صحيح البخاري: (٣٤١٥) صحيح مسلم: باب: التحريض على قتل الخوارج، (١٠٦٦).

النَّبِيُّ ﷺ يشبهه الصِّدِّيقُ ﷺ بنبي الله إبراهيم ونبي الله عيسى عليهما السلام ويشبهه عمر ﷺ بنبي الله موسى ﷺ ونبي الله نوح ﷺ

فيتين أن موقف أعداء الصحابة من تشبيه النبي ﷺ لعلي ﷺ بمنزلة هارون من موسى عليها السلام، موقف مضلل لا دليل فيه لما يريدونه من تلبيس الأمر على الأمة، ذلك أن هذه المنزلة الكريمة لعلي ﷺ، لا تقارن بمنزلة أبي بكر ﷺ من رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته، منزلة أبي بكر أعظم من منزلة علي رضي الله عنهما، فإن كان تشبيه علي بهارون يعده المفتونون خاصة لعلي ﷺ الذي لا يعد ذلك من خصائصه! ولم يستشهد به في موقف أمام الخلفاء الراشدين ﷺ فهذا النبي ﷺ يشبه أبا بكر الصديق بمن هو أعظم مكانة ورتبة عند الله تعالى يشبهه بنبي الله إبراهيم ﷺ وبنبي الله عيسى ﷺ ولا شك أن إبراهيم وعيسى عليهما السلام، أعظم منزلة من نبي الله هارون ﷺ قال ﷺ عبد الله بن مسعود ﷺ: (لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأصلك استبقهم واستتبهم، لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم فاضرب أعناقهم، وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله: أنت في واد كثير الحطب فأضرم الوادي عليهم ناراً ثم ألقهم فيه، قال فسكت رسول الله ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، ثم قام فدخل، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر ﷺ، وقال ناس: يأخذ بقول عمر ﷺ وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَافِرٌ بَدِيعٌ رَحِيمٌ﴾ (إبراهيم: من الآية ٣٦) وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى ﷺ قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُعْفِرْهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨).

وإن مثلك يا عمر مثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس: من الآية ٨٨) وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال ﴿ وَقَالَ

نُوحٌ رَبٌّ لَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَاراً ﴿نوح: ٢٦﴾ أنتم عالة فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء، أو ضربة عنق، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماء مني في ذلك اليوم، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سهيل بن بيضاء، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٧).

ومعلوم عند المؤمنين مقام نبي الله إبراهيم ومقام نبي الله عيسى من مقام نبي الله هارون عليهم الصلاة والسلام، وكذلك مقام نبي الله موسى ونبي الله نوح من مقام نبي الله هارون عليهم الصلاة والسلام، وهذا ما هو معلوم في أمة المسلمين، كما هو معلوم لديهم مقام الشيخين أبي بكر وعمر ومقام علي رضي الله عنه فيتين من هذا أن أعداء الصحابة يلقون بالأقوال جزافاً لا يهمهم أن تكون أقوالهم صحيحة أو باطلة! إنما همته نشر ثقافة الشك والريبة، وتغذية ثقافة الكراهية!

وصلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقربها منه ومكانتها عنده صلى الله عليه وسلم معروفة لجميع الصحابة رضي الله عنهم وبينها علي رضي الله عنه فيما روي عنه: (لما قبض أبو بكر رضي الله عنه وسجى عليه، ارتجت المدينة بالبكاء، كيوم قبض النبي صلى الله عليه وسلم فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه مسرعاً مسترجعاً، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر، وأبو بكر رضي الله عنه مسجى، فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنيسه، ومستراحه، وثقته وموضع سره ومشورته، كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله عز وجل، وأعظمهم غنى في دين الله، وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدهم على الإسلام، وآمنهم على أصحابه، وأحسنهم صحبه، وأكثرهم مناقباً، وأفضلهم شورى، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هدياً وسمتاً ورحمة وفضلاً، أشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه وأوفقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً، كنت عنده بمنزلة السمع والبصر، صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس، سمك الله في تنزله صديقاً. فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ

بِالصِّدْقِ ﴿ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴾ وَصَدَّقَ بِهِ ﴿ أَبُو بَكْرٍ ﷺ ﴾ وَوَأَسَيْتَ حِينَ بَخَلُوا، وَقَمْتَ مَعَهُ عِنْدَ الْمَكَارِهِ وَحِينَ عَنْهُ قَعَدُوا، وَصَحَبْتَ مَعَهُ فِي الشَّدَةِ أَكْرَمِ الصَّحْبَةِ، ثَانِي اثْنَيْنِ وَصَاحِبَهُ فِي الْغَارِ، وَالْمَنْزَلِ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ وَرَفِيقَهُ فِي الْمَهْجَرَةِ، وَخَلِيفَتَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَأُمَّتِهِ أَحْسَنِ الْخِلَافَةِ حِينَ ارْتَدَّ النَّاسُ، وَبَرَزْتَ حِينَ اسْتَكَانُوا، وَقَوَيْتَ حِينَ ضَعَفُوا، وَلَزِمْتَ مِنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذْ هَمُّوا، كُنْتَ خَلِيفَةَ حَقًّا لَمْ تَنَازَعْ وَلَمْ تَصْطَدِعْ بِزَعْمِ الْمُنَافِقِينَ، وَكَبْتَ الْكَافِرِينَ، وَكَرِهْتَ الْحَاسِدِينَ، وَصَغَّرْتَ الْفَاسِقِينَ، وَغَيِظْتَ الْبَاغِينَ، وَقَمْتَ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشَلُوا، وَأَعْلَاهُمْ فَوْقًا، وَأَقْلَاهُمْ كَلَامًا، وَأَصْوَبَهُمْ مَنْطِقًا، وَأَطْوَلَهُمْ صِمْتًا، وَأَصْوَبَهُمْ قَوْلًا، وَأَكْثَرَهُمْ رَأْيًا، وَأَشْجَعَهُمْ نَفْسًا، وَأَعْرَفَهُمْ بِالْأُمُورِ، وَأَشْرَفَهُمْ عَمَلًا، كُنْتَ وَاللَّهِ لِلَّذِينَ تَغْشَوْنَا أَوْلَى حِينَ نَفَرَ عَنْهُ النَّاسُ، وَآخِرًا حِينَ أَقْبَلُوا... فَأَلْحَقَكَ اللَّهُ بِنَبِيِّكَ وَلَا حَرَمْنَا أَجْرَكَ وَلَا أَضَلْنَا بَعْدَكَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(١).

فهذه المعاني النابعة من القلب التي تعبر عن صدق الأخوة وعميق الثقة والمودة، تبين أن علياً ﷺ كان من أكثر الناس معرفة بخليفة رسول الله، ومن أكثرهم محبة له وإجلالاً، وفيها توصيف دقيق ينم عن خبرة قريبة ومعرفة أكيدة فيها الكثير من الخصوصيات التي أفصح عنها علي ﷺ حين أطلق لفصاحته عنانها وللسان به بيان، باحثاً عما يعبر عن إنجازات خليفة رسول الله، وعمما يصف حاله وثباته وإيمانه ويقينه وشجاعته وتدبيره وكرمه وعلمه وعزته وشموخه وحنانه ورحمته للمؤمنين وشدته على الكافرين، ولا يمكن لأي تعليق على هذه الكلمة أن يزيد شيئاً عن وصف علي ﷺ لخليفة رسول الله ﷺ فقد أجاد بما نطق، وصدق بما وصف، وأحاط ثناؤه بعامة ما كان يقوم به الصديق ﷺ حتى أن الباحث لتملكه الدهشة عن تلك المعرفة الواسعة والمتابعة الدقيقة، والإحصاءات الصحيحة، لعامة ما كان يقوم به خليفة رسول الله، وإن دل هذا على شيء فلا أدل من القرب الذي كان عليه علي ﷺ من خليفة رسول الله، والاطلاع والمشاركة في عامة ما كان يقوم به ﷺ وكل ما قاله علي ﷺ يعبر تعبيراً صحيحاً عن تلك السيرة الباهرة، وتلك النفس

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠ / ٤٤٠.

الطاهرة، التي حققت بفترة وجيزة، ما لم يحققه الآخرون في سنين طويلة^(١) ومثلما كان علي عليه السلام مخلصاً لأبي بكر الصديق عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كذلك مع أمير المؤمنين عمر الفاروق عليه السلام قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (إنَّ علياً دخل على عمر عليه السلام وهو مسجى فقال: صلى الله عليك، ثم قال: ما من النَّاس أحد أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بما في صحيفته من هذا المسجى!)^(٢).

فذكر هذه الصلات بين أمير المؤمنين علي عليه السلام والشيخين رضي الله عنهما؛ والتأكيد على هذه الأخوة ومكانة الشيخين في ضمير علي عليه السلام هنا؛ جاء لإزالة اللبس الذي ينسجه أعداء الصحابة للتشويش والتشويه وخلط الأوراق، مستندين إلى ما ليس فيه مستند، سوى حب الفتنة الذي يقودهم دائماً إلى الهاوية، وإلى أن يقولوا المتشابه والمفتري، يزيدهم إصراراً على ذلك المنحى المفضوح؛ قلة المنتفضين على باطلهم وندرة الداعين إلى البراءة منهم، وكثرة الغوغاء المفتونين بتهويشاتهم، الخائضين في أحوال ظلماتهم، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام وذكر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما: " كانا والله إمامي هدى، راشدين مفلحين منجحين، خرجا من الدنيا خميصين"^(٣).

فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما؛ وكما هو في تنويه علي عليه السلام كانا بين المسلمين بمنزلة السمع والبصر من الرأس، وما يقوله عنهما النبي صلى الله عليه وسلم من إظهار لمزاياهما وتنويهاً بجهودهما يأتي ابتداء منه صلى الله عليه وسلم دون أن يكون هناك سبب آخر، كأن يكون هناك من نال منه صلى الله عليه وسلم أو قدم عليه غيره، وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك في حق الصديق عليه السلام لبيان مكانه، ولتأكيد ذلك عند من لا علم له، حتى تكون مكانة الصديق عليه السلام معروفة لدى جميع المسلمين في حضور النبي صلى الله عليه وسلم وفي غيابه، فلا يجهل تلك المكانة إلا من لا علم له بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بأصحابه ولا بحديثه صلى الله عليه وسلم.

فمنزلة أبي بكر عليه السلام في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هجرته وغزواته أكبر وأقرب من منزلة غيره، فكان كظل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغيب عنه في أمر ذي شأن، وكان من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على طاعة

(١) ينظر الخليفة: إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبو بكر الصديق، ٢/ ١٢٧٤.

(٢) الحاكم: المستدرک، (٤٥٢٣) مسند أحمد: ح (٨٦٦) مصنف ابن أبي شيبة: ح (٣١٠١٨).

(٣) البلاذري: الشيخان، ٨٤.

أصحابه وأمه للصدّيق ﷺ أن قال ﷺ لأبي بكر ﷺ تأكيداً لحاله من غير أن يسمع ﷺ أحداً يقول بغير ذلك: (أبى الله أن يختلف عليك يا أبا بكر) (١) وهذا الخبر ورد ابتداء من غير مناسبة يراد منها طمأنة أبي بكر ﷺ أو تطيب خاطره لسبب ما، أما خبر علي ﷺ كما هو واضح، جاء رداً على من نال من علي ﷺ وتطيباً لنفسه ﷺ وتشجيعاً له للمضي فيما أمره به النبي ﷺ من رعاية الأهل والعيال.

والمتمعن في قول النبي ﷺ لخليفته أبي بكر ﷺ في الحديث الصحيح: (ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) (٢) يجد أنّ هذا الحديث نص جلي واضح لا لبس فيه ولا تأويل، وهو أصرح وأوضح من قوله ﷺ لعلي ﷺ: (أنت مني بمنزلة هرون من موسى) فهذا حديث يدل على منزلة الأخوة ومودة القرابة وصلاتها وواجباتها، بين النبي ﷺ وعلي ﷺ فإن هارون عليه السلام أخو نبي الله موسى عليه السلام وعلي ابن عم النبي ﷺ فالقرابة الأسرية، ورعاية العيال والنساء والأطفال بين الأقارب أولى من رعاية الآخرين، وإن كانوا مخلصين محبين، في حين أن حديث "يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر" فكان في معرض الحديث عن خلافة رسول الله ﷺ في الأمة وفي حال مرضه وبحضور علي والعباس وآل البيت والصحابة ﷺ فلا يوجد وجه من وجوه المقارنة بين هذين النصين في مسألة خلافة النبي ﷺ ولم يقل أمير المؤمنين علي ﷺ غير ذلك، ولم يستشهد يوماً بهذه المنزلة على مسألة الخلافة، وإنما كان يعلن عنها في باب إظهار مناقبه في عصر رسول الله ﷺ وفي مواقفه وأقواله ﷺ وهذا ما لا خلاف فيه عند أمة الكتاب والسنة، فأمر المؤمنين علي ﷺ هو الخليفة الراشدي الرابع، لا ينازع في ذلك أحد منهم.

فلما كان أعداء الصحابة يرفضون كل هذه الحقائق ويردونها من غير دليل، ثم يبنون على الوهم والمتشابه من الكلام الذي يأتون به في غير مواضعه، لم يبق إلا أن يقال بأن هدف أعداء

(١) ابن حنبل: المسند، (٢٤٢٤٥) وإن كان في إسناد هذا الحديث ضعف، فإن الأحاديث الصحيحة تؤكد، وكذلك واقع الحال الذي كانت عليه الأمة في طاعة الصدّيق ﷺ ومتابعته تبين أنّ الأمة لم تخالف أبا بكر ﷺ كما جاءت الإشارة في هذا النص.

(٢) صحيح مسلم: (٢٣٤٧).

الصحابة هو النيل من النبي ﷺ واتهام أحاديثه ﷺ حيث يريدون أن يصوروا لأنفسهم المريضة ولمن يسمع لهم، بأن النبي ﷺ أخبر أن علياً سيكون بعده خليفة، ولم يكن الأمر كذلك، وفي هذا اتهام لرسول الله ﷺ فيما يخبر عنه من أمر المستقبل، وهو ما يروجون له تحت ذريعة الحرص على حق أمير المؤمنين علي ﷺ وكأنه كان بحاجة إلى أباطيلهم هذه ﷺ وهم يعلمون أنه كان يجلد من يقول ما هو أقل من هذا، يجلد من يفضله على أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما، فاتهام رسول الله ﷺ هو أحد أهداف مبغضي الصحابة، في الترويج لهذا الحديث، وإلا فما هو مقصدهم من ذلك، وهم يعلمون أن علياً ﷺ كان الخليفة الرابع؟! فهل النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى يتناقض أم أن من يؤول الأحاديث بحسب أهوائه وتخيلاته هو الذي يتناقض كما هو الحال مع من يستدل بقوله ﷺ: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) ويجمله على غير مقاصده، وعلى غير الوجهة التي أرادها رسول الله ﷺ الذي قال عنه ربه ﷻ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (لنجم: ٤) فيشير بتلك التأويلات الفاسدة الفتن بين المسلمين، والشك في بيعة علي ﷺ للخلفاء الراشدين ﷺ ليسقط من نفوس المؤمنين محبتهم وهيبتهم! ولتفتح أمام أعداء الصحابة وأعوان المحتلين، نوافذ الردة ومعاول الهدم في بناء الأمة؛ الذي أشاده أصحاب رسول الله ﷺ بجهادهم وعلمهم وصبرهم وزهدهم.

فَهُمْ عَلِيٌّ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ "أَنْتَ مِنْنِي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى"

إن موقف علي ﷺ من الخلفاء الراشدين ﷺ وبعيته لهم، يُسقط كل ما يتنطع به دعاة الفتنة، ففضلاً عما سبق فلم يرد في قول صحيح أن علياً ﷺ ذكر أو احتج باستخلافه على الأهل والعيال في غزوة تبوك، ليقول للمسلمين أنه هو خليفة رسول الله ﷺ، وإنما يصنع ذلك ويخوض فيه أعداء الصحابة، افتراءً وزوراً على لسان علي ﷺ فقياسه ﷺ الذي جاء في النص، على نبي الله هارون ﷺ إذا كان يعني الخلافة كما يزعم ذلك المفترون، فإنه يبطله مبايعة علي لأبي بكر وعمر وعثمان

ﷺ إذ كيف يخبره النبي ﷺ أنه سوف يكون الخليفة من بعده ﷺ ثم يذهب ويبيع أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ﷺ أئمة للأمة وقادة لها.

ألم يقل علي ﷺ عندما عرضوا عليه الخلافة: " دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن تركتموني فإنني كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير مني لكم أميرًا " (١) ألم تقل مصادرهم أنه مما حفظ العلماء من كلام أمير المؤمنين علي ﷺ أنه قال لمن جاء يراوده على البيعة: " أتيتموني فقلتم: بايعنا، فقلت: لا أفعل، فقلتم: بلى، فقلت: لا، وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم فجذبتموها، وتداكتم عليّ تذاك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنكم قاتلي، وإن بعضكم قاتل بعضًا لدي، فبسطت يدي فبايعتموني؟! " (٢).

فهذا من مصادرهم التي تقول زوراً إن علياً ﷺ وصياً وهو الخليفة بعد النبي ﷺ فكيف يكون وصياً ﷺ ومكلف من رسول الله ﷺ بالخلافة، ثم يقول لمن يريده على البيعة دعوني! والتمسوا غيري؟! أليس هذا طعناً في أمير المؤمنين علي ﷺ واتهاماً له بأنه لم يعمل بما أوصاه به رسول الله ﷺ!! أم أن هذه هي الحقيقة وأن علياً ﷺ كان متمسكاً ببيعة إخوانه الراشدين من قبله ﷺ ولم يكن طامعاً في الخلافة؛ زهداً وورعاً وتجنباً من أن يسئل عن أمة محمد ﷺ كما هو حال الصحابة ﷺ وشعورهم بالمسؤولية، ووجلهم من توليها ورغبتهم في تجنبها، إذا لم يلزموا بذلك، من غير أن يروا سبيلاً للخلاص منها.

فهل يقول مثل هذا الكلام من موقفه القول بالوصية في الخلافة؟ وأن الإمامة نص يكفر من لا يؤمن بها؟ وأنها ركن من أركان دينهم، فهل أبقت لهم هذه النصوص زاوية يسترون بها افتراءهم على رسول الله ﷺ بالوصية؟! أم أن غايتهم اتهام علي ﷺ وأنه كفر حاشاه ﷺ لأنه لم

(١) نهج البلاغة والمنسوب لعلي ﷺ: ١٨١. المفيد: الإرشاد، ١٣٠ طبعة الأعلمي، بيروت، وص: ١٤٣، الطبعة الحيدرية بالنجف.

(٢) المفيد: الإرشاد، ١٣٠، طبعة دار الأعلمي، بيروت.

يتمسك بقولهم في الوصية المزعومة؟! فهذا عليّ ﷺ هنا يرفض قبول البيعة؟! ويثبت أنّ من يقول ببيعة المعصوم إنّها هو مفتر على رسول الله ﷺ وعلى أمير المؤمنين عليّ ﷺ فماذا يقولون بعد؟! أم غايتهم هي التشكيك والتشويه ليس إلا؟!.

أم أنّ الموقف الحق من هذه النصوص يثبت أنّ الخلافة على حالها كما كانت، لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ﷺ ثم لعليّ ﷺ من بعدهم باختيار المسلمين له ﷺ دون وصية ولا نص، وأنّ أعداء الصحابة يرفضونها عمداً لا جهلاً، عداوة للصديق ﷺ ونصرة للكذاب مسيلمة! ومن لا زال على منهجه في حرب الصحابة وسنة نبهم ﷺ، فكيف يرفض الإمام المعصوم قبول البيعة بالإمامة؟ كما في قوله ﷺ: " دعوني " مع أنّ ذلك أهم ركن من أركان دينهم؟ كما يزعمون ذلك زوراً؟! وكيف يأمرهم بمبايعة غيره في قوله: " التمسوا غيري " مع أنّ كتبهم تُكفر من بايع إماماً من غير المعصومين عندهم كما يزعمون!.

ثم ألم يجعل أمير المؤمنين عليّ ﷺ بيعة أبي بكر ﷺ شرعية ومرضية من الله تعالى ومن ثم من المؤمنين، وأنّه لا يخرج عنها سوى من على منهج مسيلمة الكذاب، حين قال: (إنّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجلٍ وسمّوه إماماً، كان ذلك لله رضاءً، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى^(١) أليس في هذا إقراره ﷺ بأنّ الله يرضى ما رضى المهاجرون والأنصار؛ الذين هم إخوانه وأهل الحل والعقد في الأمة؟ وأنهم هم الذين اختاروا الخلفاء، ثم اختاروا علياً ﷺ وأنه كما أنّ خلافة الرابع صحيحة لإقرار الصحابة ﷺ لها، كذلك كانت خلافة الثلاثة صحيحة لإجماع الصحابة ﷺ عليها! يؤكد ذلك ويوضحه أنّ علياً ﷺ كان محتج في إثبات صحة بيعته بإقرار الصحابة ورضاهم ﷺ وأنّه لم يكن محتج بالوصية المزعومة، أو العصمة المكذوبة، قال ﷺ: (بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ﷺ على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن

(١) نهج البلاغة: تحقيق صبحي الصالح، ط، بيروت، ٣٦٦.

يختار، ولا للغائب أن يرد، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه الى ما خرج منه، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين^(١).

الموقف من يخرج على خلافة الثلاثة ؑ يؤكد علي ؑ أن صاحبه متبع لغير سبيل المؤمنين، كما كان مسيلمة الكذاب وجنده، وأبو لؤلؤة المجوسي وأعوانه، وابن سبأ وجنده الراضون لخلافة الراشدين، وكما كان الخوارج في زمان علي ؑ يزعمون بطلان خلافته؛ بعد أن كانوا يتشيعون له، لأنه قبل التحكيم بينه وبين إخوانه المؤمنين في الشام ورضيه منهجاً للحوار والتواصل، فصالح أمير المؤمنين ؑ أهل الشام، وقاتل أولئك المنكرين للصلح بين المسلمين، على الرغم من أنهم يزعمون أنهم من شيعته! ذلك أنه ؑ لم يكن تحدعه الباطنية ولا الشعوبية، كما هي حال الكثير من التائهين في هذا العصر، الذين تلبسوا عباءة التقريب لخداع الأمة ونصرة أعدائها، وهم يعلمون أن الإسلام يسير على منهج الكتاب والسنة، وأن الأمر بعد وفاة رسول الله ؑ أجمع عليه الصحابة بقيادة الصديق ؑ الذي لم يخالفه سوى مسيلمة الكذاب ومن رضي به إماماً، ولما كان منهج الصديق ؑ الذي سار عليه الصحابة ؑ قائماً على خيار الكتاب والسنة دون تفريط أو تنازل، أصبح التقريب المخالف لإجماع الصحابة ؑ نداً لعقيدة الكتاب والسنة؛ ودعوة للإففاض عنها!.

فأعداء الصحابة وعلى الرغم من تحريفهم للنصوص، وبما يُغذي الأحقاد ويحي الضغائن، لم يستطيعوا أن يخفوا كثيراً مما كان عليه أمير المؤمنين علي ؑ وبما يخالف نهجهم المتستر بحبه ؑ على الرغم من حرصهم على إتقان صنعتهم في التزييف والتلبيس، فهذا هو ؑ وكما في كتابهم المنسوب إليه ؑ يدعو لمن يقاتله في صفيين فيقول: (اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم)^(٢).

(١) ينظر المفيد: الإرشاد، ٣١ طبعة الأعلمي بيروت. نهج البلاغة المنسوب لعلي ؑ شرح محمد عبده، دار الأندلس:

(٢) نهج البلاغة المنسوب، شرح محمد عبده: ص ٣٩٨.

فموقف أمير المؤمنين علي ؑ من صفين بعد أن شاهد انضباط أهلها ووقوفهم عند تعاليم دينهم وأئمتهم، أكد له أنهم على غير ما وصفهم به أهل الكوفة، الذين دبروا أسباب فتنة صفين بكيدهم وغشهم للأمة وللأئمة، كما هو في نهج بلاغتهم المعتمد في عقيدتهم.

قال علي ؑ مبيناً إعجابه بأهل الشام بقيادة معاوية ؑ لما شاهد من طيب سمتهم، وحرصهم على الطاعة، وصحيح تمسكهم بالسنة، وبعكس ما كان يقوله عليهم أهل الكوفة، فيقول أمير المؤمنين علي ؑ المؤمن على الأمة: (وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله، والتصديق برسوله ﷺ ولا يستزيدوننا، والأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ؑ ونحن منه براء)^(١).

فلا شك أن أمير المؤمنين علي ؑ بريء من دم أخيه عثمان ؑ وأنه ليس موضع تهمة عند أمة الكتاب والسنة، وإن كان المخالفون يروجون لمثل هذه الشبهة الباطلة، لتوسعة هوة الخلاف بين المسلمين، ولتغذية الشر الذي لا وجود له من غير النفخ في رماده، ولم يدخر علي ؑ وسعاً في مساندة عثمان ؑ في محنته، ولم يخرج علي ؑ عن تعاليمه وتوجيهاته حتى استشهد ﷺ على أيدي المشائيم المحاربين لأصحاب رسول الله ﷺ، ولم يكن حزن أمير المؤمنين وآل بيته الطيبين ؑ وألمهم على عثمان ؑ بأقل من حزن وألم إخوانهم أهل الشام؛ على الرغم من اختلافهم في الاجتهاد حول القصاص من قتلته عليهم وعلى من والاهم من الله تعالى ما يستحقون من غضبه وسخطه.

فهذا أمير المؤمنين علي ؑ يبين للناس أن الدعوة في صفين كانت واحدة " والأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ؑ ونحن منه براء " وأنه هو وأهل الشام كانوا يبحثون عن الحق، وأداء ما في أعناقهم من حق الخليفة المظلوم عثمان ؑ وحق أمته: والخائبون من المحسويين على أمة السنة يرددون ما يقوله قتلة ذي النورين ؑ وهذا رسول الله ﷺ يؤكد أن أهداف أهل صفين

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ص ٥٤٣ .

واحدة، وبيّن للتائبين الساقطين في هاوية أعداء الصحابة، أنّ الأمر كما قال علي ؑ واحداً، والدعوة في صفيين واحدة، قال رسول الله ﷺ: (" لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتَلَ فِتْنَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ " وَقَالَ ﷺ: " لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتَلَ فِتْنَانِ فَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ!!)^(١)

فأمير المؤمنين علي ؑ عندما يقول دعواهما واحدة لم يكن يقول ذلك إلا عن علم منه بما سمعه من رسول الله ﷺ، وأعداء الصحابة عندما يكفرون ويلعنون أصحاب رسول الله ﷺ لا يفعلون ذلك إلا تعبيراً عما في نفوسهم من الغل والبغضاء لمن نشر التوحيد وهزم الشرك، ومن يوادّ أعداء الصحابة لا يظهر منه العدل الذي كان يتمسك به علي ؑ، لما في نفوسهم من الجهل والخلط والانحراف عن الحق، وفقدان الموضوعية والإنصاف.

ولما شاهد أمير المؤمنين علي ؑ هذا الصنف الذي يكفر إخوانه أهل الشام لم يقبل منهم ذلك، بل زجرهم وعلمهم كيف يكون الدعاء عند المؤمنين الصادقين، فلما أصرّوا على غيهم أظهر لهم ما في نفسه ﷺ من إعجاب وتقدير لأهل الشام، ولما هم عليه من السنّة وجميل الطاعة، وكرهيته لكثير من أهل الكوفة ولما هم عليه من الشك وفساد الطوية، وسوء الذكر في الأمة، وقبيح السيرة مع الأئمة، فقال ﷺ: (لوددت أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم، يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين، صمّ ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو إبصار)^(٢).

ولا يكتفي أمير المؤمنين ﷺ بذلك حتى يبين لأبناء أمته أمّة الكتاب والسنّة، ما عاناه من مكر هؤلاء وكيدهم وخذلانهم، ما جعله يبرأ إلى الله تعالى منهم، ويحذر أبناء أمته منهم، ويدعوهم إلى البراءة من أولئك الغدرّة الفجرة، ويعلن لأمته براءته منهم، وذمه لأهل الكوفة، ويصف حالهم

(١) صحيح البخاري: باب علامات النبوة، ح (٣٣٤٠) و(٦٤٢٣).

(٢) نهج البلاغة المنسوب لعلي ؑ، شرح محمد عبده: ص ١٨٩،

الذميمة، التي عاناها منهم ومن قبيح مواقفهم، ورداءة معدنهم، على مدى فترة وجوده معهم، فقال ﷺ: (يا أشباه الرجال ولا رجال! حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم؛ معرفة والله جرّت ندماً، وأعقبت سدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التّهام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان) (١).

فهذه النصوص وغيرها تبين معرفة أمير المؤمنين عليّ ﷺ لكثير ممن كان حوله في الكوفة، ممن يزعم محبته ويطن بغضه وبغض سنّة نبيه ﷺ وأهلها الأبرار، وفيها شهادته ﷺ لأهل الشام؛ التي تسقط ما في نهج البلاغة من أحقاد وبهتان انساق وراءه كثير من التائبين والمغفلين، ولا سيّما من شرّاحه ومفسريه، الذين ولغوا في التناول على بعض أصحاب رسول الله ﷺ منساقين وراء زيف هذا النهج المتناقض في نصوصه وفي انتسابه، فهذه النصوص التي دونها من صنع كتاب نهج البلاغة، ووضع نصوصه بعد أكثر من ثلاثة قرون ونصف من وفاة أمير المؤمنين عليّ ﷺ، ليجعل بين المؤمنين بهذا النهج المنحرف؛ وبين المؤمنين بسنة رسول الله ﷺ برزخاً لا يلتقيان، لكنّ تناقض واضح نهج البلاغة، وتقاطع نصوصه، يُسقط ما لا يقل عن (٨٥٪) من مادة نهج البلاغة وما فيها من طعن على أصحاب رسول الله ﷺ وافتراء عليهم، وعلى أمتهم؛ ومحاولة لتسعير الفتن والكراهية وتغذية الأحقاد بينهم، نابع عامته من أهواء أعداء الصحابة، وبما يتوافق مع ما في ضيائرتهم السوداء من أحقاد، جعلتهم يقيمون الاحتفالات السنوية فرحاً بمقتل أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ فيقفون بذلك مع فرقة أبي جهل التي حاربت رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ وأغاظها إسلام عمر ﷺ ثم يزعمون بعد ذلك أنهم يعملون للإسلام!

(١) نهج البلاغة المنسوب، شرح محمد عبده: ص ٧٧.

ثانياً: بيعة علي لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما

- ذكر بعض المؤرخين أن علي بن أبي طالب وسعد بن عباد وبعض الصحابة، قد تخلفوا عن بيعة خليفة رسول الله لأسباب مختلفة، ولكن النظر المنصف في النصوص عن علي رضي الله عنه وفهم الواقع الذي كانت تمر به الدولة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تجعل من العسير التسليم لأي من الروايات التي تتحدث عن تخلف أحد من الصحابة رضي الله عنهم دون أن تقدم المسوغات الشرعية والعقلية، فالصحابه هم أشد الناس حرصاً على أمن الأمة وسلامتها، وأكثرهم تمسكاً بالطاعة، وأكثرهم فهماً لإشارات رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغباته، وحباً وإجلالاً لمن يقربه ويصطفيه من بينهم، وطاعة لمن يقدمه أو يقر اجتهاده، وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن كل ذلك ظاهر في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبالتالي فإن أي حديث لا يحمل معه الأدلة الشرعية التي تسوغ تخلف هذين الصحابين المجاهدين عن بيعة سيد الصحابة وإمامهم وهي أدلة لا يمكن الالتفات إليها علمياً ولا شرعياً وكل حديث حولها سوى ما يؤكد زيفها أو ضآلة فهم قائلها لثقافة الصحابة ومقاييس التقديم والتأخير عندهم سيكون لغواً فارغاً نابعاً إما من جاهل لا يدرك آمال وتطلعات الصحابة والأسس التي يبنون عليها اجتهاداتهم، أو من صاحب هوى يبحث عن السقطات والغفلات لينفخ فيها روح الفرقة وحب الفتنة وبالتالي التأسيس لفكر الرفض والخروج والردة والطعن بالسنة وحملتها تحت ستار زائف غذي بالإفك والأهواء الهادفة إلى نزع وشائج الحب والإجلال التي تعمر قلوب محبي الصحابة المؤمنين بها حملوه وجاهدوا من أجله.

- وكل ذلك يسعى أعداء الصحابة إلى ترويجهِ وتسويقه ليحققوا إقرار أباطيلهم فيصبح ذلك مسوغاً لثقافة التمزق والتناحر، وتطاول العجزة والصغار والمغفلين على أولي العزم جند رسول الله صلى الله عليه وسلم حماة الكتاب والسنة العلماء الفقهاء الفاتحين، واتهامهم الأعمى في كل ذلك لفتى المهاجرين علي رضي الله عنه الذي لم يقل لا طوال جنديته ولم يتخلف عن مكرمة؛ بأنه تخلف عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ونصرته ضد المرتدين، وردّ كل الإشارات التي تعج بها سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤكدة على جميع الصحابة مؤازرة الصديق رضي الله عنه ونصرته.

- وكذلك اتهام سعد بن عبادة سيد الخزرج الذي كان من أكثر الناس فهماً لكل ما يشير إليه رسول الله ﷺ وبأنه خرج على خليفة رسول الله أيضاً، فما دام هذان الخيران المهاجري والأنصاري قد سنّا الرفض والخروج حاشاهما، فلماذا إنكاره على أعداء الصحابة؟! وهدفهم من كل هذا التضليل هو إشاعة قبول النيل من الصحابة والطعن بما حملوه من أمانة الكتاب والسنة، وبالتالي نشر ثقافة الردة، وعلى هذا فلسان حالهم يقول لماذا لا يصبح الرفض والخروج من مكونات الثقافة الإسلامية وأحد مفردات المناهج الدراسية؟ ولماذا كل هذا التضليل والتفسيق لمن يرفع الرايات الرافضية السبئية؟ ولماذا كل ذلك الإنكار على من يخرج على السنة النبوية؟ ويطال بهتانه أئمة المحدثين وقادة الفاتحين وسيد الخلفاء الراشدين؟!.

- ولا شك أن الكثير من هذا الزيف الأثم ينتشر بين الغوغاء عندما يردد بعض الكتاب التائهين بلا وعي ولا إنصاف أباطيل أعداء السنة، فينشغلون بتهويشاتهم عن جوهر سيرة الصحابة ومعرفة ثمار إنجازاتها، ويغفلون عما تقوم به الباطنية، من إغراءات يزينون بها باطلهم، ويغرون بها ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب، فيمتنون في قلوبهم الولاء للسنة، وينعشون مودة أعداء الصحابة، فتتحرف أقلام الكثير منهم عن الحقيقة، متناسين قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (لأعراف: من الآية ١٦٩).

- ويفسد كثير من المحسوبين على أهل السنة ما يكتبونه ويؤصلون له، عندما يقرّون المواقف المخالفة لأخلاق الصحابة ﷺ ولفهمهم وواقع حياتهم التي عاشوها، فيأتي المغرضون وأهل الأهواء فيسقطون إشراقات تاريخ الصحابة ويطمسونه، برعاية أولئك الذين يخلطون بين وهج الحق وظلمة الباطل، تحت مسميات تشجيع حرية البحث العلمي والفكر الإنساني، وتحت شبهات يثيرها المهزومون أمام زمزمة الفكر الغربي وفحيجه، مما يسهم إسهاماً مباشراً في زلزلة ثقة كثير ممن لا علم لهم بالسنة وحملتها ﷺ فيطرح نتاج كثير من الكتاب في مراكز البحوث والفكر والإعلام وغيرها؛ من الذين آثروا العاجلة على الآجلة، ببهتان أهل الرفض والردة، مما

يؤكد لكل عاقل من أهل السنة أنّ أي كاتب أو دائرة تهتم بشؤون الفكر والإعلام والبحث، لا ينافح عن هوية أهل السنة ويتبرأ من أعدائهم في كل نشاطاته، فإنّه لن يزيد عن أن يكون صدق لنشاطات لا قيمة لها، أو مطية لأقلام تنشر الضياع والشك والوهم في أفكار أهل السنة وثقافتهم.

- وإن تستروا بها يسمى حرية البحث وأنه طالما أن الفكر العلماني انتقد الفكر الكنسي وحمله ذلك الفكر وتلك العقائد، فعلى فاقدى الولاء للسنة النبوية من الكتاب العرب والمسلمين أن يتقدوا الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية وحمله ذلك الفكر وتلك العقيدة، وما دام أولئك قد ردوا النصوص في عقائدهم، واتهموا قادة تلك العقائد، فعلى أصحابنا الضائعين ومن يعينهم، أن يردوا نصوص الحق في الكتاب والسنة! التي جاءت تشهد لأصحاب رسول الله ﷺ بالوفاء والنقاء وجميل الأداء ومكارم الأخلاق.

- وليشيعوا بين الناس أن كل من يقف في وجه نقدهم الزائف للحق، بأنه عثرة أمام الإصلاح الفكري وحركة تصحيح التاريخ والثقافة! أو أنه تقديسي جامد رجعي، أو يتهمونه بأنه يقول بعصمة الصحابة ﷺ! وبناء على هذا يمكن القول:

- أن من يتهم المدافعين عن وحدة الصحابة وأخوتهم، وطاعة بعضهم لبعض، وتعلقهم بكل ما أشار إليه رسول الله ﷺ ولا سيما في تقديم أبي بكر ﷺ على سائر الصحابة ﷺ واستجابتهم لذلك، فإنه يُسقط مناهج المبتدعة والعلمانيين والمستشرقين وأعداء الصحابة على حملة عقيدة الأمة، ويعمل على نشر ثقافة التناحر والفتنة، والتأسيس لفكر وثقافة الخروج على السنة، ورفض وصفاء وأمانة وصدق وفقه ونظام وحضارة الصحابة ﷺ وحبهم للجماعة والوحدة والعدل والحرية المتوافقة مع هدي الكتاب والسنة.

- وهؤلاء أحد صنفين، إما جاهل بتاريخ الصحابة، أو صاحب هوى يروج لأهوائه، فيدعو المسلمين لرفض نصوص القرآن والسنة، والأخذ بأوهامه وخلطه وبهتانه على الصحابة ﷺ الذين هم خير البشر بعد الأنبياء عليهم السلام.

- ويجعل من نفسه الواهمة التي تعيش في عصر العجز والظلم مقومة لعمل الصحابة وإنجازاتهم
الفذة الفريدة، ويُصب من نفسه قاض ظالم وشاهد زور عليهم، فيبرئ من يشاء ويتهم من يريد
من أئمة الخير والنور والهدى ﷺ.

- أما ما جاء في بعض الروايات الصحيحة من تخلف علي ﷺ عن الذهاب إلى سقيفة بني ساعدة،
في اليوم الأول من وفاة النبي ﷺ فلا يمكن حمله على أنه خروج عن الإجماع أو أنه رفض لطاعة
خليفة رسول الله ﷺ أو أن فيه شيء من الإنكار لمقامه الذي أقامه فيه رسول الله ﷺ قبل وفاته،
وإنما هي كلمة وردت على لسان قائلها كشاهد على أن الله تعالى هو متولي تدبير أمر خلافة رسول
الله ﷺ فعلى الرغم من قلة الذين أمكنهم تدارك الأمر في السقيفة وتنبيه الأنصار على المسار
الصحيح وأنهم لم يزيدوا على ثلاثة من المهاجرين، بينما كان عامة المهاجرين لا علم لهم بما يجري
من حوار في السقيفة، وهم مشغولون بتجهيز رسول الله ﷺ من أمثال علي والزبير وعثمان ﷺ ولا
سيما أن روابطهم العائلية برسول الله ﷺ تؤكد عليهم مباشرة ذلك والعمل على إنجازه، فضلاً
عن انشغالهم بمعالجة عميق جراح لوعتهم ومصابهم بفقد رسول الله ﷺ ذلك المصاب الذي هز
المجتمع الإسلامي آنذاك هزاً عنيفاً لم يثبت أمامه إلا أولو العزم وراسخو العلم.

- قال علي بن أبي طالب ﷺ: إن رسول الله ﷺ لم يمت فجأة، كان بلال ﷺ يأتيه في مرضه فيؤذنه
بالصلاة، فيأمر أبا بكر ﷺ أن يصلي بالناس، وهو يرى مكاني، فلما قبض رسول الله ﷺ رأوا أن
رسول الله ﷺ قد ولاه أمر دينهم فولوه أمر دنياهم. وقال ﷺ: لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في
أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر ﷺ في الصلاة، فرضينا لدينا من رضيه رسول الله ﷺ
لدينا، فقدمنا أبا بكر، ومن ذا كان يؤخره عن مقام أقامه رسول الله ﷺ فيه^(١).

(١) الأجرى: الشريعة، ٣/ ٢٩٩.

- وقال علي عليه السلام: قَدَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أبا بكر فضلى بالناس، وإِنِّي لشاهد غير غائب، وإِنِّي لصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدمني لقدمني، فرضينا لدنيانا من رَضِيهِ الله ورسولُهُ لديننا^(١).
- وقام أبو بكر بعد ما بويع له وباع له علي عليه السلام، قام ثلاثاً يقول: أيها النَّاس قد أقلتكم بيعتكم، هل من كاره؟ قال: فيقوم علي عليه السلام في أوائل الناس فيقول: لا والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله صلى الله عليه وآله فمن ذا الذي يؤخرك؟!^(٢).

- وقال علي عليه السلام في حديث طويل، وقد دخل عليه عبد الله بن الكواء، وقيس بن عباد، وقد سألاه في الكوفة بعد رجوعه من فتنة يوم الجمل فقالا: هل معك عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: أما أن يكون عندي عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله فلا والله، ولو كان عندي عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله ما تركت أخا تيم بن مرة ولا ابن الخطاب على منبره، ولو لم أجد إلا يدي هذه، ولكن نبيكم صلى الله عليه وآله نبي رحمة لم يمت فجأة، ولم يقتل قتلاً، مرض ليلي وأياما، وليالي، يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة، فيقول: " مروا أبا بكر فليصل بالناس " وهو يرى مكاني، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله نظرنا في أمرنا فإذا الصلاة عضد الإسلام وقوام الدين، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله صلى الله عليه وآله لديننا، فولينا الأمر أبا بكر، فأقام أبو بكر عليه السلام بين أظهرنا، الكلمة جامعة، والأمر واحد، لا يختلف عليه منا اثنان، ولا شهد أحد منا على أحد بالشرك، ولا يقطع منه البراءة، فكنت والله آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بيدي هذه الحدود بين يديه، فلما حضرت أبا بكر الوفاة ولاها عمر رضي الله عنه قال محمد بن الحسين رحمه الله: ثم ذكر علي رضي الله عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر من فضله ومن شرفه وبيعته له ورضاه بذلك والسمع والطاعة له.

- وقال علي عليه السلام قَدَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أبا بكر فضلى بالناس، وقد رأى مكاني، وما كنت غائباً ولا مريضاً، ولو أراد أن يقدمني لقدمني، فرضينا لدنيانا من رَضِيهِ رسول الله صلى الله عليه وآله لديننا.

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب: ١/٦٤٩. النووي: تهذيب الأسماء واللغات، (٤٨٠).

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق. ٣٠/٣٠٢.

وقال علي عليه السلام: قبض الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله على خير ما قبض عليه نبي من الأنبياء، ثم استُخلف أبو بكر رضي الله عنه فعمل بعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته، ثم قبض أبو بكر رضي الله عنه على خير ما قبض الله عز وجل عليه أحداً، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها، ثم استخلف عمر رضي الله عنه فعمل بعملها وسنتها، ثم قبض على خير ما قبض عليه أحد، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها، وبعد أبي بكر، وقال علي رضي الله عنه: سبق رسول الله صلى الله عليه وآله وثنى أبو بكر وثلاث عمر، يعني سبق رسول الله صلى الله عليه وآله بالفضل، وثنى أبو بكر بعده بالفضل، وثلاث عمر بالفضل بعد أبي بكر.

قال محمد بن الحسين: هذا كله مع ما يروى عن علي رضي الله عنه في فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ما يدل على ما قلنا، وسنذكر فضلها من قول علي رضي الله عنه ما يقر الله الكريم به أعين المؤمنين، ويسخن به أعين المنافقين، ويذل نفس كل رافضي وناصري قد خطى بهم عن طريق الحق، وسلك بهما طرق الشيطان فاستحوذ عليهم، فهم في غيهم يترددون، وعن طريق الرشاد متنكبون^(١).

- ولما قبض النبي صلى الله عليه وآله واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة، وفيهم أبو بكر، وعمر، قام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره. فقام عمر فقال: صدق قائلكم، أما لو قلتم غير هذا لم نتابعكم، وأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم فبايعوه، وبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار، قال: فصعد أبو بكر المنبر، فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير، قال: فدعا بالزبير، فجاء، فقال: قلت: ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين. قال: لا تثريب أي لا لوم يا خليفة رسول الله، فقام فبايعه. ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً، فدعا بعلي رضي الله عنه فجاء فقال: قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين. قال رضي الله عنه: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه^(٢).

(١) الأجرى: الشريعة، ٣/٢٩٩، (١١٧٣).

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٧٧. البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٦). قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا

- وقال أبو بكر لعلي رضي الله عنهما: أكرهت إمارتي؟ قال: لا ولكنني حلفت أن لا أرتدي بعد وفاته ﷺ برداء حتى أجمع القرآن كما أنزل^(١).

- وعن أبي سعيد قال: لما بويع أبو بكر ﷺ قال: أين علي، لا أراه، قالوا: لم يحضر. قال: ما كنت أحسب أن هذه البيعة إلا عن رضا جميع المسلمين، إن هذه البيعة ليس كبيع الثوب ذي الخلق، إن هذه البيعة لا مردود لها، قال: فلما جاء علي. قال: يا علي ما بطأ بك عن هذه البيعة؟ قلت إني ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته، لقد علمت أنني كنت في هذا الأمر قبلك، قال: لا تزري بي يا خليفة رسول الله فمدّ يده فبايعه.

- وقال علي ﷺ: لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لديننا، ما رضيه رسول الله لديننا فقدمنا أبا بكر^(٢).

- ولما توفي رسول الله ﷺ قام زيد بن ثابت ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإن الإمام يكون من المهاجرين ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ ثم أخذ زيد ﷺ بيد أبي بكر ﷺ. فقال: هذا صاحبكم فبايعوه، ثم انطلقوا، وجاء علي والزبير فبايعاه ﷺ^(٣).

الحديث، فكتبته له في رقعة وقرأته عليه. وهذا حديث يسوى بدنه بل يسوى بدرة - أي صرة من الدنانير - وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نضرة المنذر بن مالك بن نطعة، عن أبي سعيد الخدري. وفيه فائدة جلية، وهي مبايعة علي بن أبي طالب، إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة. وهذا حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه. وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة. ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٩٥. إسناد جيد. والله الحمد والمنة. الحاكم: المستدرک، ك: معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٥٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١) البلاذري: الشيخان، ١٢٤. الصنعاني: المصنف، ك، المغازي. باب: بيعة علي لأبي بكر، ٩٧٦٥.

(٢) البلاذري، الشيخان: ٤٠.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٦) وفي بيعة علي والزبير وأن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وأن ما

- وقال علي ؑ: قام أبو بكر ؑ بعدما استخلف بثلاث فقال: من يستقيلني بيعتي فأقيه، فقلت: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، من ذا الذي يؤخرك وقد قدمك رسول الله ﷺ^(١).

- وقال ؑ: ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المؤمنين - أبا بكر وعمر - بما ليسا من هذه الأمة بأهل، وبما أنا عنه منزه ومنه بريء وعليه أعاقب، أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا منافق ردي^(٢).

- ولما خرج أبو بكر ؑ شاهراً سيفه، راكباً على راحلته إلى ذي القصة جاء علي بن أبي طالب ؑ يأخذ بزمام راحلته، فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أُحد: "شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً. فرجع وأمضى الجيش"^(٣).

- فالقول بتأخرهم عن طاعة خليفة رسول الله ﷺ اتهام خطير لم يثبت له أي دليل علمي على أرض الواقع ولا دليل شرعي يستند إليه، وهو تسويق لنظرية فاسدة مفادها أن الإسلام لم يقم إلا في أيام رسول الله ﷺ وأنه منذ وفاته ﷺ اختلف أصحابه ﷺ على الدنيا والملك، وهذا التزييف المكشوف والمعلن، أسهم في ترويج كل العابثين في سيرة الصحابين الكريمين علي المهاجرين وسعد الأنصار، وقذفها بإفك نشر الفتنة وشق عصا المسلمين، فإذا كانت نظرية الزيف هذه التي لا زال بعض العابثين يبحثون عن النصوص الصحيحة ليجتزئوها من مسارها التاريخي؛ ثم يلوونها باتجاه مقاصدهم الفاسدة لتأكيد ثقافة الفتنة والتمزق والتناحر في الأمة، ولنزع الثقة في جيل

يرده المخالفون عن تخلف علي ؑ هو الباطل والزيف وأماني السوء التي يدينون بها محاربة لرسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ.

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٣٠٢، ٣٠/٣٠٧.

(٢) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٣٨٥.

(٣) تاریخ دمشق، ٣٠/٣١٦. الصواعق المحرقة: ٤٦/١. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٢/١٢٧٠. لسان العرب: ٢/٣٢٩.

القرآن والنبوة، جيل التنفيذ المباشر والمثالي لكل رسائل السماء التي نزلت على الأرض ونُشرت ورسول الله ﷺ بين أصحابه الأكرمين، حتى صنع منهم جيل القدوة للبشرية جمعاء إلى قيام الساعة، أولئك القوم الذين لن يجتمع مثلهم وبفضلهم على وجه الأرض أبداً، ولن يكون على وجه الأرض أحط وأسوأ وأظلم من قوم يناصرونهم العداء والانتقاص والشتيم والتكفير، ولن يكون هناك أسفه ولا أجهل ممن يصدق هؤلاء الذين لا زالوا يفترون المعاييب والمثالب ليلصقوها بهم، وليرد بذلك ما جاء بحقهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والسيرة المثالية العطرة التي جسدها واقعاً على الأرض التي تشرفت بسيرهم عليها.

- ولكن هذه الكلمة التي أصبحت فتنة لكثير ممن في قلوبهم مرض، اهتبلها مبغضو الصحابة ورددتها من ورائهم الغوغاء التي لا تميز الشراب من السراب، ومن ورائهم محبو التقليد والتبديل والبهتان، ونشروها في الكثير من كتب التاريخ والأدب وأضافوا إضافاتهم، وقدموا كل ذلك على أنه يحمل شيئاً من الحقيقة، على الرغم من أن السابقين واللاحقين من أولئك التائهين عاجزون عن إثبات باطلهم بدليل علمي صحيح. قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٩).

- يؤكد كل هذا الذي أثبتناه أن المترددين في ريبهم وشكهم في سيرة الصحابة لا يستطيعون أن يثبتوا كلمة واحدة قالها علي ﷺ فيها تشكيك أو تردد أو تأفف أو تؤكد شيئاً من تخلف عن طاعة خليفة رسول الله، ليس هذا فقط، بل إن كل من يشير إلى ذلك يضع نفسه في موضع المفترى بحكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ الذي حكم على كل من يقدمه أو يفضله على أبي بكر بالكذب والبهتان وبوجوب جلده والتشهير به. وذلك بقوله " لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلده حد المفترى"^(١). هذا الأثر الذي روي من حوالي ثمانين طريقاً حتى بلغ حد التواتر في الصدق والصحة ما هو إلا سيف مسلط على الزنادقة والأفاكين يجز زيفهم ويبطل

(١) تاريخ دمشق. ٣٠/ ٣٧٠. ابن تيمية: منهاج السنة، ٣/ ١٦٢. الخليفة: الإنصاف، ١٢٧.

سحرهم، ويضع كل من يهتمهم بالفتن وبغض الصحابة عارياً أمام الحق لا يجد ما يستر زيفه وحقده، وهناك مبطلات أخرى لا تسمح بقبول مثل هذه الروايات، لتصادمها مع الواقع الذي عاشه الصحابة، ولأسباب أخرى ظهرت في ثنايا هذا البحث، وجميعها تؤكد أن كل من يشكك في ولاء علي عليه السلام لخليفة رسول الله، ويجمع الأباطيل لتأكيد ذلك فإنها يصدق فيهم قول القائل:

يحبون بالمال الحرام الذي يجمعونه حراماً إلى البيت العتيق المحرم

ويزعم كل أن تُحطَّ رحاهم تُحطُّ ولكن فوقهم في جهنم^(١)

وهذه هي أفعال أعداء الصحابة الذين يرفضون خلافة أبي بكر رضي الله عنه ويزعمون كاذبين أنهم ليسوا من المرتدين ويرفعون الشعارات الإسلامية موهمين المؤمنين أنهم لا يوالون الكافرين ولا يبغضون الصالحين، ولكن أبي الله تعالى إلا أن يجعل خليفة رسول الله حجة على كل منافق مرتد محارب للسنة النبوية المطهرة، وكما فضحت خلافة أبي بكر رضي الله عنه نبوءات مسيلمة الكذاب، كذلك كشفت في هذا العصر حركات التمرد على عقيدة الخلافة الراشدة وثوابتها المتجذرة في صفحات الكتاب والسنة.

ومما يفند مزاعم تخلف علي رضي الله عنه عن البيعة أيضاً ما يأتي:

- قول النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيح: " ياأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر " كما سبق ذكر هذا النص تماماً، وعلم علي رضي الله عنه بذلك ومعه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن منهم يخالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم.
- إنه لم ينقل في رواية صحيحة أن علياً رضي الله عنه تخلف عن الصديق رضي الله عنه في صلاة أو جهاد أو مشورة أو غير ذلك، بل المنقول عنه أنه خرج معه إلى ذي القصة، لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة وأخذ بزمام راحلته وقال له: " إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك كما قال لك

(١) الشاطبي: الإفادات والإنشادات، ١٦٠.

رسول الله ﷺ يوم أحد: شمس سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً" (١).

- و" كان علي بين يدي الصديق كغيره من الصحابة، يرى طاعته فرضاً عليه وأحب الأشياء إليه" (٢) ولا شك أن كل ما كان يقوم به الصحابة ﷺ إنما كان مبنياً على علم استقوه من رسول الله ﷺ فكيف يجروا أحد منهم على التخلف عن أبي بكر ﷺ ورسول الله ﷺ كان يخاطبهم بقوله: " لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا بالذين من بعدي. وأشار إلى أبي بكر وعمر" (٣).

- وقد وكل إليه الصديق ﷺ قيادة فرقة الأنقاب مع الزبير وطلحة وابن مسعود ﷺ وهي الفرقة التي جعلها الصديق ﷺ على أنقاب المدينة لحراسة الطرق المفتوحة الموصلة إليها ضد غارات المرتدين.

- ومن أوضح ما ذكر في هذا الصدد، ما قاله علي ﷺ لما ظهر على الناس يوم استهدفت السبئية جبل الطاهرة أم المؤمنين وهي عليه في هودجها فسميت الواقعة يوم الجمل. قال: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً، حتى رأينا من الرأي أن يستخلف أبو بكر ﷺ فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، أو قال: حتى ضرب الدين بجراحه" (٤).

- وقد ردّ علي ﷺ على المفترين عليه بأن لديه وصية من رسول الله ﷺ حينما سئل: هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما خصنا ﷺ بشيء إلا ما في هذه الصحيفة أو فهماً يعطاه الرجل في

(١) الحكمي: معارج القبول، ٣/١١٣٧. المتقي الهندي: ح (١٤٣٧).

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/٢٣٧.

(٣) ابن أبي شيبه: المصنف، ٢/٣٠٦، مسند أحمد، ح (٢٣٣٢٤) قال شعيب الأرناؤوط: حسن.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/٢٥٠. ابن حنبل: المسند، مسند علي، ح (٩٢١).

كتاب الله تعالى، وكان في تلك الصحيفة شيء من الأحكام الشرعية ليس في شيء منها التعرض لأمر الخلافة^(١).

- وهذا الموقف المعلن الذي يؤكد اعتزاز علي عليه السلام ببيعة الصديق عليه السلام وتقربه إلى الله تعالى بإمامته هو الذي يعمل أعداء الصحابة على طمسه عمداً لا جهلاً وذلك لتغذية الأحقاد واستمرار التمزق والفتن، وهذا لا غرابة فيه لأن أعداء الصحابة يعملون بوحى عقائدهم، ولكن الغرابة والريب في من يتلقفون هذه الأكاذيب ويسطرونها في كتبهم أو يلقونها في محاضراتهم، فيشاركون المبطلين في نشر باطلهم، وتحقيق مآربهم وتوسيع دائرة زيفهم، بحجة الرد على الشبهات، أو التحرر من الجمود، فلم يزيدوا على أن ولغوا في البهتان والكذب الذي لن يغير من الحقيقة المتمثلة في أن الصحابة هم سادة الدنيا وقادتها عليهم السلام وأنهم باقون على ذلك وكل من يعاديهم زائل بئد. قال الشاعر:

وكم من رجال قد رأينا ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فماتوا والجبال جبال^(٢).

- ولا شك أن المزاعم الباطلة حول تخلف علي عليه السلام عن إمامه خليفة رسول الله قد رُوج لها ترويحاً واسعاً، إذ وافقت هوى عميقاً عند المخالفين، واستجابت لما في نفوس الذين أكلت قلوبهم كراهية الصحابة، فأوقدوا نيران الإفك والبهتان على الصحابة انتقاماً منهم و صرفاً للناس عن منهجهم الذي أقام العدل ونشر المساواة، حتى امتلأت كتب الأدب والتاريخ بهذا الزيف! الذي فعل فعله حتى عند بعض أهل السنة الذين لم يجدوا بداً من البحث عن الأعذار والتسويفات التي يعتذرون بها عن كلمات وردت في بعض الروايات الصحيحة، تلك الكلمات التي حُملت على غير محلها وفسرت على غير وجهها، ولا أدل على ذلك من أن جميع الرواة الذين استرسلوا

(١) الدارقطني: سنن الدارقطني، ك: وباب الحدود والديات، ح (٥٢٧٧). البزار: البحر الزخار، مسند علي عليه السلام باب

ما روى أبو جحيفة، ح (٦١). الطبراني: المعجم الأوسط، ك. وباب من اسمه محمد، ح (٥٢٧٧).

(٢) الشاطبي: الإفادات والأنشادات، ٨٥.

بتفسير الأسباب التي أدت إلى ذلك لا يمكنهم أن يقدموا موقفاً واحداً خالف فيه علي ﷺ خليفة رسول الله، لا في حياته ولا بعد وفاته، يؤيد ما ذهب إليه تفسيراتهم التي زيفها مبغضو الصحابة وجعلوا منها تراثاً لا يمكن الخلاص منه إلا بشق الأنفس، بل لا يمكن تجاوز آثاره إلا بدفنه وتركه لمن صنعوه وروجوا له؛ أي أن كل كتاب أو بحث يحترم الحقيقة ويرفع عن نشر الأباطيل والأكاذيب عن الصحابة؛ عليه أن يتوقف عن الترويج لبضاعة الباطل، وأن يغوص في عمق حياة الصحابة ﷺ وينظر كيف استطاعوا خلال فترة وجيزة أن يغيروا مجرى التاريخ، وأن يضعوه في الاتجاه الصحيح، وأن لا يلتفت إلى بعض المهزومين في هذا العصر ممن يبحثون عن السقطات، لكي يثبتوا بعض ما يروج له الزنادقة والمستشرقين، فيواجهوا الناصحين بأعدارهم الواهية.

وهذا الصنف لا يزيد عن كونه أحد الأطراف المسوقة لثقافة الفتن والتناحر وتجاوز ثوابت الأمة للقفز نحو المجهول، ولتبقى الأمة تدور في تيه المسار وأحوال الفرقة وضياح الهدف. ولا سيما في هذا العصر الذي راجت فيه مواقف كثير ممن يزعمون أنهم من علماء السنة وأيديهم بأيدي مبغضي الصحابة، ويلمزون حمة السنة وأشرفها ويوهنون جهدهم، ويهونون من أمرهم وعظيم ثباتهم، مبالغ في إضعاف السنة وإذلال أهلها، وكل هذا يقومون به بزعم فقه العصر وفهم المرحلة، ولكن ذلك لا يزيد عن أنه تضليل ومداهنة للباطل، حتى صدق في هؤلاء المفرطين التائهيين قول القائل:

لقد هزلت حتى بدا من هزأها كُلاها وحتى سامها كل مُفلس^(١).

ولا شك أن هذا الوصف ينطبق تماماً على من يزعمون أنهم من علماء أهل السنة وهم يوادون أعداء الصحابة ويتقربون إليهم، ويسالمون بهتانهم، فيخادعون أهل السنة ويموهون عليهم ضلال أعدائهم وجرائمهم المخزية بحق السنة النبوية وأهلها الأبرار، فقد رخص أولئك أمام

(١) الشاطبي: الإفادات والإنشادات، ٨٦.

المفلسين بمقدار استهانتهم بالسنة أضعافاً مضاعفة، حتى بلغ من هوانهم أنهم أصبحوا أدوات تهون أمر المتطاولين على السنة النبوية.

- قال عطاء بن مسلم الخفاف: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله، ما تقول في رجل يقول: أبو بكر وعمر خير من علي عليه السلام ولكنني لعلي أشد حبا؟ قال: فقال لي: احذر أن يكون هذا رجل في قلبه غل، يحتاج إلى شربة آذر طوس لعلها تسهله، فيخرج ما في قلبه، إنما زعم إن كان صادقاً أنه أحب قوماً لله، ومن زعم أن أبا بكر وعمر أتقى منه، فإن كان صادقاً فأحبهم إليه أتقاهم لله. سمعت الثوري يقول: من قدم علي على أبي بكر وعمر عليهم السلام فقد أزرى على المهاجرين والأنصار، وأخاف أن لا ينفعه مع ذلك عمل^(١).

- وقال سفيان بن عيينه: قيل لشريك: ما تقول في من يفضل علي أبي بكر وعمر غيرهما؟ فقال: إذا مفتضح يقول: أخطأ المسلمون. وقال طالب الخزاز: سألت شريكاً أبا عبد الله: هل أدركت أحداً يفضل علي أبي بكر وعمر؟ قال: لا إلا من كان مفتضحاً فيما سوى ذلك^(٢). ولا شك أن هذه أقوال حق وصدق وعلم لأن من يزعم أنه يقدم علياً على الشيخين عليهم السلام فإنه يكذب علياً عليه السلام ويرد إجماع المهاجرين والأنصار عليهم السلام ومن يفعل هذا لا يؤمن على دين ولا دنيا، ولا قيمة لاجتهاد يخالف إجماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه اجتهاد ضال باطل.

- ومع كل ما سبق من حقائق تنفي الزيف وترد الباطل فإن هناك من اعتذر عن علي عليه السلام أعذاراً يمكن أن تسهم في إثبات زيف قول القائلين بتخلف علي عليه السلام فيما لو جرى الباحث أقوال الملبسين ومن وقع في أذهانهم بعض الأوهام، وتأكيد الواقع الذي كان عليه علي عليه السلام مع خليفة رسول الله من المناصحة والمعونة والمساندة والطاعة والمناصرة.

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠ / ٣٩٨.

(٢) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠ / ٣٩٩.

- هذا فضلاً عن أنه يكفي في بيعة الإمام أن يقع من آحاد أهل الحل والعقد، ولا يجب الاستيعاب، ولا يلزم كل أحد أن يحضر عنده، ويضع يده في يده، بل يكفي التزام طاعته والانقياد له بأن لا يخالفه ولا يشق العصا عليه، ولم يذكر سوى الطاعة عن علي عليه السلام.
- وبذلك ينهار كل ما أفاض فيه مبغضو الصحابة من كلام حول وجود اختلاف وتنافس على الإمارة، أو تخلف من بعضهم إلى حين عن البيعة، فما دام لم يكن من بينهم من عمل على شق عصا الطاعة، أو دعا إلى فتنة، أو تخلف عن أمر من أوامر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فإن ذلك دليل على رضاهم بالصدّيق خليفة وإماماً، وإخلاصهم في طاعته والولاء التام له، وفيه أيضاً الدليل البين على زيف كل الدعوات التي ينفخ فيها أعداء الصحابة محاولين إظهار تأخر البعض عن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

- وكان علي رضي الله عنه من أحرص الناس على أن يسود السلم جماعة المسلمين، وكان مأموراً بذلك. قال علي رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إنه سيكون بعدي اختلاف أو أمر فإن استطعت أن تكون السلم فافعل"^(١). فلم تغب هذه الإشارة عن علي رضي الله عنه اتضح ذلك من شدة حرصه على بيعة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ومسارعته في ذلك، بل إنه عندما سمع من يهمس في بعض هذا الشأن سرعان ما أعاد البيعة لخليفة رسول الله علناً أمام الأمة ليقطع الطريق على دعاة الرفض وأئمة الردة الذين يستغلون اسمه صلى الله عليه وآله زوراً وهتافاً وهو منهم بريء، ولم يكن في تكراره البيعة أي ابتداء، فقد بايع بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله في بيعة الرضوان التي قال الله تعالى فيها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨) بايع أكثر من مرة في مجلس واحد حيث بايع سلمة بن الأكوع رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات في أول الناس وأوسطهم وآخرهم^(٢). ولهذا ليس مستغرباً من علي رضي الله عنه أن يبايع

(١) ابن حنبل: المسند، ك. و باب، ومن مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٦٩٧) البخاري: التاريخ الكبير، ٢/ ٤٤٠. كنز العمال: (٣٠٩٧٩). مجمع الزوائد: ح (١٢٠٢٣).

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٢٩١. الخليفة: مهاجرة الحجاز، ١٨٥.

خليفة رسول الله مرة ثانية تأكيداً للولاء والطاعة، وإمعاناً في تأكيد النصر والاستعداد لخدمة خلافة النبوة، ولا يضير أمير المؤمنين علي عليه السلام إن استغل بعض الناس تلك البيعة للتشويش على عميق انضباطه وكمال جنديته التي يمتاز بها في مواطن القتال كما هو في مجالس الشورى والنظر في مصالح الأمة.

- وما يؤكد ما سبق ويصور حرص علي عليه السلام على بيعة خليفة رسول الله أنه كان في بيته " إذ أوتي فقيلاً له: قد جلس أبو بكر للبيعة فخرج بقميص ما عليه إزار ولا رداء عجلًا كراهية أن يبطن عنها حتى بايعه ثم جلس إليه، وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ولزم مجلسه ^(١). ولا غرابة أيضاً في سرعة علي عليه السلام إلى بيعة خليفة رسول الله إذ أن في طاعته طاعة الله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وعلي عليه السلام أعرف الناس بمنزلة أبي بكر رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد شهد وسمع ورأى من هو أبو بكر رضي الله عنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان الصحابة يتسابقون على بيعته كما حصل لعمر رضي الله عنه وبشير بن سعد الأنصاري حين تسابقا أيهما يضرب على يد خليفة رسول الله قبل الآخر ليحظى بشرف السبق إلى الخير والطاعة. كما سبق ذكر ذلك.

- وقال علي عليه السلام لما قيل له: هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً لجاهدت عليه، ولو لم أجد إلا ردائي لم أترك ابن أبي قحافة رضي الله عنه يصعد درجة واحدة من منبره صلى الله عليه وسلم ولكنه صلى الله عليه وسلم رأى موضعي وموضعه، فقال له: قم فصل بالناس وتركني، فرضيناه لدنيانا كما رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ^(٢). وكيف لا يكون الأمر كذلك ومقام خليفة رسول الله بين الصحابة وفي الأمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كمقام الأب الشفيق والأخ الغيور سروره وطمأنينته في صلاح الدين ووحدة الأمة وسيادة الشرع والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) الطبري: تاريخ، ٣/٢٠٧. الخليفة: الإنصاف، ١٢٥.

(٢) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة، ١/١٨١.

وربما يأتي بعض من أشرب قلبه من شبهات أعداء الصحابة، وبعد أن اطلع على كل هذه النصوص فيقول: علي ؑ تخلف ولم يبايع أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ. فيقال لمثل هذا: إن هذا الطرح ما بين طرح جاهل مخدوع، أو ماكر محارب لأصحاب رسول الله ﷺ وإلا لماذا لا يبايع علي ؑ وهو من أعرف الناس بأبي بكر ؑ وبمنزلته من رسول الله ﷺ وكيف أنه كان أشبه بيمينه ؑ في مكة، حين كان المسلم لا يجرو أن يقول لا إله إلا الله علناً حول الكعبة المشرفة، فمن يزعم تخلفه لا يجد المسوغ المقنع، ولا يزعم ذلك إلا من له مآرب أخرى من وراء هذا الطرح، الذي لا جدوى منه، ذلك أن جميع المصادر مجمعة على أن علياً ؑ بايع، منها من قال: بايع مع الناس بعد وفاة النبي ﷺ وبعضها قال: تأخر ثم بايع! ولا يوجد قول ثالث أنه لم يبايع مطلقاً، فما دام علياً ؑ بايع ؑ فلماذا التمسك بأمر أبطله علي ؑ؟! هذا إن وجد كما يزعم ذلك من يصبر على التعكير والتشويه.

وبيعة علي ؑ لأبي بكر الصديق ؑ تبطل شبهات أعداء الصحابة

ثبت في جميع المصادر التي تؤكد سرعة بيعة علي ؑ والأخرى التي تروي أنه تأتى قليلاً في البيعة، أن علياً ؑ بايع الصديق ؑ خليفة لرسول الله ﷺ وجاهد معه وشارك في تحمل مسؤولياته مع أصحاب رسول الله ﷺ في مواجهة المرتدين، وأن تلك البيعة تمت بقناعة تامة ورضاً بإمامة أبي بكر الصديق ؑ لا يعكرها شيء، ولا يمكن أن يلصق بها شبهة حقيقية للتشويش عليها، على الرغم من كثرة هتان أعداء الصحابة ومن يأخذ عنهم الإفك والزلل في هذه المسألة، وكما أن علياً ؑ بايع فإن آل البيت الطاهرين والعترة المشرفة بايعوا الصديق ؑ خليفة لرسول الله ﷺ ولم يتخلف أحد منهم.

فالموقف من تلك البيعة يبين المحب لعلي ؑ المتابع له؛ من المبغض المفارق له! ومن يزعم أن علياً ؑ لم يبايع يكون كذبه مكشوفاً لجميع المسلمين، وأي مصدر يقول هذا يكون موضع تهمة وازدراء لفقدانه الحياء والمصداقية، وبعد ثبات البيعة يجب على من يزعم حبّ علي ؑ وموالاته

أن يوالي من والاه علي عليه السلام في بيعته المعلنة لأبي بكر رضي الله عنه وعليه أن يعلم أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) لم يُقصد به الخلافة وإنما المراد به الأخوة والمودة وحقوق القرابة، ومن لا يقبل بهذا يطالب بتسوية اعتراض علي رضي الله عنه على تركه في المدينة وبكائه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لتخليفه على النساء والأطفال، حتى استرضاه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا النص، الذي ردّ فيه صلى الله عليه وسلم على من تكلم في حق علي رضي الله عنه من المنافقين الذين كانوا في المدينة، ينشرون الشك والريبة بين المسلمين، ولا سيما أن روايات أعداء الصحابة تبين أن هارون رضي الله عنه توفي قبل موسى رضي الله عنه فقد جاء في مصادرهم الموثوقة عندهم، أن جعفرًا الصادق يرحمه الله سُئل: (أيها مات: هارون مات قبل أم موسى صلوات الله عليهما؟ قال: هارون مات قبل موسى)^(١).

فكيف يكون هارون رضي الله عنه خليفة موسى رضي الله عنه وقد مات قبله؟ وكيف يتطع أعداء الصحابة بهذا الحديث وهم يعلمون أنه لا صلة له بالخلافة؟! وأن هارون رضي الله عنه لما استخلفه موسى رضي الله عنه على قومه في غيبته القصيرة، ترك عنده جيش بني إسرائيل، لتمكين استخلافه في غيبته، ومع ذلك لم يتمكن من تحقيق مراد موسى رضي الله عنه، في حين أن النبي صلى الله عليه وسلم خلف علياً رضي الله عنه على النساء والصبيان في المدينة، وذهب الجيش المقاتل كله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم! ولم يطلب منه النبي صلى الله عليه وسلم في فترة غيابه في تبوك سوى البقاء مع الأهل ورعايتهم.

فلا غرابة فيما يفترونه على النبي صلى الله عليه وسلم أو فيما يزيفونه في تفسيرهم للأحداث؛ وبحسب ما يتوافق مع أهوائهم، ولكن الغرابة فيمن يعلم بهتانهم، ثم يحالفهم ويرجو خيرهم! فلما لم يكن هارون رضي الله عنه خليفة لموسى رضي الله عنه بعد وفاته؛ فكذلك علي رضي الله عنه لم يكن خليفة لمحمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته؛ وإنما كان خليفته صلى الله عليه وسلم بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه على أيدي أعداء الصحابة المحاربين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وكتاباه ولعباده الصالحين، من السبئية وإخوانهم الذين يفترون الوصية، ومن يأخذ عنهم من فاقد الدين والهوية.

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ١١/١٢.

المبحث الثاني

شبهة أشجع الناس... والموقف من شبهة الوصية

أولاً: شبهة أشجع الناس

قال المخالفون: كان علي عليه السلام أشجع الناس^(١) وبسيفه ثبتت قواعد الإسلام، وتشدت أركان الإيمان، وكشف الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفر كما فر غيره... إلخ.

والجواب: لا ريب في شجاعة علي عليه السلام وثباته ونصره للإسلام، وقتله جماعة من المشركين، لكن ليس هذا من خصائصه وحده، بل شاركه فيه العديد من الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار، كما اتضح ذلك في بعض مواقف طلحة بن عبيد الله التيمي رضي الله عنه. وأشجع الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت من حديث أنس رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: "لن تراعوا. لن تراعوا" وهو على فرس لأبي طلحة عري، ما عليه سرج، وفي عنقه صلى الله عليه وسلم السيف، فقال صلى الله عليه وسلم: "لقد وجدته بحراً، أو إنه لبحر"^(٢) أي الفرس.

وفي المسند عن علي عليه السلام قال: (كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ وَلَقِيَ الْقَوْمَ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْهُ)^(٣).

(١) (ش ج ع): الشَّجَاعَةُ شدة القلب عند البأس وقد شَجَع الرجل من باب ظرف، فهو شَجَاعٌ، وقوم شَجَعَةٌ وشَجَعَانٌ، نظير غلام وغلما، ورجل شَجِيعٌ، وقوم شُجَعَانٌ، مثل جريب وجربان، وشُجَعَاءٌ كفقيه وفقهاء، وامرأة شُجَاعَةٌ، وقال أبو زيد لا توصف به المرأة، ونقل رجل شَجَاعٌ بالكسر، وقوم شَجَعَةٌ بالفتح، وشَجَعَةٌ بفتحين، والأشَجَعُ من الرجال مثل الشجاع، وقيل الذي فيه خفة كالهوج لقوته، وشَجَعَةٌ تشجيعاً، قال له إنك شجاع، أو قَوَى قلبه وتَشَجَع تكلف الشجاعة. الرازي: مختار الصحاح، باب (ش ج ع) ٣٥٤.

(٢) الألباني: صحيح الأدب المفرد للبخاري، ٣٠٣. حديث صحيح الإسناد.

(٣) مسند أحمد: ح (١٢٧٦).

والشجاعة قوة القلب والثبات عند المخاوف، أو شدة البطش وإحكام صناعة الحرب، ومع هذا فما قتل النبي ﷺ الذي هو أشجع الناس، غير أبي بن خلف! ومن فرط شجاعته ﷺ أن أصحابه، حين واجهتهم السهام وشدة الرمي يوم حنين، انكفؤوا إليه ﷺ وهو راكب بغلة لا تكرر ولا تفر، ويقدم عليها إلى ناحية العدو ويسمي نفسه ويقول ﷺ:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب^(١)

قال البراء ﷺ: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: (أَكُنْتُمْ فَرَزْنَمَ يَا أَبَا عُمَارَةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا وَكَلَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ وَأَخْفَأُوهُمْ حُسْرًا لَيْسَ بِسِلَاحٍ، فَأَتَوْا قَوْمًا رُمَاءً، جَمَعَ هَوَازِنَ وَبَنِي نَضْرٍ، مَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ، فَرَشَقُوهُمْ رَشَقًا مَا يَكَادُونَ يُحْطِثُونَ، فَأَقْبَلُوا هُنَالِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَعْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ، فَتَزَلَّ وَاسْتَنْصَرَ ثُمَّ قَالَ ﷺ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبٌ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ثُمَّ صَفَّ أَصْحَابَهُ^(٢).)

وإذا كانت الشجاعة المطلوبة من الإمام شجاعة القلب، فلا ريب أن أشجع الصحابة أبو بكر فإنه باشر الأحوال التي كان الرسول ﷺ يباشرها من أول الإسلام ولم يجبن ﷺ ولا جزع، بل يقدم على المخاوف ويقي الرسول ﷺ بنفسه ويجاهد بلسانه ويديه وباله^(٣) قبل أن يؤمر الناس بالجهاد وهو في مكة ﷺ.

ولما كان مع الرسول ﷺ في العريش يوم بدر، قام نبي الله ﷺ يدعو ويستغيث بربه، قال عمر ﷺ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَا دَامَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكَبِيهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى

(١) ينظر سنن النسائي الكبرى: ح (٨٦٢٩).

(٢) صحيح البخاري: ح (٢٧١٣).

(٣) الذهبي: المتقى، ٥١٠.

مَنْكِبِيهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وِرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ (الأنفال: ٩).

فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي آثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَهُ بِالسَّوِطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ حُطِمَ أَنْفُهُ وَشَقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوِطِ فَاحْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسْرُوا سَبْعِينَ^(١) وفي هذا الموقف يوم بدر، دليل واضح على كمال يقين أبي بكر الصديق وثباته ﷺ.

ولا نقص على رسول الله ﷺ في استغاثته بربه ﷻ بل ذلك كمال له، فالالتفات إلى الأسباب صح في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تقدر في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، فعلى الرسول ﷺ أن يجاهد ويطبق الدين بكل ممكن بنفسه وماله ودعائه، وتحريضه المؤمنين والاستنصار بالله والاستعانة به أعظم الجهاد، وأعظم أسباب النصر، وهو ﷺ مأمور بذلك، والقلب إذا غشيت الهيبه والمخافة والتضرع، قد يغيب عن شهود ما يعلمه، ومقام أبي بكر ﷺ دون هذا، وهو معاونة الرسول ﷺ والذب عنه، وإخباره بأننا واثقون بنصر الله، والنظر إلى جهة العدو، هل قاتلوا بعد، ولما مات النبي ﷺ عظمت النازلة واضطربوا اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة القعر، وطاشت العقول ووقعوا في نسخة القيامة وكأنها قيامة صغرى، مأخوذة من القيامة الكبرى وارتدت الأعراب وذلت الحماة.

فقام الصديق ﷺ بقلب ثابت الجأش، قد جمع له الصبر واليقين، وأخبرهم ﷺ بأن الله اختار لنبيه ﷺ ما عنده وقال لهم: من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات! ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ

(١) صحيح مسلم: ح (٣٣٠٩).

قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصَرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ (آل عمران: ١٤٤) فكأن الناس لم يسمعوها^(١).

ثم خطبهم ﷺ فثبتهم وشجعهم وبادر إلى تنفيذ جيش أسامة الذي أمر به النبي ﷺ قبيل وفاته، وأخذ ﷺ في قتال المرتدين مع إشارة الصحابة ﷺ عليه بالتربص والانتظار، حتى كان عمر ﷺ مع فرط شجاعته يقول له: يا خليفة رسول الله ﷺ تألف الناس!^(٢).

والحديث عن الشجاعة ومظاهرها، باب واسع يطول الحديث فيه، وأما القتل فلا ريب أن غير علي ﷺ من الصحابة ﷺ قتل أكثر منه من الكفار، فإن من نظر المغازي والسيره وأمعن النظر عرف ذلك، فالبراء بن مالك أخو أنس رضي الله عنهما، قتل مائة رجل مبارزة، سوى من شارك في دمه من غير هذه المائة، وكذلك مجزأة بن ثور ﷺ قتل مائة مبارزة سوى من شارك في قتله في الميدان، والبراء ومجزأة استشهدا بعد نهاوند في فتح مدينة تَستَر في إيران الحالية، وأما خالد ﷺ فلا يحصى عدد من قتله، وقد انكسر في يده يوم مؤتة تسعة أسياف، وقال النبي ﷺ: (خالد سيف من سيوف الله عز وجل، نعم فتى العشيرة)^(٣).

وقال جابر ﷺ: ندب النبي ﷺ الناس يوم الخندق، فانتدب الزبير ﷺ، ثم ندهم فانتدب الزبير، ثم ندهم فانتدب الزبير، قال النبي ﷺ: (إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير ﷺ)^(٤) وقال النبي ﷺ: (صوت أبي طلحة - الأنصاري ﷺ - في الجيش خير من ألف رجل)^(٥) ومثل هذا في الصحابة ﷺ كثير فلا يكاد يوجد صحابي إلا وله وسام من رسول الله ﷺ والبحث فيها يخرج بنا

(١) ينظر الذهبي: المنتقى، ٥١١.

(٢) ينظر الخليفة: إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله، ٩٥٩/٢ فما بعدها.

(٣) الألباني: السلسلة الصحيحة، ح (١٨٢٦) صحيح الإسناد.

(٤) صحيح البخاري: (٢٧٧٥) (٢٦٣٥) قال سفيان: الحواري الناصر، صحيح سنن الترمذي: ح (٢٩٤٤) صحيح.

(٥) صحيح وضعيف الجامع الصغير: (٧٢٤٨) صحيح، وأبو طلحة هو زيد بن سهل الأنصاري زوج أم سليم أم

أنس.

عن الموضوع وإلا لاستكثرنا من الشواهد التي توضح مثل هذه المسائل أكثر فأكثر، قال ابن حزم: وجدناهم يحتجون بأنّ علياً عليه السلام كان أكثر الصحابة رضي الله عنهم جهاداً وقتلاً، والجهاد ثلاثة أقسام، أعلاها الدعاء إلى الله باللسان، وثانيها الجهاد عند اليأس بالرأي والتدبير، والثالث الجهاد باليد، فوجدنا الجهاد الأول لا يلحق فيه أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر الصديق رضي الله عنه فإنّ أكابر الصحابة رضي الله عنهم أسلموا على يد أبي بكر رضي الله عنه! ^(١).

وأما عمر رضي الله عنه فإنه حين أسلم عزّ الإسلام، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر) ^(٢) فقد انفرد الشيخان بالجهادين اللذين لا نظير لهما، ولا حظّ لعلي رضي الله عنه في هذا أصلاً، وأما الرأي والمشورة فخالص لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بقي الثالث فكان أقل عمل الرسول صلى الله عليه وآله لا عن جبن، ووجدنا علياً رضي الله عنه لم ينفرد بالسبق فيه، بل شاركه فيه غيره شركة العنان، كطلحة والزبير وسعد وحزمة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وسعد بن معاذ وسهاك بن خرشة أبي دجانة وغيرهم رضي الله عنهم ووجدنا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، قد شركاه في ذلك بحظ وإن لم يلحقا بحظوظ هؤلاء وإنما ذلك لشغلها بالأفضل من ملازمة الرسول صلى الله عليه وآله ومؤازرته، وقد بعثها على البعوث أكثر مما بعث علياً رضي الله عنه وما نعلم لعلي رضي الله عنه بعثاً إلا إلى بعض حصون خيبر ففتحها، وكان معهم في غزوة خيبر النبي صلى الله عليه وآله وجميع الصحابة رضي الله عنهم ^(٣) أي أنه كان يعمل بأمر النبي صلى الله عليه وآله وتحت قيادته المباشرة، في فتح حصن مرحب اليهودي في خيبر ^(٤) وخيبر كان فيها العديد من الحصون مثل حصن قلعة الزبير، وحصن سلام، وحصن ناعم، وحصن الغموس

(١) ينظر الخليفة: إمام الأمة وقائدها، ١/ ٣٩٥.

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٥٧٤).

(٣) الذهبي: المتقى من منهاج الاعتدال، ٥١١.

(٤) ينظر مغازي الواقدي: ١/ ٢٦٥.

وحصن الشق، وحصن الكتيبة، وحصن النظاة^(١) وغيرها من الحصون الصغيرة، وبعضها فتح عنوة وبعضها الآخر فتح صلحاً.

وأشجع الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر

قال محمد بن عقيل: (خطبنا علي بن أبي طالب ﷺ فقال: أيها الناس أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر ﷺ إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشا فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ ليلاً؟ لثلاثا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منه إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى عليه، فهذا أشجع الناس، فقال علي: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش! فهذا يجوه وهذا يتلته، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة لها واحداً؟! قال: فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا ويحيا هذا ويتلته هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم رفع علي برده كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم فقال: ألا تحيوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه^(٢).

إن كل ما في خليفة رسول الله يدل على أن قلبه ودمه أشرب حباً لدينه ونبيه ﷺ فهو على استعداد دائم للفداء والتضحية لا يمنعه من ذلك قوة سلطان ولا قهر جبار، ولا تجمع أحزاب

(١) مغازي الواقدي: ١/ ٢٨٢.

(٢) البحر الزخار مسند البزار، ح (٦٨٩) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: (٣٥٦٩٠) جامع الأحاديث: (٣٣٢٨٦).

أو دول، شعاره دائماً روحي ومالي وما أملك فداء للإسلام " أينقص الدين وأنا حي؟" (١) لهذا كان الصحابة جميعاً يعلمون هذا عنه ﷺ وفي مقدمتهم علي ﷺ الذي كان في صغره يرى الصديق ﷺ كيف يتصدى لجبروت المشركين، حمايةً لرسول الله ﷺ ولرؤساء القبائل عندما كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس ليبلغ رسالة ربه، وتصدى لمن تطاول ببعض الألفاظ النابية من المفاوضين السياسيين بين يدي رسول الله ﷺ كما فعل مع عروة بن مسعود الثقفي مبعوث قريش يوم الحديبية (٢) وكان أشبه بظل رسول الله ﷺ في كل مشاهدته، وأول تلك المشاهد الكبرى، حين كان مع النبي ﷺ في العريش يوم بدر، في أول وأعظم مشهد جهادي يسطره المهاجرون والأنصار ﷺ وكان لواء رسول الله ﷺ الأعظم مع أبي بكر الصديق ﷺ (٣) لواء أعظم جيش يجيشه ويقوده رسول الله ﷺ بنفسه الشريفة المباركة ليواجه أكبر دولة على وجه الأرض، دولة الروم بعملائها وأذنائها، ويوم وفاة النبي ﷺ كان خليفة رسول الله وحيداً يدفع الخور والحزن والأسى والاضطراب عن النفوس التي اعتادت على العمل بين يدي رسول الله ﷺ ولم تعهد عملاً لخدمة وحماية الدين ونصرته بعد وفاته ﷺ فهي في حيرة ووجل وذهول وألم أمام ذلك المصاب الجلل.

وكان ﷺ وحيداً في صف وبقية الصحابة في صف آخر في إعلان الحرب على من يريد أن يرفض ركن الزكاة، أو يخرم الطاعة الكاملة لخلافة النبوة، وكان جيشاً وحده في مواجهة المترددين من الصحابة ﷺ في إرسال جيش أسامة كما أمر بذلك رسول الله ﷺ قبيل وفاته! وكان خليفة رسول الله ﷺ وحده في إعلان الحرب الشاملة على القوى الكبرى التي كانت تنشر الكفر والجاهلية والظلم والفساد في الأرض، ممثلة بدولة فارس المجوسية، وامبراطورية الروم

(١) ينظر: سمط النجوم العوالي: الأحاديث في شأن أبي بكر الصديق ﷺ ٢/٤٥٨. مشكاة المصابيح، ٣/١٧٠٠. وهذا موافق لقول أبي بكر ﷺ الذي في الصحيح: لو منعوني عقلاً لقاتلتهم عليه، أي لو أنقصوا من الزكاة العقال الذي يربط به البعير لما قبل منهم إلا بالتمام، وأن يؤدوا للخلافة ما كانوا يؤدونه في حياة رسول الله ﷺ.

(٢) السهيلي: الروض الأنف، ٤/٤٥.

(٣) الصالح: سبل الهدى والرشاد، ٥/٤٤٣.

الصليبية، ومن يدور في فلكهما من الأتباع بائعي الأمة وفاقدي الهوية، ومن معهم من جيوش الجواسيس والمنافقين الرافضين لخلافة النبي ﷺ الذين يمدون تلك القوى بالمعلومات عن تحركات المسلمين.

وفي كل ذلك كان خليفة رسول الله يقف طوداً شاخحاً أمام كل الأعذار التي سمعها والحجج التي واجهها؛ حتى انقاد له الصحابة ﷺ سامعين مطيعين مقرين بفضله وصدقه وسداده وعظيم جراته فشهد له الجميع بالفضل وعميق الفقه والفهم، وبالرؤية النقية الصافية التي ترى الأحداث وكل ما يدور حول جماعة المسلمين بعيني رسول الله ﷺ ومنهجه وتدبيره ورعايته وحزمه، وأنه بحق هو ثاني اثنين في الأمة كما وصفه ربه جلّ في علاه، فمن يملك ما يمتلكه خليفة رسول الله من الشجاعة والعلم والفقه ورباطة الجأش؟ ومن مثله في الثبات والفهم وقوة الحججة والتمسك بالسنة والسير على هدي النبي ﷺ دون أي تعديل أو تغيير حتى وصل بالأمة إلى شاطئ الأمان وبر اليقين والإيمان.

ولولا فقه الصديق وسابقتها ومكانته وهيبته وحكمته لما استقر حال الأمة بعد وفاة النبي ﷺ ولكنه العلم والتوفيق وبركات الاتباع والافتداء والتمسك بالسنة قال للأنصار يوم السقيفة: لقد ساءكم الله في كتابه بالفلحين. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩)

وساننا بالصادقين والله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩) فانقاد الجميع لما يقرره وعادت الأمور إلى نصابها وأقرت الخلافة في المهاجرين. ولولا ذلك لما وصلت الخلافة إلى عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ولما كان علي ﷺ في يوم من الأيام خليفة على المسلمين! ولكنها نتائج جهاد الصديق وجهوده التي أثمرت كل هذه الثمار اليانعة، فلا نامت أعين الأفاكين أعداء سنة رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمين، لقد كان النبي ﷺ يعلم كل هذا وأخبر ﷺ بما يؤكد ذلك في خليفته فقال ﷺ: (لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه

الأمة لرجح كفة بها) (١) نعم! لقد كانت الأمة يوم وفاة النبي ﷺ تتجسد في الصديق ﷺ هو الأمة، فلو ضعف أو تردد، أو التبست عليه الأمور لتشتت جهد الصحابة ﷺ ولقويت شوكة المرتدين. والموقف المشكل فقهيًا والعصيب عمليًا وعسكريًا الذي تجلّى فيه علم أبي بكر ﷺ وقيادته وإيمانه الراسخ، هو يوم أن عارضه الصحابة في قتال مانعي الزكاة! ممن لا يعترض سوى على الزكاة، وأخذ يسميها الإتاوة أو الضريبة، فكان لتمويههم بلا إله إلا الله رهبة في صدور الصحابة حتى قالوا: كيف تقاتل قوماً يقولون لا إله إلا الله؟ وقد قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله؟! قال أبو هريرة ﷺ: قَالَ: لَمَّا تُؤَيَّرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ وَكَفَرَ مِنْ كَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: كَيْفَ تَقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا، قَالَ عُمَرُ ﷺ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ

(١) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (١٩٨٠) السخاوي: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، (٩٠٨) قال: وفي سننه عيسى بن عبد الله بن سليمان وهو ضعيف لكنه لم ينفرد به فقد أخرجه ابن عدي أيضاً من طريق غيره بلفظ (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم) وله شاهد في السنن أيضاً عن أبي بكر مرفوعاً أن رجلاً قال: يا رسول الله رأيت كأن ميزانا أنزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت ثم وزن أبو بكر بمن بقي فرجح... الحديث. الخطيب البغدادي: موضح أوهام الجمع والتفريق، ٢/٩٠. وقال إسحاق بن راهوية والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر بن الخطاب من قوله. والشوكاني في الفوائد المجموعة وقال بقول السخاوي ومن سبقه. ما يقابل معناه في الحديث الصحيح، ما جاء في سنن الترمذي: (٢٢١١) حدثنا محمد بن بشار حدثنا الأنصاري حدثنا أشعث عن الحسن عن أبي بكر أن النبي ﷺ قال ذات يوم: (من رأى منكم رؤيا فقال رجل أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. سنن أبي داود: (٤٠١٧) مسند أحمد: (١٩٦٠٠) المستدرک: (٤٤٣٧) قال صحيح على شرط الشيخين، قال الذهبي في التلخيص: أشعث بن عبد الملك هذا ثقة لكن ما احتججا به.

شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ (١) ثم تلا الصِّدِّيقِ ﷺ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: من الآية ٥) لقد استند أبو بكر الصِّدِّيقِ ﷺ إلى النصوص القرآنية، واستنباط وفهم صحيح للحديث النبوي ما لم يفهمه من وقف عند ظاهره، فغاص فيه واستخرج من جواهره ما رصع به تاج الانتصارات العلمية والعسكرية التي سحقت ردة عاتية قادها المتنبؤون والمتنفعون والجواسيس ومن والاهم. إن الشجاعة المطلقة التي تمتع بها خليفة رسول الله كانت فوق الطاقة والتدبير، لذلك طالما أثارت التساؤلات حتى قال له قائل: (ما أراك تخشى لما قد بلغ من الناس من إغارة العدو؟ فقال: ما دخلني إشفاق من شيء ولا دخلني في الدين وحشة إلى أحد بعد ليلة الغار، فإن رسول الله ﷺ حين رأى إشفاقى عليه وعلى الدين. قال لي ﷺ: " هوّن عليك، فإن الله قد قضى لهذا الأمر بالنصر والتمام" (٢) ومنذ تلك الساعة التي بدأت مع أول خطوات الهجرة نحو المدينة لإنشاء دولة الإسلام التي وضع أسسها رسول الله ﷺ لم يعد في قواميس خليفة رسول الله سوى الانطلاق إلى الأمام، وهو في كل ذلك راض شاكراً لله تعالى حتى سمي إمام الشاكرين كما سماه زيد بن علي حين قال: (أبو بكر الصِّدِّيقِ ﷺ إمام الشاكرين) (٣) والله تعالى قال: ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٤٤) فكان علي ﷺ إذا ذكر عنده أبو بكر الصِّدِّيقِ ﷺ قال: (السباق تذكرون؟ السباق تذكرون؟ والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر) (٤) فهذه المواقف هي التي أهلته ليصطفيه رسول الله ﷺ ويتخذه صاحباً ومستشاراً ومؤانساً ونصيراً بعد الله تعالى، في أحرج المواقف وأصعب الظروف، فكان في الغار ثاني اثنين، وفي عريش بدر كذلك، وثبت معه في جميع المشاهد، ومن قبل ذلك دافع عن رسول الله ﷺ في مكة وُضِرْب

(١) صحيح البخاري: ح (١٣١٢).

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٧.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٨.

(٤) الطبراني: المعجم الأوسط (٧١٦٨) كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال: ح (٤٣٥٦٧).

من أجل أن لا يؤذى رسول الله ﷺ حتى كاد يدفع حياته ثمناً لصدق محبته وافتدائه لرسول الله ﷺ بروحه ودمه وماله.

أما موقفه من المرتدين ومانعي الزكاة فإنما غرابته أنه وجد نفسه وحيداً بعد وفاة صاحبه ﷺ الذي اهتزت واضطربت لوفاته جزيرة العرب وأعلنت تمرداً وصارت بعض قبائلها تغزو المدينة نفسها في موقف عصيب تميد له الشُّم الراسيات، ولا سيما بعد ما التبس الأمر على الصحابة في مسألة قتال من تمرد على الخلافة وهو لا زال يقول بلسانه لا إله إلا الله، حتى قال عمر رضي الله عنه: (يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم فإنهم بمنزلة الوحش فقال: رجوت نصرك وجئتني بخذلانك، جبار في الجاهلية خوار في الإسلام، ماذا عسيت أن أتألفهم، بشعر مفتعل أو بسحر مفترى، هيهات هيهات، مضى النبي ﷺ وانقطع الوحي، والله لأجاهدكم ما استمسك السيف في يدي، وإن منعوني عقلاً، قال عمر: فوجدته في ذلك أمضى مني وأصرم، وأدب الناس على أمور هانت عليّ كثير من مؤنتهم حين وليتهم)^(١) فياله من موقف أثمر نجاح أمة قادت الدنيا قروناً، موقف يدهش من يمعن النظر في ظروفه وأبعاده، حيث يقف المتابع مذهولاً أمام صلابته ورباطة جأشه وثبات قلبه، وقد اجتمع حوله الصحابة رضي الله عنهم يرجونه أن يلين ويوافقهم على إرجاع جيش أسامة رضي الله عنه ليستعينوا به في قتال المرتدين وحماية المدينة، وهم يشرحون له حرجة الموقف وتغير الظرف فما يزيدونه إلا عزمًا ومضاء! ويقسم أن لن يرد لواء رفعه رسول الله ﷺ وأن لا يحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ بيده، وأنه لن يرجع جيش أسامة عن وجهته التي وجهه إليها رسول الله ﷺ.

وقد أكد شجاعة الصديق رضي الله عنه علي رضي الله عنه في أكثر من مناسبة، قال رضي الله عنه: (لقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش في مكة فهذا يجأه وهذا يتلته وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة لها واحداً؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتلته هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون

(١) السيوطي: جامع الأحاديث، ح (٢٧٩٠٤) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ح (١٦٨٣٨).

رجلاً أن يقول ربي الله؟! ثم رفع علي ﷺ بردة كانت عليه ثم بكى حتى اخضلت لحيته ﷺ^(١) نعم حق لعلي ﷺ أن يبكي أخاه الأكبر خليفة رسول الله ﷺ لأن الشيء بالشيء يذكر، ولأن المحن التي عاناها أمير المؤمنين علي ﷺ وهو يجد نفسه فيها وحيداً بين مكر أهل الكوفة وخذلانهم، وأنانيتهم وزيف مودتهم له وسوء نواياهم، وبين همجية الخوارج وغلظتهم وتحجر عقولهم، فكأن روحه أخذت تسبح في آفاق تجاربه ليوازن بين ما كان يعانيه وبين ما عاناها خليفة رسول الله من غدر المرتدين وزيف المنتبئين الكذابين، وغلظة الأعراب المتمردين على منهاج النبوة، فيدرك أن هناك نقاطاً كثيرة تربط بين تلك المحن وبين ما ألم بخليفة رسول الله ﷺ وبين ما يعانيه هو، ولكن كم هو عظيم خليفة رسول الله ﷺ إذاً عندما تجاوز كل ذلك؟! ولم يفرط أو يتردد أو يضعف، حتى لو كان وحيداً في مواجهة الكثير مما دهم الأمة من محن وفتن بعد مصابها بوفاة رسول الله ﷺ وظل متمسكاً بهدي ورؤية وفهم وآمال وآلام رسول الله ﷺ حتى توفي وهو على ذلك لم يغير ولم يبدل ﷺ وكان أمير المؤمنين علياً ﷺ يريد أن يجعل من دموعه تلك بحراً يسبح فيه إلى الينابيع التي كان يستقي منها خليفة رسول الله ﷺ عزيمته في مواجهة ما يجده من قلة النصير المخلص الأمين، الذي يعطي كل شيء في سبيل الله، ولا يرجو إلا من الله تعالى، ولكن هيهات فستان بين الثرى والثريا، وشتان بين عصر قائد يمسك بزمام ناقته علي بن أبي طالب ﷺ وبين عصر أمسك بزمام ناقة قائده الأشر النخعي ومن حوله الرافضي الغادر ابن ملجم وشيخه عبد الله بن سبأ أول مرجع لأعداء الصحابة، وملهمهم البغي على الأمة، الذي ملأ عقولهم بزيف أساطيره، ووهم أباطيله وإسرائيلياته، التي صنعت أجيالاً من الزنادقة الرافضين لميراث النبي وسنته ﷺ ولخلافة أبي بكر ﷺ وإمامته، من اغتالوا الشهيدان عثمان ثم علي رضي الله عنهما، كما اغتالوا الفاروق ﷺ في محرابه من قبل، وحق لنا أن نبكي أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، في عصر بغى فيه

(١) البزار: مسند البزار، مسند علي بن أبي طالب: باب وما رواه عقيل عن علي ﷺ ح (٧٦١). العظم: أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، ١٥.

التحالف الصليبي اليهودي، المسخر أعداء الصحابة ومن يواليهم، في عدوانه الشامل على أمة الكتاب والسنة وأبنائها البررة النجباء.

فيتبين أن المخالفين حين يزعمون حُبَّ علي عليه السلام فليس ذلك لاتباعه عليه السلام وإنما للتمويه بذلك على الأمة، للوصول إلى أهدافهم الحقيقية المتمثلة بشق صفوف المسلمين، وتمزيق وحدتهم، كما سبق التأكيد على ذلك في أكثر من مكان من هذا البحث، وأن علياً عليه السلام هو أحد أبطال الصحابة عليهم السلام له مواقف جلييلة كما لغيره مثلها في نصره الدين، وهو خليفة المسلمين الرابع، فمن عمل على تغيير هذا الواقع تحت أي مسمى، أو تحت أي مظلة، فهو متهم بأنه يعمل على نسف قواعد الدولة الإسلامية، وهدم أركان الخلافة الراشدة، والعودة بالأمة إلى أيام الردة والفتن، فمن أحب علياً عليه السلام يضعه في الموضع الصحيح الذي كان فيه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن يحاول التغيير فإنَّ أول من يبرأ منه ويحاربه هو أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي كان يحامي عن أصحابه أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أوفى بن حكيم قال: لما كان اليوم الذي توفي فيه عمر الفاروق رضي الله عنه قلت: والله لآتين باب علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأتيت باب علي فإذا الناس يرقبونه فما لبثت أن خرج علينا فأطم ساعة، ثم رفع رأسه فقال: (لله در باكية عمر! قالت: واعمره قوم الأود وأبدا العمدة، واعمره مات نقى الثوب، قليل العيب، واعمره ذهب بالسنة، وأبقى الفتنة، أصاب والله ابن الخطاب خيرها ونجا من شرها)^(١).

وقولهم: إنه بسيفه ثبت قواعد الإسلام وتشيدت أركان الإيمان، فهذا من بهتان أعداء الصحابة لم يقله أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو كذب بيّن لكل من عرف أيام الإسلام بل سيفه جزء من أجزاء كثيرة جداً؛ من أسباب تثبيت قواعد الإسلام وكثير من الوقائع التي ثبت الله بها الإسلام، لم يكن لسيفه فيها أثر وكان سيفه عليه السلام يوم بدر مع سيف حمزة ومصعب بن عمير وطلحة والزبير وسعد ومن معهم من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم؛ فكان سيفه سيفاً من سيوف كثيرة، فضلاً عن شهود

(١) كنز العمال: (٣٦٠٨٥)، جامع الأحاديث: ح (٣٤٦٧١)

الملائكة المباشر لتلك الموقعة وتكفل الله تعالى فيها بالنصر لنبيه ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣) وقول النبي ﷺ: (يَوْمَ بَدْرٍ هَذَا جَبْرِيلُ أَخَذَ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ)^(١) وغزوات القتال كلها تسع كانت أشهر مشاركات علي ﷺ فيها يوم بدر التي تكفل الله تعالى فيها بنصر المؤمنين على ضعفهم، ويوم خيبر حين أخذ الراية لفتح أحد حصون خيبر وهو حصن مرجب، بعد أن دعا له النبي ﷺ ومسح على عينيه، وفي كلتا الموقعتين كان جندياً تحت قيادة رسول الله ﷺ، وبعد وفاة الرسول ﷺ لم يشهد حرب فارس ولا الروم ولا شيئاً من تلك الملاحم المهولة، وكان نصره في مغازيه تبعاً لنصر رسول الله ﷺ والحروب الكبار في خلافته ﷺ كانت بين المسلمين، في فتنة الجمل وفتنة صفين، ومع الخوارج في حروراء والنهروان، وأحداث موقعة الجمل لم تكن برغبته ولا بتخطيطه ولا برضاه ﷺ ولا برضا أحد من الصحابة ﷺ بل كانت بمكر قتلة عثمان ﷺ ومن معهم من الغوغاء، أما الخوارج فكانوا أهلاً للقتل لما ارتكبوا من نقض البيعة ومن العدوان على المسلمين، وكان جيش أمير المؤمنين ﷺ أكثر عدداً، أما في فتنة صفين، قال في المنتقى: فما استظهر على أهل الشام بل كان وهم كفرسى رهان^(٢) وانتهى الأمر فيها إلى الاحتكام إلى كتاب الله تعالى برضى الطرفين، مما أثلج صدور المؤمنين وأعاد السلم والود بين المسلمين، سوى الخوارج ومن والاهم ممن أوغر الصلح صدورهم، ودفعهم إلى صناعة ثقافة الفتنة ليحاربوا بها الأمة في أمنها ووحدتها وعقيدتها.

وقولهم: ما انهزم علي ﷺ قط، فهذا مما يقرّ عيون أمة الكتاب السنة، أن يكون فيها مقاتلون بارعون، وهو في ذلك على خطى كبار قادة هذه الأمة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهم الكثير ممن لم يعرف لواحد منهم هزيمة^(٣) ومنهم خالد ﷺ الذي خاض المعارك الفاصلة في اليمامة والعراق والشام، وسعد بن أبي وقاص ﷺ الذي قاد القادسية وفتح المدائن والسواد، وغيرهم

(١) صحيح البخاري: ح (٣٦٩٤).

(٢) ينظر الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ٥١٢.

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال: ٥١٢.

من قادة معركة نهاوند وتُسْتَرَّ، وما تلاها من المواقع التي أزال دول وأسرت ملوك، وزلزلت امبراطوريات كان على رأسها قياصرة وأكاسرة جبابرة يجبون خراج الأرض ويستعبدون الناس. فغزوة تبوك أكبر حملة قادها النبي ﷺ وهي التي توغلت إلى أقصى ما وصلت إليه جيوش المسلمين في حياة النبي ﷺ لم يشهدها علي ﷺ واليرموك والقادسية وناوند وفتح بيت المقدس وذات الصواري، وغيرها من تلك المواقع الفاصلة، لم يكن لأمر المؤمنين علي ﷺ ذكر في شيء منها! ولم يزعم هو ﷺ أن سيفه هو الذي نصر الإسلام، وإنما كان يقول ﷺ: (مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ)^(١) وهذا تواضع منه ﷺ وإلا فهو في الذؤابة منهم، ولكن أعداء الصحابة يريدون أن يشوهوا سيرته ﷺ من حيث يزعمون أنهم يمدحونه! ذلك أنهم لا يوادون صحابياً لأن الصحابة جميعاً حرب على من رفض خلافة أبي بكر الصديق ﷺ.

وقال في المنتقى: وقولهم: وطالما كشف الكروب عن وجه رسول الله ﷺ دعوى كاذبة^(٢) بل ما علمناه كشف كربة واحدة، والذي دفع عن النبي ﷺ أبو بكر ﷺ لما أراد المشركون أن يضربوه ويقتلوه بمكة، فحال بينهم وبينه وجعل يقول: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (غافر: من الآية ٢٨) فتركوا رسول الله ﷺ وضربوا أبا بكر ﷺ حتى أغمي عليه وكاد أن يفارق الحياة، ووقاه طلحة بن عبيد الله ﷺ يوم أحد بيده حتى شلت وهي تتلقى السهام عن رسول الله ﷺ، وأعداء الصحابة يعبونه بيده الطاهرة تلك!! مما يني عن بغضهم لكل من يدافع عن رسول الله ﷺ! وكان أبو طلحة الأنصاري ﷺ يوم أحد يدافع عن رسول الله ﷺ ويقول: وجهي دون وجهك، ونحري دون نحرك يا رسول الله ﷺ ووقاه رجال من الأنصار ﷺ حتى استشهدوا وهم يدافعون عنه ﷺ وكل الصحابة يفتدون النبي ﷺ بأنفسهم وأولادهم وأمواهم، لكن لم يُذكر أن علياً ﷺ حصل له مثل هذا الدفاع المباشر عن النبي ﷺ! وهذا لا ينقص

(١) صحيح البخاري: ح (٣٣٩٥).

(٢) منهاج السنة النبوية، ٦٧/٨. الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال: ١/٥١٤.

من جهاد علي ؑ ولكن تلك المنافحة المباشرة عن وجه رسول الله ﷺ توفيق من الله تعالى اختص الله تعالى بشرها من يشاء من عباده.

وقال في منهاج السنّة النبوية في رده على منهاج الندامة لابن المطهر الحلي، المسمى منهاج الإمامة: وأما كون المشركين أحاطوا بالنبي ﷺ حتى خلصه علي ؑ بسيفه فهذا لم ينقله أحد من أهل العلم، ولا حقيقة له لكنّ هذا الرافضي وأمثاله كأنهم قد طالعوا السير والمغازي التي وضعها الكذابون مثل كتاب تنقلات الأنوار للبكري الكذاب وأمثاله، مما هو من جنس ما يذكر في سيرة البطال ودلمة والعيار والزبيق المصري، والحكايات والسيرة الطويلة التي وضعت لعنتر بن شداد، وقد وضع الكذابون في مغاري رسول الله ﷺ ما هو من هذا الجنس، وهذا يصدقه الجهال ومن لم يكن عارفاً بما ذكره العلماء من الأخبار الصحيحة، في سيرة النبي ﷺ وأما أهل العلم فيعلمون أنّ هذا كذب!! وما ذكره من مبيت علي ؑ على فراش النبي ﷺ يوم الهجرة، فقد اتضح أنه لم يكن هناك خوف على علي ؑ أصلاً، وأشهر ما نقل من ذلك ذب المؤمنين عن النبي ﷺ يوم أحد لما ولي أكثر المسلمين مدبرين فطمع العدو في النبي ﷺ وحرصوا على قتله، وطلب أمية بن خلف قتله فقتله النبي ﷺ بيده، وشج المشركون جبينه وهشموا البيضة على رأسه وكسروا رباعيته ﷺ وذب عنه الصحابة الذين حوله كسعد بن أبي وقاص الذي جعل يرمي والنبي ﷺ يقول له: ارم فداك أبي وأمي، ولا غرابة من رمي سعد ﷺ فهو أول من رمى في سبيل الله، قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: (إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، ورأيتنا نغزو وما لنا طعام إلا ورق الحبلة وهذا السم، وإن أحدنا ليضع كما تضع الشاة، ما له خلط)^(١).

ووقاه طلحة بن عبيد الله بيده فشلت يد طلحة ﷺ وقتل حوله جماعة من خيار المسلمين، وعلي ﷺ كان يقاتل مع إخوانه من الصحابة لكن لم يذكر له موقف كمواقف سعد وطلحة وبعض الأنصار ﷺ. وفي الحديث: (لما رجع رسول الله ﷺ أعطى فاطمة ابنته رضي الله عنها سيفه، فقال:

(١) صحيح البخاري: ح (٥٩٧٢).

يا بنية اغسلي عن هذا الدم، فأعطاها علي سيفه فقال: وهذا فاغسلي عنه دمه، فو الله لقد صدقني اليوم، فقال رسول الله ﷺ: لئن كنت صدقت اليوم، لقد صدق معك القتال اليوم، سهل بن حنيف وسماك بن خرشة أبو دجانة رضي الله عنهما^(١) وهما أنصاريان، ومثلما زيفوا الأخبار والأحداث في معركة أحد كانوا قد فعلوا مثل ذلك في نشرهم لأخبار يوم بدر الكبرى حيث جعلوا كل شيء حصل فيها لعلي ﷺ وذلك لكي لا يظهر أي جهد للصحابة الآخرين من الشهداء والأبطال المعروفين ممن قتل أبا جهل وعقبة بن أبي معيط وأمثالهما من صناديد المشركين، بل حتى حمزة ﷺ الذي كان المشركون يهابون سطوته لم يذكروا له شيئاً من البطولة يوم بدر، في حين كان ﷺ من أبرز من قاتل وصابول في ذلك اليوم، والذي ينظر في ما ينقله أعداء الصحابة في كتبهم لا يجد لعامته ذكراً في كتب السير والحديث الصحيح، وإنما يجد تنفياً أضاف إليها المخالفون ما يوظفها للطعن ببقية الصحابة ﷺ في حين يزعمون مدح علي ﷺ وهذا من أوسع وسائلهم التي يعملون بها على تشويه السنة النبوية وحملها، وجاهد من أجلها من الصحابة ﷺ^(٢).

وقد سبق أن يوم أحد كان يوماً كله لطلحة كناية عما بذل من جهد مقدر في وقته حين افتقد الناس رسول الله ﷺ وأشيع مقتله، فكان ذلك الثبات الرائع بين يدي النبي ﷺ محل إعجاب رسول الله ﷺ حتى أثنى عليه بما سبق ذكره من النصوص الصحيحة، لكن أعداء الصحابة ينكرون كل هذا وغيره من جهاد الأنصار وتضحيتهم بأنفسهم بين يدي النبي ﷺ واحداً تلو الآخر حتى قال ﷺ قولته المشهورة، ما أنصفنا أصحابنا، كما جاء ذلك في صحيح مسلم، عن أنس بن مالك ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهَقُوهُ قَالَ ﷺ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهَقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ ﷺ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ، فَتَقَدَّمَ

(١) المستدرک: ح (٤٣١٠)، منهاج السنة: ٦٩ / ٨.

(٢) ينظر منهاج السنة: ٧٠ / ٨.

رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ! فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةَ ۗ!! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِصَاحِبِيهِ: مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا (١).

ومع هذه المشاهد المروية في الصحاح وما يشابهها فإن أعداء الصحابة ينكرون هذه الصفحات الناصعة لأصحاب رسول الله ﷺ وينسبون كل شيء إلى علي ﷺ وما ذلك حبا لعلي ﷺ وإنما طعنا بإخوانه أصحاب رسول الله ﷺ وقد رد شيخ الإسلام على مثل هذه الأباطيل ردوداً ماحقة تبطل كل ما يذهبون إليه من حجج واهية ولا سيما في غزوة أحد.

قال الرافضي: وفي غزاة أحد لما انهزم الناس كلهم عن النبي ﷺ إلا علي ورجع إلى رسول الله ﷺ نفر يسير أولهم عاصم بن ثابت، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف ﷺ.

وقال أعداء الصحابة مفترين على جبريل ﷺ: وتعجبت الملائكة من شأن علي فقال جبريل: وهو يعرج إلى السماء لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي!! وقتل أكثر المشركين في هذه الغزاة، وكان الفتح فيها على يده! ونسبوا مفترين إلى قيس بن سعد رضي الله عنهما أنه قال: سمعت علياً ﷺ يقول: أصابني يوم أحد ستة عشر ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهن، فجاءني رجل حسن الوجه واللثة، طيب الريح، فأخذ بضبعي فأقامني، ثم قال: أقبل عليهم فقاتل في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فهما عنك راضيان، قال علي ﷺ: فأتيت النبي ﷺ وأخبرته، فقال ﷺ: يا علي أما تعرف الرجل؟ قلت: لا، ولكن شبهته بدحية الكلبي، فقال ﷺ: يا علي أقر الله عينيك، كان ذاك جبريل ﷺ! (٢).

قال شيخ الإسلام: والجواب أن يقال قد ذكر في هذه من الأكاذيب العظام التي لا تنفق إلا على من لم يعرف الإسلام، وكأنه يخاطب بهذه الخرافات من لا يعرف ما جرى في الغزوات، كقوله إن علياً قتل أكثر المشركين في هذه الغزاة وكان الفتح فيها على يده، فيقال: آفة الكذب

(١) صحيح مسلم: ح (٣٣٤٤).

(٢) ينظر منهاج السنة: ٧٠ / ٨.

الجهل، وهل كان في هذه الغزاة فتح؟ بل كان المسلمون قد هزموا العدو أولاً، وكان النبي ﷺ قد وكل بثغرة الجبل الرماة وأمرهم بحفظ ذلك المكان وأن لا يأتوهم سواء غلبوا أو غلبوا، فلما انهزم المشركون صاح بعضهم: أي قوم الغنيمة! فنهاهم أميرهم عبد الله بن جبير ﷺ ورجع العدو عليهم وأمير المشركين إذ ذاك خالد بن الوليد، فأتاهم من ظهورهم، فصاح الشيطان: قتل محمد ﷺ واستشهد في ذلك اليوم نحو سبعين ﷺ ولم يبق مع النبي ﷺ ذلك اليوم إلا اثنا عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأشرف أبو سفيان وهو قائد المشركين آنذاك، فقال: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد ﷺ؟

قال البراء بن عازب رضي الله عنهما يصف يوم أحد: (جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ - وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا - عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ ﷺ فَقَالَ ﷺ: إِنْ رَأَيْتُمُونَا نَحْطَفْنَا الطَّيْرَ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَا هُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ قَدْ بَدَتْ خِلَاجُهُنَّ وَأَسْوَفُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْغَنِيمَةُ أَيُّ قَوْمِ الْغَنِيمَةِ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنْسَيْتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَذَنْبِيْنَ مِنْ الْغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَرِمِينَ، فَذَلِكَ إِذِ يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ! وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَيْ الْقَوْمِ مُحَمَّدًا؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ الْقَوْمِ ابْنُ الْحَطَّابِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَا هُوَ لَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا! فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لِأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسْوُوكَ، قَالَ: يَوْمَ يَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مِثْلَهُ، لَمْ أَمْرُهَا وَلَمْ تَسْؤُنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ، أُعْلُ هُبْلُ أُعْلُ هُبْلُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا نَقُولُ؟

قَالَ ﷺ: قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلٌ، قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعَزَىٰ وَلَا عَزَىٰ لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَقُولُ؟ قَالَ قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ^(١).

وهذه رواية الصحيح تصور الحدث، وكان يوم بلاء وفتنة وتمحيص وانصرف العدو عنهم، ثم هم بالعود إليهم، فندب النبي ﷺ المسلمين للحاقه، وقيل: في هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٧٢).

وكان في هؤلاء المتدين أبو بكر والزبير رضي الله عنهما، قالت عائشة رضي الله عنها لابن الزبير: أبوك وجدك ممن قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٧٢) ولم يقتل يومئذ من المشركين إلا نفر قليل وقصد العدو رسول الله ﷺ واجتهدوا في قتله ﷺ وكان ممن ذب عنه^(٢) يومئذ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وجعل يرمي عنه والنبي ﷺ يقول له: " ارم فداك أبي وأمي " كما اتضح ذلك، قال سعد: ويوم أحد جمع لي رسول الله ﷺ بين أبيه، وكان سعد ﷺ مجاب الدعوة مسدد الرمية، وكان فيهم أبو طلحة الأنصاري ﷺ رامياً شديداً النزاع، واتضح جهاد طلحة بن عبيد الله ﷺ ووقايته النبي ﷺ بيده، فشلت يده دفاعاً عن رسول الله ﷺ، قال قيس بن أبي حازم: (رأيت يد طلحة ﷺ التي وقى بها النبي ﷺ قد شلت)^(٣).

وظاهر النبي ﷺ بين درعين يوم أحد، وقتل دونه نفر، وذكر ابن إسحاق النفر الذين قاموا دون رسول الله ﷺ فقال: ترس دون النبي ﷺ أبو دجاجة سهاك بن خرشة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحرف عليه ﷺ حتى كثر فيه النبل، ورمى سعد بن أبي وقاص دون النبي ﷺ قال سعد: فلقد رأيت يته يناولني النبل ويقول ﷺ: ارم فداك أبي وأمي، حتى إنه لناولني السهم ماله نصل! فيقول:

(١) صحيح البخاري: ح (٢٨١٢).

(٢) منهاج السنة: ٧١ / ٨.

(٣) صحيح البخاري: ح (٣٤٤٥).

ارم، وقال النبي ﷺ حين غشيه القوم: مَنْ رجل يشري لنا نفسه؟ فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار ﷺ وبعض الناس يقول: إنها هو عمارة بن زيد بن السكن، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً يُقتلون دونه ﷺ حتى كان آخرهم زياد أو عمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراح، ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه، فقال النبي ﷺ: أدنوه مني، فأدنوه منه، فوسده قدمه ﷺ فمات وخده على قدم النبي ﷺ. قال: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى انعرت سيتها، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنتيه، وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ ردها بيده وكانت أحسن عينيه ﷺ^(١).

قال ابن هشام: وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد، قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع: دخلتُ على أم عمارة فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك؛ فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعني سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فممت بأبشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح إليّ، قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة الليثي أقماه الله، لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلوني على محمد ﷺ فلا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ﷺ وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضر بني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان، أي فلم تؤثر فيه ضرباتها^(٢).

وانتهى أنس بن النضر، وهو عم أنس بن مالك، يومئذ إلى جماعة من الصحابة قد ألقوا بأيديهم، فقال لهم: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ فقال لهم ﷺ: ما تصنعون بالحياة بعده

(١) منهاج السنة: ٧٢/٨. ابن هشام: السيرة النبوية، ٨١/٢ - ٨٣.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٨٢/٢، تاريخ الطبري: ٦٦/٢.

ﷺ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل الناس، ولقى سعد بن معاذ ﷺ فقال له: يا سعد والله إني لأجد ريح الجنة من قبل أحد!! فقاتل ﷺ حتى قتل، فوجد به أزيد من سبعين جرحاً من بين ضربة وطعنة ورمية، فما عرفته إلا أخته ببنانه ميزته، وجرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف ﷺ نحو عشرين جراحة بعضها في رجله، فخرج منها ﷺ إلى أن مات^(١).

ولم يكن لعلي ﷺ ذكر في الدفاع المباشر عن شخص رسول الله ﷺ في ذلك اليوم، ولا في من جرح حول رسول الله ﷺ، وإن كان بلا شك يجاهد ﷺ بكل طاقته في الميدان الذي هو فيه مع إخوانه الصحابة ﷺ ولكن هذا لبيان كذب الرافضي، ولم يُجرح علي ﷺ في أحد ولم يصب بأذى! فقول له إنَّ علياً قال: أصابتنى يوم أحد ست عشرة ضربة، سقطتُ إلى الأرض في أربع منهنّ، كذب علي ﷺ وليس هذا الحديث في شيء من الكتب المعروفة عند أهل العلم، فأين إسناد هذا؟ ومن الذي صححه من أهل العلم؟ وفي أي كتاب من الكتب التي يعتمد على نقلها ذكر هذا؟! فعلي ﷺ لم يُجرح!.

والذي جُرح في موقعة أحد رسول الله ﷺ وكثير من الصحابة، قال ابن إسحاق: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج ﷺ حتى ملأ درقته من المهراس فجاء به رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجد له ريحاً فعافه ﷺ فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم وصبَّ على رأسه وهو يقول ﷺ: (أَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ دَمَوْا وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ)^(٢) وقول الرافضي: إن جبريل ﷺ قال وهو يعرج إلى السماء: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي؛ كذب باتفاق الناس! فإنَّ " ذا الفقار " لم يكن لعلي ﷺ وإنما كان سيفاً لأبي جهل، غنمه المسلمون يوم بدر، وعلي ﷺ لم يكن ممن شارك في قتل أبي جهل، حتى ينسبوا له ذا الفقار! ولكنه كذب أعداء الصحابة الذين لا يبالون به أين يأخذهم، وذلك أن هدفهم الأول هو التشويش

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/٣٨. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٨٤، تاريخ الطبري: ٢/٦٦.

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٧٦٦) ينظر منهاج السنة: ٨/٧٢.

والتشويه على الحقيقة في كل ميدان! وهذا ما يجب على كل مسلم أن يعلمه ويفقه مقاصده، و) تَنَقَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: رَأَيْتُ فِي سَيْفِي ذِي الْفَقَارِ فَلَا، فَأَوْلَتْهُ فَلَا يَكُونُ فِيكُمْ، وَرَأَيْتُ أَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا فَأَوْلَتْهُ كَبْشَ الْكُتَيْبَةِ، وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعِ حَصِينَةٍ فَأَوْلَتْهَا الْمَدِينَةَ، وَرَأَيْتُ بَقْرًا تُدْبِحُ، فَبَقَّرَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فكان الذي قال رسول الله ﷺ^(١) قال علي ﷺ: (كان فرس رسول الله ﷺ يقال له: المرتجز، وبغلته يقال لها: دلدل، وحماره يقال له: عفير، وسيفه يقال له: ذو الفقار، ودرعه ذات الفضول، وناقته القصواء)^(٢)

وكذب أعداء الصحابة في ذي الفقار، السيف الذي كان لأبي جهل قبل أن يغنمه منه المسلمون في بدر، من جنس كذبهم بأنه كان له سيف يمتد إذا ضرب به كذا وكذا ذراعاً، فإن هذا مما يعلم العلماء أنه لم يكن قط لا سيف علي ﷺ ولا غيره، ولو كان سيفه يمتد لمده يوم قاتل معاوية ﷺ^(٣) في فتنة صفين، ومن كذبهم إنه مد يده حتى عبر الجيش على يده بخيبر، وإنه قال للبعلة قطع الله نسلك، فانقطع نسلها! فهذا من الكذب البين، فإنه يوم خيبر لم يكن معهم بعلة، ولا كان للمسلمين بعلة على عهد النبي ﷺ إلا بغلته التي أهداها له المقوقس وذلك بعد غزوة خيبر، بعد أن أرسل ﷺ إلى الأمم، وأرسل إلى ملوك الأرض هرقل، ملك الشام، وإلى المقوقس ملك مصر، وإلى كسرى ملك الفرس، وأرسل ﷺ إلى ملوك العرب مثل صاحب اليمامة وغيره.

فالجيش لم يعبر أحد منهم على يد علي ﷺ ولا غيره، والبعلة لم تنزل عقيباً قبل ذلك، ولم تكن قبل ذلك تلد ثم عقت، وأعداء الصحابة لا يزالون يصنعون الأكاذيب ليشغلوا الأمة عن دينها ولن ينفكوا عن ذلك، ولو قدر أن علياً دعا على بعلة معينة، لم تعم الدعوة جنس البغال، ولكن هذا مما تفرزه عقول من يعادي الصالحين، ويجارب أصحاب رسول رب العالمين ﷺ وأقبح من هذا الكذب الظاهر قول أعداء الصحابة ومن هو في دوامتهم المظلمة بالبهتان، إنه لما سُبِي بعض

(١) مسند أحمد: ح (٢٣١٨).

(٢) سنن البيهقي الكبرى: ح (١٩٥٩٠).

(٣) منهاج السنة: ٧٣ / ٨.

أهل البيت، يوم غدر بهم رافضة الكوفة وقتلوا الحسين عليه السلام هُمّلوا على الجمال عرايا، فنبت لهم سنامات من يومئذ، وهي البخاتي! وأهل البيت عليهم السلام لم يُسب أحد منهم في الإسلام، ولا حمل أحد من نسائهم مكشوفاً، وإنما جرى هذا على أهل البيت في هذه الأزمان بسبب الرافضة كما قد علمه الخاص والعام^(١) وذلك بتعاونهم مع الوثنيين التتار، وكشفهم لعورات آل البيت حين عملوا على التخلص من كل هاشمي في دولة الخلافة، وفي مقدمتهم المستعصم الخليفة العباسي وآله من الهاشميين، ونسائهم وبناتهم وجميع حرمااتهم، فضلاً عن القضاة والمفتين والعلماء والحفاظ والقراء، وأهل الدين والصلاح والورع! أما في عصرنا هذا فإنّ تعاونهم مع قوى الصليب كان أظهر وأقبح وأشنع، حتى طال كل من له صلة بآل البيت والصحابة عليهم السلام وأمتهم أمة العرب، ممن يسير على هدي الكتاب والسنة، وسيبقى هذا شأنهم وخطرهم لا يهون منه إلا متهم على الدين والأمة!.

وأعداء الصحابة حين يزعمون نشر بطولات علي عليه السلام فإنهم لا يحدّثون بها كما وقعت وهي بطولات لا تحتاج إلى إضافات تفسدها، لكنهم يأبون الاكتفاء بها في الصحيح فقط! قال الرافضي: (وفي غزاة الأحزاب أقبلت قريش ومن معها، في عشرة آلاف ونزلوا من فوق المسلمين ومن تحتهم، فخرج عليه السلام بالمسلمين وهم ثلاثة آلاف وعملوا الخندق، وركب عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل، ودخلا من مضيق في الخندق، وطلبا المبارزة فقام علي عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنه عمرو! فسكت، ثم طلب المبارزة ثانياً وثالثاً ويقوم علي، فأذن له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا عمرو كنت عاهدت الله تعالى أن لا يدعوك قرشي إلى إحدى خلتين إلا أجبت إلى واحدة منهما، وأنا أدعوك إلى الإسلام، قال: لا حاجة لي به، قال: فأدعوك إلى النزال، قال: ما أحب أن أقتلك، ثم

(١) منهاج السنة: ٧٤ / ٨

نزل وتجاوزا فقتله علي عليه السلام وانهزم عكرمة ثم انهزم المشركون، فقال: عليه السلام " قتل علي عمراً أفضل من عبادة الثقلين " ^(١).

قال شيخ الإسلام: قد طُرزت هذه القصة بعدة أكاذيب، منها: أنه لما قتل عمراً انهزموا، وهذا كذب بارد؛ فإنهم ما انهزموا، بل بقوا محاصرين المسلمين حتى خبب بينهم نعيم بن مسعود الغطفاني، وأرسل الله عليهم الريح والملائكة فترحلوا، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٩) وقال عليه السلام: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٢٥)

فتبين أن المشركين ما ردهم الله بقتال، ولا هزمهم المسلمون، والحديث الذي رواه به كذب بيقين، وحاشا لرسول الله عليه السلام من هذه المجازفة التي يفتريها أعداء الصحابة، أن يكون قتل واحد أفضل من عبادة الإنس والجن أي الثقلين، فما بقي لمن قتل أبا جهل وصناديد قريش الذين فعلوا بنبي الله عليه السلام الأفاعيل وعمرو بن عبد ود، ما عُرف له شر ينفرد في عداوة رسول الله عليه السلام ولم يذكر مع من آذى رسول الله عليه السلام في مكة، بل لم نسمع له ذكر في بدر ولا أحد ولا غيرهما من الوقائع التي جرت بين المسلمين والمشركين، فمن أين جاء لعمر بن عبد ود كل هذا الذي يتحدث عنه أعداء الصحابة من البطولة؟ وأين آثار بطولات عمرو بن عبد ود؟ ومتى؟ وفي أي مواقع المسلمين والمشركين ظهرت؟!.

لا يوجد ذكر لكل ذلك لكن أعداء الصحابة إن ذكروا أبطال الصحابة طمسوا كل بطولاتهم ولا يتم التغطية على ذلك إلا من خلال التلبيس والتدليس، ومن ذلك أنهم يظهرن علياً عليه السلام بأنه هو المتصرف في سير الحروب التي جرت في عصر النبي عليه السلام وأن النبي عليه السلام لا يزيد عن كونه متفرجاً على تلك الأحداث! أما بقية الصحابة فلم ينجزوا شيئاً من الجهاد! وهذا هو مقصدهم الخبيث

(١) المنتقى منهاج الاعتدال، ٥١٥.

في كل ما يكتبونه، فغايتهم الكبرى أن يحولوا بين الأمة وبين حب أصحاب النبي ﷺ وهذا ما خاب فألهم به، فطالما سخر الله من عباده من يفضح زيفهم، ويفسد سعيهم، وهذه أمة الكتاب والسنة مُجَلَّ علياً ﷺ وتجه حب اتباع واقتداء؛ لاقتدائه هو برسول الله ﷺ وهو من أبطال الصحابة ﷺ له صفحاته المشرقة كما لإخوانه الآخرين من أمثالها، وكل مسخر لما خلق له، وعلى الذي تربى على قيم الكتاب والسنة هو غير علي الذي يتصرف في الكون ويعلم الغيب، ولكل علي أتباع ومحبين.

وقولهم: (وفي غزاة بني النضير قتل علي رامي قبة النبي ﷺ بسهم، وقتل بعده عشرة، وانهمز الباقون)^(١) وهذا من الكذب الواضح فإن بني النضير هم اليهود الذين نزلت فيهم سورة الحشر بالإجماع، وقصتهم قبل أحد، وكان المسلمون قد حاصروهم وقطعوا نخلهم ولم يخرجوا من حصونهم حتى يقال انهزموا ثم صالحوا على الجلاء فأجلاهم الرسول ﷺ أفما تقرأ السورة وتتدبرها؟ وحملوا من أموالهم ما استقلت به إبلهم إلا السلاح، وكان الرجل منهم يخرب بيته عن نجاف بابه فيضعه على بعيره، فخرجوا إلى خيبر والشام^(٢) قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر: ٢) وهذا هو منهجهم في تغطية أحداث السيرة النبوية، لا يسعون في الكتابة والبت عنها إلى نشر فضيلة، أو توضيح حقيقة، وإنما هدفهم هو نشر الفتنة والشك، ولا يكون ذلك إلا حين ينسبون الأحداث إلى غير أهلها وعلى غير حقيقتها.

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال: ٥١٥

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال: ٥١٧.

وأمر المؤمنين علي عليه السلام كان من أبطال المسلمين ومن الفرسان المعروفين، قتل كثيراً من المشركين في ميادين القتال والمبارزة، ولكن أعداء الصحابة يعملون على النسخ في صفحات جهاد علي عليه السلام وهي صفحات مشرقة، لكنهم يزيدون عليها بما يفسد إشراقها ثم يستعملونها للطعن بالصحابة الآخرين عليهم السلام وهذا المنهج ثابت في عامة كتاباتهم القديمة والحديثة، وهذا ما يجب التنبيه له والحذر منه، وأنه لا حاجة للمطالعة فيما يكتبون ولا فيما يحاضرون، ولا لمشاهدة ما يثنون، ولا سيما فيما لهم من فضائيات معاصرة، إذ أن جميع ما يقولونه محل شك وريب، وحتى ما يأتون به من الصحيح فإنهم يحرفون تفسيره ويوجهون تأويله، بما يفسد مقاصده الصحيحة، ويطعن بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ما لا يمكن أن يتخلصوا منه، لأنه يعد من مطالب معتقداتهم وأسس ثقافتهم، ومعاملاتهم مع أمة الكتاب والسنة، التي يُغفل عامة كتابها وعلماؤها الحذر من مثل هذه المزالتق، فضلاً عن أن يثنوا الحذر في نفوس وقلوب أبناء أمة الكتاب والسنة، وهذا مصاب كبير دفعت الأمة ثمنه باهضاً من أمنها ووحدتها وأبنائها وصفاء عقيدتها.

أما الإخبار ببعض الغيبيات فيقع ممن هو دون علي عليه السلام من الصلحاء وغيرهم ممن لا يصلح للإمامة، وأبو هريرة وحذيفة وغيرهما، كانوا يحدثون بأضعاف ذلك، وأبو هريرة رضي الله عنه يسنده، وحذيفة رضي الله عنه يسنده مرة وتارة لا يسنده، فما أخبر به هو أو غيره قد يكون مما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون مما كوشف به علي وعمر رضي الله عنهما، وفي الزهد لأحمد بن حنبل والحلية لأبي نعيم، وكرامات الأولياء، لابن أبي الدنيا، والخلال، واللالكائي، جملة من ذلك عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وعن أباطيلهم على أمير المؤمنين علي عليه السلام وإخباره بأمور غيبية فجاءت كما أخبر عليه السلام يتقصدون في ذلك أمثال ما حدث به النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور غيبية ألهمه الله تعالى الحديث عنها، ليجعلوا من علي عليه السلام نداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ما كان يعاقب عليه علي عليه السلام لما هو دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عليه السلام يعاقب من يقدمه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فيقول: (لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا

جلدته حد المفتري^(١) فمن يصدق ما ينسبونه إليه من علوم الغيب إلا من استقى من خباياهم حتى ثمل، فلم يعد يميز الغث من السمين، ولا البهتان من الصدق^(٢) ومما يبين أنه لم يكن يعلم المستقبلات قوله:

إن عجزت عجزة لا أعتذر سوف أكيس بعدها وأستمر

وأجمع الرأي الشتيت المنتشر

إن لم يشاغبني العجول المنتصر أو يتركوني والسلاح يتندر^(٣)

(ومما يبين أنّ علياً عليه السلام لم يكن يعلم المستقبل، أنه ندم على أشياء مما فعلها ... وكان يقول ليالي صفيين: يا حسن يا حسن ما ظن أبوك أنّ الأمر يبلغ هذا. لله در مقام قامه سعد بن مالك أي ابن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر! إن كان برّاً إن أجره لعظيم، وإن كان إثماً إن خطره ليسير. وهذا رواه المصنفون، وتواتر عنه أنّه كان يتضجر ويتململ من اختلاف رعيته عليه، وأنه ما كان يظن أنّ الأمر يبلغ ما بلغ، وكان الحسن رأيته ترك القتال، وقد جاء النص الصحيح بتصويب الحسن عليه السلام في ترك القتال ومباشرة الصلح، وفي البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى الْمُنْبَرِ وَالْحَسَنُ عليه السلام إِلَى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ صلى الله عليه وآله وسلم: (ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)^(٤) فمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسن عليه السلام على الإصلاح، وسائر الأحاديث الصحيحة تدل على أنّ القعود عن القتال والإمساك عن الفتنة، كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا قول أئمة الإسلام، وهذا ظاهر في الاعتبار فإن محبة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم للعمل بظهور ثمرته، فما كان أنفع للمسلمين في دينهم ودنياهم كان أحب إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم)^(٥).

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة: ح (٤٩) كنز العمال: ح (٣٦١٥٧).

(٢) ينظر البداية والنهاية: ٧ / ٢٥٤.

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال: ٥١٩.

(٤) صحيح البخاري: ح (٣٤٦٣).

(٥) منهاج السنة: ٨ / ٩٩.

وتواتر عن علي عليه السلام أنه كان ضجراً من اختلاف أصحابه ورعيته عليه السلام وقد دلّ الواقع على أنّ رأي ولده الحسن عليه السلام من ترك القتال كان أجود وأنفع للأمة، وقد قعد عن القتال مثل سعد ابن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وعمران بن حصين، وجماعة، ودلتهم النصوص على القعود، فقد ثبت أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ستكون فتنٌ القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاذاً فليعدّ به)^(١).

وقد اختلفت اجتهادات الصحابة عليه السلام على الرغم من وضوح النص وذلك ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ومع كل ما حصل من قتال في الفتنة فإن علياً عليه السلام لم يكفر أحداً ممن قاتله حتى الخوارج الذين كفروه! وكتب الخوارج إلى علي عليه السلام حين دعاهم للالتحاق به: (أما بعد فإنك لم تغضب لربك إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر! واستقبلت التوبة! نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين! فلما قرأ كتابهم أيس منهم)^(٢) فأباطيلهم مدون كثير منها مع الردود عليها، في منهاج السنة مثل حديث قتال علي للجن وحديث رد الشمس، ويروجون له لرد مناقب الصحابة؛ مثل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ)^(٣).

ثانياً: الموقف من شبهة الوصية

ومعنى الوصية اللغوي: وَصِيْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ أَصْبِيهِ، مِنْ بَابِ وَعَدَ وَصَلْتُهُ وَوَصَيْتُ إِلَى فُلَانٍ تَوْصِيَةً، وَأَوْصَيْتُ إِلَيْهِ إِيْصَاءً، وَفِي الْقَرَاءَاتِ السَّبْعَةِ ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾ (البقرة: من الآية ١٨٢) بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ، وَالْأَسْمُ الْوَصَايَةُ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحُ لُغَةً، وَهُوَ وَصِيٌّ فَعِيلٌ بِمَعْنَى

(١) الحميدي: الجمع بين الصحيحين، ح (٢٢٣٠).

(٢) تاريخ الطبري: ١١٧/٣. البداية والنهاية: ٣١٨/٧. وينظر المنتقى من منهاج الاعتدال: ٥٢٣.

(٣) صحيح البخاري: ح (٣٤٠٧) صحيح مسلم: ح (٤٤١٠).

مَفْعُولٍ، وَالْجُمُعُ الْأَوْصِيَاءُ، وَأَوْصِيْتُ إِلَيْهِ بِهَالٍ جَعَلْتُهُ لَهُ، وَأَوْصِيْتُهُ بِوَلَدِهِ اسْتَعْطَفْتُهُ عَلَيْهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى لَا يَفْتَضِي الْإِيْجَابَ، وَأَوْصِيْتُهُ بِالصَّلَاةِ أَمْرُهُ بِهَا، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: من الآية ١٥٣) وَقَوْلُهُ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (النساء: من الآية ١١) أَي يَأْمُرْكُمْ. وَفِي حَدِيثٍ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَوْصَى بِتَقْوَى اللَّهِ، مَعْنَاهُ أَمَرَ فَيَعْمُ الْأَمْرَ بِأَيِّ لَفْظٍ كَانَ، نَحْوُ: اتَّقُوا اللَّهَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ، وَكَذَلِكَ الْخَبْرُ إِذَا كَانَ فِيهِ مَعْنَى الطَّلَبِ، نَحْوُ: لَقَدْ فَازَ مَنْ اتَّقَى، وَطُوبَى لِمَنْ وَسَعَتْهُ السُّنَّةُ؛ وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ، وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ شَغَلَهُ عَيْنُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَلَا يَتَعَيَّنُ فِي الْخُطْبَةِ "أَوْصِيكُمْ"، كَيْفَ وَلَفْظُ الْوَصِيَّةِ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ التَّذْكِيرِ وَالِاسْتِعْطَافِ وَيَبَيِّنُ الْأَمْرَ. فَيَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَى الْأَمْرِ وَيَقُومُ مَقَامَهُ كُلُّ لَفْظٍ فِيهِ مَعْنَى الْأَمْرِ وَتَوَاصَى الْقَوْمُ أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَسْتَوْصِيْتُ بِهِ خَيْرًا^(١) فهذا عامة ما يراد في لفظ الوصية.

ولعل من أبلغ مكر أعداء الصحابة، وأكثره تأثيراً في نفوس الجهلة ومن لا علم لهم من المحسوبين على أمة المسلمين، هو ما اخترعه لهم اليهودي عبد الله بن سبأ من أحاديث الوصية التي اقتبسها من الفكر اليهودي الذي يدين به، ذلك أنه هو أول من تكلم بالوصية، ولم يكن أحد من المسلمين يتحدث بها، ولم تخطر على بال أحد منهم، ولما التصق دين أعداء الصحابة بالنشأة اليهودية، والصبغة الشعوبية، فإنهم عملوا في ميادين شبهاتهم على طمس أصول هذه الشبهة لكنهم لم يتمكنوا من ذلك، لأنها لم تكن طارئة على فكرهم وعقيدتهم، إنما هي أصل نشأتهم ونسيج هويتهم!

فلما عجز أعداء الصحابة عن ستر عورات معتقدتهم وأصول نشأتهم؛ لجأوا كعادتهم إلى الجحود والإنكار والزعم بأن الحديث عن ابن سبأ غير دقيق، مما أوقعهم في شباك بهتانهم، والتصادم مع نصوص مصادرهم من غير تأويل ولا تفسير، وهناك كثير من كتبهم في الحديث

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، باب: (وص ي) ١٠/٣٧٢.

والفقه وغيرها جاء فيها ذكر ابن سبأ^(١) وقد أحسن الشيخ محمد مال الله في ترتيب مصادر أعداء الصحابة معتمداً كثيراً على التحفة الاثني عشرية للآلوسي، فبين مصادرهم التي ذكرت ابن سبأ ووضحت دوره، وبين من أقر بذلك من المعاصرين ومن عمل منهم على رد شبهة إنكار ابن سبأ والقول بإثباته والموقف منه^(٢).

ولهذا يلاحظ المتابع أن ثمة اتجاهات أخيراً لدى بعض شيوخهم المعاصرين إلى العدول عن إنكاره، لما في ذلك من نقض لروايات اسلافهم، قال أحدهم: "وعلى كل حال فإن الرجل - أي: ابن سبأ - كان في عالم الوجود، وأظهر الغلو، وإن شك بعضهم في وجوده وجعله شخصاً خيالياً... أما نحن، بحسب الاستقراء الأخير، فلا نشك بوجوده وغلوه"^(٣) وبهذا يثبت صدق

(١) من ذلك على سبيل المثال: المجلسي: بحار الأنوار: ٢٥/٢٨٦ وما بعدها. وابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ١/٢١٣، والطوسي: تهذيب الأحكام، ٢/٣٢٢. وعبد الله الممقاني: تنقيح المقال، ٢/١٨٣. والأعلمي: مقتبس الأثر: ٢١/٢٣٠.

(٢) ينظر الآلوسي: أخبار الشيعة وأحوال رواتها، تقديم وتعليق: محمد مال الله، ١١٠. وهناك أكثر من عشرين مصدراً من مصادر أعداء الصحابة، كلها تثبت ابن سبأ ودعوته التخريبية الهدامة التي تبناها أعداء الصحابة ودانوا بها وجعلت منهم أعداء للكتاب والسنة ولكل من يعمل بهما على الوجه الصحيح، ومن هؤلاء على سبيل المثال: النوبختي ت ٣١٠هـ: كتابه فرق الشيعة، ٢٣. قال: لما بلغ ابن سبأ نعي علي بالمدائن، قال للذي نعاه: (كذبت لو جئتنا بدماعه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يموت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض). الكشي- ت ٣٤٠هـ: رجال الكشي، ٩٨. الشيخ المفيد: ت ٤١٣هـ: كتاب شرح عقائد الصدوق، ٢٥٧. ابن أبي الحديد ت ٦٥٥هـ: شرح نهج البلاغة، ٢/٩٩. أبو جعفر الطوسي ت ٤٦٠هـ: تهذيب الأحكام، ٢/٣٢٢. الأردبيلي: ت ١١٠٠هـ: جامع الرواة، ١/٤٨٥. المجلسي- ت ١١١٠هـ: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ٢٨٦/٢. الخوانساري: وقال إن جعفر الصادق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير، روضات الجنات، ١٣/١٤١. محمد حسين المظفري: ت ١٣٦٩هـ وهو من المتأخرين الذين لا ينكرون وجود ابن سبأ. تاريخ الشيعة: ١٠. وغير هؤلاء كثير.

(٣) محمد حسين الزين: الشيعة في التاريخ: ٢١٣.

قول جعفر الصادق: " إن ممن ينتحل هذا الأمر لمن هو شرُّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا"^(١) وفي تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، قال: كان قتادة بن دعامة السدوسي البصري المتوفى عام (١١٧هـ) إذا قرأ هذه الآية: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ (آل عمران: من الآية ٧) قال: " إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري "

فكُتِبَ أعداء الصحابة تعترف وتقرُّ بأن ابن سبأ هو أول من قال بالوصية^(٢) لعلي عليه السلام وأول من قال برجعتة وطعن في الخلفاء الراشدين الثلاثة والصحابة عليهم السلام وهي آراء وعقائد أصبحت فيما بعد من أسس معتقد أعداء الصحابة، وذلك حينما صيغت هذه الآراء وغيرها على شكل روايات وأحاديث ونسبها زوراً وهتافاً لآل البيت، فوجدت القبول لدى كثير ممن في قلوبهم مرض وغيرهم من العجم والجهلة والحاقدين على العرب وعلى ما أنجزه الصحابة عليهم السلام من الفتوح وترسيخ العدل ونشر الأمن في البلاد التي استقبلتهم أو التي خضعت لهم.

وكان بعض شعراء القرن الأول إذا ذمَّ أحداً من المبتدعة نسبه إلى السبئية، قال أعشى همدان المتوفى عام " ٨٤ هـ " يهجو المتنبي الكذاب المختار بن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة، بعدما فرَّ مع أشرف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

شهدت عليكم أنكم سبئية وأني بكم يا شرطة الكفر عارف^(٣).

وقال الفرزدق المتوفى ١١٦ هـ يهجو من انضم إلى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث من أهل العراق في معركة دير الجماجم، ويصفهم بالسبئية، يقول:

كَأَنَّ عَلَى دَيْرِ الْجَمَاجِمِ مِنْهُمْ حَصَائِدَ أَوْ أَعْجَازَ نَخْلِ تَقَعَّرَا

(١) الكشي: رجال الكشي، ٢٥٢. محمود شكري الألوسي: أخبار الشيعة وأحوال روايتها، تقديم وتعليق: محمد مال الله، ٩.

(٢) ينظر القمي: المقالات والفرق: ٢٠، النوبختي: فرق الشيعة: ٢٢، الكشي: رجال الكشي: ١٠٨.

(٣) ديوان أعشى همدان: ١٤٨، تاريخ الطبري: ٦/٨٣.

تَعَرَّفُ هَمْدَانِيَّةٌ سَبِيَّةٌ وَتُكْرَهُ عَيْنِيهَا عَلَى مَا تَنَكَّرَ^(١).

أما موقف أمير المؤمنين علي عليه السلام من السبئية فكان حاسماً لا يقبل التردد، فمن ثبت عليه شيء من أقوالهم أو أفعالهم الذميمة لم يكن له شافع، فما إن كادت السبئية أن تطل برأسها حتى حاربها علي عليه السلام كما حارب الصديق عليه السلام المرتدين من قبل بأقصى أنواع القتال والقتل، أما أمير المؤمنين علي عليه السلام: (فقد أمر بإحراق أولئك الذين ادعوا فيه الألوهية^(٢) قال ابن تيمية:) وليس في فرق الأمة أكثر كذباً واختلافاً من الرافضة من حين نبعوا إلى أول من ابتدع الرفضاً وكان منافقاً زنديقاً يقال له عبد الله بن سبأ فأراد بذلك فساد دين المسلمين كما فعل بولص صاحب الرسائل التي بأيدي النصارى حيث ابتدع لهم بدعاً أفسد بها دينهم وكان يهودياً فأظهر النصرانية نفاقاً لقصد إفسادها وكذلك كان ابن سبأ يهودياً سعى في الفتنة لقصد إفساد الملّة فلم يتمكن لكن حصل بين المؤمنين تحريش وفتنة قتل فيها عثمان عليه السلام وجرى ما جرى من الفتنة ولم يجمع الله والله الحمد هذه الأمة على ضلالة بل لا تزال فيها طائفة قائمة بالحق لا يضرها من خالفها ولا من خذها حتى تقوم الساعة كما تشهد بذلك النصوص المستفيضة في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وآله ولما أحدثت البدع الشيعية في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ردها وكانت ثلاثة طوائف غالية وسبابة ومفضلة فأما الغالية فإنه حرقهم بالنار فإنه خرج ذات يوم من باب كندة في الكوفة فسجد له أقوام فقال ما هذا؟ فقالوا: أنت هو الله فاستتابهم ثلاثاً فلم يرجعوا فأمر في اليوم الثالث بأخاديدياً فخذت وأضرم فيها النار ثم قذفهم فيها. وقال عليه السلام:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً^(٣).

(١) ديوان الفرزدق، ٢٤٢، الألويسي: أخبار الشيعة وأحوال رواتها، تقديم وتعليق: محمد مال الله، ١٠١.
(٢) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة: تحقيق: محمد رشاد سالم، ١/٢١٩ الملطي: التنبيه والرد: ١٨، الإسفراييني: التبصير في الدين: ٧٠. الألويسي: أخبار الشيعة وأحوال رواتها، تقديم وتعليق: محمد مال الله، ١٨.
(٣) منهاج السنة: ١/١٢. الفتاوى الكبرى: ١/٧١. إقامة الدليل على إبطال التحليل: ١٥٣. وينظر الملطي (ت ٣٧٧هـ): التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ١٨. البغدادي ت ٤٢٩هـ: الفرق بين الفرق، ١٥ فما بعدها. ابن

وفي صحيح البخاري أن علياً عليه السلام أتى بزنادقتهم فحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: (لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ، وَلَقَتَلْتُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَأَقْتُلُوهُ ")^(١).

وأما السبابة: فإنه لما بلغه أن ابن سبأ يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما طلب قتله فهرب إلى قريسا وهي بلدة عند مصب نهر الخابور بالفرات، وكلم فيه وكان علي عليه السلام يداري أمراءه؛ لأنه لم يكن متمكناً ولم يكونوا يطيعونه في كل ما يأمرهم به. وأما المفضلة، فقال: " لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلا جلدته حد المفترى " وروي عنه من أكثر من ثمانين وجهاً أنه قال: " خير هذه الأمة بعد نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر ثم عمر ". وفي صحيح البخاري أعن محمد بن الحنفية أنه قال لأبيه: يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: يا بني أو ما تعرف؟ قال: لا. قال: أبو بكر قال: ثم من؟ قال: ثم عمر^(٢) وفي الترمذي وغيره أن علياً عليه السلام روى هذا التفضيل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمقصود هنا أنه قد كُذِبَ على علي عليه السلام من أنواع الكذب التي لا يجوز نسبتها إلى أقل المؤمنين^(٣) وتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم معلوم في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَعْدِلُ بِأَيِّ بَكْرٍ أَحَدًا ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نُقَاضِلُ بَيْنَهُمْ)^(٤).

قال مالك بن مغول، قلت: لعامر الشعبي ما ردك عن هؤلاء القوم؟ وقد كنت فيهم رأساً؟ قال: رأيتهم يأخذون بأعجاز لا صدور لها، ثم قال لي: يا مالك لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيداً

حزم: ت ٤٥٦ هـ في الفصل في الملل والنحل، ٤/ ١٨٦. الأسفراييني ت ٤٧١ هـ: التبصرة في الدين، ص ١٠٨. الشهرستاني ت ٥٤٨ هـ: الملل والنحل، ٢/ ١١٥.

(١) صحيح البخاري: ح (٢٧٩٤).

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٤٢١).

(٣) منهاج السنة: ١/ ٢١٣. الفتاوى الكبرى: ١/ ٧٢. إقامة الدليل على إبطال التحليل: ١٥٤.

(٤) صحيح البخاري: ح (٣٣٩٥).

أو يملئوا لي بيتي ذهباً، أو يحجوا إلى بيتي هذا على أن أكذب على علي ﷺ لفعلوا! ولا والله لا أكذب عليه أبداً، يا مالك إني قد درست الأهواء فلم أر فيها أحق من الخشبية، فلو كانوا من الطير لكانوا رخماً، ولو كانوا من الدواب لكانوا حمراً، يا مالك لم يدخلوا في الإسلام رغبة فيه لله، ولا رهبة من الله، ولكن مقتاً من الله عليهم، وبغياً منهم على أهل الإسلام، يريدون أن يغمصوا دين الإسلام كما غمص بولص بن يوشع ملك اليهود دين النصرانية^(١) ولا تجاوز صلاتهم آذانهم، قد حرقهم علي بن أبي طالب ﷺ بالنار، ونفاهم من البلاد، منهم عبد الله بن سبأ يهودي من يهود صنعاء، نفاه إلى ساباط، وأبو بكر الكروس نفاه إلى الجابية، وحرق منهم قوماً أتوه فقالوا: أنت هو، فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت ربنا!! فأمر بنار فأججت فألقوا فيها، وفيهم قال علي ﷺ:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً اججت ناري ودعوت قنبرا

يا مالك إن محتهم محنة اليهود؛ قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود، وكذلك قالت الراضة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي ﷺ...^(٢)

ثم ذكر ابن تيمية والخلال ما يتفق به هؤلاء مع اليهود من المعتقدات والأخلاق، فمن أراد التفصيل فليقرأ في منهاج السنة النبوية، وكذلك السنة للخلال^(٣) والكلام في هذا يطول، والمقصود أن هذا اليهودي المتأسلم عبد الله بن سبأ، هو الذي بذر بذرة القول بالوصية بين الناس فتلقفها منه أهل الأهواء ولا سيما المتورين من بقايا المجوس الذين لا يباثل حقدهم على هذه الأمة حقد أمة أخرى، فانتشر هذا المعتقد وبها يخالف الكتاب والسنة وما كان عليه حال الأمة

(١) ابن أبي العز الحنفي ت ٧٩٢هـ: شرح العقيدة الطحاوية، ٥٧٨. قال: (إن عبد الله بن سبأ أظهر الإسلام، وأراد أن يفسد دين الإسلام، كما فعل بولص بدين النصرانية). وقال المقرئ: (إن عبد الله بن سبأ قام في زمن علي ﷺ محدثاً القول بالوصية والرجعة والتناسخ). المقرئ ت ٨٤٥هـ: الخطط، ٣٥٦/٢. وينظر الألويسي: أخبار الشيعة وأحوال رواياتها، تقديم وتعليق: محمد مال الله، ١٠٥.

(٢) منهاج السنة: ١٣/١. ينظر الخلال: السنة، ح (٧٩١).

(٣) منهاج السنة: ١٣/١. الخلال: السنة، ح (٧٩١).

وفهم أئمتها الخلفاء الراشدين ﷺ وكان من أخطر ما حصل على أيدي السبئية هو تجنيد الغوغاء ممن لا علم لهم ولا ولاء، وإنما كلما سمعوا من يدغدغ مشاعرهم ويستجيش عواطفهم تبعوه ولا يسألوه أين يسير بهم، وربما هذه السنين التي نحن فيها شبيهة كل الشبه بما كان عليه الأمر قبيل مقتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ سنة خمس وثلاثين من الهجرة.

أثر ابن سبأ في ترويح شبهة الوصية المكذوبة

ومما كان في سنة خمس وثلاثين من الهجرة من أحداث خطيرة، لا زالت الأمة تدفع ثمنها من أمنها ومن وحدتها، ويشارك في تحمل أوزار الفشل في صدّ هذه الهجمة اليهودية المجوسية الشعبوية، كل عالم من أمة السنة ليس له جهد علمي ومشاركة عملية في العمل على تحصين الأمة من خطر هذه العقائد الهدامة، التي كلما ضعف الولاء للسنة وكلما ارتفعت راية للغزاة والمعتدين؛ ارتفعت معها رايات هذه الفرق الهدامة، التي لا زالت الأمة ترعاها وتحميها وتواسيها في عيشها وأمنها! وهذا ما لم يعد سويّاً في وسائله ولا في نتائجه، لما في بقاء هذه المعادلة المقلوبة من الغبن لأمة الكتاب والسنة، ولما أصابها من الأذى ولحق بأبنائها من الحيف والظلم والقهر، الذي تلقوه على أيدي المتعاونين مع الغزاة والمحتلين لبلاد المسلمين على مر السنين!.

فمن أحداث ذلك العام نزول أهل مصر ذا خُشب قرب المدينة، كما قال الواقدي والطبري، أن ذا خُشب كان سنة خمس وثلاثين، حيث سار من استغواهم ابن سبأ من بعض أهل مصر إلى ذي خُشب^(١) وسار معهم من أغواهم من أهل العراق إلى ذي المروة^(٢) ومثل هذا المسير يبين المسؤولية الملقاة على كاهل العلماء وأصحاب القرار في الأمة، إذا أنّ مواقفهم المتهاونة إزاء المتعاونين مع أعداء الصحابة، أفرزت مواقف تائهة وأخرى متعاونة مع أعداء الأمة والعقيدة،

(١) ذا خُشب: واد على مسيرة ليلة من المدينة، معجم البلدان: ٢/ ٢٣٥.

(٢) ذو المروة: بين ذو خُشب ووادي القرى، البكري: معجم ما استعجم: ٤/ ٥٤، ٨/ ١٠٣٨.

أسهمت في نشر باطلهم وتوسع نفوذهم في كثير من الزوايا المظلمة فأفرخت أتباعاً وأعواناً للمعتدين على الأمة والهوية، يظهرون إذا ضعفت الأمة، ويخسرون إذا قويت شوكتها!.
وفي تاريخ الطبري: (كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ثم تنقل في بلدان المسلمين، يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن نبي الله عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً صلى الله عليه وسلم يرجع، وقد قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ (القصص: من الآية ٨٥).

فمُحمد أحق بالرجوع من عيسى. قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد؛ ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناول أمر الأمة! ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان رضي الله عنه أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانفضوا في هذا الأمر فحرّكوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعائه وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولائهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأه أولئك في أمصارهم، وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة! وهم يريدون غير ما يظهرون! ويسرون غير ما يبدون! فيقول أهل كل مصر: إنا لفي

عافية مما ابتلي به هؤلاء، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار! فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس...^(١).

وتابع ابن سبأ مدّ أحابيله ونفث أباطيله ووسوسة ألعابيه، حتى ظهر القيل والقال ووقع بين المسلمين التفرّق والجدال، وانتشر سب الصحابة الكرام، وذاع الطعن فيهم من أولئك المهمل الطغام، حتى إن أمير المؤمنين عليّ ﷺ خطب فوق المنبر خطباً كثيرة؛ في ذمّ أعداء الصحابة، وأظهر البراءة منهم، وأوعد بعضهم بالضرب والجلد، فلما رأى ابن سبأ أن سهمه قد أصاب هدفاً وأخلّ بذلك عقائد بعض المسلمين ممن لا علم ولا ولاء، اختار أخص الخواص من أتباعه وألقى إليهم أمراً أدهى وأخطر، وذلك بعد أن أخذ عليهم ميثاقاً غليظاً لكي لا ينكشف زيفه ولا يعرف نفثه، بأن أمير المؤمنين عليّ ﷺ يصدر منه ما لا يقدر عليه البشر من قلب الأعيان، والإخبار بالمغيبات، وإحياء الموتى، وبيان الحقائق الإلهية والكونية، وفصاحة الكلام، والتقوى والشجاعة، والكرم، إلى غير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فهل تعلمون منشأ هذه الأمور؟^(٢).

ولما لم يستأصل أمير المؤمنين ﷺ السبئية بسبب اشتغاله بما هو أهم عنده منهم آنذاك، ولا سيما الخوارج الذين أعلنوا الحرب عليه بعد أن كفروه ﷺ واستحلوا دماء المسلمين، فراج مذهبه واشتهر، وذاع وانتشر، فأرسل ابن سبأ بعض أتباعه حتى وصلوا أذربيجان، وكان من أهم أصول وسوستهم وشائعاتهم الباطنية، البدء أولاً بفرية تفضيل عليّ عليه من الصحابة ﷺ وثانياً بتكفير الصحابة، وثالثاً بألوهية عليّ ﷺ ودعا الناس على حسب استعدادهم، وربط رقاب كل من اتبعه بحبل من حبال الغواية، فهو قدوة لجميع الفرق المخالفة، وإن أكثر أتباعه وأشياعه من تلك الفرق يذكرونه بالسوء لكونه قائلاً بألوهية عليّ ﷺ ويعتقدون أنه قدوة الغلاة، ولذا

(١) تاريخ الطبري: ٦٤٧/٢. طبعة دار الكتب العلمية، تاريخ دمشق: ٤/٢٩. تاريخ يعقوبي: ١/١٧٥.

(٢) الألويسي: أخبار الشيعة وأحوال رواتها، تقديم وتعليق: محمد مال الله، ٢٢.

ترى أخلاق اليهود وطبائعهم موجودة في جميع فرق الشيعة، وذلك مثل الكذب، والبهتان، وسب أصحاب رسول الله ﷺ وكبار أئمة الدين، وحملة كلام الله تعالى وكلام الرسول ﷺ وحمل ذلك الزنديق بباطنيته ومكره كلام الله تعالى والأحاديث على غير ظاهرها، وعلم أتباعه النفاق وكنم عداوة أهل الحق في القلب، وإظهار التملق خوفاً وطمعاً، واتخاذ النفاق شعاراً ودثاراً، وعدّ التقية من أركان الدين، وكتب الكتب المزورة، ونسبها إلى النبي ﷺ والأئمة زوراً وبهتاناً، ودعا إلى إبطال الحق وإحقاق الباطل لأغراض دنيوية، وبوسائل وتمويهات شيطانية، وما هذا إلا من بعض وسائل مكره الذي ورثه عن معتقده ووسائل تعامل أئمة مع الأميين من الأمم الأخرى، وإذا تفكر المسلم بما ورد في كتاب الله تعالى من صفات اليهود الذميمة ومع ما عند أعداء الصحابة من قيم فاسدة وأخلاق باردة وأحقاد قاتمة؛ يجد أنها متطابقة بعامة وجوهرها^(١) قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُضُوبِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٧٦) وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩) وقال ﷺ: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَانْكُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران: ٧٢) وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٨٧) وعن جحودهم وشهادتهم الزور للمشركين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (النساء: ٥٠) وحين أصروا على الكفر ورفض الإيمان، صاروا كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (القصص: ٤١).

(١) ينظر الألويسي: أخبار الشيعة وأحوال رواياتها، تقديم وتعليق: محمد مال الله، ٢٣.

فيتين أن ابن سبأ قد نجح إلى حدّ بعيد في نشر الشك بين المسلمين، وبث برامج الفتنة، وافتراعات التضليل، مقرونة بالتحريض والدعوة المبطنة إلى الخروج على الولاة ومباشرة المواجهة معهم، وكل ذلك بسرية وهدوء، مستنداً إلى نصوص تشبته فيها بعض المعاني على من لا علم له، أعانه على تحقيق ذلك، أنّ مواقف العلماء وأهل القرار آنذاك لم تكن حاسمة معه! وذلك لأمرين، الأول منهما: عدالة المسلمين وورعهم، وحسن ظنهم في الناس، وأنهم لا يعاقبون على الشبهة، وثانياً باطنية ابن سبأ واستعماله الأباطيل، ونظايره بغير ما يريد ويخطط له، مستفيداً في كل ذلك من العقائد اليهودية، والكذب على المخالف وغشه ومخادعته، ومن خلال تلك الثقافة التخريبية نشر الشك بالأمراء والولاة وافترى عليهم الأكاذيب الباطلة لتأكيد ما يرمي إليه، فوافق على ذلك أهل الأهواء، فأغواهم وقادهم إلى ما فيه تمزيق وحدتهم وخراب أمتهم، فألبسهم ثياباً عارية، وأنطقهم بأقوال مزرية، لم يقل بها رسول الله ﷺ ولا أمير المؤمنين علي ﷺ ولا أحد من أمة الكتاب والسنة، مثل قوله: "لكل نبي وصي" فمن قال بهذا؟! سوى هذا اليهودي الباطني ومن أخذ عنه بهتانه! فجعله أساساً لدينه المصنوع! فقال بالوصية المكذوبة على علي ﷺ ثم قال بالعصمة لأناس لم يقل أحد منهم بها! ثم حرّض هذا الزنديق وأعوانه مبغضي الصحابة الغوغاء على أئمة الأمة المسلمة فقاموا باغتيالهم تباعاً، عمر وعثمان وعلي والحسين ﷺ فأوجب الدين والعقل والولاء للكتاب والسنة ولأئمتها؛ البراءة من كل من يتحدث عن الوصية، ومعاقبة كل من ينال من أصحاب خير البرية ﷺ وأن كل عالم أو صاحب قرار من أمة الكتاب والسنة، لا يعمل بهذا مع أعداء الصحابة فهو متهم في فهمه أو في ولائه، وكل من يلتمس الأعذار لهؤلاء إنما هو طابور لهم ومطية لأطباعهم، وعين لعدوانهم على هوية هذه الأمة وعقيدتها، وهو يمثل خطراً على أمنها وثقافتها وقيمها وأخلاقها؛ أينما حل وأينما رحل، ولا أمن ولا أمن ولا سر ولا مخبوء للأمة وفيها من يثق أو يحسن الظن بهم، أو يأمن من يتستر عليهم ويلتمس لهم الأعذار.

وهذه وأمثالها هي القواعد التي تصلح أن يبني عليها أبناء الأمة ثقافتهم وإعلامهم وسياستهم مع هؤلاء القتلة، ولن تنجح الأمة في تحرير أرض أو توحيد صف وبين أبنائها من يدعو إلى مؤاخاة قتلة الفاروق رضي الله عنه والصمت عن معتقدتهم المكذب للكتاب والسنة، ولا أدل على مصداقية هذه القاعدة من أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر الصديق رضي الله عنه لم يباشر الجهاد مع الروم والفرس حتى فرغ من تنقية بلاد المسلمين ممن رفض الزكاة ورفض خلافة أبي بكر رضي الله عنه ومن ارتدّ عن الإسلام من أتباع مسيلمة والأسود العنسي وإخوانهم، وكذلك صلاح الدين الأيوبي لم يباشر حروب فتح القدس وطرد الصليبيين إلا بعد أن تم له تخليص مصر من الباطنية العبيدية التي تلبست سنيناً باسم الفاطمية، ولم يباشر قتال الصليبيين حتى طهر دولته من حلفائهم الطبيعيين من الباطنية وأعداء الصحابة وأذئاب المجوس والصليبيين، وبعد ذلك قاتل على أرض صلبة تكسرت على صخورها قرون الصليبية وأعوانها من أعداء الصحابة والمتعاونين معهم، ففتحت القدس وطردت القوى الصليبية تجر أذيال الخيبة.

ومثل ما يقال عن صلاح الدين الأيوبي يقال عن يوسف بن تاشفين ودولة المرابطين وشيخها عبد الله بن ياسين الذين كان من قواعد قيام دولتهم؛ أن لا ينساحوا في الفتوح ومحاربة الصليبيين أو المرتدين في عصرهم؛ إلا بعد القضاء على دولة أعداء الصحابة آنذاك المسماة دولة برغواطة في جبال المغرب، وحال الأمة في هذا العصر ليس بدعاً عمّا مرت به من أزمات، فلن يتغير حالها ولن يتبدل وضعها إلى ما هو أفضل من الوحدة والأمن، إلا بعد أن يبني أئمتها المعاصرون على ما بناه هدايتها وأئمتها المصلحون.

اعتماد أعداء الصحابة على روايات موضوعة في الترويج لشبهة الوصية

كان أعداء الصحابة يعلمون الوجه الصحيح لكثير من الأحداث التي جرت في عصر الرسالة، وبدلاً من التسليم وقبول الصحيح منها، فإنهم يجتهدون لصناعة أحاديث مكذوبة تشوه وتشوش على الوجه الذي جرت فيه تلك الأحداث، فإذا عجزوا عن صناعة خبر من عند

أنفسهم؛ يصور واقعة من الوقائع على الوجه الزائف الذي يريدونه، فإنهم يعودون إلى ما في كتب السنة الصحيحة فيأخذون منها نصوصاً ثم يُعيدون صياغتها وينسبونها لمفترين إلى بعض الصحابة أو آل البيت ﷺ ليستظلوا تحت باطلها فيتابعوا إذاعة شبهاتهم ونشر أباطيلهم!.

ومن ذلك موقفهم من شبهة الوصية، وجهوا لها النصوص إلى غير وجهتها الصحيحة، وحرفوا تفسيرها، ثم وضعوا لها الأحاديث المكذوبة، مضاهاة لما في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، التي هي أعلم الناس بخصوصيات النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه ﷺ وبآخر ما قاله النبي ﷺ حين كانت رضي الله عنها هي مستراحه وهو على تلك الحال، فهم يتقمصون روح الأحاديث التي روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومقاصدها ثم يصنعون شبهات لها من بنيات أفكارهم المريضة، وينسبون ذلك إلى أمير المؤمنين علي ﷺ الذي كان يعاقبهم ويقتلهم ويحرقهم بالنار ويرأ منهم ﷺ! فقالوا كاذبين عمّن كان مع النبي ﷺ في آخر لحظاته: (توفي وإنه لمستند إلى صدر علي ﷺ) ^(١) وهذا لتكذيب ما في الصحاح عن وفاة النبي ﷺ بين يدي أحبّ الناس إليه عائشة رضي الله عنها، ولما أحسوا أنّ هذا الحديث المكذوب مقتضب، أضافوا إليه ما يؤكد بهتانهم وكذبهم وإصرارهم على تحريف كل حدث له صلة بعقيدة الكتاب والسنة، مع تشكيك الناس بحديث الصحيحين، فقالوا لمفترين: عن أبي غطفان قال: سألت ابن عباس: رأيت رسول الله ﷺ توفي ورأسه في حجر أحد؟! مع تأكيد المفترين على كلمة "حجر" ليعرف كل عاقل بهتانهم الفاقع! قال: (توفي وهو لمستند إلى صدر علي. قلت: فإنّ عروة حدثني عن عائشة أنها قالت: توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري؟! فقال ابن عباس: أتعقل؟! والله! لتوفي رسول الله ﷺ وإنه لمستند إلى صدر علي؛ وهو الذي غسله وأخي الفضل ابن عباس، وأبي أبي أن يحضر، وقال: إن رسول الله ﷺ كان يأمرنا أن نستتر، فكان عند الستر!! ^(٢) قال الألباني:

(١) السلسلة الضعيفة: ح (٤٩٦٩) موضوع.

(٢) السلسلة الضعيفة: ح (٤٩٦٩) قال الألباني: موضوع.

قلت: وهذا موضوع، ولم يضعه المفترون هكذا اعتباطاً وإنما وضعوه ليشوشوا على حديث عروة بن الزبير رضي الله عنه الذي في البخاري لتشكيك الغوغاء ومن في قلوبهم مرض ممن يدعون إلى التعاون مع أعداء الصحابة، وهم على ما هم عليه من الحقد والإفك على الكتاب والسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم!! ولما مهدوا لمقاصدهم الخبيثة بأن النبي صلى الله عليه وسلم توفي بالحال التي ذكروا وهي آخر أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليكملوا بهتانهم ويحكموا إفكهم بزعمهم ربطوا وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ببداية بعثته وأن علياً رضي الله عنه كان هو الوصي منذ ذلك التاريخ ليتبين بذلك لكل عاقل أن هؤلاء القوم لن يسالموا الإسلام ولا نبيه صلى الله عليه وسلم ولا أئمة، وسيبقون يمدون الإفك برواياتهم وأعداء الإسلام بأكاذيبهم وتعاونهم!.

ومن الروايات التي وضعوها مضاهاة لما في الصحاح أيضاً، عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا علي، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني متى أبادتهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليه حتى جاء جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به فلما وضعته أخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم فشققها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحيفة، ثم قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال صلى الله عليه وسلم: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، وإيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لقد سحركم صاحبكم. فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم!.

فقال الغد: يا علي إن هذا الرجل بدرني بما قد سمعت من القول، فتنفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلي، قال: ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال ﷺ: اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتمكم به، إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي! قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وإني لأحدثهم سنناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحشهم ساقاً، فقلت: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي! فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون! ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(١).

وهذه الرواية اجتمع فيها نصوص متعددة منها الصحيح ومنها المكذوب وهي كما رواها الطبري وابن كثير وغيرهم في التاريخ والتفسير موضوعة، فيها عبد الغفار بن قاسم الكوفي، قال عنه الدارقطني: "متروك" وقال ابن المديني وأبو داود: "كان يضع الحديث" وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن قاسم وهو متروك، كذاب شيعي، اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث، وضعفه الباقر^(٢)" وقال: "تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم، وهو كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الباقر^(٣)" وقال عنه الذهبي: "رافضي ليس بثقة"^(٤).

(١) البداية والنهاية: ٥٣/٣. تاريخ الطبري: ٥٤٣/١. والراوي هو عبد الغفار بن قاسم الكوفي، شيعي كذاب قال عنه الدارقطني: متروك. وقال عنه ابن المديني وأبو داود: يضع الحديث! ينظر معجم أسامي الرواة، ٥٤٥/٢.

الذهبي: ميزان الاعتدال: ٦٤٠/٢.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٢٣١/٦.

(٣) البداية والنهاية: ٥٣/٣.

(٤) ميزان الاعتدال: ٦٤٠/٢.

وهذه الرواية وبعد كل ما قيل فيها فهي مخالفة للسياق الصحيح الذي جاءت به كتب السنّة المعتمدة فلم ترد في الروايات الصحيحة مسألة الوصية! ذلك أنها لا أصل لها، وأنّ أول من صنعها وروج لها هو اليهودي ابن سبأ كما تم بيان ذلك، قال ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٤) جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ يُبْطُونِ قُرَيْشٍ، وَقَالَ: " جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ قَبَائِلَ قَبَائِلٍ " (١).

فالنبي ﷺ أنذر وصدع بها أمر به ﷺ على الوجه الذي أمر به مبتدئاً بأهله ثم الأقرب فالأقرب من قريش، ولم يكتف بإنداز بني هاشم كما يزعم من يريد أن يحصر الإسلام في أسرة واحدة، وأنها هي التي تفهمه! وهي التي تبلغه! وهي التي تأكل مغانمه، ثم تختصر من الأسرة إلى فرد واحد أو من ينوب عنه، فهو المتصرف في الكون وهو صاحب الزمان والمكان أو وكيله، يفعل ما يشاء ولا يُسأل عما يفعل، وبالتأكيد الذي يعلمه كل مسلم أن هذا شيء آخر غير الذي جاء به النبي محمد ﷺ وغير الذي أمر به! وهذه الرواية مردودة بسياقها السالف مردودة لمخالفتها لما في الصحيح، ذلك أن النبي ﷺ حين أنزل الله عزَّ وجلَّ عليه: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قال: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) (٢) وقال النبي ﷺ: (يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا أُمَّمَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، يَا فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلَانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا) (٣) فبلغ النبي ﷺ أسرته ثم بلغ قبائل قريش كافة، ثم انتقل إلى التبليغ العام من غير تردد ولا سرية.

(١) صحيح البخاري: ح (٣٢٦٣).

(٢) صحيح البخاري: ح (٢٥٤٨).

(٣) صحيح البخاري: ح (٣٢٦٤).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهري، يا بني عدي، لبطن قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو هب وقريش، فقال ﷺ: أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مُصدقين؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال ﷺ: فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو هب: تباً لك سائر اليوم!! أهدأ جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (المسد: ١-٢)١٠.

فهذه الروايات الصحيحة تبين وبكل جلاء الموقف الحقيقي لبداية تبليغ النبي ﷺ دعوته لأبناء أمته، وأنه هو الذي كان يباشر تبليغ الناس ما أنزل إليه من ربه، فإن كان طلب من بعض أهله أن يخلفه في بعض حوائجه ﷺ المادية أو في رعاية أهله وأسرته وما إلى ذلك مما يأمر الكبير فيها الصغير من أبناء أسرته، فهذا لا صلة له بخلافة النبوة المحسومة لأبي بكر الصديق ﷺ بإشارات وإرشادات رسول الله ﷺ وبإجماع المهاجرين والأنصار وأمة الكتاب والسنة، وبما لا يقبل الشك ولا الريب، وبما يؤكد أنه لا وصية ولا وراثة ولا قبلية ولا حزبية، إنما هو دين الله يورثه للصادقين المؤمنين المختبين، وأن كل من يشكك بهذه الثوابت فإنه متهم، وأن مقاصده مريبة، وهو موضع شك! وأهل للمحاسبة والتفتيش فيما وراء تشكيكه، ذلك أن هذا المشكك ما هو إلا داعية إلى تكذيب الصحاح، وتصديق الباطل، ورد إجماع الأمة! ومشاركته في العمل على نفس وقواعد الشريعة وبناء الإسلام بأجمعه.

ثم متى أوصى ﷺ إلى علي؟!

يتأكد لكل مطالع في النصوص الصحيحة، أن الوصية حكاية مخترعة للظعن في الإسلام وفي المسلمين! وأن من مقاصدها اتهام علي ﷺ بالتفريط، والصحابة ﷺ بالعدوان، فصنع اليهودي ابن سبأ هذه الخرافة لهذه الغاية لا غيرها، ثم تلقفها عنه ورثة الدولة المجوسية التي سقطت

(١) صحيح البخاري: ح (٣٣٩٧).

حضارياً وأخلاقياً وعسكرياً على أيدي أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم، فزخرفوا هذه القصة وقدموها مزوجة بثقافة المظلومية التي تورث الأحقاد وتغذيها على كل ما هو إسلامي أصيل، وعلى كل من له صلة بميراث الصحابة الحضاري والعقدي، وتولوا كبر نشرها بين العوام ولا سيما العجم والمستعربين، ومن لا علم لهم في دين الإسلام ومعرفة أئمتهم، حتى تمكنوا من إيجاد قواعد لها، ومراجع يعملون بخلاف ما في الكتاب والسنة، ويعادون ويوالون على مخالفة كل ما فيها، ومن ثم تكوين بيئة قائمة على هذه الأسس الخطرة على كل ما هو إسلامي وعربي أصيل! حتى تحولوا من أفراد وفرق إلى دول تعمل بكل قواها لخدمة هذه العقيدة المصنوعة! ولعل من أكبر ما أعانهم على هذا التمدد والتوسع في بلاد المسلمين، هو صمت أكثر علماء المسلمين عن نشاطات أعداء الصحابة، وسكوتهم المخزي إما لجهلهم في مخاطر تلك العقيدة، أو فراراً من تحمل تبعات مواجهتها، أو مداينة للسلطين التائهين، فضلاً عن باعوا عقيدتهم ببعض حطام الدنيا، فأصبحوا أعضاء في المؤسسات التي تعمل على نشر دين عداوة الكتاب والسنة وحرب الصحابة، وهذا ينطبق على كل من ليس له جهد جلي في مواجهة هذا الشر المحقق في أمن الأمة ووحدتها ومعتقداتها من خارجها وداخلها! حتى أصبح عامة أهل السنة جهلة في هذه المعتقدات وما تحمله عليهم من مخاطر!.

وبعد ذلك تأتي حيدة الكثير من السلاطين عن نصرة السنة وأهلها، بل إن البعض منهم ولغ في إعلان الحرب على السنة ومن يتبنى معتقدها، في ذات الوقت الذي انغمست يده في يد أعدائها وهو يزعم أنه من أهلها!! ولكن ومع كل هذا فإن محور معتقد أعداء الصحابة القائم على فرية الوصية لا يصمد أمام الروايات الصحيحة، وسرعان ما يتبخر وتظهر رواياته الزائفة، وتتجلى الحقيقة ساطعة؛ ليلقى الله تعالى بعد ذلك كل من العلماء والحكام وعامة المسلمين على بيّنة من أمرهم، وإن كان الناس في هذا العصر كل يختار ما يتوافق مع معتقده أو هواه، ومما يكذب ما ينتنع به أعداء الصحابة حول مسألة الوصية ويرد باطلهم منكوساً، هو ما جاء صريحاً في

الصحيحين وكتب السنن، مما يجعل كل من يتحدث بالوصية المخترعة في معامل إفك ابن سبأ محل تهمة وريبة.

ومن ذلك ما رواه عُرْوَةُ عَنْ خَالَته عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: (إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَتَعَذَّرَ فِي مَرَضِهِ: أَأَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ؟ أَأَيْنَ أَنَا غَدًا؟ اسْتَبْطَاءَ لِيَوْمِ عَائِشَةَ! فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدَفِنَ فِي بَيْتِي)^(١) وهذا مما أكرم الله تعالى به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لتروي لأمتها ما سمعت وما شاهدت عن آخر أحوال رسول الله ﷺ وهو يفارق الدنيا ويقبل إلى الآخرة ﷻ وذلك لما كانت عليه رضي الله عنها من العلم والفهم والنباهة والفقهاء، فسر المؤمنين ما سمعوه منها، فحفظوه وعملوا به، وأغاظ أعداء الصحابة ما سمعوه عنها رضي الله عنها، فراحوا يدورون حول أنفسهم، تارة بصناعة الروايات الموهمة، وأخرى برد النصوص الصحيحة التي لا ترد، ولا زالوا على ذلك محرومين من روح الإسلام، وأجر اتباع النبي ﷺ في سنته التي لن يدخلوا حماها يتمتعوا بهديها وطمأنينتها إلا إذا طرّفوا أبواب أصحاب رسول الله ﷺ يسألون ويتعلمون ويعملون، وهذا ما لم يفعلون إلى هذا العصر بل ما زادوا عنه بعداً وكرهية!

قال الأَسْوَدُ بن يزيد: ذَكَرُوا عِنْدَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها: (أَنْ عَلِيًّا ﷺ كَانَ وَصِيًّا! فَقَالَتْ: مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ؟ وَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتَهُ ﷺ إِلَى صَدْرِي؟!) أَوْ قَالَتْ: حَجْرِي، فَدَعَا بِالطَّسْتِ فَلَقَدْ انْخَنَثَ فِي حَجْرِي ﷺ، فَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ﷺ فَمَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ؟!)^(٢).

وقولها رضي الله عنها: (إِنْ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ﷺ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السَّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ مُحِبُّ السَّوَاكِ، فَقُلْتُ: أَخْذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: أَلَيْسَ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيْتَهُ، فَأَمَرَهُ وَبَيْنَ

(١) صحيح البخاري: ح (١٣٠٠).

(٢) صحيح البخاري: ح (٢٥٣٦) (٤١٠١) (٢٥٩٠) صحيح مسلم: ح (٣٠٨٨).

يَدِيهِ رَكُوعٌ أَوْ عُلْبَةً يَشُكُّ عُمَرُ فِيهَا مَاءً، فَجَعَلَ يَدْخُلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ. ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ ﷺ^(١).

وفي صحيح مسلم، قَالَتْ رضي الله عنها: (مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيرًا، وَلَا أَوْصَى بِشَيْءٍ)^(٢) ولما كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، هي أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ وهي أعلمهم بخصوصياته ولا سيما في مرضه الأخير الذي توفي فيه ﷺ وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومعها أمهات المؤمنين جميعاً رضي الله عنهن، هن اللواتي نزل قول الله تعالى فيهن: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب: من الآية ٣٣) فإن قولها هو الفصل، ومن خرج عنه فإنما يخرج إلى أباطيل السبئية وإلى الإسرائيليات والأساطير، وما تتناقله منها الغوغاء وأصحاب الأهواء والأحقاد على أمة الكتاب والسنة.

الوصية بكتاب الله تعالى

وإذا كان لا بد من الحديث عن وصية النبي ﷺ فإنما أوصى بكتاب الله الذي تتجسد فيه رسالة النبي ﷺ وعقيدته التي جاء بها إلى الناس كافة والتي تمثل الحكم الفصل فيمن هو على منهاج النبوة ومن هو حرب عليها، وكل ذلك يتجلى في النظر إلى أعمال وأقوال ومواقف وتشريعات من يزعم الإسلام، وإلى الرايات التي يقف معها ويستظل بظلالها، ومعلوم أن المسلمين هم من يقفون تحت رايات أصحاب رسول الله جميعاً حباً وولاءً ونصرة واتباعاً، قال الله تعالى:

﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٣).

(١) صحيح البخاري: ح (٤٠٩٤) (٤٠٩٦).

(٢) صحيح مسلم: ح (٣٠٨٧). سنن أبي داود: ح (٢٤٧٩).

والوصية بكتاب الله تعالى تعني العمل بما فيه وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، والعمل بتعاليمه في الشورى والكفاءة والمساواة بين المسلمين، لهذا أوصى النبي بكتاب الله وأهمية التمسك به والعمل بما فيه، وأن من زاغ عنه هالك لا محالة، فكيف بمن يجعل دينه قائماً على تكذيب القرآن الكريم وما فيه من الآيات البيّنات والأحكام الواضحات؟!.

قال طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْصَى؟ فَقَالَ: لَا، فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةُ، أَوْ أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ؟! قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ^(١) ووصية النبي ﷺ توجب التمسك بكتاب الله وسنة النبي ﷺ وما فيهما من تبجيل لأزواج رسول الله ﷺ وتنويه بمكانة أصحابه رضي الله عنهم قال ﷺ: (كتاب الله هو حبل الله المتين؛ من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة)^(٢).

فالموقف ممن يترك العمل بكتاب الله أو يخالف ما فيه من الوصايا والتعاليم والحلال والحرام، لا يقبل التردد والخلط، ذلك أن من ترك الحكم بكتاب الله قصمه الله تعالى، وارتكس في الفتن التي لا مخرج منها إلا بالعودة إلى ما في هذا الكتاب من الأحكام الواضحة البيّنة، وهذا يؤكد على وجوب وضوح الموقف ممن يعمل على رد آياته وتحريف مقاصده أو التشكيك به، وأن أي مداهنة في هذا الباب توقع المداهنيين في دهاليز الفتنة ودياجير ظلامها، قال علي رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ألا إنها ستكون فتنة. قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشيع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سوعته، حتى قالوا: ﴿ إِنَّا

(١) صحيح البخاري: ح (٢٥٣٥). صحيح مسلم: ح (٣٠٨٦).

(٢) صحيح مسلم: فضائل الصحابة، (٢٤٠٨).

سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴿ (الجن: ٢،١) من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم^(١).

وهذا النص الواضح على الرغم من غرابته والحكم بالضعف على سنده، فإنه يبين خطورة مدهنة المشككين بمصداقية القرآن من أعداء الصحابة والمستشرقين والإلحاديين وغيرهم، لما فيه من الوعيد لهؤلاء بالضلال والزيغ والقصم والطرده من الإسلام، وهذا واضح جلي في تشريعات ومواقف من يزعم الإسلام ويعطل أحكام القرآن، أو يحرفها أو يتجاوزها إلى مرجعيات تحكم بأهوائها وتطلعاتها المقرونة بشهواتها ومصالحها. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (الأنعام من الآية: ١٥٩) وهؤلاء الذين فرقوا دينهم، وصاروا شيعاً تحارب صحاح السنة وأئمتها، هم المحاربون لكتاب الله ولحملته أصحاب رسول الله ﷺ بقصد نشر عقائد أخرى نسخها القرآن الكريم، وابطلتها السنة، فهم ينسبون لأبي عبد الله كما في الرواية المشهورة، قوله: (إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم آل داود لا يحتاج إلى بيّنة)^(٢) وقولهم: (يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد)^(٣).

والتساؤل هنا: لماذا بحكم آل داود عليه السلام فأين شرع محمد ﷺ وحكمه؟ وأين كتابه وسنته؟ وهذا يبين هوية المشرع لعداوة الصحابة، وأنه يمهد لمقاصد يهودية ويبشر بها وهو يزعم أنه يعمل لإعادة الأمة إلى شرع النبي ﷺ وفي هذا ما فيه من التناقض الفاضح! فكيف ينصر آل محمد ﷺ من يدعو إلى غير أمره وكتابه وقضائه! وفيه من الدلالة الواضحة البيّنة على قرب أعداء الصحابة من

(١) صحيح وضعيف سنن الترمذي: ح (٢٩٠٦) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال. وقال الألباني: ضعيف.

(٢) الكليني: الكافي، ١/٣٩٦. المفيد: الإرشاد، ٤١٣.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار، ١٣٥/٥٢.

اليهود، وأنّ عامة تشريعاتهم تخرج من تلك العقيدة التي حاربت النبي ﷺ حين كان يتنزل عليه الوحي، وحرصت عليه قبائل المشركين بعد أن تحالفت معها! وكل هذا وغيره يدعو إلى موقف صريح واضح من هذه العقيدة المحاربة لكتاب الله ولأصحاب رسول الله ﷺ وأنه لا يجوز التهاون معها أو التسامح مع دعواتها، أو الصمت على مخاطرها، مما يؤكد على كل عالم مسلم، أن يدعو الناس إلى التمسك بسنة النبي ﷺ والتحذير من تركها لأن ذلك يعني السقوط في البدع والتفريق والاختلاف، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

فالموقف من الوصية هو الرد والتحذير ممن يروج لها تحت أي ذريعة كانت، ذلك أن المخاطر التي تهدد وحدة الأمة ومعتقد أهل السنة والجماعة، تعود إلى بدعة ابن سبأ التي يقول فيها إن علياً هو وصي محمد ﷺ وأنّ الصحابة لم ينفذوا الوصية ويولوه الخلافة! فترتب على ذلك في معتقد أعداء السنة، الذي يدينون به ويعملون على نشره بين الناس، وعلى أساس هذه الفرية؛ أنّ الصحابة خرجوا من دين الإسلام، وأنّ صحبتهم لرسول الله فاسدة، وجهادهم في سبيل الله باطل، وكذلك تضحياتهم، وسابقتهم، وبذلهم، وهجرتهم، وفتوحاتهم! حاشاهم ﷺ وهذا هو مقصد أولئك الأفاكين وهو ما يجلّمون بأنه سيتحقق في يوم من الأيام على أيديهم الآثمة، أي إبطال كل ما قدمه الإسلام والمسلمين للبشرية، لكي يقيموا بعد ذلك دينهم وكتابهم الجديد، فهذا يؤكد أن كل أعمالهم ستكون موجهة ضد ورثة الصحابة ﷺ وأنّ أعداء الصحابة ومن منطلقات هذه العقيدة وما فيها من الضغائن والأحقاد، مستعدين لتخريب الأمة ونقض بنيانها الفكري والحضاري؛ لكي يقيموا على أنقاضها دولتهم الراضية للسنة ولدين الصحابة ﷺ والمعظمة لأبي لؤلؤة المجوسي الغادر، والحميت الأسود عبد الله بن سبأ، وابن ملجم الراضي الخارجي الآثم، وابن العلقمي الخائن، ومن ثم تلامذة بريمر الصليبي المخرب، ومن هم على شاكلتهم من باعة الدين والأوطان.

والموقف ممن يبغض الصحابة هو التحذير منهم والشك بكل ما يصدر عنهم، ونزع الثقة عمن يحسن الظن بهم؛ كيف لا وهم مطالبون بدماء الخلفاء الراشدين الثلاثة ﷺ وباغتيال بغداد مرتين! وبالعمل بكل ما أوتوا من مكر وحقد على فصل الأمة عن أئمتها، والتعاقد مع كل حلف يعمل على دمارها وهدر دماء أبنائها، والخوض في كل فرية تلصق بأعلامها الأفاضل، فضلاً عن أن محاور معتقد هؤلاء قائمة على الوهم والخيال والتدليس، ذلك أنهم يؤمنون بل ويقدمون من يزعم أنه رأى المنتظر المزعوم الغائب الذي لا وجود له! ويرفعون من يزعم ذلك إلى مرتبة العدالة والصدق والعلم، إلى أن يجعلوه مرجعاً لهم في معتقداتهم ومشروعاً لمواقفهم التي يعملون بها ضد أمة الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من اللاحقين، قال آيتهم الممقاني: إذا (تشرف الرجل برؤية الحجة - عجل الله فرجه وجعلهم من كل مكروه فداه - بعد غيبته فنستشهد بذلك على كونه في مرتبة أعلى من مرتبة العدالة ضرورة)^(١). أي لو زعم أحد من المخالفين أنه رأى المنتظر الذي لم يولد أصلاً لأن أباه محمد الحسن العسكري كان عقيباً^(٢) لم يولد له، فإنهم يشهدون لمن زعم ذلك بالعدالة وسمو المكانة!

(١) ينظر الممقاني تنقيح المقال: ١/ ٢١١.

(٢) ينظر جلال الدين السيوطي: العرفُ الوردي في أخبار المهدي، تحقيق: أبي يعلى البيضاوي، ١/ ١٥٨ فما بعدها. قال: ذكر أهل العلم بالأنساب والتواريخ: أن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقباً والإمامية الذين يزعمون أنه كان له ولداً ويدعون أنه دخل السرداب بسامرا وهو صغيراً منهم من قال: عمره ستاناً ومنهم من ثلاثاً ومنهم من قال: خمس سنين وهذا لو كان موجوداً معلوماً لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن والسنة والإجماع أن يكون محضوناً عند من يحضنه في بدنه كأمه وأم أمه ونحوهما من أهل الحضانة أو أن يكون ماله عند من يحفظه إما وصى أبيه إن كان له وصى وإما غير الوصي إما قريباً وإما نائب لدى السلطان فإنه يتيم لموت أبيه أو الله تعالى يقول: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ (النساء: ٦) فهذا لا يجوز تسليم ماله إليه حتى يبلغ النكاح ويؤنس منه الرشد كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله لإماما لجميع المسلمين معصوماً لا يكون أحد مؤمناً إلا بالإيمان به ثم إن هذا باتفاق منهم سواء قدر وجوده أو عدمه لا ينتفعون به إلا في دين أو لا في دنيا ولا علم أحدا شيئاً ولا يعرف

له صفة من صفات الخيراً ولا الشرأفلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ولا مصالحها إلا الخاصةً ولا العامةً بل إن قدر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلاً فإن المؤمنين به لم ينتفعوا به ولا حصل لهم به لطفاً ولا مصلحةً والمكذبون به يعذبون عندهم على تكذيبهم به فهو شر محض ولا خير فيه وأخلق مثل هذا ليس من فعل الحكيم العادل، وإذا قالوا: إن الناس بسبب ظلمهم احتجب عنهم قيل أولاً: كان الظلم موجوداً في زمن آبائهم ولم يحتجبوا. وقيل ثانياً: فالمؤمنون به طبقوا الأرض أفعالاً اجتمع بهم في بعض الأوقات أو أرسل إليهم رسولاً يعلمهم شيئاً من العلم والدين، وقيل ثالثاً: قد كان يمكنه أن يأوي إلى كثير من المواضع التي فيها شيعته كجبال الشام التي كان فيها الرافضة عاصية أو غير ذلك من المواضع العاصية. - وهذا يصدق على حالهم في هذا العصر الذي ظهرت فيه أحزابهم ودولهم المستقلة -.

ورابعاً: فإذا هو لا يمكنه أن يذكر شيئاً من العلم والدين لأحد لأجل هذا الخوف لم يكن في وجوده لطف ولا مصلحة فكان هذا مناقضاً لما أثبتوه بخلاف من أرسل من الأنبياء وكذب فإنه بلغ الرسالة وحصل لمن آمن من اللطف والمصلحة ما هو من نعم الله عليه وهذا المنتظر لم يحصل به لطائفته إلا الانتظار لمن لا يأتي ودوام الحسرة والألم ومعاداة العالم والدعاء الذي لا يستجيبه الله لأنهم لم يحصل شيء من هذا ثم إن عمر واحد من المسلمين هذه المرة أمر يعرف كذبه بالعادة المطردة في أمة محمد ﷺ وقد ثبت في صحيح البخاري: ح (٥٦٦) عن ابن عمر قال: ((صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةَ الْعِشَاءِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَيْتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةٍ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فَوَهَلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَا يَتَحَدَّثُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تَحْرِمُ ذَلِكَ الْقَرْنَ)) فمن كان في ذلك الوقت له سنة ونحوها لم يعيش أكثر من مائة سنة قطعاً وإذا كانت الأعمار في ذلك العصر لا تتجاوز هذا الحد فما بعده من الأعصار أولى بذلك في العادة الغالبة العامة قال ﷺ: ((أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك)) سنن الترمذي: ح (٤٣٧٣) قال الألباني: حسن صحيح: السلسلة الصحيحة: (٧٥٧) ومر بهؤلاء القوم زمن يقفون فيه عند باب السرداب المزعوم بنادون: اخرج يا مولانا اخرج يا مولانا ثم يرجعون بالخيبة والحرامان فهذا دأبهم ودأبهم ولقد أحسن من قال فيهم:

ما أن للسرداب أن يلد الذي كلمتموه بجهلكم ما أنا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم نلثتم العنقاء والغيلانا.

في حين أن موقفهم قائم على تكفير من رأى محمداً رسول الله ﷺ وصحبه، وضحي بكل ما يملك بين يديه ومن أجل نصرته ما جاء به من الحق ﷺ! ويسقطون العدالة عن أصحاب رسول الله ﷺ الذين أقاموا الدين وأسقطوا الدولة المجوسية الظالمة، وشهد لهم القرآن بأنهم خير الناس، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: من الآية ١١٠).

وموقف أعداء الصحابة هذا أشبه بموقف إخوانهم الصليبيين الذين يؤمنون بأن المسيح عليه السلام هو ابن الله! وأن الله ثالث ثلاثة! في حين يكفرون بأن محمداً ﷺ رسول الله! ويعجبون من ذلك!! ويزعمون كما زعم المشركون، أنه من المستحيل أن يرسل الله رسولا! قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (الفرقان: ٤١).

فقول أعداء الصحابة بالوصية، قول مردول باطل مهذوم، بقول النبي ﷺ الذي في الصحيح: (لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَإِنِّي وَأَعَهْدَ؛ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنِّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَى اللَّهِ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْتِي الْمُؤْمِنُونَ)^(١) وقوله ﷺ في الصحيح عن جبير بن مطعم، قال: (أَنْتَ النَّبِيُّ ﷺ امْرَأَةٌ فَكَلَّمْتَهُ فِي شَيْءٍ؛ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّمَا تُرِيدُ الْمَوْتَ، قَالَ ﷺ: إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبِي بَكْرٍ)^(٢).

ومردود بما روته الصادقة بنت الصديق عليها السلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: (لما ثقل رسول الله ﷺ قال ﷺ لعبد الرحمن بن أبي بكر: ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم، قال ﷺ: أبي الله والمؤمنون ان يختلف عليك يا أبا بكر)^(٣) وقولها المروي في الصحيح: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ ادْعِي لِي أَبِي بَكْرٍ أَبَاكَ وَأَخَاكَ،

(١) صحيح البخاري: ح (٥٢٣٤).

(٢) صحيح البخاري: ح (٦٦٨٠).

(٣) السلسلة الصحيحة، ح (٦٩٠) قال الألباني: صحيح.

حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّيَ مُتَمَنَّ وَ يَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ^(١).

ومردود بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة: ٦٧) فهذه الآية أمر من الله لنبيه ﷺ بتبليغ جميع ما أنزل الله إليه، وأن لا يخاف أذى قومه ولا غيرهم، وهذه الآية نص جلي على أنه لا يوجد أحد من الناس يستطيع أن يمنع رسول الله ﷺ من تبليغ ما يريد، ولا سيما أن الجميع يعلم أن أبا جهل وجنده عجزوا أن يمنعوا النبي ﷺ وهو في مكة بلا نصير ولا معين إلا الله تعالى، فلماذا لم يقل النبي ﷺ يا معشر المسلمين إن وصيي من بعدي علي ﷺ فاسمعوا له، ولا سيما أنه ﷺ أصبح بين أبطال، كان هواهم تبعاً لما جاء به ﷺ ويفتدونه بأرواحهم وأهليهم، ويعملون بأمره ونهيه ﷺ!.

ومحقوق مسحوق برد أمير المؤمنين علي ﷺ على من سأله حول الوصية، الذي جاء بيناً جلياً في صحيح البخاري، لا يقبل التأويل ولا التفسير لصراحته ووضوحه، قال أبو جحيفة: (سَأَلْتُ عَلِيًّا ﷺ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ؟ وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ مَرَّةً: مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ؟ فَقَالَ ﷺ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي الْقُرْآنِ، إِلَّا فَهَمَّا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ، وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ، قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: الْعَقْلُ، وَفِكَائِكُ الْأَسِيرِ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ) صحيح البخاري: ح (٦٤٠٤).

وهو في أكثر من باب في الصحيح وفي كتب السنن؛ حديث لا يسع المسلم إلا التسليم له والبراءة من كل من يفترى على رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ فأين الوصية المزعومة؟ ولماذا لم يحتج بها علي ﷺ على من بايع أبا بكر الصديق ﷺ؟ ولماذا لم يحتج بها علي من بايع عمر وعثمان وعلي من خالفه من غيرهم؟ كل هذا يؤكد أن الوصية المزعومة من تأليف صناع الفتنة، وناشري الشك،

(١) صحيح مسلم: ح (٤٣٩٩).

المفترين على أصحاب رسول الله ﷺ وأن أمير المؤمنين حين بايعه بقية المهاجرين والأنصار أصبح هو الخليفة دون أي منازع، وكل ما حصل في فتنتي الجمل وصفين؛ لم يكن له أي صلة بمسألة الخليفة والخلافة، وإنما كان الخلاف على وسائل تنفيذ القصاص من المجرمين الذي اغتالوا الشهيد المظلوم أمير المؤمنين عثمان ؓ ولكن أعداء الصحابة ومن يستقي من حمأة بهتانهم؛ غيروا وبدلوا وحذفوا وبتروا الروايات، وأضافوا إليها ما يتوافق مع مقاصدهم، في تسعير الفتن ونشر الشك بين المسلمين، مما يؤكد على كل مسلم ردّ أخبارهم، والشك في مقاصدهم، واتهام شعاراتهم، والبراءة من كل من يبغض أصحاب رسول الله ﷺ واليقين التام بأن الصحابة لم يختلفوا على مصالح ولا على مواقع، وكانت مواقفهم مبنية على اجتهادات عملية علمية تطبيقية لها أدلتها الصحيحة التي قادت كلاً منهم إلى ما اتخذته من مواقف، وأن التشكيك بتلك الاجتهادات، إنما هو علامة الهوى والخذلان والجهل، أو أنه ترديد لشعارات وأمانى الرافضين للكتاب والسنة ممن جعل دينه مخالفة الصحابة ؓ واتهامهم وكيد أئمتهم بكل الوسائل المتاحة من البهتان والتزييف وإنكار الحقائق، والتحالف مع الغزاة والمعتدين!.

فموقف أعداء الصحابة من الوصية يرمي إلى الطعن برسول الله ﷺ وتصويره كما في معتقدتهم بأنه كان يدهن قريشاً أو يخافها، واتهام النبي ﷺ بأنه لم يُحسن تربية أصحابه لكي يتلقوا عنه كل ما يأمر به! وكذلك يتهمون علياً ؓ بالجبن وعدم تنفيذ ما أمره به النبي ﷺ من الوصية، وبهذا يتبين لكل مسلم حقيقة معتقدتهم وأنه لا يوجد عندهم مقدس لا محمد ﷺ ولا علي ؓ ولا آل البيت، وكل ذلك من الممكن أن يجعلوا منه وسائل يستخدمها عتاتهم للطعن في الإسلام، والعمل على إنشاء دين جديد على غير ما جاء به رسول الله ﷺ وجاهد عليه أصحابه ؓ يقوم على معتقد " البداءة " الذي يعطيهم صلاحية تغيير كل شيء في العقيدة والفقه والمواقف، تحت ذريعة أن الله بدا له غير ما كان مسطراً في كتبهم أو أفتى به مراجعهم!

فكل مسلم يعلم أن النبي ﷺ بلغ ما أنزل إليه وتمّ الدين وختمت الرسالة، فمن يخالف النبي ﷺ وخلفاءه الراشدين ؓ فهو من بقايا جند مسيلمة! لا تستره راية ولا تُجمله دعوة، مهما كانت

تلك الراية أو الدعوة! فمن يرفض خلافة الصديق ﷺ فقد أوصد الباب الموصل إلى رسول الله ﷺ ووقع حكماً في الهاوية التي وقع فيها مسيلمة الكذاب ومن تعاون معه من المنافقين والمشركين والمرتدين وغيرهم، وإن كان لكل منهم درجته في دركاتهما، ذلك أنهما طريقتان لا ثالث لهما وإن كان لكل منهما شعب تتفرع عنه؛ ولكل منهما أتباعه وورثته، كما أن كل من يوافق أو يواد من يتهم النبي ﷺ وأزواجه وأصحابه فهو من تلك البقايا يقترب ويتعد بحسب ثقته بتلك الأمة المحاربة لكتاب وسنة نبيه ولأزواجه ﷺ وأصحابه ﷺ. قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: من الآية ٣).

الخاتمة ونتائج البحث

أمير المؤمنين علي ؑ عاش مؤمناً صابراً محتسباً، ومجاهداً بين يدي رسول الله ﷺ متقللاً من الدنيا لا يلتفت إليها، وكان ؑ ذكياً فصيحاً فارساً مغواراً، وليثاً مقاتلاً من الطراز الأول، وكان محباً لأصحاب رسول الله ﷺ مبجلاً للشيخين وذي النورين، متعاوناً معهم مطيعاً لهم، يأتمر بأوامرهم وينتهي بنواهيهم حتى تفاهم الله تعالى، عالماً بمكانتهم في الأمة وعند رسول الله ﷺ، وكان ؑ باراً بأمهاته أمهات المؤمنين، عارفاً لهنّ مكانتهنّ في الكتاب والسنة، وبين أبناء الأمة، وفي العلم والقرب من رسول الله ﷺ ولا سيما أمه الطاهرة الصديقة عائشة العالمة الزاهدة الفصيحة رضي الله عنها.

- وخلال سيرته أسهم بأعمال مميزة أدى فيها ما أوكل إليه، فنال ثناء النبي ﷺ وتنويهه بتلك الإنجازات، وقطف بها مناقب وفضائل زينت سيرته، وعطرت ذكره، فمضت تلك الأعمال، وبقيت هذه المناقب والفضائل مورقة مزهرة.

- لكنّ أعداء الصحابة لم يدعوا زاوية إلا وزرعوا فيها شكاً، أو عاثوا فيها إفكاً، أو تحريفاً وشبهة، ففي القرآن الكريم عبثوا في توجيه الآيات، مثل آية الولاية التي خالفوا فيها أهل التفسير، وردوا النصوص الصحيحة التي تذكر المعنيين بها، وقالوا مفترين: هذه خاصة بعلي ؑ وعلي لم يقل ذلك! فجعلوا من معناها المحرّف دليلاً للتشكيك في خلافة الصديق ؑ الذي قال النبي ﷺ في حقه: (فإني أخاف أن يتمنى مُمَنٌّ، ويقول قائلٌ: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون؛ إلا أبا بكر^(١)) في سعي حثيث منهم إلى نسف نظام الخلافة، وهدم الأركان التي قامت عليها الأمة.

(١) صحيح مسلم: ح (٤٣٩٩).

- وفي قول النبي ﷺ: " من كنت مولاه فعلي مولاه " جعلوه دليلاً آخر لتزييف الموقف ونسف الخلافة، وفي قوله ﷺ لعلي عليه السلام: " أنت مني وأنا منك " أسقطوا مناسبة الحديث وأشاعوا ما هو ضد ذلك! في حين أن النبي ﷺ قال مثل ذلك لبعض الفقراء والغرباء، وقالها لأسر وعشائر كاملة من أصحابه عليه السلام، وقالها ﷺ لعامة المتخلفين بأخلاقه من أمته.

- وبدلوا معنى كلمة " المولى " في الكتاب والسنة، وتجاوزوا بذلك لغة العرب ومقاصد الشريعة، وأسقطوا من أجل ذلك أسباب ورود الحديث وصنعوا أسباباً من عندهم ونشروها بين أتباعهم! فتشكك من لا علم لهم من غيرهم، وهذا ما فعلوه في معنى الآل وأدلتها.

- واستعملوا حديث الكساء لردّ صريح القرآن وما فيه من توجيهات بيّنة، في قوله تعالى لأمهات المؤمنين: ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبيراً ﴾ (الأحزاب: ٣٣-٣٤).

- ومثل ذلك فعلوه في حديث العترة الذين هم أهل النبي ﷺ الأقربون، فلم يقتصر الحديث على آل علي عليه السلام ثم آل الحسين عليه السلام، وإنما هو عام لكل آل البيت، فلماذا البعض يسمع لمن يحرف نصوص الكتاب والسنة؟

- وكذلك حديث الثقلين الذي يتضح معناه في صحيح مسلم أن الثقلين هما الكتاب والسنة ومن تمسك بهما من جميع آل النبي ﷺ والمتقين من أمة النبي ﷺ فلماذا يردد البعض ما يقوله الذين يردون القرآن ليُخرجوا أزواج النبي ﷺ من أهله، ولماذا يعملون على إخراج بقية بناته من آل النبي ﷺ زوجتي الشهيد عثمان، وزينب زوجة أبي العاص بن الربيع عليه السلام؟!

- وهذه النصوص التي سبقت وغيرها كثير، تقع ضمن دائرة استهداف أعداء الصحابة تحريف توجيه الأحاديث الصحيحة، والاحتجاج بها على غير وجهها الصحيح، في مثل ما يسمونه عيد

غدير حُجْم، وكيف يسوقون ذلك الحدث على غير وجهته، ويسخرونه للطعن بالصحابة واتهامهم بالخيانة والكفر وغير ذلك حاشاهم ﷺ، ومثل ذلك في قوله ﷺ لعلي ﷺ: "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ﷺ ويحبه الله ورسوله" دون بيان مناسبتها، وكأن النبي ﷺ لم يصرح بكثير ممن يحبهم من آلِه وأصحابه ﷺ أفراداً وجماعات كما أعلن بمحبته للأَنْصار ﷺ، وأنه حث على الحب في الله، وبين أن ذلك مما يرفع الدرجات عند الله تعالى.

- فإذا عجز أعداء الصحابة عن إقامة الحجّة بالتحريف والتزييف والزيادة والبت، فإنهم يصنعون الأحاديث التي يحاكون بها أحوال الأنبياء والصدّيقين وغيرهم، ثم ينسبون ذلك إلى علي ﷺ في مثل شبهة ردّ الشمس، وشبهة حديث الطائر، واتهامهم له ﷺ بأنه كان يتصرف بالجن ويشاورهم! كما قالوا ذلك في مسألة تزويجه أم كلثوم رضي الله عنها لأمر المؤمنين عمر ﷺ وكأنهم يريدون أن يقولوا بأنه كان ساحراً حاشاه ﷺ! وكأنّ علياً ﷺ بحاجة إلى المناقب المكذوبة! وهو الذي بلغ وبالنصوص الصحيحة القمة في ذلك!

- ومن وسائل أعداء الصحابة الأخرى في محاربة عقيدة الكتاب والسنة اختراق الكتب المطبوعة، من خلال صناعة كتب تحوي على ما يريدون نسبته إلى النبي ﷺ أو إلى بعض أصحابه من شبهات، ثم نسبة ذلك الكتاب إلى بعض علماء السنّة والجماعة! كما فعلوا مع كتاب الإمامة والسياسة المصنوع، ونسبته إلى العالم الثقة ابن قتيبة!.

- فإن لم تف الكتب والروايات الموضوعية، والشبهات المصنوعة، فإنّ بعض علمائهم يتسلل إلى مذاهب أهل السنّة والجماعة، ويصنع الكتب والروايات التي تخدم معتقده فيعيث في الروايات الصحيحة خلطاً وبتراً وإضافة، من أمثال من تم ذكرهم في هذا البحث، ويبث ذلك بين الناس على أنّه حقائق لا ترد، وقلّ من يتنبه لذلك فيحذره ويحذر منه!.

- ومن وسائلهم الأخرى؛ تصويبيهم شبهاتهم على مسألة الإمامة والخلافة، وتقمصهم لأي أثر قابل للتحريف أو التحوير للتعلق به والطعن في الخلافة الراشدة، مثل استخلاف النبي ﷺ لعلي

ﷺ على أهله وذريته في المدينة يوم تبوك، في حين استخلف على المدينة محمد بن مسلمة ﷺ أو غيره، فيجعلون من ذلك الاستخلاف الذي أبكى علياً ﷺ وآله! يجعلون منه موقفاً للقول بأنّ النبي ﷺ استخلف علياً ﷺ على أمته! وهذا منتهى التزييف والبهتان الصريح، حيث لم يثبت أنّ النبي ﷺ استخلف علياً ﷺ على بلد من البلدان طيلة حياته ﷺ.

- وأهم من ذلك وضعهم أحاديث الشبهات المكذوبة المحاكية لما في الصحيح عن آخر ساعات النبي ﷺ التي قضاها وهو في رعاية زوجه الوفيّة أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها؛ ونسبتهم تلك الأحاديث إلى علي ﷺ وتحريفهم لنصوصها ومقاصدها، وهي منشورة معلومة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد والسير والتاريخ وغيرها!.

- ومع ذلك يتمسكون بالنصوص المكذوبة، والأحاديث الموضوعية! ل حرب الصحاح، واختراق الثقافات والتجمعات الإسلامية عقدياً وأمناً، مما يؤكد على وجوب الاحتكام إلى مرجعية الكتاب والسنة، وإعلان النفير الثقافي العام، شعوباً وحكاماً، خلف معتقد أصحاب رسول الله ﷺ وميزانهم في الولاء والبراء، فالمودة والطاعة والنصرة لمن والاهم، والحذر والبراءة ممن ينال منهم، وفي هذا الرد العقدي والسياسي والأمني والحضاري الصحيح، وفيه رد الشبهات وإطفاء الفتن ونزع التوتر والحساسيات، وفيه الرؤية الواضحة الموصلة إلى برّ العافية من الطائفية والشعبوية، مع الوحدة وسلامة المعتقد.

- فمن يردّ زيف أعداء الصحابة وعدوانهم على عقيدة وبلاد أمة الكتاب والسنة، الذين عدّوا على النصوص الصحيحة البيّنة؛ فسخروها لخدمة باطلهم، وكتبوا عليها المجلدات، وجملوها في الإعلام والمنتديات، يساندهم في ذلك التائهون، ممن أسقطوا من قيمهم دماء الفاروق ﷺ وعرض رسول الله ﷺ وكرامة الصحابة ﷺ! فأصبحوا دعاة لمن يدين بتكذيب الكتاب وردّ السنة؟ وهذا هو العجب الذي لا ينقضي! فأى عاقل يثق بمن لا يثق بمن لا يثق بالوحيين؟! أو يجرؤ على نصوصها أو على حملتها؟! وأي مؤمن بالله وبرسوله ﷺ يتعاون مع من يتربص

بالصحابه ﷺ؟! قال تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ
بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (النور: ٥٠).

- فالمواقف التي سطرها أمير المؤمنين علي ﷺ والمناقب والفضائل التي حازها في سيرته، مدونة
عند أمة السنّة والجماعة بأصح الأسانيد وأصدق الكتب، فیتعلمها أبناء السنّة صغاراً وكباراً،
وهم على بينة من أمره ﷺ فهو سابق الفتيان بالإيمان، وصهر النبي العدنان ﷺ ورابع الخلفاء
الراشدين الأبرار ﷺ، لكن مع كل ذلك كان ﷺ له اجتهادات وخيارات، فربما اختلف مع بعض
من عمل معه في وجهات النظر، فكان النبي ﷺ يبت في ذلك، كما اتضح في البحث، فتستقيم
الأموور وتتجدد الأخوة.

- لكنّ المصاب جاء ممن انتهز هذه المسائل الاجتهادية، ليضيف إليها من بهتانه أو يبتز بعض
حقائقها، ويقدمها على أنها مشكلات لا حل لها، ثم أضافوا طامة معتقدتهم الكبرى المتمثلة
بتكفير الصحابة ﷺ مما لا يبقى باباً لمن يتأول لهم الاعتذار، وإن كان تكفيرهم لحملة الكتاب
والسنّة، ما هو إلا تعبير عن حقيقة معتقدتهم، وتعلقهم بالأديان التي قوّضها الصحابة ﷺ فمن
يُكفّر الصحابة فهو بلا شك كافر بدينهم!! دين الكتاب والسنّة! وعلى هذا تتبلور المواقف
والعقائد، وتتساقط الدعاوى التي ينادي بها التائهون والمتفعون.

- ومع الوضوح التام في الموقف بين دين الصحابة ودين أعدائهم، وأنّ علياً ﷺ أحد العشرة
المبشرين بالجنة، فإنّ أعداء الصحابة استهدفوا اسمه وقرابته من النبي ﷺ لصناعة علي آخر!
حرب على أمير المؤمنين علي ﷺ في سيرته ومعتقدده وهويته ونسبه، فحرفوا سيرته، وكفروا أخوته
أصحاب رسول الله ﷺ وعزلوه عن أمته، فابتدعوا باسمه البدع وأنشأوا الفرق، وشرعوا
الشرائع، التي تثير الشبهات وتكذب النصوص البيّنات، فصار الأمر على ما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿آل عمران: من الآية ٧﴾.

- ولما كانت الأمة في عصور خيريتها لم يتمكن هؤلاء من نشر باطلهم، فانتكسوا في حمأة الغدر، فاغتالوا عمر الفاروق وعثمان ذي النورين ثم علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين، فارتكب أعداء الصحابة أبشع الجرائم بحق الصحابة، تمثلت باغتيال خمسة من العشرة المبشرين بالجنة، وبمناهج مقررّة، حتى تكونت لديهم ثقافة تغلي بأنواع الكراهية والإرجاف، وإباحة كل ما ينال من الصحابة، فأجازوا لأجل ذلك (الكذب على أهل السنّة وإصاق التهم الكاذبة بهم، والافتراء عليهم ووصفهم بالقبائح)^(١).

- فأصبح ضخ الكراهية في نفوس أعداء الصحابة وتجديد ذلك بأدعيتهم مثل دعاء صنمي قريش الذي جمع أحقاد الشعوبية؛ ركن من أركان ثقافتهم، وفي حال قدرتهم يتحول ذلك من القول إلى الفعل، فيفخرون بغدرهم كإنجازات قومية، فهذا أحدهم يشرح منهجه لشيخه في قتل أهل السنّة فيقول: " ومنهم من كنت أصعد سطحه بسلم حتى أقتله، ومنهم من دعوته بالليل على بابه فإذا خرج عليّ قتلته، ومنهم من كنت أصحبه في الطريق فإذا خلا لي قتلته"^(٢) وقال شيخ الإسلام: " فقد رأينا ورأى المسلمون، أنه إذا ابتلي المسلمون بعدو كافر، كانوا معه على المسلمين"^(٣) ولم يختلف الحال في هذا العصر!.

- ولا أظن أنّ هذا الأمر أصبح بحاجة لنصوص تؤكده بعد أن ظهر كخلق أصيل في معتقد القوم منذ مقتل عمر الفاروق رضي الله عنه إلى سقوط بغداد المعاصر، وهذا الشر المتجدد والتمدد في بلاد السنّة لم يعد أحد بعيداً عن مخاطره، لهذا فكل من يهون منه فهو موضع ريبة، وأما الصامتون عنه فهم ما

(١) حسين الموسوي: كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، (ط، ١)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ٩٨.

(٢) الكشي: رجال الكشي: ٣٤٢.

(٣) منهاج السنّة: ٣/ ٣٨.

بين غافل لاه أو مغلوب مقهور، أما من يُقرّ ذلك ويدعو إلى الثقة بأمة تدين بثقافته، فهم الطابور الكامن شرّه في قلب الأمة، الذي يجب الحذر منه لثبوت ضره ومساندته لمن دينه نشر الفتن والكراهية، وزعزعة الأمن ونزع الهوية.

- فأصبح من حق كل مسلم؛ على كل عالم أو قائد في هذا العصر، فضلاً عن الخطباء والدعاة، وأهل الإعلام والصحافة والفضائيات، والسياحة والأوقاف والثقافة، والجمعيات والتجمعات، والحركات والنقابات، ومراكز البحوث ودوائر الأمن التي تزعم الانتساب إلى أمة الكتاب والسنة، أن يقال لهم: لماذا تمددت عقائد أعداء الصحابة بين عوام أمة السنة والجماعة؟! وكيف تم ذلك؟ ومتى؟! ولماذا انتشرت مشاهدهم في بلاد لم تكن فيها؟! ولماذا يتاح لهم كل هذا الزخم الإعلامي والأمني والاقتصادي وغيره?!.

- فَمَنْ وراء هذا التمدد التخريبي؟ ومن المسؤول عنه؟ وماذا ستجني الأمة ممن ينشر ثقافة الكراهية والتحريض على الفتنة بين أبنائها؟ ويشتم مقدساتها، ويطعن بأئمتها وأخبارها؟! ويدمر موروثها الحضاري والأخلاقي؟ ويخادع قادتها وتجارها وعمامة وجهائها؟ حتى إذا تمكن منهم ألقى بهم في برائن أحقادها، لا يبالي في أي هاوية يسقطون!

- ولماذا يقيمون دولاً داخل الدول؟ وينفردون بأسلحتهم وقضاتهم واتصالاتهم وفضائياتهم وغير ذلك، فيسقطون حكومات ويسيرون أخرى، ويعلمون حروباً ويدمرون بلاداً، وفي أماكن أخرى يقطعون الطرق ويزرعون الألغام ويهاجمون المساجد، ويقتلون الجند ويستولون على المعسكرات، ويأسرون ويغنمون ويتوعدون، ولا يسميهم الطابور المندس في قلب الأمة إلا بأحب أسمائهم إليهم، ولم تسميهم الفضائيات بالمرتدين ولا المخربين ولم تشن على عقيدتهم الحملات، فكل هذا يؤكد أن للقوم خبايا ورزايا في كل ما ذكر من المواقع! ولولا هذه الخبايا والرزايا لما مد أحدهم عنقه فوق ثوبه.

- ويساعدهم على تلك الاختراقات الثقافية والعقائدية والاقتصادية وسواها، هذا الجمود الحاصل في ثقافة وفكر عامة أبناء أمة الكتاب والسنة في هذا العصر، فمنهم من تلبس بالعلمانية وهو يعلم أنه يرتدي ثوب زور لا يستره، ولكنه مع ذلك أخلص لها وتنكر لدينه ومعتقدده، فلم يبق عندهم وزن لكتاب ولا سنة، ولا حذر ممن همه إيقاع الضرر بكل من يحمل اسم صحابي، حتى لو كان علمانياً، وآخرون انغمسوا بدنياهم فلم يعد لديهم وقت للنظر إلى ما حولهم، وآخرون ظنوا أن السلامة في المداهنة والتغاضي عن ما يمس الدين والعقيدة والسلف الصالح، ظانين أن ذلك هو سبيل النجاة الوحيد، فكلما ازداد الخطر من حولهم، زادوا في المداهنة، وهكذا يبدو حتى النهاية! وأصنافاً تجاوزوا محطة المداهنة إلى الخدمة! فمنهم من اختص بتجميل أعداء الصحابة، وكأن الواقع لا يظهر ما وراء الستار، وآخرون أعلنوا التطوع لتقريب أمة الكتاب والسنة إلى أعداء الصحابة، فهم نشطون في هذا الميدان باتجاه واحد، يتمثل في موافقة أعداء الصحابة على ما يعتقدون، والتهوين من فضائع ما يرتكبون، وهذه الفئة خطيرة على الهوية والعقيدة والأمن والوحدة، لأنها تعمل باسم الأمة لأعداء الأمة تحت ذريعة البعد عن الفتنة، مع علمهم أنه لا يُبعد الفتنة إلا من عرف صناعاتها، وحذر من دعواتها المتدينين بنشرها والنفخ في نارها، فمن يصمت على من يطعن بالعقيدة أو يتعاون مع من ينال من الصحابة، فهو مشارك في تسعير الفتنة مهيء لأسبابها؛ وإيقاع الأبرياء في أوراها!.

- أما الذين بدلوا دينهم، فحالم كما قال النعمان بن بشير رضي الله عنهما: صَحِبْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَأَنَّهَا قَطْعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا ثُمَّ يُؤْمِنِي كَافِرًا، وَيُؤْمِنِي مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامَ خَلَاقِهِمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٍ، قَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتَهُمْ صَوْرًا وَلَا عَقُولَ، أَجْسَامًا وَلَا أَحْلَامَ، فَرَأَسَ نَارَ وَذِبَّانَ طَمَعٍ، يَغْدُونَ بِدِرْهِمَيْنِ وَيُرْوَحُونَ بِدِرْهِمَيْنِ، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِثَمَنِ الْعَنْزِ)^(١).

(١) مسند أحمد: ح (١٧٦٧٨) (١٨٤٢٨) قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، المستدرک: ح (٦٢٦٣).

- فأصبح من الحق الأدبي والأخوي والشرعي والأمني؛ لكل مسلم أن يسأل وجهاء أمته المعنيين، في كافة مناحي الحياة: أين جهودكم لخدمة أمن الأمة وحمايتها من الفتنة، وحفظ دينها من التحريف؟ وموروثها من التزييف؟ فماذا فعلتم لذلك؟ وأين نتاجكم الفكري والثقافي والسياسي والاقتصادي؟ وأين جهودكم في تحصين أبناء أمتكم من هذا الغزو المتلون، الذي صدّع الصفوف وزعزع الثقة؟ ثم ماذا وراء ذلك؟ ومن الذي يعالجه؟.

- فخلاصة الموقف: أنه لا عذر لمتخلف عن فريضة الدفاع عن الكتاب والسنة، وأعراض الصحابة، وأمن الأمة وعقيدتها، والإسهام المباشر في إيقاف الزحف الأسود الذي لا زال يتمدد مستهدفاً العقيدة والقيادة، ولا سبيل إلى النجاة من مكائده ومخاطره، إلا بحسم الموقف علمياً من هذا الداء وأدواته، مطايا قتلة الراشدين وغيرهم من القادة والعلماء العاملين، والاعتصام بحب جميع الصحابة المكرمين، والبراءة من كل سياسة أو فكر أو معتقد يطعن بهم، واليقين التام بأنّ علياً عليه السلام هو رابع الخلفاء الراشدين، لا يُقدم ولا يؤخر عن هذا المقام الكريم المكين.

- فالموقف بين واضح لا لبس فيه ولا غموض، ولا مجال للشك والريبة، توفي النبي ﷺ فأصبح هناك رايتان: راية الشبهات والردة، بقيادة مسيلمة الكذاب ومن معه من الذين رفضوا خلافة الصديق ﷺ! وراية الكتاب والسنة، بقيادة الصديق ﷺ ومعه علي ﷺ والصحابة جميعاً ﷺ فمن يرفض خلافة الصديق ﷺ فبالبداهة سيكون مع الراية الأخرى! ومن أبغض الفاروق عمر ﷺ فسيكون مع راية أبي لؤلؤة المجوسي، ومن افترى على عثمان الشهيد ﷺ فهو من جند ابن سبأ اليهودي، ومن أبغض علياً ﷺ فهو مع ابن ملجم الخارجي، ومن تعاون مع أحد من وراث هؤلاء المبغضين فهو نصير لهم ومعين؛ على تدمير وتحريف سنة سيد المرسلين ﷺ وهذه أمور مقطوع بها، لا تحتاج إلى تأويل ولا تفسير. قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ (السجدة: ١٨).

وفي ختام عملي هذا اللهم إني أسألك: أن تجعله خالصاً لوجهك الكريم، وأن تغفر لي ما
أسررت وما أعلنت، وما أخطأت وما عمدت، وما علمت وما جهلت، وأسألك إيماناً لا يرتد،
وقرة عين لا تنقطع، ومرافقة النبي ﷺ وأصحابه الأكرمين ﷺ في الفردوس الأعلى وجنّات
النّعيم، برحمتك يا أرحم الرحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله تعالى

٢١/١٠/١٤٣٠هـ - ١٠/١٠/٢٠٠٩م

أهم المراجع والمصادر

- * ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري، ت (٦٠٦هـ).
- النهاية في غريب الحديث والأثر: تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.
- * الإسفراييني: طاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني، ت ٤٧١هـ.
- التبصرة في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- * الأصبهاني: أبو نعيم الأصبهاني (٣٣٦هـ-٤٣٠هـ)
- الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- * الإشبيلي: أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، ٥١٠هـ-٥٨١هـ.
- الأحكام الشرعية الكبرى، تحقيق: حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- * الأشعري: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، ت ٣٢٤هـ.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتز، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.
- * الألباني: محمد ناصر الدين الألباني.
- صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، (ط، ٥).
- الجامع الصغير: المكتب الإسلامي، بيروت، (ط، ٢) ١٣٩٩هـ.
- السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض.

- صحيح الأدب المفرد للبخاري، دار الصدّيق، (ط، ١)، ١٤٢١هـ -
 - السلسلة الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض.
- شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط، ٢)، ١٤١٤هـ
 * الألويسي: شهاب الدين السيد محمود، ت ١٢٧٠هـ - ١٨٦٤م .
- أخبار الشيعة وأحوال رواتها: تقديم: محمد مال الله، المكتبة الشاملة.
 * الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري.
- الزاهر في معانى كلمات الناس: تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- * الإيجي: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، ت ٧٥٦هـ - ١٣٥٥م .
 - المواقف في علم الكلام، بيروت، عالم الكتب، (بلا، ط)، (بلا، تا).
- * الباقلائي: أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر، ت ٤٠٣هـ - ١٠١٢م .
 - تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م .
- * البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ت ٢٥٦هـ - ٨٦٩م .
 - الجامع الصحيح المختصر: تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- * البزار: أحمد بن عمر بن عبد الخالق العتكي، ت ٢٩٢هـ - ٩٠٤م .
 - البحر الزخار المعروف بمسند البزار: تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٩هـ - ١٩٨١م .
- * ابن بطلال: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي. شرح صحيح البخاري: تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
 * البغوي: الحسين بن مسعود البغوي.

- شرح السنة: تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- * البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٢٧٩هـ-٨٩٢م.
- الشيخان وولديهما، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- أنساب الأشراف، دار الفكر، بيروت، (ط، ١)، ١٤١٧هـ-١٩٩٩م.
- * البوصيري: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، ت (٨٤٠هـ) هجرية.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، دار الوطن، الرياض، (ط، ١)، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- * البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ت ٤٥٨هـ-١٠٦٥م.
- سنن البيهقي الكبرى: تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- * البيومي: محمد بيومي.
- حقيقة الشيعة وهل يكن تقاربهم مع أهل السنة؟ دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، القاهرة المنصورة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- * الترمذي: حمد بن عيسى بن سَورة، أبو عيسى، ت ٢٧٩هـ.
- سنن الترمذي: دار الفكر، ١٣٩٨هـ.
- * ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، ت ٨٧٤هـ-١٤٧٠م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: تحقيق: محمد حسن شمس الدين، بيروت، دار الكتب العالمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- * ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت ٧٢٨هـ.
- الإمامة في ضوء الكتاب والسنة: جمع وتقديم وتعليق محمد مال الله.

- منهاج السنة النبوية: تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- * ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي، ت ٥٩٧هـ-١٢٠٠م.
- تليس إبليس: تحقيق: محمد الصباح، بيروت، دار مكتبة الحياة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- * الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، ت ٤٠٥هـ-٩٦٥م
- المستدرک على الصحيحين في الأحاديث، بيروت، دار الكتب العلمية (بلا. تا).
- * ابن حبان: محمد بن حبان بن أبي حاتم التميمي البستي، ت ٣٥٤هـ-٩٦٥م.
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ترتيب: الأمير علاء الدين علي المتوفى ٧٣٩هـ-١٣٣٨م.
- ضبط نصه: كمال يوسف الحوت، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- * الحبيب: مصطفى بن قحطان الحبيب.
- الأوهام الواقعة في أسماء العلماء والأعلام، نشره أبو مهند النجدي " Almodhe@hotmail.com" ١٤٠٥هـ.
- * ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت ٨٥٢هـ-١٤٤٨م.
- لسان الميزان: تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- * ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد أبو حامد، ت ٦٥٦هـ-١٢٥٨م.
- شرح نهج البلاغة: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل، (بلا، ط) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- * ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ت ٤٥٦هـ-١٠٦٣م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت، دار المعرفة، ط، ٢، ١٩٧٥هـ-١٣٩٥م.
- * ابن حنبل: أبو عبد الله بن أحمد بن محمد، ت ٢٤١هـ-٨٥٥م.

- مسند أحمد: تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- فضائل الصحابة: تحقيق: وصي الله عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- * الحكمي: حافظ بن أحمد حكيمي، ت ١٣٧٧هـ.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط، ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- * الحلبي: برهان الدين الحلبي، ت ٨٤١هـ.
- الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث: تحقيق: صبحي السامرائي، عالم الكتب.
- * الحميدي: عبد الله بن الزبير القرشي، ت ٢١٩هـ-٨٣٤م.
- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: علي حسين البواب، دار ابن حزم، ط، ٢، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- * ابن حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النحوي الأندلسي، ت ٧٤٥هـ.
- تفسير البحر المحيط، موقع التفاسير، (<http://www.altafsir.com>)
- * الخطيب: الاستاذ الشيخ السيد محب الدين الخطيب.
- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة، الطبعة العاشرة، ١٤١٠هـ.
- * الخلال: أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر.
- السنة: تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط، ١، ١٤١٠هـ.
- * الشيخ محمد مال الله.
- يوم الغفران (احتفال الرافضة - السنوي - بمقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه) مكتبة الرضوان السلفية، مصر البحيرة، ط، ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- * الخليفة: حامد محمد الخليفة.
- ريجانة النبي الحسين بن علي رضي الله عنهما، دار القطف، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبي بكر الصديق حامي الإسلام من الرفض والردة،
مطبعة الحسام، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- مهاجرة الحجاز تكوينهم وأثرهم في بناء الدولة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، مكتبة
الصحابية، الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

* الخميس: عثمان الخميس.

- وقفات مع كتاب المراجعات، مصدر الكتاب: موقع المنهج الموقع الرسمي للشيخ عثمان
الخميس www.almanhaj.net " الكتاب غير مطبوع وهو أشرطة مفرغة وهذه النسخة تتميز
عن النسخ المتاحة على النت بأنها مراجعة".

* الخوانساري: محمد باقر الخوانساري.

- روضات الجنات، الدار الإسلامية، بيروت، (ط، ١).

* ابن خياط: خليفة بن خياط شباب العصفري، ت ٢٤٠هـ - ٨٥٤م.

- تاريخ خليفة بن خياط: تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت، دار القلم، الطبعة الثانية،
١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

* الدارقطني: علي بن عمر أو الحسن الدارقطني البغدادي، ت ٣٨٥هـ - ٩٩٥م.

- سنن الدارقطني: تحقيق: عبد الله هاشم ياني، دار المعرفة، بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

* أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥هـ - ٨٨٨م.

- سنن أبي داود: دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة
الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

* دمشقية: عبد الرحمن محمد سعيد دمشقية.

- أحاديث يحتج بها الشيعة، المكتبة الشاملة.

* ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي، ت ٢٨١هـ.

- اليقين لابن أبي الدنيا، موقع جامع الحديث.

- * الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت ٢٧٦هـ -
 - أدب الكتاب: مصدر الكتاب: موقع الوراق.
 - الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، الكتبة الشاملة، ٣.
 - الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، مؤسسة الحلبي، القاهرة.
 * الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت ٦٧٣هـ -
 ٧٤٨هـ.
 - المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال: تحقيق: الشيخ محب الدين الخطيب.
 - سير أعلام النبلاء: تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.
 - تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، ١، ١٤١٩هـ.
 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م.
 * الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.
 - مختار الصحاح، تحقيق: محمود، خاطر، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.
 * الرضي: الشريف الرضي.
 - نهج البلاغة المنسوب لأمير المؤمنين علي عليه السلام: تحقيق صبحي الصالح، ط، بيروت، وشرح محمد عبده، المكتبة العصرية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م، وطبعات أخرى.
 * الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي.
 - تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، موقع الوراق، "http://www.alwarraq.com".
 * الزيلعي: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ت ٧٦٢هـ.

- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمي في تخريج الزيلعي، تقديم: محمد يوسف البُنُوري، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجان، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري، المحقق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، (ط، ١)، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- * السبكي: أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، ت ٧٥٦ هـ - ١٣٥٥ م.
- فتاوى السبكي، دار المعرفة، بيروت، (بلا. تا).
- * السَّخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت ٩٠٢ هـ.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، دار الكتاب العربي.
- * ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، ت ٢٣٠ هـ.
- الطبقات الكبرى: إعداد: رياض عبد الله عبد الهادي، دار التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- * السفاريني: شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ت ١١٨٨ هـ.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكبتها، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- * سليم عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر.
- الاستيعاب في بيان الأسباب (في بيان أسباب نزول آي القرآن الكريم) دار ابن الجوزي، ط، ١، الرياض، ١٤٢٥ هـ.
- * السهيلي: عبد الرحمن بن أحمد الخثعمي، ت ٥٨١ هـ - ١١٨٥ م.
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: تحقيق: مجدي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط، ١)، ١٤١٨ هـ - ١١٨٥ م.
- * السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م.

- جامع الأحاديث: ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطي، والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح الكبير للنبهاني، النسخة مرتبة هجائياً في قسمي الأقوال والأفعال، من المكتبة الشاملة.

- الجامع الكبير: ملتي أهل الحديث <http://www.ahlalhdeth.com>

تنسيق وفهرسة أبو عمر، للموسوعة الشاملة، ٢.

- العَرَفُ الوَرْدِي في أخبار المَهْدِي، تحقيق: أبي يعلى البيضاوي.

* الشاطبي: إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي، ت ٧٩٠هـ-١٣٨٨م

- الإفادات والإنشادات، تحقيق: محمد أبو الأجنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

* الشحود: علي بن نايف الشحود.

- المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، وموسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، المكتبة الشاملة.

* الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، ت ٥٤٨هـ.

- الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٤هـ.

* الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، ت ١٢٥٥هـ-١٨٣٩م.

- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية: تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

* أبو بكر الشيباني: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني.

- الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، الرياض

الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

* ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، ت ٢٣٥.

- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
- * الصالحي: محمد بن يوسف الصالحي الشامي.
- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، مصدر الكتاب: موقع يعسوب.
- * الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، ت ٢١٨ هـ.
- علل الشرائع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
- * الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني.
- المعجم الصغير: تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت عمان، (ط، ١) ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- * الطبري: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، ت ٣١٠ هـ.
- تاريخ الرسل والملوك، المعروف بتاريخ الطبري: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- * الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي.
- مشكل الآثار، موقع الإسلام، "http://www.al-islam.com" المكتبة الشاملة ٢.
- * الطيالسي: أبو داود سليمان بن داود الطيالسي، ت ٢٠٤ هـ.
- مسند أبو داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
- * ابن أبي عاصم: عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، ٥٠٥ هـ - ١١١١ م.
- ظلال الجنة في تخريج السنة: تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.
- * العاصمي الحنبلي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد، ت ١٤٢١ هـ.
- آل رسول الله وأولياؤه، المكتبة الشاملة، موقع مكتبة المسجد النبوي.
- * ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، ت ٤٦٣ هـ - ١٠٧٠ م.

- الدرر في اختصار المغازي والسير: تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.
- * ابن عساكر: علي بن الحسين بن هبة الله، ت ٥٧١هـ-١١٤٨م.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م.
- * الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي.
- كتاب العين: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي.
- * الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، (٧٧٠هـ)
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت.
- * ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ت ٧٥١هـ.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- * ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل الدمشقي، ت ٧٧٤هـ-١٣٧٢م.
- البداية والنهاية: تحقيق: أحمد أبو ملحمة وآخرون، دار البيان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م.
- تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الفكر، (ط، ٢).
- * الكشي: أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي.
- رجال الكشي، قدم له وعلق عليه: أحمد السيد الحسيني.
- * اللالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم، ت ٤١٨هـ-١٠٢٧م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: تحقيق: أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة الرياض، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.

- * ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥هـ-٨٨٨ م .
- صحيح ابن ماجة: تحقيق: صدقي العطار، دار الفكر، بيروت (بلا. ط) ١٤١٥هـ.
- * مال الله: محمد مال الله.
- الإمامة في ضوء الكتاب والسنة: جمع مال الله، المكتبة الشاملة.
- * مالك: مالك بن أنس ابو عبد الله الأصبحي، ت ١٧٩هـ-٧٩٥ م .
- موطأ مالك: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
- * المبار كفوري: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحمانى المبار كفوري، ت ١٤١٤هـ .
- رعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، (ط، ٣) ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م .
- الرحيق المختوم، الجامعة السلفية، الهند، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.
- * المامقاني: عبد الله المامقاني.
- تنقيح المقال في أحوال الرجال، المطبعة المرتضوية بالنجف سنة ١٣٥٢هـ .
- * المتقي الهندي: علي بن حسام الدين المتقي الهندي.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩ م .
- * المجلسي: محمد باقر المجلسي.
- مرآة العقول في شرح أخبار الرسول.
- * المحب الطبري: أبو جعفر أحمد بن عبد الله، ت ٦٩٤هـ-١٢٩٥ م .
- الرياض النضرة في مناقب العشرة: تحقيق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م .
- * مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، ت ٢٦١هـ-٨٧٤ م .

- صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
* المفيد: الشيخ المفيد.
- الإرشاد للمفيد، طبعة الأعلمي، بيروت، والطبعة الحيدرية بالنجف.
* المقرئزي تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي، ٧٦٦هـ-٨٤٥هـ.
- مختصر الكامل في الضعفاء: تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، مكتبة السنة، مصر، القاهرة
١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشراوي، مكتبة مدبولي:
١٩٩٨م.
- * المناوي: عبد الرؤوف المناوي.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.
* ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي، ت ٦٢٦هـ-١٢٢٨م.
- لسان العرب: تنسيق وتعليق: مكتب تحقيق التراث، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة
الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- * الموصللي: عبد الله الموصللي.
- حقيقة الشيعة، دار الإيوان، الاسكندرية، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.
- * النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ت ٣٠٣هـ-٩١٥م.
- سنن النسائي الكبرى: تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب
العلمية، بيروت، (ط، ١)، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- * نعمة الجزائري: نعمة الله الجزائري ت ١١١٢هـ.
- الأنوار النعمانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
- * النووي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف، ت ٦٧٦هـ-١٢٧٧م.
- تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط، ١) (بلا. تا)

- المجموع شرح المذهب، هو شرح النووي لكتاب المهذب للشيرازي ت ٤٧٦ هـ، موقع يعسوب، أعدده للمكتبة الشاملة: موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف <http://www.mktaba.org>.

* ابن هشام: عبد الملك بن هشام الحميري، ت ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م.

- سيرة ابن هشام: تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ.

* الهيثمي: أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر.

- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبدالرحمن التركي وكامل الخراط، مؤسسة الرسالة، (ط، ١) ١٩٩٧ م.

* الوادعي: مقبل بن هادي الوادعي.

- الإلحاد الخميني في أرض الحرمين، المكتبة الشاملة، ١٤٢٨ هـ.

* الواقدي: محمد بن عمر بن واقد، ت ٢٠٧ هـ - ٨٢٢ م.

- المغازي: تحقيق: ارسدن جونس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥ م.

* أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي.

- مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م



سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المؤلف

- الدكتور حامد محمد الخليفة، من مواليد العربية السورية محافظة ديار الزور، أتم دراسته حتى الثانوية في بلاده.
- وأتم الدراسة الجامعية والدراسات العليا كلها في جامعة بغداد قسم التاريخ كلية الآداب.
- حصل على البكالوريوس من جامعة بغداد عام (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).
- ونال شهادة الماجستير من جامعة بغداد عام (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م):
- وحصل على الدكتوراة من جامعة بغداد أيضاً عام ١٤٢٠هـ في ١٣/٦/٢٠٠٠م.

المؤلفات المطبوعة

- الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف (السقيفة، استشهاد عثمان رضي الله عنه، موقعة الجمل، موقعة صفين، علي ومعاوية رضي الله عنهما) الطبعة الأولى في مطابع الواحة، عمّان، ٢٠٠٣هـ والطبعة الثانية، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤م الطبعة الثالثة وزارة الأوقاف في دولة قطر، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.
- مهاجرة الحجاز تكوينهم وأثرهم في بناء الدولة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الصحابة، الشارقة.
- الأنصار في العصر الراشدي. سياسياً عسكرياً فكرياً. دار الصحابة، الشارقة.
- يوسف بن تاشفين قائد المرابطين موحد المغرب ومنتقد الأندلس من الصليبيين ... دار القلم دمشق، بيروت. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ومطبوع أيضاً في دار الصحابة الشارقة.
- الموقف من التاريخ الإسلامي وتأصيل الهوية. دار القلم دمشق، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبو بكر الصديق. مطبعة الحسام، عمّان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- ریحانة النبی ﷺ الحسین بن علی بن أبی طالب رضی اللہ عنہما دار القطفوف عمان ۱۴۲۹ھ.
- أخلاق وأداب الحرب فی عصر الرسول ﷺ، دار عمار، عمان ۱۴۳۱ھ.
- الموقف من الشبهات علی أمير المؤمنین علی بن أبی طالب ﷺ، دار عمار، عمان ۱۴۳۱ھ.
- الموقف ممن یقدم أحداً علی خلیفة رسول اللہ ﷺ أبی بکر الصديق ﷺ، دار الفيحاء، عمان، ۱۴۳۱ھ-۲۰۱۰م.